

فضل عبد الله الجثام
(اليافعي)

الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى /سبر في التاريخ القديم/

منشورات دار علماء الدين



حقوق النشر محفوظة لدار علاء الدين

دمشق - الطبعة الأولى ١٩٩٩

١٠٠٠ نسخة

التنضيد الضوئي والإخراج الفني : دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة

يطلب الكتاب على العنوان التالي :

دمشق ص.ب - ٣٠٥٩٨

هاتف : ٢٣١٧١٥٨ - ٥٦١٧٠٧١

فاكس : ٥٦١٣٢٤١ - ٢٣١٧١٥٩

• جميع الأفكار والآراء الواردة في الكتاب تُعبر عن وجهة نظر المؤلف.

• في حال أخذ أية مادة من الكتاب يرجى التنويه إلى المصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى ذوات النطاق القوي تجتر فيي الطل زاهد
التقوى وتبتهل من أجلى فيي صلاتها إلى الله،
وتحمل عني أعباء وأرزاء... إليهما وهي
تتعهد أحواء حمير بالعناية والسفل، أهدي
هذا السفر.

وللرجال الطين تسكن ذواتهم لفعل المحامد
ويأبون الوقوف دون مستوى:
"أنجد رجال حمير فيي اليمن" ممداني.

فضل الجثام

دمشق - ١٩٩٩/٥/٢٦

المقدمة

الحمد لله الذي أسبغ عليّ من نعمائه ما ألهمني لاستهداء السبل إلى مجاهل
وخبايا التاريخ العتيق لإقليم الشرق الأدنى، فكان هذا الكتاب الذي قصرت
عليه عشر سنوات من العمر هي التي أعقبت تخرجي من جامعة ويلز
بريطانية ١٩٨٩.

وعلى الرغم من حيازتي الشهادة الجامعية بمرتبة الشرف في الاقتصاد
والسياسية الدولية من (U. C. W. Aberystwyth) حيث تشمخ على ما
سواها من الجامعات بقسم السياسة الدولية لأقدميته وتفردّه في حقل
السياسة الدولية - فإنني لم آنس في نفسي منذئذ الرغبة في دراسة وبحث الحالة
الراهنة للعرب المصابة بداء الضعف والخذلان.

فأخذت عوضاً عن ذلك أخبت بحثاً عن مواطن القوة والعزم في تاريخ قدماء
العرب فنجم عن سفري إلى الجذور هذا السفر التاريخي الذي ما كان لمداد
المطابع تحبيره دون إفراغ الوسع في تحصيله وتدوينه. معتمداً على مصادر شتى
تبدأ بالنقوش المسندية (الحميرية) فالقصص التوراتي فمرويات الإخباريين
العرب وتنتهي عند الآثار الحية التي مازالت تروى شفاهاً في أرياف اليمن
وعلى وجه التحديد في سرو حمير (يافع) ميدان البحث -.

وقد وظفنا في المقابلة اللغوية أسماء الأماكن الواردة في النقوش المسندية مع
نظائرها في النص التوراتي ومن هذا المنطلق بالذات كانت إطلاقتنا على
جغرافية التوراة.

ودون ذلك فإن هذا العمل لم يسلم من العيوب نحو افتقاره للخرائط
التوضيحية وصور المواقع التاريخية والنقوش المسندية التي لم ننقلها بحرف
المسند الأمر الذي سنعمل على تداركه في الطبعات اللاحقة إن شاء الله.
وبعد فإن أصبت فيه فمن الله عز وجل وإن عدلت فمن قريني، فله الحمد
والمنة.

والصلاة على نبيه الأمين محمد صلى الله عليه وسلم

فضل الجثام

دمشق ٢٦/٥/١٩٩٩.

مدخل في
الاختراق اليماني للتاريخ
السامي

ما زال (علم نقد التوراة) يجتذب أفئدة الباحثين حتى اليوم وتغطي دراسات الباحثين في هذا الحقل موضوعات شتى من نقد النصوص التوراتية لغوياً إلى معالجة (جغرافية التوراة) وتاريخيتها ودراسات ميثلوجيتها بالمقارنة مع معطيات الكشف الأثرية لا في البلاد الواقعة ما بين نهر النيل والفرات فحسب، بل وما تقدمه الكشف الأريكلوجية في (شبه جزيرة العرب) وبالذات في إقليمها الكبير المعروف بـ(اليمن) الذي آثرناه بدراسات هذا الكتاب التي أردنا بها دراسة تاريخه في العهود التوراتية العتيقة، واضعين نصب أعيننا ما عني به أساطين هذا الحقل من الباحثين العرب وفي طليعتهم صاحب كتاب(التوراة جاءت من جزيرة العرب) [د/كمال الصليبي] ومن سلك على محجته أمثال [د/زياد مئي] مؤلف (جغرافية التوراة: مصر وإسرائيل في جزيرة العرب) - الذي وضعه في الأساس كأطروحة دكتوراه أكاديمية باللغة الألمانية نالت امتيازاً جيداً من جامعة برلين. وصدرت طبعته العربية عن دار رياض الريس للكتب والنشر/ لندن - قبرص^١.

ويأتي على نفس الدرب (الأستاذ/فرج الله صالح ديب) و(د/سيد محمود القمني)، وغيرهم ممن عنوا بدراسة جغرافية التوراة - وتاريخها وميثلوجيتها ولغتها.... الخ.

ومائدة البحث كفيلا بأن تجمعنا على صفحات كتابنا هذا مع هؤلاء وغيرهم في هذا الحقل الراسع الأرجاء المحفوف بالمخاطرة التي تفرضها طبيعة الدراسة نفسها خاصة وقد ضربت في مجاهله أقدام كبار المستشرقين الآتية من منطلقات الاستشراق وظروفه الغير مواتية لنا نحن أبناء الشرق الذين ليس لنا من أروضية نظعن منها في الشرق سوى ذات الشرق المثقلة بهموم العالم وأسواره وتراثه المحموض بآثار العهود العتيقة... ولعل بوابة الدخول التي ينبغي لنا أن نخرج عليها تكمن في معرفة بعض الأصول والمفاهيم التي لا غنى للدارس عنها وهو يتناول أي فرع من تفرعات هذا العلم المعروف بـ(علم نقد التوراة) :

• التوراة في العهد القديم:

لا يجهل المسلمون أمر(التوراة) فهي الكتاب الذي أنزله الله على (بني إسرائيل) لهدايتهم إلى الحق.... وقد وردت هذه المفردة (التوراة) في ثمانية عشر موضعاً في القرآن الكريم، منها سبع مرات في (المائدة) وست مرات في(آل عمران)....^٢. ومعنى (التوراة) في العبرية(تعاليم) وفي معاجم اللغة العربية، وردت بمعنى يشير إلى تعاليم(الطهارة) فنقرأ تحت مادة (ترثية):

ترية: قال ابن بري: الأصل في تربية تربية... وفي حديث أم عطية: كنا لا نعد الكدرة والصفرة والتربية شيئاً، وقد جمع ابن الأثير في تفسيره فقال: التربية، بالتشديد، ما تراه المرأة بعد الحيض والاعتسالة منه من كدره أو صفره، وقيل: هي البياض الذي تراه عند الطهر....

[ابن منظور/لسان العرب/١٤/ مادة رأى]

نعم فالتربية (من تربية/توراة) تشير هنا إلى (علامة/تعاليم) في كتاب الطهارة عند العرب... وفي موضع آخر من لسان العرب نقراً:

تور: التور من الأواني.....

الأزهري: التور إناء معروف تذكره العرب تشرب فيه....

التور: الرسول بين القوم، عربي صحيح؛

قال:

والتور فيما بيننا معمل يرضى به الآتي والمرسل

وفي الصحاح: يرضى به المأتي والمرسل. [لسان العرب/٤/ مادة تور]

وإذا كانت (التوراة/ تعاليم) ينهل منها الظامئ إلى معرفة أصول الدين (اليهودي)، فإن العربي العاطش يرنو إلى (التور/التوراة) ليشرب منها فالمعنى واحد. هذا وحيث أن العرب كانت تسمي الرسول بين القوم (توراً) فيمكن القول أن الرسالة التي أنيطت به "تورة / أو تورا" والمقابلة هنا في غاية الوضوح فتوراة بني إسرائيل هي الرسالة التي بعثها الله إليهم مع أنبيائهم (ذوي العزم). وما زالت هذه المعاني شائعة الاستخدام في لهجات بعض قبائل اليمن حتى اليوم. ففي لهجة قبائل (سرو حمير/يافع) الذين ذكر(لسان اليمن/الهمداني) لغتهم:

سرو حمير وجعده ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير - أي اللغة الحميرية -

ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون يابن معم في يابن العم وسمّع في اسمع.^٣

نعم ففي لهجة أبناء (سرو حمير/يافع) يقولون:

• تورة: محفظة تصنع من الخوص(سعف النخل) يودع فيها أهم وثائق الأسرة أو العشيرة كعقود بيع وشراء الأراضي الزراعية وغيرها ومراسلات القبائل ومعاهداتها.... وتعرف هذه الوثائق بالأسجال أو المحمرات؛

• التوراة: الرحلة أو السفر إلى مكان ما. إذن فالتوراة هي حافظة الأسجال(الرقوم) أو اللفائف ممّماً مثل (التوراة) الحافظة لألواح الوعد وتعاليم وتاريخ الدين اليهودي. والتوراة(بتشديد الواو) في لغة

حيز كما لاحظنا تشير إلى رحلة (المتور/التور = الرسول) سعياً إلى نشر الدعوة (الرسالة/التوراة) هذا الاستطراد اللغوي لاسم أقدم مجموعة من أسفار العهد القديم الكتاب المقدس عند اليهود وهو (التوراة) يرشدنا إلى حقيقة مفادها أن (جزيرة العرب) هي الموطن الأصلي لهذا الاسم ومسماه ومهد القبائل الإسرائيلية المترحلة عبر شبه جزيرة العرب. وتتضمن (التوراة) في الأصل الأسفار الخمسة الرئيسية الأولى من (العهد القديم) ويصنفها بعض الباحثين على أنها:

(كتب موسى الخمسة) وهي :

١. التكوين.
٢. الخروج.
٣. اللاويون.
٤. العدد.
٥. التثنية.

وإذ يتكون (العهد القديم) من ثلاثة أجزاء رئيسية فإن الجزء الأول منه هو (التوراة) بأسفارها الخمسة، ويشار إليها باللاتينية باسم (Pentateuch) أي الخماسية وكذلك في غيرها من اللغات نحو (الإنكليزية/ واليونانية... الخ)

أما الجزء الثاني من (العهد القديم) باسم الأنبياء (نبي عم/عبرياً) ويضم ثمانية أسفار منه أسفار الأنبياء الكبار وقد خلدت بأسمائهم وعددها ستة وهي:

١. يشوع.
٢. القضاة.
٣. صمويل الأول.
٤. صمويل الثاني.
٥. الملوك الأول.
٦. الملوك الثاني.

ويطلق على هذا القسم بالعبرية (نبي عم هـ هـ هرونيم) وهم:

إشعياء/ وإرمياء/ وحزقيال. ويضمهم سفر واحد.

والسفر الثامن يضم فيه الأنبياء الثانويين وهم:

هوشع/ ويوتيل/ وعاموس/ وعبوديا/ ويونان/ وميخا/ وناحوم/ وحبقوق/ وصفنيا/ وحجاي/ وزكريا/ وملاخي. أما الجزء الثالث من العهد القديم فيعرف عبرياً باسم (كتوبيم) أي الكتب وتتألف من القصائد الدينية وكتب الحكمة وهي:

المزامير/ والأمثال/ وإيوب/ وأنشودة الأناشيد/ وراعوت/ والمراثي/ والجامعة/ وإستير/

ودانيال/ وعزرا/ ونحميا/ وسفر الأيام الأول والثاني.

ويرمز للعهد القديم هذا بتسمية شاملة هي :

(تنك/ أوتالساخ = Tanakh) منحوتة من الأحرف الأولى لأجزائه الثلاثة
(توراة/ وأنبياء/ وكتب).^٥

• قصة الأسفار المستورة:-

قصة الأسفار التوراتية (المستورة) أو المحجوبة عن العامة ترجع في المقام الأول إلى مصدرين :

i. وردت هذه القصة أولاً في سفر (إسدارس/٢) - وإسدارس/٢ واحد من هذه الأسفار المستورة - المنسوب لعزرا أيام السبي البابلي، ومفادها أن صاحب الرؤيا (عزرا) قد عرضت عليه أسفار التوراة (العهد القديم)، وبلغت أربعة وتسعين سفرًا وأمر أن يحجب منها سبعين سفرًا عن العامة. بحيث تظل مقصورة على حكماء اليهود فحسب، أما الأربعة والعشرون الباقية فهي أسفار (العهد القديم) التي يضمها النص العبري (اليوم). [إسدارس/٢] ليس له أي ذكر لدى المؤرخ اليهودي الشهير (جوزيفوس فلافيوس) المتوفي حوالي (٧٠ للميلاد)، فجعل أهل الاختصاص يرجعون تاريخ تأليفه إلى مؤلف يهودي أو مسيحي وضعه في نهاية القرن الأول للميلاد.^٦

ii. يطلق اليوم أهل الاختصاص على عدد من الأسفار التوراتية الغير معتمدة في أي من نسخ المراجعيات الدينية الثلاث (اليهودية/ الكاثوليكية/ البروتستانتية) بالسرية أو المحفية (أبوكرافيا/ Apocrapha باليونانية) وهي ليست سرية البتة ولا محظورة ومنها (إسدارس/٢). وكان أول من أطلق هذا المصطلح (أبوكرافيا) لأول مرة القديس (إيروليموس) مترجم النص اللاتيني المعروف ب(الفولغاتا/ أي الشائعة أو الشعبية) وهي المعتمدة من الكنيسة الكاثوليكية حتى أيامنا هذه... فقد أطلق هذه التسمية أثناء الترجمة على الأسفار التوراتية الواردة في الترجمة (السبعونية/ اليونانية) والغير واردة فيما لديه من النصوص (العبرية والأرامية) فحسبها القديس (إيروليموس) أسفاراً محظورة التداول على العامة بعد الترجمة السبعونية وفقاً لقول (إسحاق عسيموف).^٧

وقد عرض لنا الأستاذ (سهيل ديب) قائمة بأسماء الأسفار السرية نوجزها فيما يلي:

• الأسفار المستورة المعتمدة من الكنيسة الكاثوليكية:

سفر طوبيا/ سفر يهوديت/ إضافات سفر أستير/ سفر حكمة سليمان (الحكمة)/ سفر يشوع
بن شيراخ (سيراخ) واسمه باللاتينية Ecclesiasticus/ سفر باروك أو باروخ/ سفر عزريّا

ونشيد الشباب الثلاث/ سفر سوسانا/ سفر بعل الثتين/ سفر المكابين-١ و٢/٨.

• الأسفار المستورة غير المعتمدة:

سفر رسالة إرميا/ سفر صلاة منسي.... هذان السفران غير مقبولين لا في النص العبري ولا عند المسيحيين بشكل عام.

هذا ويأتي في رأس قائمة الأسفار المستورة سفر (إسدارس/١-٢) وإذا كان (إسدارس/٢) هو الذي ذكرت فيه قصة الأسفار المستورة ولم يذكره (جوزيفوس فلافيوس) فإن هذا المورخ قد ذكر السفر الأول من (إسداريس) وأعرض عن ذكر سفري (عزرا ونحميا) اللذين يحكيان نفس الرواية... ولهذا فمن المرجح أن محور سفر (إسداريس/١) قد أعاد كتابة سفري (عزرا ونحميا) على طريقته الخاصة، وذلك بعد العام/١٥٠ قبل الميلاد.^٩

وحيث أن مغاور وادي قمران (لغائف البحر الميت) التي تم اكتشاف محفوظاتها عبر فترة تمتد من (١٩٤٥-١٩٥٦م) أظهرت أن الأسفار القانونية تشكل عددياً ربع الوثائق الموجودة بينما الثلاثة أرباع الباقية تتألف من دراسات وتعليقات وأهمها وأكملها من ناحية الحفظ هو التعليق على (التعليق على سفر حيقوق).^{١٠} على الرغم من هذه النسبة الكبيرة للمخطوطات دون القانونية في (لغائف البحر الميت) إلا أن عدم وجود أي من الأسفار المستورة بينها يثير العجب لدى الباحثين التوراتيين عن حقيقة وأهلية هذه الأسفار التي تجذب الباحثين إليها أكثر من غيرها وهي إذ أصبحت غير محجوبة بل ومتداولة ومعتمدة لدى الكاثوليك مازالت تثير التساؤل عن حقيقة وجود أسفار محجوبة لدى حكماء أتباع الديانة اليهودية ومقصورة على كبار الأخبار ليس إلا^{١١}

• أثر التقاليد الأربعة في تحرير التوراة:

نحن هنا مثل (د/كمال الصليبي) نوظف مصطلح (التوراة) ليشمل أرضية أوسع لا تخص الخماسية المعروفة بكتب موسى الخمسة أي:

١. سفر التكوين: برشيت (عبرياً) أي في البدء.
٢. سفر الخروج.
٣. سفر اللاويين.
٤. سفر العدد: في (البرية):
٥. سفر تثنية الاشتراع: ديفاريم (عبرياً) أي (الكلام).^{١١}

وكلم الله موسى في برية سيناء.... [سفر العدد/١/١]

بل وليشمل ما يسميه المسيحيون العهد القديم من الكتاب المقدس بأقسامه الثلاثة (توراة/انبياء/كتب).^{١٢}

فكيف وصلت إلينا هذه المجموعة جملة ؟

يرى أهل الاختصاص أن أسفار موسى الخمسة وسفري يشوع والقضاة وغيرها من الأسفار القديمة قد حصلت على الشكل الذي وصلتنا فيه بعد عملية طويلة جداً من تجمع وامتزاج المرويات الشفوية القبلية وعمليات التأليف والكتابة.^{١٣}

ومن المتعارف عليه أن (خماسية موسى) أي الأسفار الأولى قد اكتست صيغتها النهائية عبر اشتراك أربعة تقاليد هي:

I. التقليد ال/يهوي: نسبة إلى إله الشعب المختار (يهوه/Yahveh) ويرمز له بالحرف (J) وتاريخه يرجع إلى عهد سليمان في منتصف القرن العاشر قبل الميلاد واهتماماته تتركز في نطاق المملكة الجنوبية... ويظهر أنها من صنع مؤلف واحد استعمل التقاليد الموروثة التي جمعها ولا يوجد قبل هذا دليل على مصدر مكتوب أقدم منه وقد حن بعضهم أن المؤلف كان من سلالة (يهوذا) وعاش في الحاشية الملكية.^{١٤} وإلى جانب انشغال هذا التقليد بمقولات مركزية نحو (أرض الميعاد) المقصورة من (يهوه) لشعبه المختار تجنح تخريجات التقليد (ال/يهوي) إلى التلغائية والمباشرة على مستوى اللغة التي تبدو (فجة وواقعية غير منمقة تسمى الأشياء بأسمائها ولا ترتبك أو تستعمل اللف والدوران عند وصف بعض الأعمال أو الوقائع التي أضفت على التوراة صفة الوصف الجنسي الفج (أنظر تكوين ٣٨/٩-١٥-١٦).^{١٥}

II. التقليد اللايلوهي: نسبة إلى (أيلوهيم)، إله إسرائيل الثاني ويرمز لهذا التقليد بحرف (E) ومساحته في التوراة محوطة ب:

(التقاليد المروية في شمالي البلاد، ولهذا السبب فمعظم العلماء يرجعونها إلى القرن الثامن قبل الميلاد بعد انفصال مملكة إسرائيل في الشمال عن مملكة (يهوذا) في الجنوب... ومن المحتمل أن مؤلف هذا التقليد (E) قد استقى معلوماته من مصدر مشترك مع ذلك الذي استقى منه مؤلف نصوص التقليد (ال/يهوي/J).^{١٦} هذا وتغلب على التقليد (الألوهي) في لغته الصبغة الأدبية الرفيعة فلغته:

(أكثر تنميماً وتهذيباً من لغة المدرسة (التقليد) (ال/يهوي) وهي أكثر عمقاً وتعتمد على التشبيه والتورية لتوجيه رسائلها. ويعود للمدرستين (التقليديتين) (ال/يهوية) و(الإيلوهية) تحرير معظم سفري التكوين والخروج.^{١٧}

III. التقليد الكهنوتي: يرمز له بحرف (P) من (Priests) أي الكهنة ويعود إلى فترة (ما بعد

انتهاء السبي البابلي/ ٥٣٠ قبل الميلاد. فقد عمد كهنة معبد(القدس) إلى تأليفه في تلك الفترة وقد حدثت عملية الإدماج لكل هذه العناصر(التقليد) بعد ذلك .^{١٨} وقد تميزت هذه المدرسة (التقليد) بطابعها التلقيني القائم على:

(إعطاء التعاليم (الطقسية) وكيفية تطبيقها ولغتها جافة، ولعل ذلك عائد للموضوع أو المواضيع التي تنطرق إليها مثل تحديد الأنساب والأصول. ويعود إلى هذه المدرسة تحرير (سفر العدد) وبعضاً من السفرين السابقين.^{١٩}

IV. تقليد الشريعة: يشار إليه بحرف(D) من(Deuteronomy/ بمعنى الشريعة) أي (التثنية) ويمتاز هذا التقليد بلهجته الخطابية التي يدعو فيها اليهود إلى اتباع الشريعة وتطبيق العهد.^{٢٠}

هكذا فالتوراة بأرضيتها الموسعة كتاب يعكس المراحل والمؤثرات التاريخية التي أسهمت في إخراجها على الصورة التي عالجناها (آنفاً) غير أن مسألة تأليفه في واقع الحال ترجع إلى الثلاثة قرون الأولى قبل الميلاد في نظر بعض أهل الاختصاص ومنهم د/ أنيس فريجة:

إن هذا التأليف لم يستمر سوى ثلاثمائة سنة، أي منذ تاريخ العودة من بابل عام/ ٥٤٠ ق.م/ إلى عهد دانيال (١٣٠ ق.م) بينما جرى وضع أسفار الشريعة الخمس الأولى دفعة واحدة بالاستناد إلى أصول الشريعة التي وضعت المحاولة الأولى لها في القرن الثامن قبل الميلاد.^{٢١}

• التوراة واللغة العبرية:

لم ترد في أي سفر من الأسفار التوراتية لفظة العبرية(أو العبرانية) إشارة إلى لغة القبائل الإسرائيلية، غير أن بعض أهل الاختصاص يرون فيما ورد في أحد نصوص (سفر أشعيا) الماعاً إلى مثل هذا^{٢٢} والنص في الترجمة العربية يرد على هذا النحو:

في ذلك اليوم يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان(سفت كنعن/عبرياً) وتختلف لرب الجنود يقال لإحداها مدينة الشمس في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر، وعمود للرب عند تخمها. [سفر أشعيا/١٩/١٨]

وفي هذا السياق يذهب د/ أنيس فريجة:

(اعتبرنا اللغة العبرية لهجة كنعانية وذلك بشهادة العبران في سفر أشعيا. وأن العبرانيين قبائل آرامية... وإذا نحن اعتمدنا العبرية في تحقيق المعنى الأصلي، فلأنما نعي أن هذا الجذر الذي نحسبه الآن عبرياً ليس سوى جذر كنعاني. والكنعاني هو الفينيقي. ولكن بما أن الكنعانيين وأخواتهم

الفينيقيين لم يتركوا لنا آثاراً كتابية كما ترك لنا العبران... فإننا بطبيعة الحال نعتمد العبرية، في التعرف على لغة البلاد الأصلية الكنعانية- الفينيقية.^{٢٣}

وفي حقيقة الأمر أننا لا نرى أي إلماع في نص (سفر أشعياء) إلى اللغة العبرية فقد بنى فريجة رأيه على التأويل وخالفه الأستاذ/فرج الله صالح ديب لأسباب منها عدم الورد الصريح للفظ (العبرية) في نص (سفر أشعياء) ويرى في فريجة:

(أكثر الكتاب تزويراً)^{٢٤} لهذا التأويل ولما ذهب عليه فريجة في القول أن:

(اللسان الكنعاني) (شفة كنعان) لغة تشمل العبراني والفينيقي والمواي- شرق الأردن).^{٢٥}

وإذا كان د/ أنيس فريجة قد انطلق في طرحه ثنائية (كنعان/فينيقياً) أو الترادف بين الكنعانيين والفينيقيين من مصدر توراتي معين فإن صاحب (اليسن هي الأصل) يرتل هذا النص الوارد في (سفر زكريا/١٤/٢١) فلا يجد فيه أي مرادفة بين الكنعاني والفينيقي:

(وكل قدر في أورشليم وفي يهوذا تكون قدساً لرب الجنود. وكل الذابحين يأتون ويأخذون منها ويطبخون فيها. وفي ذلك اليوم لا يكون بعد كنعاني في بيت رب الجنود).

[سفر زكريا/١٤/٢١]^{٢٦}

هذا الترادف الحاصل بين الكنعانية أصحاب (شفة كنعان) والفينيقيين يرجع في المقام الأول إلى أصولهم الواحدة في نظر د/ أنيس فريجة:

(والغريب في أمر هذا الشعب الكنعاني الفينيقي الذي قدم البلاد مع الموجه الأمورية والذي أنشأ حضارة أرقى... لم يترك لنا آثار كتابية كثيرة يعتمد عليها في كتابة تاريخ مفصل.^{٢٧}

وإذ يذهب في قوله السابق إلى أن (العبرانيين) قبائل أرامية، وحيث أن القبائل الأرامية هي بعض الزخم والاحتياح (الأموري) لبلاد ما بين نهري النيل والفرات، فأهل الاختصاص يعزون الاضطرابات التي شملت المراكز الحضرية شرقي حوض المتوسط في سوريا وبلاد ما بين النهرين ومصر الفرعونية في نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد إلى :

قدوم قوم يسمون العموريين (الأموريين/Amurru)، وفقاً للسجلات التاريخية بلاد ما بين النهرين وهم قوم كانوا يتكلمون اللغة السامية الغربية، أما السجلات المصرية فتذكر أن الاضطرابات التي حدثت في فترة تقع ما بين مملكة مصر القديمة المزدهرة وما بين إعادة تأسيس سلطة السلالة الثانية عشرة المتوسطة، كانت أسبابها الهجمات الآسيوية المتكررة.^{٢٨}

ومن هذا الاحتياح (الأموري) يعزو المؤرخون انبثاق السلالات القليلة لأجداد اليهود القدماء

المعروفين بـ(الآباء/Patriachs) الذين تدل أسمائهم:

(أهم عاشوا في القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد وفقاً لرأي بعض العلماء).^{٢٩} ولا شك أن هذا المورد الديموجرافي الأثني المعروف بـ(الأموري) هو الأساس الذي شيد عليه علماء اللسانيات تصنيفهم لمجموعة اللغات السامية التي تدعى أحياناً (السامحية) لأنها تضم بعض اللغات الأفريقية...

غير أن ما يهمنا هنا هو عائلة اللغة السامية الغربية التي تضم في كنفها: الكنعانية، الفينيقية، العبرية القديمة، الآرامية، السريانية، التدمرية، النبطية، وغيرها.^{٣٠} (واللغة العبرية) هذه التي يركن إليها في:

(التعرف على لغات البلاد الأصلية، الكنعانية-الفينيقية. حسب تعبير د/ أنيس فريجة، لم تذكر قط يالاسم في النصوص التوراتية- كما أسلفنا- وقد نعتت في نص توراني ورد في سفر الملوك ١٨/٢ (٢٦) وورد نفس النص في سفر أشعيا بخلافه نعتت بـ(يهوديت):

فقال الياقيم بن حلقيا وشبنه ويواخ لربشافي كلم عبيدك بالآرامي، لأننا نفهمه ولا تكلمنا باليهودي/يهوديت [عبرياً] في مسامع الشعب الذي على السور. [سفر أشعيا/٣٦/ ١١]

وإذ أهل الاختصاص يرجعون (سفر أشعيا) إلى القرن الثامنة قبل الميلاد، فإن النعت (يهوديت) قد استمر إلى القرن الرابع قبل الميلاد-أي إلى ما بعد الفترة السبي البابلي ففي (سفر أخبار الأيام الثاني) الذي يرى أهل الاختصاص أنه اكتسب شكله النهائي الحالي في القرن الرابع قبل الميلاد، يصف العهد القديم لغة بني إسرائيل بأنها يهوديت/أي يهودية- نسبة إلى يهوذا- عاكساً بذلك حقيقة سيادة القبائل والعشائر (اليهودية) على الحياة الدينية لليهودي السبي وتغلب طجتهم على غيرها.^{٣١} لكن هذه السيادة للهجة (يهوديت) في فترة ما بعد السبي لم توخر من اندثار اللغة العبرية فقد أصبحت في:

القرن الثالث قبل الميلاد مندثرة وحلت مكانها اللغة اليونانية إلى جانب الآرامية.^{٣٢} ولم يظهر النص الرسمي للتوراة باللغة العبرية إلا بعد أن ذوت هذه اللغة بقراءة أربعة قرون: لكنه لم ينته إلى شكله النهائي المعروف اليوم إلا في أواخر القرن الثامن للميلاد وأقدم مخطوط بالنص الماسوري (التقليدي) مؤرخ في/٨٩٥ للميلاد وهو المكتشف في كنيس (المستودع) اليهودي بالقاهرة.^{٣٣}

غير أن لفائف (وادي قمران/البحر الميت) قدمت نصاً عبرياً أقدم من النص العبري الذي ظهر بعد خمسة قرون مضت بالتمام والكمال على نص (السبعونية/الترجمة اليونانية)- في القرن الثالثة قبل

الميلاد- لكن صاحب هذه الترجمة المعروفة (بالسداسية/Hexapla) هو عالم اللاهوت اليوناني (أورجين الاسكندري) حوالي (٢٣٠ للميلاد) الذي عمد إلى ترجمة العهد القديم ترجمة مزدوجة بحيث تظهر في ستة أعمدة متقابلة النص العبري يقابله النص العبري بالأحرف اليونانية محاولة منه المحافظة على طريقة النطق بالعبرية، ثم ترجمتان معمول بهما في ذلك الزمان، ثم الترجمة السبعينية (السبعونية) ثم ترجمة أخرى من وضعه. ولا يعلم أحد من أين أتى (أورجين) بالنص العبري.^{٣٤}

• الأرامية وترجوم التوراة:

قدم لنا النص التوراتي المزدوج التواجد في سفري (الملوك الثاني/١٨/٢٦ وأشعيا/٣٦/١١) شهادة مزدوجة الدلالة أيضاً فهو يخبرنا عن لسان سامي أو لهجة ما سماها يهوديت (يهودية) ورأى فيها بعض الباحثين إشارة إلى اللسان العبري الذي تغلبت فيه لهجة القبائل الإثنية الإسرائيلية المنسوبة إلى السبط (يهودا) لكنها في ذلك العهد العائد تحديداً إلى مطلع القرن الثامنة قبل الميلاد كانت تتعايش مع لغة سامية أخرى أخذت تعرف طريقها إلى بيوت الخاصة من بني إسرائيل، وهي (اللغة الأرامية) التي خلدها هذا النص العائد إلى:

سنة ٧٠١ قبل الميلاد لما حاصر سنحاريب بيت المقدس في عهد (حزقيا) حيث كان الشعب يتكلم الأرامية، وكان موظفوا سنحاريب يعرفونها أيضاً.^{٣٥}

ومن هذا النص نفسه يخلص د/أنيس فريخه إلى القول أن: (الأرامية كانت لغة دولية في القرن الثامن قبل الميلاد).^{٣٦}

وتحت الضغط والتوسع الجغرافي للأراميين في القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد أخذت الأرامية قصب السبق وعايشت عصر اندثار العبرية كلغة حية ينطق بها كلغة (محكية) وإن بقيت تؤدي بعض الدور في أعمال أدبية محدودة منها كانت الضرورة لظهور ترجمة أرامية للتوراة في القرن الرابع قبل الميلاد. أما النسخة الأرامية الأقدم والتي عثر عليها من العهد القديم فيطلق عليها اسم (الترجوم) وتتمثل في (لفائف البحر الميت).^{٣٧}

وقد تركت اللهجة الأرامية وبصماتها وأثارها عبر الأسفار التوراتية والتراث الشيلوجي اليهودي، فمن الآثار الكتابية التوراتية المسجلة بالأرامية:

أسفار (دانيال ٢/٤٦-٢٨/٤٧) الذي يعود إلى ثورة الحشمونيين عام ١٧٦-١٦٤ قبل الميلاد، (عزرا ٨: ٤-١٨/٦ و ١١/٧-٢٦) ويضاف إلى ذلك (إرميا ١٠/١١) و (التكوين ٤٧/٣١).^{٣٨}

وكذلك كتب باللهجة الأرامية المدراسيم والتلمود الفلسطيني أو المقدسي. وتحتوي هذه الكتب على شرائع اليهود ونبد عن أحبارهم المشهورين.^{٣٩}

• اليونانية وسبعونية التوراة:

إذا كانت الترجمة الأرامية (الترجوم) قد وضعت في الأصل لتلي حاجات الجماعات التي اعتنقت اليهودية من غير المتكلمين العبرية.^{٤٠} فقد ظهرت ترجمة يونانية (للتوراة) اكتملت عبر القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وذلك في الاسكندرية لفائدة الطوائف اليهودية في مصر. وقد استقى هذا الاسم (السبعونية) (Septuagint) - باليونانية - من الأسطورة التي أحاطت بها والقائلة أن إنجازها تم بتكليف من امبراطور مصر (بطليموس/ ٢ فلاديلفيوس/ ٢٨٥-٢٤٦ ق.م) لإثنين وسبعين معمرًا يهوديًا - أي ستة من كل سبط - لكن أهل الاختصاص لاحظوا وجود تباينات كثيرة في أسلوبها من اختلاف في توظيف المصطلحات وسلاسة اللغة... الخ. وصلوا إلى قناعة أن عملية الترجمة قد تمت عبر مدة تمتد حوالي قرنين من الزمن.^{٤١}

ويوجد اليوم من الترجمة (السبعونية) - التي يرجح أهل الاختصاص أنها ما كانت لتنجز إلا عبر ترجمة من أصل عبري لم يعثر له على أثر - يوجد اليوم منها (أجزاء تبلغ/ ٢٠٠ مخطوطة في مختلف متاحف العالم).^{٤٢}

وفي العام ٤٠٦ م تولى القديس (ايرونيموس) ترجمة التوراة عن الترجمة (السبعونية) اليونانية إلى اللغة اللاتينية وقد اشتهرت هذه الترجمة بـ (الفولغاتا) (Vulgate باللاتينية) أي الشعبية الشائعة وهي المعتمدة اليوم من قبل الكنيسة الكاثوليكية وتشتمل على ما يعرف بالأسفار (المستورة) - أبوكرافيا - خاصة وهذا القديس هو أول من أطلق على هذه الأسفار الغير معترف بها من قبل يهود اليوم والكنيسة البروتستانتية (ابوكرافيا) أي المخفية أو السرية.^{٤٣}

لقد أسهب الباحثون في دراسة النصوص التوراتية ونقدها على ضوء معطيات الكشف الأثارية في بلاد ما بين النهرين ومصر وغيرها وعلى هدى علم اللسانيات وفقه اللغة المقارن كما تصدى أهل الاختصاص لدراسة التراث التوراتي بالمقارنة مع تراث المنطقة شرقي المتوسط، وتوصلوا إلى قناعات منها ما ذهب إليه البعض أنه أثناء عملية السبي البابلي لليهود (٥٧٦ ق.م) وضعت أسفار التوراة (العهد القديم) :

وأدخل عليها (الأنبياء الأولون) التجميعات والأساطير المختلفة، وخلطوا بين أحداث وأخرى عن عمد مثل جعل الخروج تحت إمرة موسى وغير ذلك كما أخذوا عن أسريهم الكثير من

الأساطير، وكل فئة شاركت بهذا الوضع أطلقت على الإله الجديد اسم إلهها المفضل ومعظم هذه التسميات أتت من شمالي سورية على الأغلب: مثل (ياهو) الذي أصبح (يهوه) من عند الحثيين و(أدوناي) من تسمية إله السومريين (تموز) إذا أخذه عنهم الكنعانيون وأطلقوا عليه (أدوني) تموز/سيدي تموز) فأخذ اليونانيون الشق الأول من التسمية، أي (أدوناي) وأضافوا إليها اللاحقة اليونانية التقليدية (س) فأصبح عندهم يعرف باسم (أدونيس/إله الجمال) وفقاً لرأي (فريزر) صاحب كتاب (العصن الذهبي) و(د/أنيس فريجة) في كتابه (دراسات في التاريخ).^{٤٤}

وبعد فإن معظم الباحثين كما ذكرنا (أنفا) يرون أن (العبرانية) قد صارت في القرن الثالثة قبل الميلاد في عداد اللغات الميتة... وتركت لنا نصوص (التوراة) بأحرف ساكنة تشترك فيها جميع اللغات السامية وهي أبجدية تشتمل على:

ء ب ج د ه و ز ح ط ي / ك ل م ن / س / سامك ع ف ص / ق ر ش (حرفا السين والشين) ت.

لقد قيض لهذه اللغة بعد ألف سنة تقريبا من أندثارها أن تنفخ فيها الروح أو إعادة الأحياء من قبل فئة من أحبار اليهود يعرفون (بالمصوريين) أي أهل التقليد - ابتداء بالقرن الميلادي السادس. وقد استمر المصوريون في عملهم هذا حتى القرن العاشر.^{٤٥} وفيهم يقول الله عز وجل (في إشارة واضحة وبالعلة الدقيقة) أنهم:

((بحرفون الكلم عن مواضعه)). وأهم يفعلون ذلك ((ليا بألسنتهم)) سورة النساء ٤٦

((بحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ه)) المائدة / ٤١

وفي هذا الشأن يؤكد (د/كمال الصليبي):

وبالفعل فقد قام هؤلاء بتحريف النصوص التوراتية عن طريق إدخال الحركات والضوابط عليها بصورة اعتباطية في أحيان كثيرة مما غير إعراب الجمل وحور المعاني. ولم يرق عمل المصوريين هذا لغيرهم من أحبار اليهود المعروفين (بالربانيين) في البداية، لكن الربانيين هؤلاء قبلوا ما عمله المصوريون مع الوقت، بحيث أصبح النص المصوري المضبوط من التوراة هو النص المعتمد من اليهود.^{٤٦}

وإذ يحفل النص المصوري هذا بالتحريف والزلات العديدة والمتناقضات اللغوية والتاريخية فقد قامت عدة محاولات لإعادة النظر في هذا الضبط من قبل العلماء الذين حاولوا ومازالوا يحاولون تصحيح ترجمة الأسفار التوراتية. لكن هذه المحاولات لم تف بالمطلوب حتى الآن، لأن التحريف

الذي أدخله الضبط المصوري على النص التوراتي هو أضعف بكثير مما يتصوره علماء التوراة.^{٤٧}
ولعله من المفيد الإشارة أن عملية بحث (العبرانية) من رفاقها قد حدثت تحت رعاية خاصة أو في
كنف الإرتقاء اللغوي للعربية الفصحى التي:

بدأت بتثبيت موقعها القيادي بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام في القرن السابع للميلاد.^{٤٨}
غير أن هذا الرأي الذي يحصر تأثير (اللغة العربية) وازدهارها في القرن السادس والسابع للميلاد
فيه الكثير من التحجني أو لعله يرجع من مقولات جاهزة ذاعت لدى المستشرقين و(علم الاستشراق)
الذي يعد علم (نقد التوراة) بتفرعاته فرع فيه. فهل كان للعربية تواجد قبل فترة ازدهارها مع موجات
الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام في القرن السابع للميلاد ؟

• اللغة العربية أم اللغات السامية:-

قسم علماء اللسانيات اللغة- أو مجموعة اللغات السامية إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي القسم
الشرقي والقسم الغربي والقسم الجنوبي، ويضم هذا القسم أي الجنوبي في فرعه العربي: العربية القديمة،
القحطانية، الحميرية المعينية، السبئية العدنانية المغربية أو القرشية (اللغة العربية الفصحى).

أما الفرع الحبشي من القسم الجنوبي فيضم:

الإثيوبية والنيجيرية والجفرية والهررية.

في حين يضم القسم الشرقي من المجموعة السامية:

البابلية والأشورية (الكلدانية).

وكما ذكرنا آنفا أن القسم الغربي يضم فيه:

الكنعانية والفينيقية والعبرية القديمة والآرامية والسريانية والتدمرية والنبطية وغيرها.^{٤٩}

فمن أين أتت جميع هذه الساميات وأين جذورها يا ترى ١٩

جميع هذه اللغات المسماة بالسامية تستند إلى أساس لغوي هو اللغة الأم أو اللغة العربية الأولى
التي نشأت في شبه جزيرة العرب والتي انقسمت في المدى التاريخي البعيد إلى بضع لهجات، ثم
تكونت هذه اللهجات على شكل لغات مستقلة، سرعان ما تفرعت عنها أيضا لهجات جديدة،
ومن ثم تحولت إلى لغات مستقلة من جديد، وهكذا استقر الوضع اللغوي على الحال القائم اليوم.

٥٠

هذا الطرح فيه شيء من الاضطراب وتسري بين كلماته درجة كبيرة من
اللاموثوقية/Uncertainty وهذا الحال لا يتعلق بصاحب الابحاث (قدوح) بل يرجع إلى طريقة

التصنيف الذي اعتمد عليه علماء اللغة في طرقهم لتاريخ المجموعة السامية، وهي طريقة فيها إعتساف وعجرفة في مسألة الإقتراب من تاريخ المنطقة العربية ككل وشبه جزيرة العرب على وجه خاص. فقد أثبتت الأبحاث الجادة من بعض الباحثين العرب في تاريخ الطوائف أو القبائل السامية ولغاها أن:

التصنيف الجغرافي للغات السامية الثلاث ليس صحيحاً.^{٥١}

ولا غرابة فالمصدر الوحيد للمجموعة السامية هذه هو (العربية الأم) - لغة الجزيرة العربية - والجزيرة العربية هي موطن الهجرات العربية المعروفة بهجرة الأقوام السامية. وفي هذا يقول المؤرخ العالمي اللبناني الأصل (فيليب حتي):

النظرية اأختملة لموطن هذه الجماعات هي الجزيرة العربية، وأنه بعد الهجرات الأولى للسومريين باتجاه الشمال (٣٥٠٠ ق.م) حصلت هجرة أخرى من البادية وأتت بالأموريين، وشملت الشعب الذي أحتل السهل الساحلي الذي سمي نفسه بالكنعانيين الذين أطلق عليهم اليونان الذين تاجروا معهم اسم فينيقية.^{٥٢}

نعم فإلى جانب القرابة الشديدة في (مورفولوجية) - أي نحو وصرف - المجموعات السامية اللهجية المنطلقة في الأساس من المنبع الأحادي المصدر وهو جزيرة العرب، وواقع الكشف الأثارية في بلاد الرافدين وسوريا أثبتت وفقاً لقول أنيس فريحة أن في:

لهجة أوغاريت عناصر لغوية تشبه البابلية - الآشورية - الأرامية - العبرية - العربية. ومن يحسن العربية والعبرية والسريانية يستطيع بيسر أن يفهم النصوص الواضحة.^{٥٣}

وقد توصل صاحب (اليمن هي الأصل) في مساحلاته ودراسته للآثار الكتابية لمجموعة اللغات السامية هذه إلى نتيجة دامغة فحراها أن:

- هناك أموريين وليس من نصوص أمورية!
- الكنعانيون أموريون، ولكن ليس من لغة كنعانية!
- الفينيقيون كنعانيون، ولكن ليس من لغة كنعانية!
- الأراميون فينيقيون كنعانيون أموريون، ولكن ليس من لغة أرامية!^{٥٤}

وفي إشارة من (د/كمال الصليبي) لجهود الأستاذ/ فرج الله صالح ديب اللغوية المؤدية إلى حقيقة أنه يقدر ما كانت (اللغة العربية الأم الأولى) مصدر هذه التفرعات اللهجية (المجموعة السامية) فإن أي معضلات تبرز أو تعترض فهم أي آثار كتابية في حدود الشرق الأدنى يمكن ببساطة التغلب عليها من خلال الإستعانة باللغة العربية:

بما تعنيه كل لهجاتها، إلا أن الفصحى ليست إلا لهجة قرشية سادت مع الدولة.^{٥٥}
وفي هذا السياق يقول الصليبي:

وهناك نقش بالحرف الفينيقي وجد في جوار بلدة جبيل بلبنان... قد احتار الباحثون في أمره لأن اللغة السامية التي كتب فيها هذا النقش ليست الفينيقية (الكنعانية). وأخبرني أحدهم وهو من المختصين في الموضوع، أنه كتب بلغة سامية غير الكنعانية، فلم يستقم فيه التركيب والمعنى إلا عندما قرأه كنص عربي(.....).^{٥٦}

لقد انتهج الأستاذ/فرج الله صالح ديب طريقة المطابقة المباشرة بين أشكال الأبجدية الفينيقية التي كتب بها نقش جبيل وأبجدية لغة المسند(الحميرية/العربية الجنوبية)، فوجد أن النقش يمكن قراءته(باللغة العربية) دون أي لبس في فهم مفرداته فتحقق عنده:

أن الفينيقية ذات أحرف ثمانية متطابقة مع الحرف اليمني الحميري، وأنها لغة عربية.^{٥٧}
وقد دعمنا طرح الأستاذ(ديب) هذا بفك ما انغلق من معاني بضع كلمات وردت في نقش جبيل وما كان لنا أن نمتدي إليها لولا استعانتنا بإحدى اللهجات اليمنية وهي طجة(سرو حمير/يافع) الغنية بالمفردات الحميرية العتيقة، فاكتملت (رؤية ديب) لنقش جبيل ب(ملاحظات يافعية على نقش جبيل)-أوردناها في صدر كتابنا هذا.

ولا عجب في تطابق هيئة الحرف الفينيقي بالحرف المسندي وقدرة طجة القبائل اليافعية الحميرية المتداولة اليوم على تطعيم(نقش جبيل) اللبناني بمعاني غريب اللفظ فيه، فالعربية الجنوبية ذات الأبجدية المسندية الرائعة كانت المعين الثر الذي استقت منه لا اللغات السامية نظام أبجدياتها فحسب، بل لأن معظم أبجديات اللغات الأوروبية اليوم المنتسبة إلى المجموعة- عند علماء الألسنيات- الهندوأوروبية فقد صرح المستشرق البريطاني(عبد الله فليبي) في محاضرة له أمام الجمعية الملكية الجغرافية بلندن كرسها لعرض نتائج اكتشافاته الأثرية عند منتصف العقد الخامس من القرن الحالي لبعض المناطق الأثرية من حضرموت القديمة، قال في إشارة منه لليمنيين أصحاب الخط المسند:

لا أعتقد بأنني أبالغ عندما أذكر بأن هؤلاء الناس- بعض قبائل المناطق الجنوبية الشرقية من اليمن- الذين شاهدتم صورهم... هذه الليلة ينتسبون إلى ذلك الشعب الذي اخترع الأحرف التي تستخدمونها اليوم والتي تركز عليها حضارتكم.^{٥٨}

لهذا السبب ف:

لا عجب في أن اللغة العربية كانت معاصرة للكنعانية والأرامية في الأزمنة التوراتية. فالعريسة

سواء من ناحية تصويتها (أي فونولوجيتها) أو من ناحية صرفها ونحوها (أي مورفولوجيتها)، تعتبر أقدم اللغات الثلاث من قبل أهل الاختصاص.^{٥٩}

ولعل صدق هذا القول في أقدمية (اللغة العربية) وقدرتها على اختراق طبقات التاريخ وأدواره تكمن في مقدرتها على تفسير الآثار الكتابية والملحمية لحضارة (أوغاريت) السورية:

فالأوغاريتية شديدة القرب للغة العربي. ولعل إيراد بعض المقاطع من اللغة الأوغاريتية مكتوبة بالحروف العربية، ومقارنتها بترجمتها العربية، يعطينا فكرة عن هذا القرب ونوعه. وإليك مقتطعا من ملحمة كرت (كارت):

- يعرب بحدره ويكي/ أي يدخل حدره ويكي.
- بن رجم ويدمع/ أي يثني الكلام ويدمع.
- تنكتن أدمعته/ أي ودموعه تنكت.
- كم شقلم أرصه/ أي كما المثاقيل على الأرض.
- قنح مصت مطته/ أي تبلل غطاء سريره.
- ايل يرد بظهرته/ ويرد ايل بظهوره.
- أب آدم ويقرب/ أي ويقرب أبو البشر.
- يسأل كرت/ أي يسأل كارت.
- يدمع نعمن غلم ايل؟/ أي أيدمع الجميل غلام ايل؟
- عل لظهر مجدل/ أعلى ظهر القلعة.
- ركب شكم صمت/ أي اركب شكائم الجدار.
- سأيدك شم/ أي ارفع يدك نحو السماء.
- دبج لثور ايل/ أي اذبح للثور ايلك ايل.^{٦٠}

وفي هذه المقاطع الأوغاريتية المصدر الكثير من العناصر اللهجية التي مازالت دارجة الإستعمال في أرياف اليمن وبالذات في (سرو حمير/ يافع) نحو:

- بن رجم: مازالت قبائل يافع الحميرية تستخدم حتى اليوم باء المضارعة المصطلح عليها عند علماء الآثار بباء المضارعة القتبانية- لوردودها في النقوش القتبانية مثل:
- بيشرب — بياكل — بنحفظ — بيعمل — بتكتب — بيوئن: أي يصبر ويلح في كلامه
- لاحظ (بن) = يثني.

أما المتحدث الكيس فهوز فهو في لهجة يافع (المرجة ~ قارن - رجم = كلام.

— بظهورته: نفس الصيغة مازالت دارجة في يافع.

— ذبح: هكذا ينطق فعل الأمر في مرتفعات (سرو حمير/ يافع) فهم عادة يحتلسون الألف من صيغة (أفعل).

لاشك عندنا أن هذه السمات اللهجية المشتركة بين (لغة أوغاريت) واللغة العربية ولهجة سـرو حمير منها تبين بطلان التصنيف الجغرافي لمجموعة اللغات السامية، فحتى أسماء أبطال (ملاحم أوغلويت) ما برحت شائعة الاستعمال في جنوب الجزيرة وشمالها على السواء. فهذا قـادش رسول (الآلهة عشيرة).^{٦١} مازال اسمه شائع الاستعمال في (سرو حمير/ يافع) ومنهم عيال قـادش رأس وادي ضـسول في ناحية مشالة اليافعية.^{٦٢} وكذا (القـدفشة) تسمية من نفس الجذر تدل على السعي والطلب عند ذات القبائل اليافعية في (سرو حمير/ يافع) الأمر الذي يمرر تسمية مبعوث عشيرة الأوغاريتية — (قـادش) : أما أسماء بنات بعل فمثال آخر على قرب الأوغاريتية للعربية، فبدرية اسم مازال شائعاً في سورية والنسبة هنا للبدر وهو القمر الكامل. وطلية هنا هي الطل أو الندى وأرضيه هي الأرض والتربة الخصبة.^{٦٣}

أما المقطع الأوغاريتي : (ركب شكـم صمت/ أركب شكـالم الجوار) فيشير إلى نفس التقليد المتبع في أعمال البناء في سوريا القديمة واليمن القديمة أيضاً، فحتى اليوم مازالت (المعاليق/ الشكـالم) خشبية أو معدنية تثبت في جدران البيوت معظم القبائل اليمنية القاطنة (هضبة اليمن) وجدران البيوت في (سرو حمير/ يافع) تسمى هنالك بـ (صلاري) واحداً (صلوة) قارن صمت (صموة بـالتصويت) في (لغة أوغاريت) والإبدال هنا بين (اللام والميم) لقرب مخرجي الصوت. والفعل (صلل) ورد في نقوش المساند اليمنية القديمة مثل (ربرتوار/ ٣٥٥٠) بمعنى (كسا بمحارة).^{٦٤}

وهذه قرائن دامغة على وحدة الثقافة واللغة والعادات والتقاليد عند قدماء العرب قاطبة. وسنفيض في الفقرة اللاحقة في تفنيد المزاعم والفرضيات التي أقامت الموانع والحواجز بين حضارات الأقوام والتجمعات الحضارية التي قامت في الشرق الأدنى سعياً لطمس القناعات بوحدة الجذور وقميش الرعي بتاريخنا العربي التليد بغرض ترسيخ (قطيعة معرفية) تفصلنا كعرب اليوم بماضينا العتيق.

وتنسجم هذه الرؤية المعاصرة والخارقة لطبقات التاريخ مع مرويات الإخباريين واللغويين العرب الذين أكدوا فضيلة اللغة العربية ووحدة كيائها، وأقدميتها في اللغات العالمية عموماً، والتمتية إلى حضارات الشرق الأدنى على وجه الخصوص... ويأتي (رأي ابن قتيبة) في طليعة الآراء وأجلها شأننا

عند (أبي حاتم الرازي) صاحب (كتاب الزينة) حيث يقدمها لنا على هذا النحو:

• تعلم إسماعيل العربية من اليمن - رأي ابن قتيبة:

قال عدة من العلماء أحدهم عبد الله بن مسلم بن قتيبة (واللفظ له):

تعلم إسماعيل العربية من اليمن من ولد يعرب بن قحطان. وكان يعرب أول من تكلم بالعربية حين تبللت الألسن ببابل، وسار حتى نزل اليمن في ولده ومن اتبعه من أهل بيته. ثم نطق بعده عاد بلسانه، وشخص حتى نزل الشحر، ثم جدیس ثم عمليق ثم طسم ثم جرهم. قال: وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: تسع قبائل قديمة، طسم وجدیس وجهينة وحجم (بالحاء والجيم) والخثعم والعماليق وقحطان وجرهم وحمود فهؤلاء قدماء العرب الذين فتق الله ألسنتهم بهذا اللسان. وكانت أنبياءهم عربا، هود وصالح وشعيب عليهما السلام. قال وهب بن منبه: هود أخو اليمن في التوراة. فلما وقعت العصبية بين العرب وفخرت ربيعة ومضر بأبيها إسماعيل ادعت اليمن هودا ليكون لها والد من الأنبياء، قال: ولما يوأ الله لإسماعيل الحرم وهو طفل، وانبط له زمزم مرت به رفقة من جرهم، فرأوا ما لم يكونوا يعهدونه، وأخبرتهم هاجر بنسب الصبي وحاله، وما أمر الله عز وجل أباه فيه وفيها، فتركوا بالمكان فزلوه وضموا إليهم إسماعيل فنشأ معهم، وتبع ولداهم، ثم أنكحوه، فتكلم بلسانهم؛ فقليل: نطق بالعربية أي بلسان العرب.^{٦٥}

وقد أنكر (أبو حاتم الرازي) رواية ابن سلام التي تذهب إلى أن إسماعيل أول من نطق بالعربية: وهذا الذي رواه محمد بن سلام عن محمد بن علي عليه السلام أن إسماعيل أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه، خلاف ما رواه ابن قتيبة أن يعرب بن قحطان أول من تكلم بالعربية - وهو أولى بالصدق والصحة منه.^{٦٦}

وقد ذهب بعض أهل الاختصاص قديما وحديثا زاعمين أن الشعر لم يعرف لدى قدماء العرب في غابر عهودهم وأن صناعته أمر يتعلق فقط بالبيئة التي ينتمي إليها الشعر الجاهلي الشهير بمعلقاته وفحولها الذين أناروا (ديوان العرب) إثر الإرهاصات الأولى للشعر العربي الذي:

لاح أول ما لاح على لسان المهلل، فالجليلة، ثم استوى مشرقا على لسان أمري القيس، وتوهم به أوس بن حجر، وعلقمة، وعمرو، والحارث وعبيد وزهير وعنترة وحاتم وغيرهم، فكان من رجاله أصحاب معلقات، ومراث، وملحومات، كما كان منه أصحاب تنف وأبيات.^{٦٧}

ولمثل هذا القول ذهب (ابن سلام) في روايته التي نقلها لنا صاحب (كتاب الزينة):

قال: ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما قصدت

القصاصد، وطول الشعر على عهد عبد المطلب أو على عهد هاشم بن عبد مناف. وهذا دليل على إسقاط ما روي من الشعر القديم لعاد وثمود وتبع وحير.^{٦٨}

وعلى هذا المنوال نسج أساطين الأدب العربي الحديث رؤاهم عن الآثار الأدبية لقدماء العرب وأنكروا أن يكون لهم نصيب منها، واستكثر عميد الأدب العربي (د/طه حسين) على اليمن سبك الشعر في العهود التي تولت قبل مبعث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) :

لقد ظل ولفترة قريبة احتمال وجود أي نوع من الأدب لقدماء اليمنيين مستحيلا عند كثير من العلماء، وقد تفاقمت الجراءة عند البعض لأن يرفض رفضا باتا وجود شيء اسمه أدب جاهلي للعرب بشكل عام.^{٦٩}

غير أن نقوش المساند اليمنية القديمة المنبوشة من خرائب اليمن العادية قدمت الدليل القاطع على بطلان القول بعدم وجود آثار أدبية عند قدماء اليمنيين، فقد تكلفت جهود علماء الآثار اليمنيين بالنجاح عام (١٩٧٧) حيث تمكن الدكتور (يوسف محمد عبد الله) من كشف نقش مسندي عجيب في:

وادي قالية بناحية السوادية، حوالي/ ٢٥٠ كم جنوب شرق صنعاء على سفح مثل الوادي على جبل عال يسمى (فحمان)، في سفح هذا الجبل تقع ضاحية هذه المنطقة (الجمدة) ومن خلال المعطيات الأثرية نجد لها تاريخ حضاري كبير، فهناك أقامت آل معاهر (أقيال قبائل ردمان وذو خولان) قصورهم ومعابدهم وقبورهم. وفي ذلك الموقع نشاهد صخرتين نقش عليهما كتابات ومخرشات بخط المسند ورسوم حيوانية وآدمية كصور الوعل، وهيئة شخص يحمل رمحا. واللافت للنظر أنه في خاتمة كل سطر حرفان مكرران هما (الحاء والكاف/ ح ك).^{٧٠}

العثور على هذا النقش أعقبته جهود مضيئة من قبل عالم الآثار اليمني (د/يوسف محمد عبد الله) لغرض الإحاطة به والكشف عن غريب اللفظ فيه.. ولم تجد نفعا مراسلاته مع زملاء المهنة غير أن عودته إلى ناحية (السوادية) بدافع دراسة البيئة المحيطة بالنقش ولهجة سكانها قد مكنته من تفسير النقش الذي يتكون من (سبعة وعشرين سطرا) هي أبيات أنشودة دينية تقرب بها صاحبها إلى (إلهة الشمس) ربة الخصب والحياة. إذا فنحن أمام نقش القصيدة الحميرية أو ترنيمة الشمس ونصها بالحرف العربي (نقل المبني) :

نشترن/ خير/ كمهد/ هقحك

بصيد/ ختون/ مآتم/ نسحك

وقرنو/ شعب/ ذقسد/ قسحك
 ولب/ علهن/ ذبحر/ فقحك
 وعيلت/ أأذب/ صلح/ فذحك
 وعين/ مشقر/ هنيجر/ وصحك
 ومن/ ضرم/ وتدا/ هسلحك
 ومهسع/ نحن/ أحجي/ كشحك
 ونوي/ تفض/ ذكن/ ربحك
 وصرف/ أأغد/ دأم/ ذو ضحك
 وجهنللت/ هنصنق/ فتحك
 وذوي/ تصخب/ هعسمك/ برحك
 وين/ مزرا/ كن/ كشقحك
 ورسل/ لثم/ ورم/ فسحك
 وسن/ صحح/ دأم/ هصحك
 وكل/ يرس/ عرب/ فشحك
 وكل/ أخوت/ ذقسد/ هبصحك
 اليت/ شظم/ دأم/ تصبحك
 وكل/ عدو/ عبرن/ نوحك
 وكل/ هنحطي/ أملك/ ربحك
 وأك/ ذتكد/ أرا/ كفقحك
 ومن/ شعيب/ عران/ هلبجحك
 وجب/ يذكر/ كلن/ ميحك
 هذن/ خير/ عسيك/ توحك
 هنشمك/ هندأم/ وأك/ صلحك
 هرذاكن/ شمس/ وأك/ تنضحك
 تبهل/ عد/ أيسي/ مشحك. ٧١

وفيما يلي (معنى النقش) وفقاً لقراءة (د/يوسف محمد عبد الله):

نستجير بك يا خير فكل ما يحدث هو مما صنعت
بموسم صيد (خنوان) مائة أضحية سفحت
ورأس قبيلة (ذي قسد) رفعت
وصدر عليها ذى يحير شرحت
والفقراء في المآذب خبزاً أطعمت
والعين من أعلى الوادي أجريت
وفي الحرب والشدة قويت
ومن يحكم بالباطل محقت
وغدير (تفيض) لما نقص زيدت
ولبان (العز) دائماً ما بيّضت
وسحر اللات إن اشتد ظلامه بلجت
ومن يجار ذاكرأ نعملك رزقت
والكرم صار خيراً لما أن سطعت
وللإبل المراعي الوفرة وسعت
والشرع القويم صحيحاً أبقيت
وكل من يحفظ العهد أسعدت
وكل أحلاف ذى قسد أبرمت
والليالي القدر بالإصباح جليت
وكل من اعتدى علينا أهلكت
وكل من يطلب الحظ مالاً كسبت
ورضي من تعثر حظه بما قسمت
وفي (الشعيب) الخصب أزجيت
وبئر (يذكر) حقى الجمام ملأت
الحمد يا خير على نعمالك التي قدرت
وعدك الذي وعدت به أصلحت
أعنتنا يا شمس إن أنت أمطرت

٧٢. تنضرع إليك فحقى بالناس ضحيت.

لقد أشرفت (بقصيدة النقش الحميرية) وجوه أولئك العلماء الذين ظلوا يعتقدون بوجود ألـوان أدبية عديدة عند قدماء اليمنيين ومنها نظم الشعر خاصة عند ملوك حمير وأقيالها وأذوائها كما أكدت ذلك مرويات (وهب بن منبه) و(عبيد بن الشريه) المعروفة وكتابات لسان اليمين (الهمداني) التي ذكرت بإلحاح شعراء حميريين بعضهم لم تصلنا من آثارهم باقية وما زالت أسمائهم حتى اليوم يصعب التحقق منه نحو:

أبو العلاء الحيفاني الشاعر، صاحب الأشعار الحميرية، وله افتخارات حسنة. ٧٣

نعم فقد قطعت قصيدة النقش المسندية الحميرية (قول كل خطيب) خاصة وقد ظهرت لتعزز بارقة الأمل الذي أحدثها النقش المسندي الذي نشره المؤرخ اليمني (زيد عنان) في كتابه: (حضارة اليمن القديم)، الذي تعذرت قراءته لغرابته واضطراب نصه حتى:

حاول (بافقيه وروبان) إعادة تركيبه استناداً إلى نسخة (زيد عنان) على أساس أسسه أنشودة دينية واقترحا تقسيماً محتملاً لمقاطع النقش وقافية لأواخر الكلمات التي اعتبرت روياء. ٧٤

وقد تمخضت جهود هذين الباحثين (بافقيه وروبان) عن قراءة جزئية للنص هي:

وكل الأعداء أذل وأرعب

قوتك أيها المولى تنال

كل الذي من على وسفل

أعن من من العطش هزل

المقه ذا بسكر ادفع

تحتك جيوش تخضع. ٧٥

وهب عالم الآثار اليمني (د/يوسف محمد عبد الله) فأدخل تحسينات على قراءة (بافقيه وروبان) منطلقاً من إعادة قراءة ثلاثة مقاطع هي:

همسك مرأن بلل

كل ذ على وسفل

هرد أذ ملوب رزح ٧٦

هذه الثلاثة مقاطع تظهر في قراءة (بافقيه وروبان) :

قوتك أيها المولى تنال

كل الذي من علا وسفل

أعن من من العطش هزل وسفل^{٧٧}

في حين كانت قراءة (د/يوسف) لهذه الثلاثة مقاطع:

أمسكت يا مولانا الببل

في كل ما علا وسفل

أعن من من العطش هزل^{٧٨}

ويعلق (د/يوسف) الذي قيص له فيما بعد العثر على نقش القصيدة الحميرية ذاكرًا الدلالة التي أحدثها (نقش عنان):

أجل قد يكون النص أنشودة دينية على طريقة أناشيد بابل وتراتيلها إلى الآلهة، كمثل تلك التي نشرها (زمرن) في (ليزج) بين عام ١٩٠٥ و ١٩١١ بعنوان :
(أناشيد بابل الدينية وأدعيتها).^{٧٩}

وهكذا فالعربية الجنوبية صاحبة الخط المسند المعروفة لدى الإخباريين الحميرية تجود علينا بقصيدة حميرية لا تقل أهمية عن نشيد (أخناثون المصري) - مع الاحتفاظ بالفارق - وتدي بشهادة لصالح وحدة الروائع والروابط العضوية بين مجموعة اللغات السامية وتسقط في ذات الوقت (التصنيف الجغرافي) للغات السامية المصطلح عليه اليوم عند علماء الأكسيات. فلاشك أن الشعيرة والتعويدة والنشيد والإتهالات المسجوعة عند البابليين لها ما يضارعها عند قدماء اليمنيين، وأن الشعر العربي لم يكن ظاهرة تتعلق بالبيداء العربية وفيها كانت ولادته التي يعزوها البعض إلى النصف الثاني من القرن السادس الميلادي. كلا (فالقصيد الحميرية) تبرهن على إتماء الشعر العربي إلى عصور تاريخية أقدم بكثير من إرهابات الشعر الجاهلي إلى عهود غابرة من تاريخ اليمن العتيق التي نعقد على مطمر آثارها كبير من الأمل في أن تجود علينا بالمزيد من النقوش التي تضرب على وتيرة نقش القصيدة الحميرية حتى تعزز قناعتنا بضرورة إعادة الاعتبار لماضي أسلافنا والإحاطة بوقائع تاريخنا بشكل ألصق بها وأبعد عن التخريجات المتعسفة المفروضة على وعينا من خارجه.

إعادة الاعتبار للتاريخ

إذا كنا في الفقرة السابقة قد ذهبنا في اتجاه تصويب المفاهيم القائمة عن التاريخ العتيق لمنطقة الشرق الأدنى والشعوب الناطقة بالسامية التي لا تحتل منهجية (التصنيف الجغرافي) إلى ثلاثة أقسام والمتبعة عند علماء الألسنيات اليوم فما بين هذه اللهجات العربية (السامية) القديمة أكبر من وشائج القربى بين عائلة لغوية واحدة أو تنتمي إلى أصل واحد. فالواضح أن تلك التركيبة اللغوية العجيبة المعروفة (بالسامية) لم تنشأ من طينة واحدة هي (العربية الأولى) على شكل لهجات أخذت تميل على مدار الزمن إلى الاستقلالية التي تمخضت عنها مجموعة اللغات السامية وأنها استمرت لبعض الوقت حية (محكية) ثم اختفت من خارطة اللغات الحية بعد أجل ما لتبقى منها (العربية الفصحى) والسريانية (على نحو محدود)، فهذه تعليقات يحسن اللجوء إليها، علم الألسنيات الذي يعجز عن تفسير ظاهرة تشكل نصف مفردات معجم أحد اللغات الأوروبية الشهيرة وهي (اليونانية) من اللغة السامية وبالتحديد من:

(القبطية - المصرية القديمة - واللغات السامية).^{٨٠}

وفقاً لكشوف العالم الأمريكي المعاصر البروفيسور/ مارتن بيرنال Martin Bernal أستاذ الشؤون الحكومية بجامعة كورنيل الأمريكية/ Cornell University.

تري كيف تسنى لواحدة من أشهر اللغات الحية الأوروبية (اليونانية/Greek) وهي لغة الفلسفة والأدب والفنون والعلوم التي يشمخ بها الجنس (الآري) كيف حصل في غفلة من التاريخ أن تقترض اليونانية - اللغة العضو في عائلة اللغات المعروفة لدى علم الألسنيات ب (الهندو أوروبية) - من أم اللغات السامية (العربية) ومن أختها القبطية القائمة نصف مفرداتها ١٩٩٩

الإجابة نعرفها من الجهود البحثية للبروفيسور اليهودي الأصل (مارتن بيرنال) فما هي قصته ؟ في العام ١٩٧٠ للميلاد أجبرت أزمة عائلية الأستاذ بيرنال أن يغادر وهو في شبرخ شبابه وطنه باحثاً في الغربة عن جذوره اليهودية الناجعة والنائية.

وقد جنحت به دراسته للآثار واللغة (العبرانية) إلى اليونان ومن ثم إلى مصر... حيث أسفرت

دراسته عن طبع المجلد الأول - ضمن مشروع أربعة مجلدات - في عام ١٩٨٧ للميلاد تحت عنوان: (أثينا السوداء)

وكان الكتاب الفائز بميدالية الكتاب الأمريكي لعام ١٩٩٠ للميلاد. وفي هذا الكتاب يكشف (البروفيسور/بيرنال) الأستاذ العارف بعدة لغات منها:

اليونانية/العربية/القبطية/الصينية/الفرنسية/الألمانية/اليابانية/الفيتنامية.

عن حقيقة الينبوع الذي اشتقت منه الشعوب (الأيجية) عماد ثقافتها وأسس حضارتها اليونانية العظيمة.

حيث يحاجج (بيرنال) متسلحاً بمجملته من الشواهد اللغوية والكشوف الأثرية إلى الوثائق المتيقة أن ما بين الفترة ٢١٠٠-١١٠٠ قبل الميلاد التي ولدت فيها الحضارة اليونانية كانت الشعوب الأيجية تغترف وتحوّر... أو تقحم نفسها (باللاهوت) واللغة والفنون المعمارية والهندسية وقيم العدل ونظم المدن المسورة. فمن أي معين كان لهم كل هذا ؟ يقول بيرنال:

(لقد وفد إليهم كل هذا من المصريين والفينيقيين الكنعانية...)^{٨١}.

نعم فقد كتب اليونان أن بشارت التطور الفكري عندهم ظهرت حوالي ١٥٠٠ قبل الميلاد، عندما أقدم قدماء المصريين والفينيقيين على استعمار وتمدين السكان الأيجيين. وتقول نصوص أخرى أن المصريين هم الذين أسسوا (أثينا) حيث كتب (هيرودوتس) أن أسماء جميع آلهة اليونان تقريباً قد أتت إليها من مصر.

كما نخبرنا الأساطير الإغريقية أن الفاتحين (المصريين) و(الفينيقيين) قد حكموا كل اليونان أو أجزاء كبيرة منها حتى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وتحدث وثائق أخرى عن عملية (التبني) في القرن الخامسة قبل الميلاد للطقوس والشعائر الدينية المصرية وكذا أسماء الآلهة فيما يشبه العودة إلى (تعاليم الدين الأصولية القديمة). كما دون المؤرخون اليونانيون أن واضعي القوانين والنظم العظماء أمثال (ليكورغوس/Lykourgos) قد تعلموا في مصر وأحضروا معهم عند عودتهم الأسس التشريعية والسياسية لأداب الغرب وأخلاقه.^{٨٢}

لم يكن (بيرنال) أول من أحاط بالأصول (الساحامية) للحضارة الأوروبية... فقد كان من قبله المفكرون الأوروبيون يعلمون الحقيقة غير أنهم آثروا إخفاء معرفتهم هذه تلبية لشيء في نفس (يعقوب)... وهم زيادة على ذلك لم يكتفوا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد بإهمال

الوقائع التاريخية التي كشف عنها صاحب كتاب (أثينا السوداء) بل عمدوا إلى:
اجتثاث مصر وكنعان من عائلة الحضارة الغربية بداية من القرن الثامن عشر للميلاد.^{٨٣}
فما الذي حدى بهم إلى ارتكاب مثل هذه العملية القيصرية ؟
يجيب بيرنال:

(لأنهم لم يتقبلوا الفكرة التي تجعل من [يونان...هم] المتيمن حياً بما منجسة بالمؤثرات
السامامية الأمر الذي دفعهم إلى نيل تلك المؤثرات- واعتبار ما ورد في تاريخ اليونانيين الذي
سجلوه بأنفسهم- مجرد أساطير خرافية عن أثر التقنية والفلسفة والنظرية السياسية المصرية
الكنعانية في تشكيل معالم الحضارة الأيجية).^{٨٤}

بعد هذا البتر المتعمد للغرب عن الشرق عمد الكلاسيكيون إلى تقديم مسخ أفكارهم كنموذج
بديل حددوه اصطلاحاً بـ (النموذج الآري) الواقف على رجل واحدة الذي يذهب إلى أن:
بشائر الحضارة الإغريقية قد بدأت مع اجتياح قبائل (الهندو أوروبية/ Indo
European) البيضاء القادمة من الشمال فيما بين الألف الرابعة والثالثة قبل الميلاد مكتسحة
لمواطني ما قبل العصر الهيليني (pre.Hellenes).^{٨٥}

لهذا السبب فإن معظم الباحثين يرون في أكاديمي القرن التاسع عشر للميلاد عنصرين
وأعداء للسامية وفقاً لتعبير (جرجوري كران/ Gregory Crane) أستاذ الدراسات
الكلاسيكية بجامعة هارفارد.^{٨٦}

إذن فالدوائر البحثية الأوروبية هي المسؤولة منذ القرن الثامن عشر للميلاد على ترسيخ الحواجز
المانعة لإقامة رؤية معرفية لتاريخ شعوب حوض المتوسط وشبه جزيرة العرب تكون أكثر انسجاماً مع
الوقائع التاريخية التي لم يستنكف عن ذكرها المؤرخون الإغريق وأسقطها المفكرون الأوروبيون من
حسابهم الذي كان يؤسس لقطيعة أبيستمولوجية (معرفية) مع التاريخ القديم ويؤسس للنموذج
(الآري) المبني على تأسيس هذه القطيعة المعرفية في الأصل.

والواقع أن أسلوب (البتر المعرفي) هذا الذي انتهجه مفكرو القرن الثامن عشر والتاسع عشر
للميلاد في أوروبا المتقدمة عن الشرق المتخلف كان ضرورة يقتضيها النموذج (الآري) الذي يبدأ
(أولاً) بمحو ذاكرة (أثينا) الحاملة من أي ذكرى لها مع الحبيب السامي الدافئ (كنعان/مصر) (وثانياً)
تحييتها لمطارحة الغرام مع رجل (الثلج الآري) لأن أي تنازل منهم عن (اجتثاث مصر وكنعان بمهارة
عن شجرة العائلة الحضارة الغربية) كان سيؤدي في النهاية إلى (إعادة الاعتبار للتاريخ) أو:

(إعادة عقلنة الماضي الأمر الذي يمدنا بمشروعية دراسة التاريخ وهو عين ما كان في نظر المؤرخين الأوائل شاذاً عن مجرى الأحداث وشواهدهم).^{٨٧}

لقد انطلى هذه المشروع على الفكر الغربي بحيث أضحى على بعض مفكري اليوم في أوروبا أن يصرفوا أسنانهم غيظاً مما ذهب إليه بيرنال:

إن المفردة (التسمية) اليونانية (أثينا) اشتقت من المصرية القبطية.^{٨٨}

في حين يدركون إلى مدى كان الحضور العربي في الميثولوجيا الإغريقية:

ومن ذلك أن (أرابيوس/أي العربي) كان والد (كسيوبيا/Kassiopeia) زوجة ملك الحبشة. وفي مؤلف (المكتبة) الذي يعتبر مشابهاً (لسفر التكوين) من العهد القديم، أو (سفر التكوين) للديانة الإغريقية، والمنسوب (لأبولودوروس) هناك إشارة إلى أن العربية Arabia أي (جزيرة العرب) كانت زوجة مصر، أي Aigyptos ، وإلى إقامة الأخيرة في هذا الإقليم.

كما أن الجغرافي (سترابون/Strabon / ٦٤-٢٠ ق.م) نقل في مؤلفه المسمى (الجغرافيا) علمه بأن عرباً اصطحبوا (قدمس) الفينيقي في رحلته إلى بلاد الإغريق بحثاً عن أخته (أوروبا) وهو الاسم الفينيقي للقارة الأوروبية والذي يعني (غرب) التي اختطفها زيوس كبير آلهة الإغريق.^{٨٩}

نعم فقد فضل رجال الفكر الأوروبي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد التعامل لا مع وقائع الميثولوجيا الإغريقية فحسب، بل ومع ما قطع به مؤرخو اليونان بشأن جذور الإغريق على أنه ضرباً من الفنتازيا الأسطورية والشطحات الخرافية اليونانية المتأثرة بالشرق الأدنى ليس إلّا. فعلى نفس المنوال الذي به رفضت أقوال المؤرخين الإغريق عن مسألة محمد بن العالم (الأبيجي) من قبيل المصريين والفينيقيين أهمل رجال الفكر الأوروبي الحديث النظر في قول كبير المؤرخين اليونان (هيرودتس) :

إن هؤلاء الناس واستناداً إلى روايتهم لنفسها (الفينيقيون) قطنوا في القديم على البحر الأحمر وعبورهم من ذلك المكان، استقروا على ساحل البحر في سوريا حيث هازلوا يقيمون.^{٩٠}

ليست (الجزيرة العربية) زوجة مصر الذي يزل بعض نواحيها- وفقاً للميثولوجيا اليونانية- هي نفسها موطن القوم الذين سماهم الإغريق ب(الفينيقيون) وهم أنفسهم الكنعانة (أصحاب سفت كنعن تورانياً) وهم في نفس الوقت بعض الأراميين القادمين مع موجة الهجرة الأمورية من جزيرة العرب نحو الشمال... هؤلاء الذين نقل أو اقترض عنهم الإغريق القدماء نصف مفردات المعجم اللغوي اليوناني وعن قدماء المصريين أيضاً وفقاً لمعطيات الأبحاث اللغوية التي توصل إليها صاحب كتاب (أثينا السوداء). ألا تتطابق هذه المعطيات مع آثار الماضي البعيد وشواهد الحاضر الساذي نعيشه... أما

اليونانيون القدماء في آثارهم الأسطورية فقد ذكروا عن (قدمس) الفينيقي - الذي ذكره المسوخ سترابون - أنه يعد أن حطّ عصا الترحال على تراب الأرخييل اليوناني أخذ :
(يعلم اليونانيون الأبجدية).^{٩١}

لقد برهنا فيما سبق أن الأبجدية الفينيقية ذات الثمانية أحرف ليست إلا وجه آخر من وجوه العربية الجنوبية ذات الخط المسند وأن حروفها الثمانية تضارع قريناتها في الأبجدية المسندية التي أخذت منها الشعوب الأوروبية أبجدياتها كما ذهب إلى هذا المستشرق البريطاني (عبد الله فليسي) في شهادته الآتفة الذكر. أي أن الأبجدية الحميرية المسندية التي كشفت عن نفسها للمستشرق البريطاني (عبد الله فليسي) في الموقع الأثري المجاور لشجرة عاصمة حضرموت القديمة الشهير ب(تل العقلة/ أنودم في النقوش) :

حيث وقع صدفة على مجموعة كبيرة من النقوش هي أهم مجموعة من النقوش الحضرمية القديمة تصل إلينا حتى اليوم.^{٩٢}

فدراسته لخط هذه النقوش جعلته يجزم بأن أصحاب الأبجدية المسندية هم :
الشعب الذي اخترع الأحرف التي تستخدمونها (أي الأوروبيين) اليوم والتي تتركز عليها حضارتكم.^{٩٣}

ولعل أكثر الشعوب انتفاعاً بالأبجدية (الحميرية = الفينيقية) هم الإغريق الذين أخذوها من (قدمس) العربي الفينيقي الحميري كما تقول الأسطورة.

• قدمس اليماني :-

(قدمس/ باليونانية) هو (قدم) بدون لاحقة التصريف اليونانية (س)، و(ذو يقدم) هو أحد ملوك حمير الجوابة ينحدر كما يقول الإخباريين العرب إلى (الهميسع بن حمير) وقد ورد لسميه عند (الهمداني) على هذا النحو:

(ذو يقدم) بن الصوار ابن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عرييب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير.^{٩٤}

وفي (ذو يقدم) ينقل لنا (الهمداني) :

(آل الصوار) وفيهم الملك والسياسة والرياسة:

فارولد الصوار بن عبد شمس (ذا يقدم) مثل يعمر ويخففه بعض العرب فيقول: (قدم) معدول من (يقدم) و(قادم) كما (عمر) معدول من عامر ويعمر. قال عبد المطل بأو غيره:

قلت والأسود تردى خيله

يابن مصفود غدرتم بالحرم

رامه تبع في من جندت

حير والحي من آل قدم^{٩٥}

إذن ف(قدمس) المعلم الأسطوري للإغريق ليس إلا واحد من قادة الملك الحميري(ذي يقدم) أو واحد من سلالة (ذي يقدم/آل قدم) وصل إلى اليونان في طليعة جيش:

(الفاتحين المصريين والفينيقيين....)^{٩٦} وأظهر لهم أي للسكان الأيحيين من العلوم والفنون ما أهرهم وبالذات (أبجدية المسند) وبعد موته تحول إلى شخصية أسطورية قدمت إلى بلاد الإغريق بصحبة عصبة من العرب بحثاً عن أخته(أوروبا) المخطوفة من قبل (زيوس) كبير آلهة اليونان الذي أنجب ربة الحكمة (ميرفا/الشهيرة بأثينا). هكذا دخل رائد الحرف العربي القديم(قدمس/ذو يقدم) بيت الأساطير اليونانية وفي عناءه يرعى القلم بأبجدية المسند المتألقة. وغدت مزاراً:

أجحة البطل المؤلة(أكاديموس/Akademios)، في واحد من أحياء (أثينا) حيث كان أفلاطون وحواريوه يجتمعون في القرن الرابع قبل الميلاد ليتذاكروا منهج سقراط، أو المحاورة السقراطية(.....)^{٩٧}.

ومن تسمية بطل التسطير(قدمس = أكاديموس/أكاديموس)- بالتصويت- تنفست أبلغ الكلمات دلالة عن التحصيل المعرفي في عالم اليوم وهي:

(أكاديمية/Academe) إذ الواقع أن هذه الكلمة المشتقة عن أصل يوناني، كان يقصد بها في البداية أجحة البطل المؤلة(أكاديموس/Akademios).^{٩٨}

وفي إطار الدراسات والتاريخ التوراتي يرى أهل الاختصاص الفضل في تسمية الأسفار التوراتية المعتمدة ب(القانونية) للغة (اليونانية) وفي ذلك يغمطون اللغة العربية حقها وهي صاحبة الفضل في المقام الأول، فهذا (وليام هاللو) أستاذ الأدب الأشوري والبابلي في جامعة(ييل) الأمريكية يعرض لأصل كلمة (قانون) وهو يهدف لتوسيع مفهومها بحيث تشمل (الكتابات العبرية والمسمارية سواء بسواء):

إن هذا المفهوم يتفق مع المعنى الأصلي للكلمة التي ندين بها(مرة أخرى) لليونانيين، فكلمة(Kanon) اليونانية(التي تعني أصلاً [عصا] أو قضيب ومن ثم قاعدة) ترددت بين المفردات الرفيعة لمراجع مكتبة الإسكندرية الكبرى ومتحفها، والذين أنشأوا قبل الحقبة المسيحية بحوالي ثلاثمائة عام.^{٩٩}

هكذا فالفضل يكال لغير ذي الفضل فإن ثمة من فضل لقدماء الإغريق في هذا السياق فهو

يتلخص في اقتباسهم هذه الكلمة (قانون) في مبنائها ومعناها من اللغة العربية ففي معاجم العربية تحت مادة (قنا/قنن) من المعاني ما يضيّق الباحث في سرده ومما ورد في (لسان العرب) :

القناة: الرمح... وقيل: كل عصا مستوية فهي قناة.

التهديب: أبو بكر وكل خشبة عند العرب قناة وعصا.^{١٠٠}

قون: ابن الإعرابي: القونة القطعة من الحديد أو الصفر يرقع بها الإناء.

قين: القين الحداد، وقيل كل صانع قين، واجمع أقيان وقيون.^{١٠١}

وهكذا فاللفظ والمعنى واحد في (لغة العرب) و(لغة الإغريق) وإذا كان المستشرق (هاللو) قد ذكر (مكتبة الإسكندرية) وتردد المفردة هذه فيها للدلالة على أصالتها عند اليونان فإننا ندل هذا الباحث على أحد الأسفار التوراتية لنقرأ فيه جميعاً:

حُرَّانُ وَكِتْهُ (قنا) وعدن تجار شَبَا وأشور وكلمد تجارك. [سفر حزقيال/٢٧/٢٣]

ناهيك عن (حُرَّان) العربية الشمالية وميناء (عدن) الجنوبي ذات الشهرة الدولية فإن (قنا) كانت ميناء حضرموت القديمة وقد ذكرها صاحب الطواف حول البحر الأحمر الشهير ب(البريلوس)- العائد إلى مطلع القرن الثالث للميلاد حسب أحدث التقديرات- حيث يصفها:

بأنها مدينة تجارية على الساحل تابعة لأليازوس (العذيلط) ملك بلاد اللبان.^{١٠٢}

وذكرت مدينة (قنا) في نقوش المساند اليمنية القديمة منها (هاملتون/٨) و(جام/٦٤٠) العائدة إلى عهد الملك الحضرمي (العذيلط بن يدع) المعاصر للملك السبئي (شعرم أوتر بن علهان نغمان).^{١٠٣}

وهكذا فأى تجنيات في الأحكام التاريخية التي تطلق على تاريخ منطقة (الشرق الأدنى).. إنما يعود في الأصل إلى الأسلوب الذي اتبعه علماء القرن (١٨-١٩) للميلاد القائم على تخلص (اليونان) من جلدها السامي تماماً كما تخلص الأفعى من خلصيتها (جلدها)، ولعل بعض الأسى يمكن أن نجده لتاريخنا المخطوف! في أقوال بعض الغربيين الذين يتكرمون برد أبي الهول إلى أنفه في حين أن الفضيلة تكمن في العكس وعلى هذا المنوال يقول (هاللو) :

فالشرق الأدنى ينتمي إلى التراث الغربي، بل أنه يمثل السلف القديم لذلك التراث، ومع هذا فباستثناء الكتاب المقدس، يحذف الشرق الأدنى بطريقة آلية من أي عمليات مسح دراسي للحضارة الغربية، أو في أحسن الأحوال، يمر عليه مروراً عابراً متعجلاً في الصفحات الأولى لأيّة دراسة شاملة...^{١٠٤}

فهكذا يعتمد الغرب إلى ضم الكتاب المقدس فقط إلى تراثه وأحسب أنه لا يكفي بنذ السترات العربي/بالعين المهمة/ عن التراث الغربي بل ويعمن أيضاً في تجزئة الشرق الأدنى كما لاحظنا في قضية مجموعة (اللغات السامية) المقسمة إلى ثلاث مجموعات فهم يصنفون على سبيل المثال (اللغة الأكديّة) في القسم الشرقي، والعبرانية في القسم الغربي بينما يضعون العربية في القسم الجنوبي من التفرعات السامية.. وقد تعرضنا في الدراسة هذه إلى تحافت هذا التصنيف ويكفي الإشارة هنا لقول المستشرق (هاللو) في الثلاث اللغات الأكديّة/العبرية/العربية:

اللغة الأكديّة وهي لغة وثيقة الصلة باللغتين العربية والعبرية.^{١٠٥}

وإذا كانت معالم الحضارة الإغريقية قد أسست وفقاً لأطروحات (بيرنال) على أيدي فيالتي التمددين والاستعمار المصري الفينيقي... وعلى اعتبار أن الكنعانية الفينيقيين عرب من غرب شبه الجزيرة العربية وفقاً لروايات المؤرخين الإغريق وأثبتنا - فيما سلف - أن لغتهم لهجة عربية ذات أبجدية مكونة من ثمانية أحرف لها ما يناظرها تماماً في لغة المساند الحميرية التي علمها الرحالة أو الفاتح اليمني الحميري (ذو يقدم) من سلالة ملوك حمير. - حيث يرتقي في نسبه إلى الحميسع بن حمير - (علمها) لليونانيين القدماء بحيث عرف عندهم بالصيغة الإغريقية (يقديموس/يكديموس = أكاديموس) وقد خلده قدماء اليونان بجعله في مصاف البشر الآلهة. كل هذه المعطيات تحفزنا إلى الإلماع هنا إلى ضرب من المؤثرات اليمنية الحميرية في التراث الملحمي الإغريقي وعلى وجه التحديد في ثنائي ملاحم شاعر الإغريق الضريبر (هوميروس) ونقصد بها (الأوديسة):

التي تصف لنا وصفاً رائعاً جذاباً عادات الإغريق في تلك الأيام، وتتناول طرق عيشهم، وآداب سلوكهم وتعاملهم في أيام سلمهم، كما وصفت (الأياذة) حالة الإغريق هؤلاء في أيام حرمهم وقتالهم.^{١٠٦}

• لمن لحمة الصلب في ولائم إسبارطة وسرو حمير إيافع ١٩

جرت العادة في مرتفعات (يافع) وهي: البلدة الواقعة في الشمال الشرقي من (عدن) في المنطقة المعروفة ب(سرو حمير)^{١٠٧} على إيثار عرفاء الناس وكرام الضيوف في الولائم ب(لحمة الصلب) إذا كانت الذبيحة بدينة أي سمينه وهي لهذا السبب تُعرف لدى القبائل اليافعية ب(المخصّة) لأنها مخصصة ومقصورة على شيوخ القوم ومقادمتهم (الأدواء والأقيال/ تاريخياً) في الولائم العامة ويؤثر بها أهل الرأي وكبير العائلة... الخ. في المآدب الخاصة... ويبدو أن هذه السابلة (التقليد) قد عرفت طريقها إلى بلاد الإغريق عندما حكم تلكم البلاد الحميريون حتى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد، في إطار الصيغة

التي نقلها لنا مورخهم باسم (الكناعنة/ الفينيقيين والمصريين) ونسبها إليها البروفيسور (مارتن بيرنال)... فقد ترددت نفس هذه العادة في مقاطع من (الأوديسة)، فعندما آنس (مانيلا) ملك (إسبارطة) في ضيفه الغريين طيب الأصل وكرم المختد قدم لهما:
(لحم الصلب وهو ما خص به من الوليمة).^{١٠٨}

ولم يكن ضيفه سوى (تليماخ ابن أوديس - بطل الأوديسة) وصاحب فكرة حصان طروادة - ومرافقة (ابن نسطور) ملك (فيلوس). وعندما نزل (أوديس) في هيئة شيخ يدعي معرفته بملك (أثالة) الذي لم يعد إلى الديار بعد أن فتحت على يديه (طروادة) عندما نزل على هذا النحو (أوديس) ملك (أثالة) على ضيافة راعي قطعانه الشيخ (عموس) الذي أكرم ضيفه المتكرر حيث عمد إلى إشعال النار:

وبعد أن ألقى فيها شيئاً من شعر الخنزير تكريماً للآلهة ذبح الحيوان وهياً للحم فجعله سبعة أقسام، وضع إحداها جانباً لحوريات الماء و(هرمس) - ابن (زفس) رسول الآلهة - وأعطى قسماً من الباقي لكل واحد. وأما (أوديس) فنال أفضلها وهو لحم الصلب!.^{١٠٩}

أما تقسيم الذبيحة إلى (سبعة أقسام) الواردة في هذا النص فهي طريقة مازالت متبعة في (سرو حمير/ يافع) حيث تقسم الذبيحة من الثيران إلى ستة أسداس (واحد سديس) رئيسة والخصبة السابعة هي ما فضل من الذبيحة مثل لحم (المذبح أو المنخع أي رقبة الذبيحة) وبعض ما التصق بعظم الدليل جرت العادة أن تكون من نصيب (الجزار) ويأنف أن يأكل منها غيره من الشركاء في الذبيحة ممن يعدون أنفسهم في درجة أعلى من حيث الانتماء القبلي... هذه هي الحال اليوم في (يافع) ويحتمل أنه في الحقب ما (قبل الإسلام) كانت تخصص الخصبة أو السهم السابع من الذبائح لإله ما نحو (حوريات الماء وهرمس في هذا النص الإغريقي). وبثغر (الأوديسة) عادات تضارع عادات يمنية نحو عادات المصارعة التي كانت مألوفة ومنتشرة في أرياف اليمن مثل لعبة (الهام) الخشن التي كانت تقتضي في (سرو حمير/ يافع) أن يمارسها فريقين يتبارزان برجز الشعر لينتهي بهم المطاف إلى الالتحام في معركة حقيقية يمارس فيها العنف وفنون المصارعة بكل حيلها وخشية من تحول هذه اللعبة إلى هدام دم فإن المشتركين بها كانوا يعمدون إلى التخلي عن جنايهم (الجنسية/ هي الداجر **Dagger** اليمنية الشهيرة) ونصائحهم وطرحها بأيدي كبار السن الذين كانوا يشرفون على هذه اللعبة ويكبحون وتيرة انتقالها إلى حد الهلاك. وهناك كانت عادة استنفار الأقران من الصبية الصغار للتعارك فيما بينهم عادة يومية تجري في القرى الياضية.. ومثلها لعبة (مصارعة الديوك)... الخ.

وفي (الأوديسة) حفر (أنطينوس) شحاذاً يُعرف بـ(أبروس) على منازل (أوديس) السدي عاد
متكرراً في هيئة شيخ هرم إلى بيته الذي كان يئن بالخطاب لزوجته المخلصة وكانت الجائزة الموعودة
للغالب من (أنطينوس) هي ما نص عليه:

(أصغوا إلي يا خطاب الملكة. إننا جعلنا أحشاء المعز جانباً لعشائنا، فلنقف إذاً على أن نترك
الغالب من هذين الاثنين يختار منها ما يحلو له وأن يكون له الحق بعد ذلك في أن يأكل معنا وأن لا
يجلس غيره على المائدة في مكانه).^{١١٠}

نعم فهذا ضرب من العادات المشتركة بين اليمن واليونان ولانشك في الالتفات إلى القواسم
المشتركة بين اليمن واليونان يرفد طرح (بيرنال) بأدلة وشواهد إضافية لا بد منها، فدراسة الآثار الحية لا
تقل أهمية عن الحفريات الأثرية والدراسات اللغوية المقارنة. بل هي روافد تصب في بحرى واحد يوسع
من أرضية المؤرخ فهذا المؤرخ العربي المغربي/محمد أركون، أستاذ التاريخ الإسلامي في (جامعة
السربون) يقول:

أركز على أهمية الخيال المتخيل والأسطورة والوعي الجماعي كعامل أساسي ومحرك في
التاريخ.. بالإضافة إلى الاقتصاد والماديات.^{١١١}

وإذا كان (للمصريين) الفضل الأكبر في تمدن العالم الأيبي حسب أقوال المؤرخين الإغريق
وأطروحات (بيرنال) فإننا نود أن نلفت الانتباه إلى احتمال أن المقصود بالمصريين هؤلاء هم أهالي
(مصر جزيرة العرب) خاصة و(مصر) في الميثولوجيا اليونانية يحتل دور زوج (شبه جزيرة العرب)
وتنزل إقليمياً فيها وهو ما سنفيض فيه في مطارحتنا الثوراتية (لاحقاً). أما إذا صدق أن المعنى بأقوال
المؤرخين الإغريق هو (مصر النيل) فإننا نستشير المؤرخين الإغريق أنفسهم عن العلاقة بين سكان
القطاع الجنوبي من (شبه جزيرة العرب) وقدماء المصريين، فنجد:

أن المصريين في جميع عصورهم كانوا يظهرون احتراماً كبيراً لذكرى الـ(شمس-حور) أي
اتباع حور أو حورس. وروى قدماء المصريين في العصر المتأخر لبعض الرحالة من اليونانيين أنهم
جاءوا من الشرق ومن الجنوب وأن أجدادهم الوافدين علموا المصريين الحضارة وأخضعوا البلاد
لسلطاتهم.^{١١٢}

ويرى أهل الاختصاص أن(حورس) قدم مع هؤلاء الفاتحين الذين شرعوا بتعليم مستوطني(دلتا
النيل) نواميس الحضارة التي كانوا يعيشونها في بلادهم(بونت) التي ذكرت صلتها بمصر السجلات
المصرية منذ منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، في عهد الملك(ساحورع) من الأسرة الخامسة

حوالي (٢٥٥٠ ق.م) وتركت البعثة المصرية هذه إلى بلاد(بونت) آثار هذه الرحلة مصورة على جدران معبد (أبو صير) ولعل أبلغ أثر مصري عن تلك البلاد هو ما نقلته عنها بعثة الملكة(حتشبسوت) من الأسرة الثامنة عشرة حوالي (١٤٩٠ ق.م) ونقشت مناظرها على جدران معبد الدير البحري في (طيبة) ومناظر (الجزية) في بعض المقابر حيث نرى بعض الأهالي يرتدون ملابسهم التقليدية، ونرى فيها شبيهاً كبيراً بين الإزار الذي كان (البونتيون) القدماء يلفونه حول وسطهم وبين ذلك الإزار نفسه الذي ما زال يستخدمه حتى يومنا هذا بعض رجال القبائل في جنوبي اليمن وعلى الأخص في مناطق الساحل الجنوبي.^{١١٣}

هذه الشواهد وأخرى يسوقها أهل الاختصاص تجعل الغالبية منهم يرى:

أن بلاد (بونت) هي بلاد اليمن الجنوبية.^{١١٤}

ومن الآثار الاسمية التي تشير إلى (بونت) ثلاثة مواضع كبرى في اليمن هي:

I. تبنو: بونت(بالقلب) من أعظم أودية اليمن يقع في(لحج) ومآتية من جبلة وباب ميثم وجنوبي (اب) ويعدان والشعر والعود ويمر من سفح جبل الحشا ويجمع بأودية الجند وما إليها في رأس وادي لحج.^{١١٥} يُعرف اليوم بصيغة(تبن) غير أن الصيغة (تبنو) عُرفت في أقدم نقوش المساند اليمنية القديمة العائدة إلى عهد مكاربة سبأ كما في نقش النصر الكبير(ربرتوار/٣٩٤٥) العائد إلى القرون الأولى من الألف الأولى قبل الميلاد. كما ذكرت (تبنو) في نقوش مكاربة قتيان كما في نقش (ربرتوار/٣٥٥٠) في إطار التحالف القبلي المنضوي تحت رعاية الإله (عم/القمر) المعبود الرئيسي في دولة (قتيان).^{١١٦}

II. الاحتمال الآخر يشير إلى تسمية أشهر أودية اليمن:

بنا: بإهمال التاء من (بنت/ بدون تصويت)، من أشهر أودية اليمن لكثرة الغيول فيه ولخصب تربته، وهو في الجنوب الشرقي لمدينة(يريم) بمسافة ٤٥ كم.^{١١٧} مآتية كثيرة أهمها مرتفعات سـرو حمير/يافع عبر وادي (حطيب) ووادي (يهر) يصب على ساحل (أبين) في المحيط الهندي.

I. البون: (بون=بونت) بإهمال التاء من(بونت) : ذكره لسان اليمن (الهمداني) في عداد حدود قبيلة(حاشد) اليمنية الأصلية وذكر عشرات القرى فيه وقد وصفه بأنه:

(من أوسع قيعان نجد اليمن...).^{١١٨}

أما الإله (حور/حورس) :

لم تكن له في الأصل أية صلة بعبادة الشمس وأله اتخذته أحد القبائل كمعبود لها على هيئة الصقر.^{١١٩}

غير أن اقترانه (بالشمس) جاء من أحد نعوته التي ذكرها قدماء المصريين حيث تكشف نصوص الأهرام وصفهم (حورس) ب(أختي-أبت-أبتي)، ومعنى أختي (أفق الشمس) وأبت/أبتي تعني الشرق وكلا الكلمتين تشير إلى المشرق. ١٢٠

وحيث أن(حورس) غريب عن اللغة المصرية ولكنه موجود في اللغة السامية وبعبارة أدق في اللغة العربية. وقد نقل(الدميري) عن ابن سيده بأن:

الحر طائر صغير أغمر أصقع قصير الذنب عظيم المنكين والرأس وقيل أنه يضرب إلى الخضرة وهو يصيد. ١٢١

فإن هذا الأمر يدل على أن الموطن الأول (لحورس) هو (الجزيرة العربية) لأن تسمية حورس ونعته الواردة في النصوص المصرية القديمة تؤكد ما ذهب إليه المؤرخ المصري(د/أحمد فخرى) (فما زالت كلمة(حر) مستعملة إلى الآن في كثير من جهات الجزيرة العربية وشمال أفريقيا لهذا الطير. ١٢٢ أما في (سرو حير/يافع) فتطلق التسمية(وحر) (وزان قمر) على (الحدأ) والباز على السواء عندهما يكون أحدهم في حالة انقضاض على فريسته. إذا ف(وحر=حور/بالقلب) وكذلك تبرهن العربية أن نعت(حورس) ب(أختي) يشير لا إلى المشرق- وفقاً للقبطية- بل إلى هذه الجارحة من الطير:

والخاتية: من العقبان: التي تحتات، وهو صوت جناحيها وانقضاضها. ١٢٣

هذا ولم تقتصر تأثيرات بلاد (حورس) أو(بونت) على مصر القديمة عند هذا الحد، فإلى جانب الإله(حورس):

الذي قال المصريون بأن أصله من بلاد العرب.. هناك آلهة أخرى منها الإله(بس). ١٢٤

والإله (بس=أوبس) هو الإله (هوبس) الذي يظهر في أقدم النقوش المساند اليمنية القديمة- منها(جام/٥٦٣) العائد إلى فترة ملوك سبأ-ثنائية تجمعهم مع (عشر) الإله الوطني لليمن القديمة:

فلعل (عشر) يعني كوكب(الزهرة) المطير، بينما (هوبس) يعني كوكب الزهرة الجديد. ١٢٥

هذا وقد بينا في بحث كرسناه في كتابنا هذا أن الموطن الأول في الشرق الأدنى للإله(عشر=عشتار=عشتروت) هو اليمن-وهذا رأي المستشرق(نيلسن).

وإذا كانت اللغة المصرية القديمة (القبطية) ذات أثر بالغ وشامل على الثقافة اليونانية واللغة الإغريقية وفقاً لأطروحات (بيرنال) الذي:

اقتفى أثر مجموعة من المفردات إلى مصدرها المصري ومنها:

سيف/ وحكمه/ وشرف/ وملك... الخ. ١٢٦

فإن د/ عبد العزيز صالح:

يؤكد حمساً وعشرين خاصة لغوية بين العربية والمصرية القديمة، ويرصد حوالي مائة وخمسين لفظاً واحداً (مشتركا) بين كلمات وأفعال.^{١٢٧}

ولعل من أهم الكلمات التي اقترضاها قدماء المصريين من (اليمن) - بلاد البخور والطيب - هي تسمية (النار):

النار عند قدماء المصريين (أخ) أو (هوت).^{١٢٨}

ففي (سرو حمير/ يافع) مازالت صيغة (هوت) تستخدم في الإشارة إلى (فعل) من النار أو أي مشروب شديد السخونة. فإذا قلت مثلاً: - اشرب الشاي/ القهوة، كان الجواب:

— عاده بي/ هُت = مازال ساخناً جداً.

— عاها بت/ هُت = مازالت ساخنة جداً.

(والباء) في أول الفعل هي (باء المضارعة) المذكورة في النقوش (القنانية) مازالت سارية في اللهجة الياضية.

فالظاهر أن قدماء المصريين قد اقتبسوا تسمية النار هذه من التجار الحميريين التي كانت بلادهم (سرو حمير) تُعرف بأنها المصدر الوحيد للمر الأبيض وفقاً لما ذكر المؤرخ اليوناني (بلينيوس)^{١٢٩} وكانت تعرف (سرو حمير) حينها بأنها أرض (دهسم/ أي دهس) - الميم لاحقة التمييز = التنوين الحميرية - ونصت على ذكرها نقوش المساند الحميرية منها (ربرتوار/ ٣٩٤٥ - ٣٥٥٠).

هذا وقد تطرقت الآثار المصرية القديمة في (تل العمارنة) إلى العلاقة التاريخية التجارية مع الكنعانيين في شبه جزيرة العرب. فالمناطق المذكورة في رسائل (تل العمارنة) هي:

مناطق يمنية ف (بوينه) هي (البون) من مناطق اليمن - النظر البون (٣) في الآثار الاسمية ل بونت (آنفأ) - و (حقاو) هي (الحقة): قرية أفريه من همدان كان بها معبد الشمس المسمى (وينان) ومعبد تالب ريام وذات بعدان. أما (دشرة) فهي (داشر): حصن يطل على مدينة زيد الساحلية.^{١٣٠}

لأشك أننا قد بلغنا في هذا المدخل درجة ذات حساسية عالية بالنسبة لقضية إعادة الاعتبار للتاريخ أو إعادة عقلنة الماضي (Rethinking the past) أي لماضيينا وتاريخ شعوب منطقة الجزيرة العربية وحوض المتوسط.

ونحن كما تبين لنا نسير في بلاقع مسكونة بالمفاجآت وحقول شائكة ومفاهيم تاريخية

متناقضة... بيد أن (إعادة عقلنة الماضي) وما يترتب عليها من تأسيس تواصل معرفي (أسستمولوجي) بماضي وتراث المنطقة العظيم يدفعنا لبذل أقصى الجهود في هذا الشأن الذي يقتضي أن نطرق أوسع السبل بحثاً عن قراءة أكثر إيجابية للوقائع التاريخية وآثار الماضي وتراثه ككل ف:

منتهى الحقيقة بالنسبة لواقعة ما قد لا يتأتى الوقوف عليها (حقاً) إلا فيما بعد، وفي بعض الأحيان قطعاً بعد آحاد طويلة من تمخض الواقعة نفسها.^{١٣١}

من هنا لإعادة بناء (ذاكرتنا التاريخية) تجعل مهمة المؤرخ أكثر تعقيداً خاصة في حقل (نقد التوراة) ومعضلة جغرافيتها التاريخية على وجه الخصوص التي تستحوذ على جلّ اهتمامنا والباحثون في هذا الحقل ينطلقون من تنويع تبرير عملهم وتذكي همتهم وفتح قضية ما أو إعادة النظر فيها - يبدأ في المقام الأول من لحظة الوقوف على بعض المفارقات ومواطن اللبس في حيثيات تلك القضية... وعليه فأهل الاختصاص في ميدان الدراسات التوراتية يضعون أيديهم في المقام الأول على ثنائيات متناقضة في أبعادها التاريخية وأحداثياتها الجغرافية وبيت الداء يكمن في عدم انسجام الطرح التوراتي المحوّر بفعل عوامل تضافرت على إخراجها بالنعفة (المنكرة) (المخرقة) التي ما برح الناهيون من أهل الاختصاص يرشدون إليها. فتدوين النصوص التوراتية حصلت في ظل ظروف أسهبت في التعرض لها (آنفاً) وقد أجملها الباحث العربي البارز (د/كمال الصليبي):

أهم لما دولوها بعد الهجرات والسي، وجدوا التوراة مليئة بأسماء أماكن لا يعرفونها ولا يعرفون اللهجة الأصلية، فراحوا يصوغون الإشارات الصوتية بالأرامية التي يتكلمونها، لأن العبرية الأساسية كانت تكتب غير منقطة وبأحرف ساكنة، كما كانت العربية.^{١٣٢}

ولعل أهم ثنائية يعتصم بها الباحثون المعاصرون تكمن في التناقض بين جغرافية التوراة وغياب الأدلة الآثارية في الحدود الجغرافية المحتوية لما بين النيل والفرات. فكيف حصل هذا الأمر؟ الإجابة في الفقرة التالية:

• غياب الأدلة الآثارية: -

يقول الصليبي في هذا الشأن:

إن علماء البحث والآثار ظلوا في جدل حول روايات التوراة، فيما اعتبروا جغرافيتها من المسلمات، علماً أن الأبحاث الأثرية التي مسحت المنطقة لم تعثر على أثر يصنف جديداً بتعلقه بالتاريخ التوراتي. فالآلاف من الأسماء التوراتية لم يعثر عليها في فلسطين إلا قلة قليلة.^{١٣٣} هكذا فنتائج الكشف الآثارية أتت بشمرات مرة لا تؤيد الجغرافيا التاريخية للتوراة. ورغم الجهود

المكتشف والمضنية من قبل علماء الآثار في مصر وبلاد الشام والعراق فإنه كما يقول الصليبي:
لم يعثر إطلاقاً على آثار لأصول العبران في العراق ولا هجرهم المفترضة إلى فلسطين عبر شمل
الشام، أو مسألة الأسر في مصر والخروج منها. ١٣٤

رحتي آثار (أوغاريت/رأس شمرا) التي تم اكتشافها صدفة عام ١٩٢٨ م وتحمس لآثارها كبار أهل
الاختصاص على اعتبار أن موقعها على مقربة من ميناء (اللاذقية) يجعلها في صميم أرض الميعاد (كنعان)
..... وسارع أهل الاختصاص إلى دراسة نصوص (أوغاريت) وربطها بالنصوص التوراتية بيد أن
العروة التي ما كادت تتعقد سرعان ما انحلت وتبين أن ما ذهب إليه أحد العلماء أن
النصوص (الأوغاريتية) لها صلة بالنصوص التوراتية ليس له ما يدعمه على أرض الواقع وهكذا وفقاً
ل(أنيس فريجة) :

فإن العالم (فيرلو)، العالم الأوغاريتي الكبير الذي يعترف بفضل كل من عانى دراسة أوغاريت
وأدبها، رأى في بعض الألفاظ التي وردت في الملحمة (ملحمة [كارت] ملك الصيدونيين، من
لوحات أوغاريت المشهورة) أسماء أشخاص تاريخيين وأسماء أسباط اليهود مثل: تارح أبي إبراهيم
وزيلون وأدوم في شرقي الأردن، والنقب الجزء الجنوبي الصحراوي من أرض كنعان القديمة. وظن
أن القصة تدور حول البطل الفينيقي كارت ملك الصيدونيين ومحاربه لطلّاح الغزو العبراني لأرض
الميعاد، أولاً في النقب، ثم في شرقي الأردن، في أدوم. وكان الجيش يتألف من ثلاثة ملايين. ولكن
ثبت فيما بعد أن هذه الكلمات لها معان أخرى، وأن القضية ليست تاريخية بقدر ما هي أسطورة
أدبية دينية. ١٣٥

نعم فقد تبين أن (ملحمة كارت) لا تتحدث عن أية استعدادات حربية لصد الزحف الإسرائيلي
على أرض كنعان بقدر ما سجلت واقعة (محلية) هي من الظرافة فيما بينت أن ثمة:

حملة جردت لإختطاف عروس للملك (كارت) الذي ماتت زوجاته السبعة الواحدة تلو
الأخرى، كما هو مذكور في مطلع القصيدة. ١٣٦

إذن فالملك المنحوس الحظ (كارت) قد رماه الدهر بموت زوجاته السبع... ونحس أنه أمام هذه
الفاجرة قد أحجم عن الاقتراح بزوجة ثامنة وربما لامتناع عليه القوم ورغبتهم عن تزويج الملك المشؤوم
من إحدى بناتهم خشية من أن تنالها نازلة الموت... ففي مثل هذه الظروف يعمد ملك الصيدونيين
إتباعاً لفتوى كهنته وعرافيه إلى (خيار الاختطاف) لتسلم زوجته هذه من مصير سابقها وينعم منها
بالخلف إن لم يكن له خلف قبل ذلك. هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد دللنا سابقاً أن الكنعانية

الفينيقيين كانوا في الأصل من عرب الجزيرة العربية ومن غربها بالذات - وفقاً لأقوال المؤرخين الإغريق - وأن لغتهم لم تكن سوى لهجة عربية فستراً غريب ألفاظها الواردة في نقش (جيبيل لبنان) بلهجة (سرو حمير/ يافع) هذه المعطيات تشير إلى أن (ملحمة كارت) هذه لا ينبغي الالتفات إلى المعنى الحرفي لكلمة (حملة) على أنها حملة اختطاف بالفعل فالأمر يتعلق بطقوس زواج أوغاريتية تضارع عادات الزواج اليمنية عموماً وعادات الزواج في (سرو حمير/ يافع) على وجه اليقين وتحديداً في طقس زف العروس إلى بيت زوجها:

• طقس زفاف الحريوة:-

الحريوة والحريو في اليمن هما العروس والعريس في البلاد العربية الأخرى. (وفي الحديث):
(إن هذا حريٌّ إن خطب أن ينكح).^{١٣٧}

فقد قضت العادة في (سرو حمير/ يافع) أن يرافق (الحريو) زمرة من الرجال يحملون أسلحتهم ويهتفون بالزوامل وكأهم في ذهابهم إلى بيت (الحريوة) في هيئة المحاربين ينشدون الغزو والإغارة وهم الذين يتعهدون بزفاف (الحريوة) إلى بيت الزوجية في حين لا يلحق بها أهلها عادة إلا في اليوم التالي. وتسمى هذه المجموعة المرافقة للحريو (بالشواعة/ واحداهم شويح)، وقد وردت هذه التسمية في معظم نقوش المساند اليمنية القديمة بمعنى (نصير). فالنص المألوف في النقوش:

شواعو/ مراههم/ ملكن... تعني

ناصروا سيدهم الملك.

إذا فالشواعة مع (الحريو) هم أنصاره المحاربون في عادات الزواج السارية اليوم في (سرو حمير/ يافع) وهم الشواعة الأنصار الذين احتشدوا بمعية كارت ملك الصيدونيين لإحضار أو زف (لا أختطاف) زوجته وبناءً عليه فهذا الدليل يعزز طرحنا السابق بلاشك، فيما يتعلق بالجذور اليمنية للقبائل الشامية والنسيج الواحد الذي تتشكل منه ثقافة عربية سائدة في جنوب جزيرة العرب وشمالها في البلاد الراهدية والشامية... هذا ونحن نميل إلى تفسيرنا الأخير (لحملة) الملك (كارت) الذي قصد بها زف زوجته محفوفة بالمعراج وتحت ظلال العقبان والاسنة حسبما قضت تقاليد الزواج الحميرية - الفينيقية، ويؤكد هذا الطرح المفهوم من عبارة وردت في نص (الملحمة):

(ترج) الواردة إلى جانب كلمة (زوجة) لا تعني زوجة (تارج) بل تعني (الزوجة السترح)، أي
المشتراة لقاء مهر.^{١٣٨}

وهكذا فالمظاهر الحربية التي خلدها (ملحمة كارت) مثلما ليس لها من شأن بقضية صد الزحف

العراقي على أرض كنعان بقيادة موسى الكليم (عليه السلام) أو خلفه (يوشع بن نون)؛ فليس لها من شاو بخطف (الزوجة الترح) لأن الزوجة المدفوعة (المهرا) لا تدعو الحاجة إلى خطفها، وعليه فإن ما يبدو من استعدادات وتحضيرات عسكرية في (ملحمة كارت الأوغارتية) ليس إلا مظاهر الفرح والزينة على نمط تقاليد (صيبة حمير) اليمانية. وقد انتقلت عادات وتقاليد قدماء اليمنيين بعذافيرها مع موجات الهجرة من جنوب الجزيرة إلى شمالها التي طالما أخبرنا عنها الإخباريون العرب. ولاشك أن طقس شواعة صيبة (الزواج) حمير قد استمرت سارية المفعول بشكل أو بآخر في سوريا وبلاد الرافدين عموما واكتسبت هنالك عنفوانا جديدا مكنها للانتقال إلى مواطن جديدة هذه المرة إلى خارج حدود الشرق الأدنى إلى شبه القارة الهندية حيث استقرت هنالك بعض الدماء العربية التي تدفقت عبر زخم الفتوحات الإسلامية العظيمة... وفي هذا الصدد يروي لنا الرحالة العربي الشهير عالميا ب (ابن بطوطة) في تحفته التي دون فيها (عجائب الأمصار) و (غرائب الأسفار) التي تجشمها عبر مختلف أقطار (العالم القديم) في القرن الرابع عشر للميلاد، يروي عن زواج أحد أحفاد (أمراء عرب الشام) من شقيقة سلطان (دهلي):

وعين السلطان-أبو مجاهد محمد شاه- جماعة من الأمراء يكونون من جهته، وجماعة يكونون من جهة الزواج. وعادتهم أن تقف الجماعة التي من جهة الزوجة (العروس) على باب الموضع الذي تكون به جلوسا على زوجها، ويأتي الزوج (العريس) بجماعته فلا يدخلون إلا إن غلبوا أصحاب الزوجة، أو يعطوهم الآلاف من الدنانير إن لم يقدرُوا عليهم.^{١٣٩}

وليس (أصحاب الزوج) في هذا النص إلا (شواعة الحريو) عند قبائل (سرو حمير/ يافع) اليمانية وهم نفس الرجال ذوي المزايا والمظاهر الحربية في (أسطورة الملك كارت) الأوغارتية كما بينا هذا في الأسطر السابقة. وتظل آثار الماضي السحيق عصية على الفهم دون البحث عن عرى الإتصال بين تلك الآثار الصامتة وطرائق الحياة وآثار الحاضر الحية كالعادات والتقاليد الموروثة وذخائر اللهجات الغنية بأنفس من كانوا ينطقون بألفاظها في العهود الغابرة وتعاقبت الأجيال على تحدثها عبر القرون حتى زمننا الحاضر وفي هذا يقول (جورج ضو) :

إن علم الآثار العائد لما قبل اكتشاف كولومبس... لا يفهم بدون الاستعانة الدائمة بالاثنوغرافيا، أي بدراسة الأخلاق والعادات والأديان المعاصرة، والتي جمدها التقليد بشكل يكثر أو يقل، والتي هي صالحة ل إعطاء معلومات حول آثار الماضي.^{١٤٠}

وإذا كنا قد أفلحنا بالاستعانة بطقس (زفاف الحريو) في (سرو حمير/ يافع) لتفسير الغامض من

وقائع زواج الملك كارت ووجدنا في هذا الأمر ما يعزز القول بأن (الفينيقيين) والكنعنة كانوا بالفعل قد قدموا إلى سوريا القديمة من بلاد اليمن القديمة أو من سواحل البحر الأحمر غربي شبه جزيرة العرب حسب روايات المؤرخين الإغريق. ويعزز طرحنا هذا شيوع نفس العادات عند أحفاد الحضارة السومرية الآشورية والبابلية في بلاد الشام والرافدين وأخلاف حمير وسبأ في جنوب جزيرة العرب مثل عادة الترحيب بمقدم (الحريرة/العروس) التي تتطلب في (سرو حمير/يافع) مراعاة التالي:

- ١) ذبح ثور ترحيباً (بالحريرة) وأهلها عادة واسعة الانتشار في بلاد الشام.
- ٢) تستقبل (الحريرة) عند عتبة بيت الزوجية من قبل صفين من النساء يترنن بأناشيد (الهدان/الندان) ترحيباً بها ويحرقن البخور على شرف قدومها... وتقضي التقاليد أن تقطف (الحريرة) في مشيتها وهي تجتاز بين (صفي المهدنات/لاحظ صفي حرس الشرف في الاستقبالات الرسمية) وهي إذ تفعل ذلك تظل مخفورة (بالمسايرات) -وصيفتين- اللتين يسايرها من دار أبيها حتى بيت الزوجية. فإذا حانت لحظة ولوجها عتبة الدار قدم لها طبق مليء بمحبوب الدرة تأخذ منه حفنات يمينها وتسفيها في مختلف الجهات، ثم تقدم لها صينية تنضح بالسمن والعسل وعصارة الجلجلان (السسم) فتغمس فيها الحريرة كفها اليمنى فتعلم بذلك ثلاث علامات، واحدة على العارض الأعلى للعتبة ولطختان على كابتى (قسانمتي) العتبة اليمنى واليسرى. وهكذا فهذه العادة تثير لدينا الدهشة إذ تجعد التاريخ وتنقله لنا غضا نديا وكأنا نتسم شذى فجره فنلمس أوامر كبير آلهة (أوغاريت) (بعل العلي) يلقيها على سمع مبعوثيه (جوبار/أوغار) إلى الإلهة العذراء (عناة) المسعورة بالغضب المريع المهدد لبني البشر، فقد شطت في إزهاق أرواحهم واستباحة دمائهم وما هي قد هدأت وطفقت في استراحة المحارب:

١٤١

تغسل يديها في دماء الجنود وأصابها في دماء البشر.
في هذه الحالة كان على (رب الخصب) (علي المحارب) [بعل] أن يكبح ثائرة العذراء (عناة) فيبعث بوصيته إليها مع (جوبار/أوغار):

عند قدمي عناة المحنيا واركعها

اسجدا أمامها بجلاها

وقولا للعذراء عناة

اعلنا لسيدة الأبطال

رسالة بعل العلي

أعلننا كلمة(علي) المحارب:
(أن ضعي في الأرض خبزا
وضعي في التراب لفاحا
واسكي في الأرض قربان السلام
والتقدمات في وسط الحقول
(.....))

وإلي فلتسرع قدماك
إلي فلتسرع ساقاك^{١٤٢}

ونتعرف من بقية الأسطورة أن(بعل) قد وجه إلى العذراء(عناة) نداء الخصب والحياة.. وهكذا لا يفوتنا أن عذراء سرو حمير (الحريرة/العروس) ما زالت تؤدي لحظة دخولها بيت(الحرير/العريس) دور العذراء (عناة) في قدومها على المحارب علي وقد استلهمت وصيته:

(سأضع في الأرض خبزا
وسأضع في التراب لفاحا)

أليس (الخبز واللفاح) هو أكسير الحياة- حبيب الذرة- الذي تنثله (الحريرة) من بين أصابعها لحظة ولوجها بيت الزوجية في (سرو حمير/يافع) وإذ تستقبل (الحريرة) بين صفي القيان اليافعيات فقد حدث لعناة العذراء مثل هذا :

وعندما يراها بعل قادمة من بعيد يرسل جمعا من النساء لاستقبالها، ويذبح من أجلها ثورا، ويحتفل بها احتفالا مشهودا. وبقدومها تبهج الطبيعة، فيرقص النبات ويتكاثر الحيوان.^{١٤٣}
أما في بلاد الشام حيث حضارة (أوغلريت) فإن (العروس) تؤدي هذا الطقس اليوم بشيء من التحرير:

تطبع العروس كفها بدم الذبيحة فوق قائمتي المنزل قبل دخولها.^{١٤٤}
ويربط أهل الاختصاص هذا التقليد بما ورد في التوراة:
يأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت...

[سفر الخروج/١٢/٥]

وإذ جاءت نتائج الحفريات الأثرية في بلاد ما بين النهرين وسوريا ومصر مخيبة لآمال أصحاب النظرة القائمة على خرافة(الذات العبرانية) الفريدة! وحيث (لا يصلح العطار ما أفسده الدهر) فقد

أخذت نفس الدوائر سعياً وراء تأكيد هذه (الذات) تختبئ في نطاق الموروث الحي للشعوب العربية لتعرض عن الهزيمة التي تحطمت فيها مقولتها تحت ضربات معاول الحفريات الأركيولوجية.

• أهمية التراث في الدراسات التوراتية:-

نعم فبعد أن فشلت إسرائيل اليوم في تحقيق ذاتها عبر (علم الآثار) جندت طاقاتها للسطو على الموروث العربي الحي الذي يتعين على أهل الاختصاص العرب تخليصه من براثن الإغتراب في ظل إدراك المثقفين العرب لهذه المساعي التي تؤسس وفقاً لقول المفكر العالمي (روجيه جارودي): أسطورة الاستثنائية العربية التي غذيت بذات الجهالات العمدية وذات الرفض التي لم يكن- بدونها- باستطاعة (الاستثنائية الإغريقية) أن تنشأ لو لم يتجاهل الغرب ويرفض- عمداً- أصول وفروع أئينا بركليس.^{١٤٥}

وفي هذا السياق ينبهنا المفكر العربي المعروف (د/محمد عمارة): إن من حولنا أمما وشعوبا ودولا ليس لها تاريخ، وهي تزيّف لها تاريخاً، وتفتعل لها تراثاً كي تزود حاضرها بزايد للمستقبل... إسرائيل تحول الأسطورة والقصص الخرافي إلى بناء قومي، أو هي تحاول ذلك.^{١٤٦}

وفي واقع الحال أن إسرائيل تعمل عملاً منهجياً منظماً ودائباً لمسح ودراسة التراث الشعبي العربي الذي تقدمه للعالم على أساس أنه تراث إسرائيل الخالد في حين لا يسعفنا الحظ كعرب لتقديمه في المستقبل كتراث عربي خاصة وهو يتعرض لعوامل النحت والتدمير في ظل: الحضارة المعاصرة التي تلح على التماثل المطلق.^{١٤٧}

من هنا تأتي أهمية تدوين التراث الحي في عصرنا الراهن الذي: يتسم بزوال متزايد لمخلفات الماضي من حياة الشعوب تحت تأثير التقدم التكنولوجي والاجتماعي، ومن هنا تنبع مهمة من أكثر مهمات الأثنوغرافيين خطورة في الوقت الحاضر وفي المستقبل القريب، وهي تسجيل الظواهر القديمة المتبقية.^{١٤٨} ويتجلى نشاط إسرائيل في هذا الميدان في إطار خطة تهدف إلى التعرف على الذات، وفي ذلك يقول (ولسن) :

إذا رغب اليهود المعاصرون في التعرف على أنفسهم، أي على حياتهم التقليدية القديمة وعلى خصائصهم وصفاتهم فليتوجهوا إلى الفلاحين (الفلسطينيين) سكان أرض إسرائيل.^{١٤٩} ولا غرابة في الأمر الجلل هذا الذي انبرى الإسرائيليون لجمعه ودراسته دراسة تليق في قضية تحقيق

(الذات العبرانية)، ففي ميدان دراسة القصة الفولكلورية فحسب، كانت عودة الباحث اليهودي (دوف نوي) إلى إسرائيل (١٩٥٤) إثر إكمال دراسته في الولايات المتحدة الأمريكية إيذانا بتأسيس صرح معرفي يهتم بتدوين القصص الشعبي للشعوب التي كانت الطوائف اليهودية تنتمي إليها قبل هجرتها إلى فلسطين في النصف الأول من هذا القرن:

وأصبح الآن أحد الأرشيفات العالمية التي يشار إليها في الدراسات الفولكلورية ويرمز إليه بالحروف (Israel Folklore Archive/IFA) أي أرشيف القصة الإسرائيلي.^{١٥٠}

وقد احتوى هذا الأرشيف (IFA) منذ تأسيسه حتى صيف ١٩٨٦ م على قصص سجلها متطوعون من مختلف الطوائف اليهودية بلغت في مجموعها (١٨٥٠٠) قصة، وحازت طائفة يهود اليمن على المرتبة الثالثة من بين اثني عشر طائفة يهودية حيث بلغ عدد القصص اليمنية التي ضمها الأرشيف (١٤٤٧) قصة. كما نجد أن نسبة ٦٥% من مجموع (١١٩٤٤) قصة في قسم طوائف هي قصص عربية وإسلامية من المغرب واليمن والعراق وفلسطين وإيران وكردستان العراق وأفغانستان، وهذه القصص تعامل وتعالج وتصنف وتنتشر على أساس أنها (أدب شعبي إسرائيلي).^{١٥١}

ولا تشذ عن هذه المحجة حملة السطو على التراث الغنائي اليمني من قبل فنانات يهوديات من ذوات الجذور اليمنية لعل أشهرهن في السنوات القليلة المنصرمة (أفرا هوزا/عفراء هزراع) و(صفية) وغيرهن ممن يتألقن عالميا بالتراث الغنائي اليمني التقليدي والإسلامي (نصا وروحا) ويقدمنه للعالم أجمع على أنه (تراث إسرائيل). ولا غرو أن عبارة لحو (أغنيات يمنية) أو (أناشيد إسلامية) التي قد تظهر على أحد (الألبومات) لا تسمن ولا تغني من جوع فلا هي تنور العقل الأوروبي بحيث يعلم مورد هذا التراث الخصب الذي تقدمه له طاحونة الإعلام المظلمة ولا هي تحفظ لليمن أو غيرها من البلاد العربية حقها في هذا التراث، فالعبرة بالغاية التي قوامها يرتكز على مقولة (التفرد العبراني) الذي تركع على قدميه كل الهامات ويثبو بين يديه صاغرا تراث الشرق الأدنى بخذافيره. فمهما تفرقت السبل أو تعددت المصادر فما هي وفقا لهذه المقولة التي يستند إليها العقل أو الوعي الغربي إلا (غيض من فيض) الكأس السحرية الناضجة دوما برحيق التراث (التوراتي اليهودي) !.

وحتى لا نعيد عن جادة الصواب ينبغي الامناع هنا إلى مسألة هامة فيما يتعلق بأهمية التراث ودوره في قضية إعادة الاعتبار للذهنية التاريخية والوقوف على الذات حيث لا نجد الجهود الصهيونية الراهنة رائدة على هذا الصعيد بل مقتفية لمحاولات سبقتها من لدى رجال الاستشراق في القرنين

الماضيين وكان هدفها الوقوف على حقيقة التوراة بالاعتماد على الدراسة المقارنة لثقافتها ونصوصها على هدى الآثار الحية والثقافة الشعبية لسكان شبه جزيرة العرب وبالذات القطاع الجنوبي منها. فقد كانت المهمة التي اضطلعت بها بعثة الاستشراق العلمية الموجهة لاكتشاف العربية السعيدة في العام (١٧٦١-١٧٦٢) والتي أحيطت بالرعاية من قبل جلالة ملك الدنمارك (جورج/٥) كانت مهمتها الأولى تكمن في:

التعرف على الأشجار والحيوانات في البلاد العربية واختبارها ومطابقتها مع ما جاء في الصورة من أشجار وحيوانات... ودراسة جغرافية الجزيرة العربية - خاصة حركة المد والجزر في البحر الأحمر - كدليل في محاولة فهم موضوع (الهروب من مصر)..... ودراسة عادات العرب اليومية وملابسهم وفن البناء لديهم.^{١٥٢}

وقد ألح الملك (جورج/٥) في وصيته التي تسلمها قائد البعثة (كارستن نيبور) عشية عيد الميلاد (١٧٦١) بوجه خاص على قيام البعثة بدراسة:

العلاقات بين الأحياء والأموات.... وتأثير تعدد الزوجات في زيادة ونقص السكان، والعلاقات بين الرجل والمرأة.... وعدد النساء في المدينة والريف.^{١٥٣}

لا ريب أن للعادات والتقاليد قوة خارقة تمكنها من النفاذ عبر موانع الزمان والمكان ولها من ديمومة العمر ما يوسع أرضيتها إلى أبعد الحدود.. وإذا كنا قد تطرقنا إلى ضروب من الآثار الحية في (سرو حمير/يافع) في هذا المدخل وقيمنا مدى اختراقها لطبقات التاريخ فلنأينا إكمالاً للفائدة نزيد في ذكر ثلاث حالات ما برحت سارية الفعل كعادات شعبية في اليمن من شبه جزيرة العرب وأوروبا:

* جرت العادة في سرو حمير وما صاقبه من نواحي اليمن الاحتفال عشية تشريف المباني (البيوت) والانتفاء من بناء بعض أديارها أو تطاليعها (ملحقها)، وذلك بدعوة الأهالي والجران إلى وليمة عشاء يقيمونها على شرف المناسبة ثم يميّزون (ليلة التختمية) بالسمر والرقص وينعمون على البنائين بكسوة جديدة يؤبون بها إلى أهاليهم بعد الفروغ من أعمال البناء. هذه العادة الحضرية التي تمجد أعمال البناء عند سكان (سرو حمير/يافع) نجدها لدى أهالي المقاطعات الإنكليزية (بريطانيا) منتشرة حتى اليوم وقد شهدت بنفسها مناسبة ختم توسعة منزل في قرية (موزلي) وهي إحدى قرى ضواحي مدينة (برمنجهام) الشهير حيث حضرت مع العائلة الإنكليزية التي كنت أنزل لديهم أول عهدي بالدراسة في بريطانيا (١٩٨٢-١٩٨٩) وليمة وحفلة أقامها أحد الجران بمناسبة توسعة جرت لبيته.

* كانت أطرب الألعاب الشعبية التقليدية في سرو حمير وما جاورها التي تؤدي على السواء

من قبل الرجال والنساء أيام أفراح عيد الأضحى المبارك تعرف ب(البال/بالياء الموحدة) وفيها تتروم
الراحزات بلحن البال التقليدي الشجي ويتقارع الفحول من أقران الشعراء فيها. وكانت تؤدي إذا
طابت المساحلات الشعرية حتى المزيع الأخير من الليل. وفي ذلك ينقل لنا الشاعر اليميني الكبير(عبد
الله البردوني) في كتابه الذي كرسه-بنفس العنوان- لفنون الأدب الشعبي في اليمن هذا البيت الشعري
التقليدي الذي يشير إلى لعبة (البال):

يا حلة (البال) لما الشمس تطلع(جبين) لا ما بنات آل أبو ياس يجين يلعين^{١٥٤}

وهذه التسمية نجدها تطلق بنفس الصيغة (بال/ Ball) تطلق اليوم في أوروبا على لعبة جماعية
راقصة ومن مادة (بال/ Ball) نجد اشتقاقات عديدة في معاجم اللغة نحو:
ballet, ballerina, ballad في اللغة الإنكليزية حيث تعني(ballad): أنشودة أو قصيدة
تحكي قصة ما. في حين تعني(ballerina): راقصة باليه. والأخيرة(ballet): معروفة وتشير إلى
رقصة الباليه.^{١٥٥}

* جرت العادة في (سرو حير/يافع) التريث حتى تنقضى أيام بعد رحيل المسافر لا يكس فيها
بيته ولا يلقي بالرماد بعد خروجه وهذه العادة كان يشد بها التيمن بعودة المسافر المرجوة إلى
أهله. أما في (بريطانيا) فكان الأهل يشيعون المسافر بقذف فردي حذاء باليتين إثر سفره مباشرة
الأمر الذي حدث لحظة مغادرة (فيليب) بطل رواية الأديب الإنكليزي الشهير(تشارلز ديكنز)
المعروفة باسم (الآمال العظيمة) إذ تخين من البطل التفاته نحو بيته فما يرى(يب) إلا وهو يلقي أثره
بفردة حذاء بالية أثره ثم ترمي(بيدي) الفردة الأخرى.^{١٥٦} ولاشك أن هذا الطقس كان أيضا تيمنا
بعودة المسافر إلى بيته خاصة ودليله هنا فردتا حذائه البالي التي لا تظل الطريق التي طالما داستها من وإلى
البيت فيما مضى من الأيام.

هذا وقد فندنا كثيرا من العادات والتقاليد التي ذاعت في أوروبا وكان الأصل فيها في اليمن من
جزيرة العرب حاضنة تراث الشرق الأدنى، الأب الشرعي لتراث الغرب، وذلك في مواضع شتى من
الكتاب وبالذات في الدراسة المكروسة لعادات صبية(زواج) حير.

وبعد هل لنا أن تنتقل في الحيز المتبقي من هذا المدخل إلى معالجة ودراسة القضايا المتعلقة بأمر
هوية (مصر التوراتية) و(الشام التوراتية) خاصة في ضوء ما يفهمه جميع الاختصاصيين في هذا الحقل
ومنهم القس (هاير) صاحب كتاب: (حياة إبراهيم وطاعة الإيمان)^{١٥٧} الذي لم يفته أن وقائع الرواية
التوراتية لا تنطبق أحداثيا مع البلاد الواقعة ما بين نهري الفرات والنيل.

ف(مصر التوراة) التي عرج عليها أبونا إبراهيم الخليل في سني الجوع والفاقة وكانت سببا لثروته
الطائلة، تروي لنا قصتها أول أسفار التوراة على هذا النحو:

وحدث جوع في الأرض.

فانحدر إبراهيم إلى مصر

ليتغرب هناك. لأن الجوع

في الأرض كان شديدا

[سفر التكوين/١٢/١٠]

هكذا فقد كان الجوع هو الدافع الذي أجبر إبراهيم (عليه السلام) وأهله بالتغرب في (مصر) التي

كانت له فيها وقائع خير كبير:

فحدث لما دخل إبراهيم إلى مصر

أن المصريين رأوا المرأة أنها

حسنة جدا-المقصود هنا سارة-

ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى

فرعون. فأخذ المرأة إلى بيت

فرعون. فصنع إلى إبراهيم

خيلا بسببها. وصار له غنم

وبقر وحمير وعبيد وإماء

وأكن وجمال.

[سفر التكوين/١٢/١٤-١٦]

فإذا كان المقصود (مصر) هذه مصر النيل فيا للغرابة التي عبر عنها القس (ماير) بقوله:

لم يعثر حتى الآن على أي دليل أثاري. سواء كان كتابة أو نقشا، أو حتى نقش يقبل التفسير،
أو في نصوص تقبل -حتى- التأويل، يمكن أن تشير إلى النبي وقصته، سواء في آثار وادي النيل أو
آثار وادي الرافدين على كثر ما اكتشف فيها من تفاصيل ووثائق.^{١٥٨}

ولكن الطامة الكبرى لا تكمن في غياب اللقى الأثرية فحسب التي ترشد إلى القدوم الإبراهيمي
على مصر في سنوات الجذب والجفاف حتى من باب (التأويل) وفقا لما تعلل به القس (ماير)، بل تكمن
(الطامة الكبرى) في طبيعة الهدايا التي تلقاها البيت الإبراهيمي جراء نزوله في كنف فرعون تلكم
الأرض الطيبة... مصر الخير والعطاء.... فإنها إن كانت (مصر النيل) فهذه الأخيرة وفقا لمعطيات

الكشوف الآثارية لم تكن دلتا نيلها ولا فيافيها ولا أي بقعة فيها قد عرفت حينها (الجمال) بأي شكل من الأشكال وهذا موضوع فقرتنا اللاحقة.

• مصر النيل متى عرفت الإبل ؟:

نعم النص التوراتي المذكور (آنفا) يذكر صراحة طبيعة الأرض التي حل بها الموكب الإبراهيمي فهي بلاد ركيب أو مواش:

وصار له غنم وبقر وحير وعبيد وإماء وأتن وجمال. [تكوين/١٢/١٦]

غير أن مصر النيل كما أشار إلى ذلك الأستاذ/ (محمد بيومي مهران) في كتابه: (دراسات في حضارة الشرق الأدنى):

وفي التوراة أن فرعون أعطى إبراهيم جمالا، في حين أن الجمال لم يعرف في مصر إلا في القرن الثالث ق.م. ١٥٩

وبعد أليست هذه حجة دامغة تشهد على تماثل المفهوم التقليدي السائد لجغرافية التوراة وتبرهن على شيء واحد هو أن (مصر التوراتية) في جزيرة العرب لا لأنها كما أعلن في (قصة الحضارة) (ول ديورانت): إن أساطير الجزيرة العربية كانت المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجع عهدها في تلك البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة (ق.م). ١٦٠ بل لأنها الموطن الأول لتربية الإبل وفقا للكشوف الآثارية.

• *مواقع الإبل الأولى:

لا يغفل على أحد القيمة الرفيعة اجتماعيا للعربي الذي كانت حل ثروته قطعان الإبل: (وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل لأنها أكثر أمواتهم) ١٦١ وقد سموها (النعم) لأنها النعمة الكبرى التي أنعم الله بها عليهم. ١٦٢ وهي البدن والمديا التي كانوا ينحرونها عند مناسك الحج وفي الحديث النبوي: (من حديث سهل بن سعد (رضي الله عنهما) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر - من حديث طويل وهو يسلم الراية لعلي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) قال: لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم) ١٦٣ وقد كرمها الله في بيانه:

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾. الغاشية الآية ١٧

هذه النجائب الكريمة التي ارتبطت حياة العربي فيها فهي وسيلة نقله في فلات و فيافي صحراء

الجزيرة العربية... أثبتت الدراسات أن مواطنها الأولى كانت في اليمن فقد طالعنا مجلة (الأركولوجيا الأمريكية) المختصة في الدراسات الآثرية في عددها الصادر في (مايو/يونيو ١٩٨٣ مجلد ٣/٣٦ ص ٢٣):

(أن أهل الاختصاص يتفقون بأن جنوب الجزيرة (اليمن) هي الموطن الذي شهد تأهيل الجمل ذو السنام الواحد). حيث تمكن قدماء اليمنيين من ترويض الجمل وإجلمه وتثبيت السرج عليه، واستخدامه في قطع الصحاري المجاورة. ومن جنوب جزيرة العرب تمت عملية استجلابه إلى شمال الجزيرة وبلاد الرافدين. وإلى الجنوب الشرقي منها (عمان)، وعبر باب المندب نقلته السفن إلى بلاد الصومال (القرن الإفريقي)، وإلى بلاد النوبة حتى مصر (أعالي النيل). ومنها انتشر إلى شمال أفريقيا).^{١٦٤}

هذا الاكتشاف المبني أساساً على نتائج مستخلصة من دراسة الهياكل العظمية للجمال، يرفدنا بقرينة أخرى تثبت أن (مصر التوراتية) ما هي إلا إقليم في جنوب جزيرة العرب وأن فرعها الذي أكرم وفادة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) وأجزل له العطاء بطريقه وتالده بما فيه سفينة الصحراء التي كان قدماء اليمنيين قد آنسوها وانتفعوا بها منذ مئات السنين قبل البعثة الإبراهيمية ولا غرابة أن اليمن كانت مهد تربية الأبل سفائن الصحاري فإذا كانت حل الحضارات الإنسانية قد ترسخت على شطآن الأنهر كحضارات ما بين النهرين ومصر النيل فإن حواضر اليمن القديم قد تركزت حول (مفازة صيهده) ولهذا السبب فقد أطلق بيستون وصف (ثقافة صيهده) على الحضارة اليمنية في أدوارها الأولى نسبة إلى قيام الحواضر الرئيسية القديمة حول تلك الرملة: مأرب (حاضرة سبأ)، تمنع (حاضرة قتيبان) شبوة (حاضرة حضرموت) وقرناو (حاضرة معين)...^{١٦٥}

لهذا السبب أيضاً كانت حاجة اليمنيين كبيرة لقهر رمال غائط اليمن المعروف ب(صيهده) ولم يكن لهم من وسيلة سواء استئناس الجمل وتربية الدلول المهرية، حيث كانت محميات اللبان قائمة في شرق المهرة في منطقة (ظفار) العمانية التي عرفت باسم (ساكلن/الساكل- في نقوش المساند اليمنية القديمة) وحيث كانت معظم تجارة العالم القديم حكراً بيد اليمنية (فعلى أيديهم كانت تنقل غلات حضرموت وظفار، وواردات الهند إلى الشام ومصر)^{١٦٦} - حسب تعبير أحمد أمين) ومن هنا (كلنت هذه التجارة بدورها بحاجة إلى الجمال القوية التي كانت تتناسل في حقولها في بلادي المهرة والصيعر).^{١٦٧}

ولا ريب أن أرض الجنتين العربية السعيدة كانت الملاذ الذي أحسن استقبال الركب الإبراهيمي

النازح نزوحاً أو (ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب) [تكوين/١٢]

وهناك سحر له الله ثروة كبيرة من الأنعام والنعم ما مكنه من تبليغ الرسالة لأهل اليمن ولكافة أبناء جزيرة العرب الأمر الذي سنفوض في تناوله (لاحقاً) ونتصدى لوقائع هجرة أبينا إبراهيم (عليه السلام) في أرض التيمن (اليمن)، حيث (مصر التوراة) وسندي بمزيد من الأدلة والبراهين على صحة ما ذهب إليه (الصليبي) وغيره من الباحثين العرب في ميدان الدراسات التوراتية. ولطالما تطلع الكثير من أساطنة رجال الفكر والمؤرخين لاستكشاف مراض الإبل الأولى ومهد أقدم الحجرات السامية بحثاً عن خبايا التاريخ وأسرار القرون الخوالي. فهذا المؤرخ العالمي البريطاني المعاصر (آرنولد توينبي) يقول:

يمكننا القول بشيء من الثقة بأن الزراعة وتربية الماشية والتعدين، وأيضاً تقنية قلع قطع كبيرة من الحجر ونقلها، هذه كلها اخترعت للمرة الأولى في جنوب غرب آسيا، وهي رقعة الشقل الرئيسية في الجزء المعروف في العالم القديم من الإيكومين (الحيوي المسكون)، وباستطاعتنا حتى تحديد الرقعة في المنطقة بشكل أدق. إنها لا تشمل الجزيرة العربية إلا في زاويتها الجنوبية... هذا الجزء الذي ظل خصياً بسبب الأمطار الموسمية. وهي الزاوية من اليمن التي عزلها عن غيرها تشقق بقية الجزيرة قبل اختراع السفن البحرية وتدجين الجمل العربي.^{١٦٨}

إذن فاليمن القديمة هي أو جزء منها هي (مصر التوراتية) بلاد (تدجين الجمل العربي) وتقنية قلع الصخور العملاقة لغرض أعمال البناء، وهي في نفس الوقت بلاد السدود والجواجز المائية التي اعتمدت عليها النهضة الزراعية لليمن القديمة، وهي (البلدة الطيبة) التي أدهشت ومازالت بقادرة حتى اليوم على تفجير الدهشة والعجب في زمن افتقر فيه الإنسان لنعمة الاندهاش... فهي موطن الحضور الصخري المهيّب الذي لم يسع (أريك ماكرو) إلا أن وصفها ب:

(جبال فرايس الإسلام).^{١٦٩}

وإذا كانت اليمن خزان الشعوب ومهد الحجرات السامية إلى بلاد الشام وأرض الرافدين وغيرها وهي هجرة امتازت بخصوبتها وزخمتها الثقافي ومرورثها الحضاري في العادات والفنون الشعبية والمفاهيم الميثولوجية... الخ. وهو ما سنتعرض له في دراسة تحليلية عن جذور الميثولوجيا الرافدية والسورية في (سرور حمير/يافع) نتوج بها كتابنا هذا... قمين بنا ونحن نلمع بإيجاز شديد لأهمية ومكانة اليمن القديمة أن نسترجع الصرخة (الوصية) التي ترددت في أروقة الجمعية الملكية الجغرافية في (لندن) عند منتصف العقد الخامس من قرننا الحالي... أما صاحب تلك الصرخة المشبوبة بروح الدهشة فهو المستشرق البريطاني المعروف (عبد الله فليبي) إذ يقول في محاضرة له أمام أعضاء الجمعية وهو يقدم نتائجه

أعماله الاستكشافية في بعض المناطق الجنوبية الشرقية من اليمن:

سيداتي/سادي: أريد أن أؤكد لكم بأنكم كنتم تبصرون هذه الليلة على مناظر وعلى شعب ينتميان إلى بلد كان مصدر أبكر مراحل الحضارة البشرية. ولا أعتقد بأنني أبالغ عندما أذكر بأن هؤلاء الناس الذين شاهدتم صورهم هذه الليلة يتسبون إلى ذلك الشعب الذي اخترع الأحرف التي تستخدمونها اليوم والتي تركز عليها حضارتكم. إن هذا الشعب وإن لم يكن حالياً في عصر أوج سلطانه، هو الذي تعود إليه بداية تدوير دواليب كرة التطور الحضاري، فإنه أهل لكل التقدير والإعجاب اللذين بإمكاننا أن نقدمهما له مقابل هبته العظيمة للحضارة التي نفتخر بها غاية (للفاية). ١٧٠

كما يستدل الاختصاصيون في حقل دراسات نقد التوراة بشاهد تاريخي آخر ينفي عن مصر النيل-مصر الفرعونية- أن تكون (مصر التوراة) المتطرق إليها في الاسفار الخمسة من "العهد القديم" ويثبت الطرح القائل بأنها (مصر التوراة) لم تكن إلا منطقة أو إقليماً في جزيرة العرب. فهذا (أوراسيوس) ينقل لنا أن وفاة النبي يعقوب حفيد نبي الله إبراهيم (عليهما السلام)، قد تزامنت مع وفاة (شرايس) أمير مصر الذي زعموا أنه صار من الأوئان. ١٧١

وقد لاحظ (د/سيد القمفي) أنه لا هذا الاسم (شرايس) ولا لقبه (أمير مصر)، قد وردت في قوائم الأسر الفرعونية التي حكمت مصر على الإطلاق. وحيث أن اليمن قد عادت (ذي الشرى) بدون التصريف الاسمى الياء والسين) وقد انتشرت عبادته منها إلى مختلف بقاع جزيرة العرب والأمر الذي يدل على أصالته هو وجود اللازمة (ذي/ذي الشرى). ١٧٢

مرة أخرى تنفض (مصر النيل/مصر الفرعونية) يدها وتكرر معرفتها بمن ذكره (أوراسيوس) على أنه أميرها (شرايس)، فلم تعهد لأحد من فراعنتها بلقب (أمير) ولم يكن لأحد من فراعنتها الاسم (شرايس) منذ أقدم عهدها العتيقة الممتدة من عهد (نمر مينا) ٣١٠٠ ق.م أول فراعنة الأسرة الأولى الشهير بأنه موحد القطرين- أي الدلتا والصعيد- حتى عهد آخر حكام الأسرة الحادية والثلاثين وهو الفرعون (داريوس الثالث/كودمان) الذي شهدت مصر أواخر عهده عام (٣٣٢ ق.م) دخول الإسكندر واجتياحه لها وتأسيسه الإسكندرية عاصمة لمصر مؤذناً ببداية عهود بطالة مصر. ١٧٣

إذن فلا أحد من فراعنة (مصر النيل) له علاقة بهذا الخبر بل الأمر متعلق بأمير من مصر الجزيرة يتناغم اسمه مع (ذي/الشرى) الذي عبادته اليمن القديمة ومنها انتشرت عبادته في مختلف بقاع جزيرة

العرب - حسب القمني - أو ليست هذه قرينة قوية أيضا ترشدنا إلى الوجهة الأصلية التي ينبغي لنا أن نبحث فيها عن حدود جغرافية التوراة ومواطنها العتيقة في نطاق شبه جزيرة العرب وبالذات في الأجزاء الجنوبية منها الأمر الذي نعهده بلا شك قضية من الخطورة بحيث يترتب على حلها إعادة الاعتبار للتاريخ وإعادة بناء الذاكرة التاريخية لشعوب إقليم الشرق الأدنى وتراث المنطقة الذي يعد بالحقيقة المورد الخصب الذي أينعت بفضلها حضارة العالم الأيحي والروماني وانتشلت منه أوروبا المعاصرة:

إذ أن العديد من الممارسات والعادات اليومية مثل الكتابة والأبجدية الهجائية والتقويم وأيام الأسبوع ونظام تاريخ السنين، نشأت جميعها في منطقة الشرق الأدنى القديم، كما أن مبتكرات أساسية مثل استئناس النبات والحيوان واختراع الفخار والثورة الحضارية والنظام الملكي، كلها بدأت هناك (في الشرق الأدنى) وموثقة بالتصوص المسمارية (النقوش) خير توثيق.^{١٧٤}

وقبل أن نولج في البحث عن الشام التوراتية ومصر التوراة وبالتالي الإحاطة بإسرائيل القديمة نتعرض بإيجاز إلى بعض الاعتراضات التي يرفعها الباحثون المعاصرون في وجه التوراة بوضعها الحالي ومنهم الأستاذ (محمد بيومي مهران) الذي يسرق لنا الاعتراضات التالية:

- يرى (مهران) أن التوراة استعملت لقب فرعون استعمالا خاطئا فهذا اللقب استخدم فقط في الدولة المصرية منذ (١٤٣٦-١٤٩٠ ق.م) وأكدته أختاتون.
- وأنه في عهد سليمان (٩٦٠-٩٢٢ ق.م) جرت العادة أن تضاف كلمة -ملك مصر- إلى لقب فرعون نفسه وفي التوراة ورد لقبا مجردا.
- وأن إبراهيم اشترى مغارة المكيفة من فرعون الخثي، وأن عيسو قد تزوج من يهوديت ابنة بيري الخثي وبسمه أبنة أيلون الخثي. ويعلق (مهران) أن الخثيين لم يظهروا في فلسطين إلا (١٩٤٠-١٩٦٥ ق.م) وبالتالي فالنص مغلوط.
- وأن يوسف في سفر التكوين (بيع في مصر من أهل مدين، وفي آخر سفر العدد يرد أنه يبيع من الإسماعيليين).
- وأنه في سفر التكوين (تأخذ الرعدة سكان فلسطين، وأنه في أيام موسى لم يكن الفلسطينيون) قد جاءوا من البحر إلى فلسطين.^{١٧٥}

يضاف إلى ذلك حوالي ثلاثين شاهدا على قضايا متناقضة يعتبرها البحاثة دلائل على تزوير التوراة.

وبعد هل لنا من سبيل إلى (الشام التوراتية) ومصر التوراتية في جزيرة العرب على بصيص من آثار الأخباريين العرب والشهادات النقشية التي أظهرتها أعمال الحفر الأركيولوجي في (اليمن). ونفضل هذا البدء بما ورد لدى الإخباريين العرب حول الشام في جزيرة العرب.

• شام اليمن:

ابن الجاور الشيباني الدمشقي أحد مؤرخي القرن الثالث عشر للميلاد، يظهر كتابه الشهير ب(تاريخ المستبصر) الذي كرسه لتاريخ وجغرافية (اليمن والحجاز ومجد) أسلوب مؤلفه -ابن الجاور- إذ لاحظ الباحثون أن:

ابن الجاور يتميز عن كثير من الجغرافيين والمؤرخين الإسلاميين بأن التجربة الشخصية والمشاهدة هما أول وأهم مصادره عكس (الأصطخري) و(ابن حوقل) اللذين لم يزورا اليمن، أو المسعودي الذي اقتصر زيارته على السواحل، أو ياقوت الحموي الذي استند إلى الروايات والأخبار ولم يعرف اليمن. ١٧٦

هذا المؤرخ التاجر حدد لنا (شام اليمن) في رقعة واسعة من سواحل تهامة اليمن: أرض تهامة -المعروفة بأنها زبيد وأرض الحبيب- والتي هي قطعة من اليمن، وهي جبال مشتركة تشرف على بحر القلزم غربا، وشرقيها بناحية صعدة، وحرص ونجران، وشماليها حدود مكة، وجنوبيها من صنعاء.... كانت تسمى في عدن الشام، وتسمى في المهجم اليمن وتسمى عند آل عمران كوش. ١٧٧

وقد أتى (ابن الجاور) على ذكر بعض أودية الشام هذه: وفي أودية الشام وادي (رماع) ووادي (الكدراء) ووادي (سردد) ووادي (مور) وجميع هذه الأودية يقطع منها الخشب لأجل العمارة. ١٧٨

هذه صفة بلاد الشام من تهامة اليمن كما حددها هذا المؤرخ المجرب الذي يظهر كتابه هذا، ولع شخصه وشغفه في رصد التصورات الشعبية التي يفتن بها سكان المناطق المطروقة من قبله عن آثار أسلافهم الذين كانوا في غابر الأزمنة يتزلون تلك المناطق والبقاع... ومما نقل (ابن الجاور) عن (شام اليمن) التي نأنس إلى تقليدها (هنا) على أنها بلاد الشام التي شهدت حدودها كثيرا من الوقائع التوراتية المنسوبة اعتسافا إلى بلاد الشام المعروفة اليوم بالقطر (السوري)، ما يشير إلى تعرف أبناء تلك البلاد الشامية على آثار نقشية عتيقة في أودية تهامة منها الراحة وحيران والهجر... الخ. وتقع كلها في حدود قبيلة (حكم اليمنية العريقة) ١٧٩، قال:

وفي المدينة- سيار من أعمال حران/حيران- ثلاثمائة وستين بئرا على كل بئر صخرة عليها
مكتوب: لا إله إلا الله موسى كلیم الله.....^{١٨٠}

وغني عن القول بأن أصحاب تلك الآبار كانوا من أتباع موسى الكلیم (عليه السلام)، فإن (ابن
المجاور) لم يفته التعرف على تسمية جامعة تطلق على القبائل اليمنية التي يضمها بخلاف الشام هذا
فهم:

والي هجر أربع فراسخ، ومن هنا (الراحة) إلى حران/حيران/عند الهمداني) يعرف بالسلدرب.
ومن هذه الحدود إلى زبيد يسمون أهلها (الشمة) لأن هذه الأعمال تسمى في زبيد الشام.^{١٨١}
هكذا فهذا هي (الشام) وأهلها الشاميون كانوا يعرفون في عهد (ابن المجاور) ب(الشمة). ترى
هل يوجد في نقوش المساند اليمنية القديمة ما يؤكد هذا الطرح ؟

• مخلاف الشام في النقوش المسندية:

نعم فلدينا من نقوش المساند الحميرية ما يدعم قول (ابن المجاور) في الشام اليمنية فقد بلغنا من
النقوش العائدة إلى أواخر القرن الثالثة للميلاد المتعلقة في عهد أشهر الملوك التابعة وهو (شمر يهرعش)
ووالده (ياسر يهنعم) اللذين تمكنا من إعادة توحيد اليمن القديم تحت اللقب الشهير : (ملك سبأ
وذي ريدان) وانتقال دفة الحكم من أيدي السلالة الملكية السبئية التقليدية إلى البيت الريداني...
بعدها كرس (شمر يهرعش) ملك سبأ وذي ريدان جهوده:

إلى تثبيت دعائم الدولة الموحدة، وخاض من أجل ذلك الحروب في كل اتجاه فطارد الأعراب
المشاكسين في أودية(شامة) الصابة في قامة الشام.^{١٨٢}

ومن هذه النقوش (كوربوس/٤٠٧) وصاحبه هو واحد من (الأذواء/المقتولين) لدى الملك (شمر
يهرعش) واسمه (أبر كرب ذو سررد ونجبان) وقد سجل في النقش مرافقته للملك (شمر يهرعش) في
حملة ضد قبائل:

السهرة ودوأت وصحار وحره الدين حاربوا سيدهم (شمر يهرعش) في وادي (ضمند) فأكبهم
ودحرهم إلى العكوتين بكتيف(شامت/شامة) وهما جبلان معروفان في منطقة (جازان) حتى اليوم
وقد حدد موضعهما (العقيلي) :

* العكوتان: جبلان شرقي(صبيا) أحدهما يعرف بعكوة(اليمانية) وآخر بعكوة (الشامية).

أما النقش فقد نسب العكوتين كليهما إلى (شامت/الشامية).^{١٨٣}

إذن فقد كانت آل(شمة) - وفقا لقول (ابن المجاور)- هم المتمردون في(الشام اليمنية) على التبع

الشهير (شمر يهرعش) وفي معاجم اللغة نقراً :

*العكوة: بفتح العين مهملة والواو بينهما كاف ساكنة آخره هاء: أصل الذنب.... وقيل فيه لغتان عكوة وعكوة، جمعها عكى وعكاء. ١٨٤

وحيث أن القبائل العربية قد درجت على معرفة حدودها الجغرافية فإنها كانت تحبذ أن تكون شوامخ الجبال أقصى تغربها ومضاربها فهذا حي بجيلة من الأزدي ينهض لمطاردة جابر بن ثابت الفهمي الشهير ب (تأبط شرا) إلى موضع يخيل لي أنه أقصى حدود بجيلة، ذكره تأبط شرا بقوله:

ليلة صاحوا وأغروا بي سراهم (بالعكوتين) لدى معدي ابن براق ١٨٥

نعم فهذه (العكوتان) في حما الطائف غير (عكوتي) جيزان المقصودتين في النقش (كورموس/٤٠٧) في كنيف شامة، وحيث أن العكوة هي أصل الذنب فالتسمية هنا تشير إلى الحد الفاصل بين إقليم (شام اليمن) وإقليم (اليمن/ أرض التيمن توراتيا). فما ذهب منها- من العكوتين- شمالا فهو شام وما ذهب جنوبا فهو (يمن) لأن عكوة الإقليم هي أصلة أو حدة تماما كما (عكوة الذنب: أصلة).

وفي واقع الحال أن (شامت/الشام) و(يمن/اليمن) إقليمين في جنوب شبه جزيرة العرب وبحودودهما التي تشير إلى قمامة ومنطقة جيزان على وجه التحديد ذكرا في النقوش المعينية العائدة إلى ما بين القرن الرابع والأول قبل الميلاد حسب تحديد (د/بيستون) أحد مؤلفي المعجم السبئي. ١٨٦
فهذا نقش (ربرتوار/٣٠٢٢) يحمّد فيه صاحبا النقش ضمن أمور أخرى الإله (عشتر/ ذي قبض) و(دوم) و(نكرحم) و(أمرسم) بما من عليهما من النجاة والسلامة من:

ضرا/ كون/ بين/ ذيمنت/ وذا/ شامت

أي من الحرب التي كانت بين (ذي يمنه) و(ذي شامه). ١٨٧

نعم فبعد هذا البرهان النقشي الذي اكتشف محفورا على سور أحد أزهى مدن الجوف المعينية، وهي (بثل/ في النقوش) والمعروفة لدى الإخباريين العرب باسم (براقش)، بعد هذا الأثر الذي أظهر إلى الوجود حقيقة وجود (الشام) في البلاد المعروفة حتى اليوم باسم (الشام) أو الشامية وأن أهالي الشام (ذي شامة) كانوا يحتربون مع تواجد حضري آخر يعرف ساكنوه (بذي يمنه) أي اليمن... وأن الحد الفاصل بين هذين الإقليمين الواقعين في القطاع الجنوبي لشبه جزيرة العرب هو واحد من :

ثلاثة تجمعات من المخاريط البركانية (أم القمم والقارعة وعكوة) المحيطة بسهل جيزان الساحلي من الجهة الداخلية. ١٨٨

فهل يوجد بعد ذلك من شك في أن الشام التوراتية هي (شام اليمن) لا الشام المنحصرة اليوم

بالقطر السوري الشقيق... خاصة وأن هذه الدلالة النقشية قطعية... فهذا (جيرالد دي غوري)، وهو من آخر الرحالة البريطانيين الذين وصفوا شبه الجزيرة العربية :

هناك في وديان عسير واليمن والحجاز خرائب قد تقدم ذات يوم لعلماء التاريخ وللعالم معرفة أكبر بالدول القديمة...و...و... بالممالك الأقدم لشبه الجزيرة العربية، وقد تفصح بوضوح عن معاني الكتب المبكرة للتوراة وعن معاني التلميحات التاريخية في القرآن. ومن يدري أية كنوز تاريخية ترقد دفينة في خرائب عسير الدارسة.^{١٨٩}

ولعمري أن بقية مما قد يعيق ويعكر هذا المفهوم تنجلي كلية بمعرفة أن: أهل سوريا لا يطلقون اسم الشام إلا على دمشق فقط، ومثلهم المصريون الذين يطلقون اسم مصر على القاهرة بينما تحتفظ الجزيرة العربية بمدن ومناطق عديدة يطلق عليها الشام، ومنها العرضية الشامية تمييزاً عن العرضية اليمنية.^{١٩٠}

• مصر التوراتية:

يتفق ثلاثة من الباحثين العرب في مجالات الدراسات التوراتية أن (مصر التوراة) هي غير مصر النيل- مصر الفرعونية- وأنها أي مصر المعنية بكثير من القصص التوراتي ليست إلا جزيرة العرب أو إقليمها فيها. ولتدعيم هذا الرأي (الطرح) يستشهد (د/سيد القمني) بفقرة (لأورسيوس) وردت في كتابه (تاريخ العالم) حيث وصف فيه مصرين هما:

١. مصر الأدنى: وهي المعروفة اليوم بمصر النيل أي مصر الغرانة.
 ٢. مصر الأقصى: وهي بلدة ممتدة إلى ناحية المشرق، وحيدة في الجوف هو خليج العرب وفي القبلة البحر المحيط وفي الغرب مبتدأ من مصر الأدنى وفي الشرق بحر القلزم.^{١٩١}
- وعليه فإن (مصر الأقصى) وفقاً لهذا التحديد هي جزيرة العرب فهي:

• تقع إلى الشرق من مصر الأدنى وحدها القبلي (الجنوبي) البحر المحيط المعروف بمصطلحات اليوم بالمحيط الهندي.

• مصر الأقصى هذه يشكل خليج العرب حدها الشرقي وفي نفس الوقت لا يحد مصر النيل بأي وجه من الأوجه. وباحتساب البحر الأحمر هو بحر القلزم وفقاً للمفهوم الشائع لدى الباحثين فإن الأمر لا يستقيم... بهذا يكون (أورسيوس) قد وقع في خطأ ما غير أن (هيرودتس) يرى:

أن البحر الأحمر (القلزم) هو الخليج العربي وليس البحر الأحمر، مع العلم بأن قدماء الإغريق

كانوا بالفعل يطلقون اسم البحر الأحمر على كامل الأبحار المحيطة بشبه جزيرة العرب. ١٩٢

وعليه فإن الخطأ ليس في تحديد (أورسيوس) أو (هيرودتس) وبقيّة قدماء المؤرخين الإغريق وإنما في المفهوم الشائع لدى الباحثين المعاصرين الذين لا يجهلون هذه التحديدات، ومن هؤلاء الباحثين البروفيسور (والبانك/Wallbank) من جامعة (ليفربول) بريطانيا يوضح أن مفهوم البحر الأريتري أو البحر الأحمر لدى اليونانيين كان يحوي معا ما نعرفها اليوم بأسماء البحر الأحمر والبحر العربي والخليج الفارسي. ١٩٣

ومن هذا المنطلق يرى (القمني) بحر القلزم على أنه عضد الخليج العربي الممتد من مضيق هرمز جنوبا نحو المحيط الهندي... أما بقية الخليج وهو الجزء الذاهب من هرمز إلى الشمال فهو الخليج العربي. ١٩٤

وقد تمكن (د/سيد القمني) وهو يعالج التاريخ المجهول من سيرة أبينا إبراهيم (عليه السلام)، استنادا إلى التحديدات الجغرافية التي وضعها المؤرخون الإغريق للعالم القديم، فوضع الأسماء على مسمياتها (تمكن القمني) من اقتفاء تنقلات إبراهيم الخليل (عليه السلام) وفي معيته عشيرته الكريمة متوغلا داخل شبه جزيرة العرب:

فالإصرار الواضح في رحيل النبي (إبراهيم) نحو الجنوب، يحيلنا معه باستمرار إلى جزيرة العرب جنوبا، فالتوراة تكرر دائما التعبير:

- ثم ارتحل إبراهيم ارتحالا متواليا نحو الجنوب — تكوين/١٢/١٩
- فصعد إبراهيم من مصر.. إلى الجنوب — تكوين/١٣/١
- وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب،

وسكن بين قادش وشور، وتغرب في جزار. — تكوين/٢٠/١ ١٩٥

نعم فقد كرس أخونا الباحث التوراتي كتابه المذكور آنفا للكشف عن المجهول من سيرة الخليل ووضعها في حيزها الجغرافي اللائق بها وهو هنا جزيرة العرب... التي ظل المحرر التوراتي لا يتجاهلها عن عمد بتحريفة للنصوص التوراتية كي تناسب البيئة الجغرافية الجديدة والتي كانت بأحداثياتها الجغرافية المختلفة لا تتفق مع النص على الرغم من تعديله (تحريفه) الأمر الذي تبينه دراسات نقد التوراة ومن بينها كتابنا الذي نكرسه لدراسة تاريخ اليمن في العهود التوراتية العتيقة. وفي هذا الاتجاه يذهب (د/زياد مني) بحثا عن مواطن (كوش) التوراتية والتي يجد لها أثرا عند (ابن الجارور) في تاريخه المعروف ب(المستبصر) حيث يشير إلى أن قامة وهي الإمتداد السهلي الذاهب في غرب جزيرة العرب

من نجد اليمن حيث (صنعاء) حتى حدود (مكة) تعرف:

بثلاث تسميات هي:

١. الشام : عند أهل عدن.

٢. اليمن : لدى أهل المهجم.

٣. كوش : عند آل عمران.

ووفقا للتقسيم الأثني الوارد في (سفر التكوين) فإن بني كوش هم :

سبأ وحويلة وسبته ورعمة وسبتكا وشبا وديدان.

وحيث تدل اللقى الأثرية أنها كانت ممالك عربية جنوبية قديمة. وبالتناغم مع لائحة الشعوب في سفر التكوين الاصحاح العاشر نجد أن:

كوشا : من سلالة نوح الحامية وأنه أخ لمصرايم وفوط وكنعان، فإلى جانب حقائق أخرى فإن تفسيرنا (زياد مكي) تكتمل صورته بتبني ما أشار إليه الصليبي أن:

• مصرايم : في هذا التقسيم الأثني يقصد بها مصر في جزيرة العرب (أي إقليم مصر).^{١٩٦}

أما (د/كمال الصليبي) صاحب كتاب (التوراة جاءت من جزيرة العرب) فقد كان السباق فيه إلى القول بأن مصرايم التوراتية هذه يكمن اقتفاء آثارها في ال مصرمه: بين أهما وخميس مشيط، وقرية مصر في وادي بيشه في إقليم عسير.

ترى هل يوجد في نقوش المساند أي ذكر لمصر في جزيرة العرب ؟

هناك نقش معين يرجع إلى عهد ملك معين : (أبيدع يثع) وابنه (معد كرب إل يفع) من النقوش التي عثر عليها في مدينة (براقش) (ينل في النقوش)، وهو في مدونة النقوش الفرنسية (ربرتسوار/٣٠٢٢) وصاحبه هماً:

عم صدق/ بن/ حم عثت/ ذ يفعن/ وسعدم/ بن/ عليج/ ذ صفجن

أي : (عمي صدق بن حمي عثت ذي يفعن)

وسعد بن عليج ذي صفجن... يصفان نفسيهما بألقابهما : كبري/ مصرن/ ومعن/ مصرن.

أي : كبير مصرن ومعين مصرن.

وهذه إشارة إلى إقليم أو منطقة تعرف حتى النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد ب:

*مصرن أو المصر إذا اعتبرنا النون هي لاحقة التعريف العربية الجنوبية وبهذا فقبيلة معين (معين)

هي جزء من إقليم مصرن/ المصر.^{١٩٧}

وفي حقيقة الأمر أن النقش (ربرتوار/٣٠٢٢) قد وزدت فيه أسماء مناطق أو أقاليم متباعدة حسبها أهل الاختصاص هكذا !

أشر = آشور ؟

وعبر لهرن = بين النهرين ؟

ومصر = مصر النيل ؟

ومذي = بلاد فارس ؟

وقد قام أصحاب النقش بقيادة القوافل المعنية إلى (مصر وأشر) وفي طريق العودة تعرضوا لغارة على القافلة في موضع بين (معنم ورجتم) من قبل السبيين والخلولانيين ويعتقد أن رجته (برجام) هي لجران نفسها ، وقد كانت وفقا لنقش سبئي من نفس المدونة (ربرتوار/٣٩٤٣) حاضرة قبيلة (م هـ ا م ر) مهامر وعليه فقد استنتج علماء النقوش أن المقصود بخولان هي خولان (الشام) الشمالية لأن (رجتم) هذه تقع في منطقة لجران. ^{١٩٨}

وبما يثير التساؤل أن موقع المعركة يمكن أن يكون داخل الهضبة اليمنية وضمن نزاعات مسلحة كانت تعصف باليمن بين الممالك القديمة. ففي منطقة حصبة في الشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٢٣ كم يقع في بني حشيش وادي السر ويطسل عليه حصن (ذي مرمر) وحصن ذباب وجبل (صرع). ^{١٩٩}

يعرف واد آخر يدعى:

• برجام: بكسر الباء الموحدة وهي ما يسمى اليوم رجام (رجمة = رجتم).

فإذا ثبت أن المقصود برجتم (رجمة) هي (رجام) في وادي (السر) لا رجتم (رجام لجران) فإن وادي السر نفسه يحتمل أنه المقصود ب/أشر التي أتت بعد (مصر) في مستهل النقش. فكثير من التسميات القديمة المسبوقة بالحرف الصائت الألف هي اليوم تلفظ (وتكتب) بدون الألف (أي بإهمال) نعر وادي آخر (أحد أودية شبة) الذي يعرف اليوم ب/آخر وادي نخلة - أحد أودية سرر حمير - الذي كان يعرف ب (أخلة) [عند الهمداني مثلاً].

وقد وصف الهمداني في الصفة وادي السر هذا:

(أنه من عيون أودية اليمن وبه قرى كثيرة ومنازل لآل الروية للضيافة ولن سبل الطريق وفيها من جبال مراد جبل برجام (رجام/رجتم) ومنازل آل الروية باعفاف وحذان من السر وفيه بعد ذلك قرى كثيرة مثل الأسحريين والبركة والقرظة وغير ذلك وسكنه من خولان..... والسر

مبتدأ الحججة إلى البصرة من صنعاء ووادي سعووان. ٢٠٠

وفي مطلع النقش نقرأ عن إشادة مبان ورفع أسوار بين قصر يهما/ ظرين/ ولبان/ وكما يتحدث عن واجهة/ تنعم/ في إطار هذه التحصينات التي تقيها الإله عثتر(القابض/ذي قبضم) عوضاً عن الغرامات النقدية. فإذا صح رأينا هذا فإن المقصود ب/تنعم هو بعض(السر) ذكره (الهمداني) في نفس الحيز من أودية خولان الطيال (خولان العالية) :

قال بعض قدماء حمير... أحلك الأرض مسور وأختها بتوعر، وأحور فأحور وسعووان لو يمحطر ووادي التناعم وفيه أودية منها سحر وصبر ووادي عاشر ووادي غيمان ويفد ويدع ووادي مسور... ٢٠٠

ويحقق (الأكوع) هذه الأودية جميعها في خولان العالية وعن التناعم يقول: هو ما يسمى اليوم تنعم وتنعمة. ٢٠١

وعليه فإننا يمكن أن نقول أن النقش (ربرتوار/٣٠٢٢) يتحدث عن أحداث (أزمان) وأماكن داخل اليمن.

أما الحرب التي أخرجتهم منها الآلهة(من وسط مصر) سالمين والتي نشبت بين /مذي/ ومصر/ فقد تكون حرباً قامت بين (مذي[اليمانية]) و(مصر اليمانية)، فقد احتار علماء النقوش القديمة فيـها وقد:

فسرها بعضهم بالحرب التي فتح قميز خلالها مصر في ٥٢٥ ق.م. وفسرها آخرون بالحرب التي جرت بين الميديين والمصريين عام ٣٤٣ ق.م. بينما ذهب آخرون إلى أنها حرب بين السلوقيين والبطالة وذلك عام ٢١٠ ق.م. ٢٠٢

أما (مذي) فقد بقيت ذكرها في:

• وادي مضي: بالميم والضاد المعجمة آخره ياء مثناة تحتية.

ذكرها ابن الجاور كمحطة يمر بها المسافر من شبام(حضر موت) إلى ظفار(ظفار/سلطنة عمان) ساكلن(في نقوش المساند)، وتأتي بعد قبر النبي داليال بن هود في دوعن ومنه إليها خمس فراسخ. ٢٠٣

وتعرف اليوم بمدينة (بضة) بالبلاء الموحدة والضاد المعجمة آخره هاء من كبريات مسدن وادي دوعن. ٢٠٤

ويقترّب احتمالنا هذا خطوات من عين الحقيقة حول مصر التوراتية(مصر الجزيرة) في الصلة التي نعدها بين معطيات النقوش المسندية اليمنية القديمة وتخريجات أهل الاختصاص فيما يتعلق ب(مصر

التوراتية)، فقد ذهب بعض الباحثين ومنهم (د/سيد القمني) إلى اعتبار (سلطنة عمان) الحالية هي القطر المقصود به (ماجان/ميكان) في الكتابات المسمارية الآشورية في عهد (نرام-سين) ٢٤٠٠ ق.م. وغيره من قدماء الملوك الآشوريين. وبلاستناد إلى رواية (المسعودي) في مروج الذهب من أن (ميكان) هي محلة سيراف) وحيث أن (سيراف) تعني (ثعبان) وبالربط بين هذا المعنى و(تعويذة الأفعى) التي كان قدماء المصريين يتوجون بها رؤوسهم كتعويذة للحماية تمكن (د/سيد القمني) من فك اللبس الناجم من استخدام قدماء الآشوريين تسمية (ميكان/ماجان) للدلالة أولاً على (عمان) بينما استخدموها في عصورهم المتأخرة للدلالة على (مصر) فتبين له أن المقصود في كلا الحالتين (عمان) التي هي (مصر) لا (مصر النيل) وإنما مصر الجزيرة أي إقليم مصر^{٢٠٥} - ونعزز هذا الطرح بالتالي:

* أولاً: ذهبنا (آنفا) إلى احتمال أن الحرب التي ذكرها أصحاب نقش (ربرترار/٣٠٢٢) بين (مصر/ومذي) لم تكن بين (مصر وفارس) بل بين (مضي) الحضرمية و(مصر الجزيرة العربية) وتبين طرحة القمني الذهاب إلى أن (مصر) هي (القطر العماني) وبالنظر ثانياً إلى إفادات النقوش المسندية العائدة إلى الثلاثة القرون الأولى بعد الميلاد التي تفردت في ذكر (إقليم حضرموت) بصيغة فريدة:

(مصر حضرموت) - أي مصر حضرموت - ونؤكد أنها صيغة فريدة لأنها قصرت في النقوش على حضرموت دون سواها من الأقاليم داخل الجزيرة العربية أو خارجها.

وقد وردت هذه الصيغة في نقش (جام/٦٢٩) العائد إلى عهد ملكي سبأ وذو ريدان: سعد شمس أسرع وابنه مرثد يهحمداً ابني إلي شرح يحضب/١ (بالتبني) ملك سبأ وذو ريدان... وقد حكما في أربعينيات القرن الثاني للميلاد. حيث وردت في النقش على هذا النحو:

كل/مصر/ يدع إل/ملك/ حضرموت. ٢٠٦

أي: كل إقليم يدع إيل ملك حضرموت.

وفي نقش (إرياني/٢١) العائد إلى عهد:

نشأ كرب يأمن يهرحب/٢ ملك سبأ وذو ريدان بن إلي شرح يحضب/٢ ويازل بين ملكي سبأ وذو ريدان الذي حكم في الربع الثالث من القرن الثالث للميلاد وردت نفس الصيغة على هذا النحو:

بعلي/مصر/ حضرموت. ٢٠٧

أي: على مصر (إقليم) حضرموت.

ودون التفريط بحقيقة اتساع النفوذ الحضرمي القديم ليشمل عمان كلها أو معظم أجزائها.. فقد ذكر صاحب كتاب (الطواف حول البحر الأحمر) العائد إلى القرن الثالث للميلاد الملك

الحضرمي (العزيلط/اليازوس) على أنه ملك بلاد اللبان. وقد كشفت نقوش (خور روري) العائدة إلى عهد (العزيلط) خضوع محميات اللبان في منطقة ظفار العمانية شرق المهرة لهذا الملك الحضرمي. حيث يرد اسم ظفار في النقوش ومنها (بيرن/خور روري/١) باسم /ساكلن/ أي الساكل/ التي قدم إليها من (شبو) في ذلك العهد مهندس مبعوث من (العزيلط) لبناء ميناء (سمهرم) لغرض تصدير اللبان.^{٢٠٨} ولا يستبعد أن نفرذه قد وصل إلى أقصى بلاد عمان (ميكان/مصر). لهذا فالحرب المذكورة في (ربرتوار/٣٠٢٢) كانت بين (مذي/مضي) الحضرمية و(مصر حضرموت) التي نعتي بها عمان. وتزيد هذه الرؤية وضوحا في الإحاطة بطبيعة العلاقة التي تظهرها النقوش بين معين وحضرموت، وهي علاقة يرى فيها البعض صورة من صور الوحدة بين الكيانين القديمين شملت الجغرافيا السياسية من الجوف حتى أقصى محميات اللبان شرقي حضرموت خاصة في عهد:

صدق إل ملك حضرموت الذي حكم معين أيضا وجعله (الرايت) مؤسسا للمملكة فيها حوالي (٤٠٠ ق.م). والذي اقتسم أبنان له من بعده العرشين فحكم (شهر علن) حضرموت وحكم (إل يفع يثع) معين. ثم جاء حفيده (إل يفع ريام بن إل يفع يثع) ليوحد المنطقتين تحت حكمه.^{٢٠٩} وإلى نفس الأسرة ينتمي (أبيدع يثع بن إل يفع ريام/ ٣٤٣ ق.م)، وهو الملك الذي ترجع إلى عهده أحداث النقش (ربرتوار/٣٠٢٢) وقد كان حينها ملكا لمعين. بينما كانت حضرموت يحكمها ملك آخر من نفس الأسرة كما جاء في نقش معين (ربرتوار/٢٧٧٥).^{٢١٠}

ولدينا شاهد آخر يبين إلى أي مدى كانت أواصر العلاقة بين عرب الجنوب وعرب الشمال في مختلف العصور، فالأشوريين الذين حرصوا على علاقة متينة ومباشرة مع (ماجان/ميكان) التي هي مصر الجزيرة أو (مصر الحضرمية) والتي هي (عمان) الأمر الذي يتجسد لا في آثارهم الكتابية فحسب، بل وفي المنجزات المادية التي أقاموها لتسهيل الاتصال بين الجنوب والشمال وأهم هذه المنجزات هي الطريق التي كانت تربط بين شرقي حضرموت والعراق حيث يصفها ابن الجاور بقوله:

وأما (ريسوت) كانت مدينة عظيمة وكان من (بغداد) إليها طريق مطبق محصص بالحص والنورة وكانت القوافل صاعدة بالبرهارة أو الخف منحدرية بالبضائع التي تدخل الهند مثل الصفر والزنجفر والمارود والفضة وما يشابه ذلك وخربت من طول المدى.^{٢١١}

وكان قد ذكر أيضا طريق (الرضراض):

كان من فجران إلى البصرة طريق الرضراض وكان المسافة فيما بين هاتين المدينتين سبعة

أيام.^{٢١٢}

وقد تطرق إلى الطريق الأولى ما بين (ريسوت وبغداد) فجعلها تغطي محميات اللبان الواقعة في ظفار(ساكلن في النقوش) بقوله:

كان من بغداد إلى ظفار ومرباط الطريق آمن يسلكه البدو في العام مرتين يجلبون الخيل ويأخذون عوضهم العطر والبر ويرجعون إلى العراق.^{٢١٣}

هذه غاية ما يمكن قوله عن (مصر) الإقليم الواقع في جزيرة العرب والذي يمثل في الميثولوجيا الإغريقية دور الزوج بالنسبة لشبه جزيرة العرب غير تحديدات المؤرخين الإغريق والرومان ومنهم (أوراسيوس) لمصر الأقصى (جزيرة العرب) تميزا لها عن مصر الأدنى (مصر النيل) وبالنظر إلى احتمالات أخرى منها ما تقدمه في (الفصل الأول) فإننا نرى في هذا الاسم (مصر) طبيعة ازدواجية. ففي الوقت الذي كان يطلق على خلاف أو منطقة ما في شبه جزيرة العرب (نحو مصر الحضرمية) التي هي (عمان) أو (مصر) عند (الصليبي) فلا يمنع هذا من وجود عدة مواضع بنفس الاسم في جزيرة العرب كما لا يلغي احتمال أن هذا الاسم (مصر) قد اتسع في حقب التاريخ العتيق ليشمل الجزيرة العربية (قاطبة) حسب الإفادات التاريخية المذكورة (آفام) تماما مثل تسمية (اليمن) التي بدأت تطلق على رقعة ما من السواحل الواقعة في (قائمة اليمن) كما في النقوش التي عرضنا لها (بمغت) حتى أصبح يعمم كما هو اليوم على معظم جنوب جزيرة العرب.

وحيث أننا تعاملنا مع النقش المعيني (ربرتوار/٣٠٢٢) على أنه يتحدث عن مواقع ووقعات داخل اليمن لا خارجها فإننا نتابع في الأسطر اللاحقة تحقيق عبارة: (عبر هرون).

التي وردت في النقش تنويجا للدور الذي رسمناه في تحقيق النقش (ربرتوار/٣٠٢٢) مع ادراكنا عدم لياقة هذا الموضوع بالنسبة لبحثنا هذا الذي كرسناه لإبراز دور قدماء اليمنيين في تاريخ الشرق الأدنى.

- عبر هرون: اعتبرها أهل الاختصاص في دراسة النقوش والآثار اليمنية القديمة بلاد بين النهرين (الفرات ودجلة)، أما إذا تغاضينا عن هذا التفسير لصالح البحث عن مواطن في هضبة اليمن (نجد اليمن) يمكن أن يكون هذا النقش المعيني قد قصدها فإننا نعلم أن في اليمن وديانا تظل فيها الينابيع والغيول ثره مدرارة على طوال العام وأن اليمنيين يأنسون لتسميتها بأفكار ومن هذه الرديان:
- وادي ميثم: بفتح الميم وسكون الياء المشاة من تحت ثم تاء من أعلى وميم آخره. نسب إلى مثة بن يريم ذي رعين وعداده في الكلاع ثم من مخلاف بعدان. وهو واد عظيم ذو فخر جبار على حافته القرى والمزارع. ويقع جنوب مدينة إب بنحو ميلين.
- وتبن: زنة عمر يطلق عليه من أسافل وادي ميثم.^{٢١٤} والآخر هو من الأودية المذكورة في

أقدم نقوش المساند اليمنية القديمة ومنها نقوش المكرب السبئي (كرب إيل وتر) التي تتحدث عن حرابه وفتوحاته وعلى رأسها نقش النصر الكبير وفيه يرد تبين بصيغة (تبنو) بزيادة الواو في آخره. والأهم أن وادي (ميتم) يتفرع عند جبل (التعكر) إلى قرعين (نهرين) وبينهما أست أحد أجمّل مدن اليمن:

• جبلة: وزان قبلة، ذكرها (ابن الجاور) في تاريخ المستبصر بزيادة اللازمة اليمنية القديمة ذي فهي ذو جبلة (ذي جبلة).

وكما تقول مصادر الإخباريين أن عبد الله بن محمد الصليحي قد أسسها سنة سبع وخمسين وأربع مائة وقد عرفت بمدينة: النهرين: لأنها تقع بين نهرين كبيرين يمر في الصيف والشتاء. ^{٢١٥} وفي وصف حاضرة الدولة الصليحية، قال عبد الله بن يعلى الصليحي أبيتا نسبها (ابن الجاور) للمازني:

هـب النسيم فبت كالخيران	شوقا إلى الأهلين والجيران
ما مصر ما بغداد ما طبرية	كمدينة قد حلفها نهران
خدد لها شام وحب مشرق	والتعكر السامي المنيف يمان ^{٢١٦}

ولكن الأرض التي أنشئت عليها مدينة جبلة كانت منذ أقدم العصور عامرة، فحصن حب (حب = الدرة الرفيعة) وخدد (بالحاء المعجمة) من أقدم حصون اليمن.. أما:

* جبل التعكر: فهو أشهر جبال اليمن وفي أعلاه حصن التعكر الشامخ الشهير أقدم معاقل اليمن. ووفق ما جاء في: (طبقات ابن سمره) فإن هذا الحصن شيد قبل الهجرة النبوية بثلاثة آلاف سنة وقد كان هذا الحصن ذات شأن عظيم ويوصف بأنه خزانة ملوك اليمن وفيه يقول محمد بن أبان الخنفرى:

وفوق التعكرين لنا قصور تشاييد الشراخنة الطوال ^{٢١٧}

وبعد ألا يمكن أن تكون الإشارة الواردة في نقش (ربرتوار / ٣٠٢٢) إلى (عبر نهرين) أي إلى هذه البقعة العتيقة من اليمن حيث أسست مدينة النهرين جبلة ؟

سؤال نوجهه إلى أهل الاختصاص بدرجة أولى، فهل يعقل أن تترك بقعة خصبة (بين نهرين) أرض بياب حتى تقام عليها في أواخر النصف الأول من الألف الأول للهجرة مدينة (جبلة النهرين). وبعد هذا المدخل الهام بالنسبة لدراستنا لتاريخ اليمن القديمة في (العهد التوراتي) حيث أصبح بمقدورنا وفقا لهذا النهج النقدي المخالف للمألوف والمعروف في دوائر البحث العلمي (بالمفهوم

التقليدي) نقول أصبح بوسعنا وقد عرضنا في هذا التمهيد إلى بعض الروى المعاصرة في حقل الدراسات التوراتية وعلى وجه الخصوص الاسهامات الجريئة فيها.... وطعمنا هذه الأطروحات بإفادات نقوش المساند اليمينية القديمة ونخص في ذلك :

(ربرتوار/٣٠٢٢).

(كوربوس/٤٠٧).

التي تشير إلى :

١. شام اليمن.

٢. مصر اليمن أيضا.

ونختتم هذا المدخل بأسطر نكرسها لفهم لائحة الشعوب كما وردت في أقدم أسفار(التوراة) ونقصد به(سفر التكوين):

إن أهمية العرب وجزيرتهم لم تكتسب لأن المؤلفين الإغريق والرومان كتبوا عنهم وإنما العكس ودون التقليل من روعة وحيوية الحضارة الإغريقية بأية صورة من الصور، فقد كانت متخلفة عن جارها(السامي) بل وإنما أخذت الكثير منه.

والمهم في الأمر أن النقوش واللقى الأثرية في اليمن قد أثبتت أن جزيرة العرب والعديد من أقوامها لعبوا دورا هاما في الحياة المادية والروحية لإقليم شرق المتوسط ومنذ القرن العاشر (ق.م) على الأقل.^{٢١٨}

وبكلمة أخرى لا يختلف رواد هذا الحقل في القول بوحادية الأصول الأثنية واللغوية والحضارية بشكل عام للشعوب السامية التي كانت الجزيرة العربية و بأطرافها الشمالية(بلاد الشام/بلاد الرافدين) البيئة التي أفرحت فيها تلك الشعوب وتكونت صروحها الحضارية بأبعادها المادية والروحية فيها.

ولعل ما يحفز أذهان الباحثين ويلهب حماسهم هو حقيقة تلك الجذور التي ما زالت يشوبها الغموض في بعض أوجهها الأمر الذي دفعنا للمشاركة بهذا الجهد المتواضع في أي جانب الإضاءات التي خلفها لنا مورخون الإغريق واليونان وعلى رأسهم (هيرودوتس) في(كتاب التاريخ ٨٩/٧) من:

إن الفينيقيين وسوريي فلسطين كانوا وفق روايتهم الذاتية، قد قطنوا سواحل البحر الأحمر في البداية ومنها انتقلوا للاستقرار على ساحل البحر في سوريا، وأطلقوا أسماء مواطنهم الأصلية على مستوطناتهم الجديدة.^{٢١٩}

نجد إجماعا لدى الإخباريين العرب في أن كافة الهجرات سواء في الحجاز أو إلى العربية الشمالية

أو إلى الشام، أو إلى الرافدين قد قدمت أصلاً من بلاد اليمن. ٢٢٠

ولعل الباحث في هذا الحقل لا يجد مناصاً من الإلتجاء إلى آثار التوراة في هذا الشأن :

ففي سفر البدء المعروف (بالتكوين) نقرأ في الإصحاح العاشر:

ويقطن ولد الموداد وشالف وحضر موت ويارح وهدورام وأوزال ودقلة وعوبال وأيممال وشبا وأوفير وحويلة ويوباب.. جميع هؤلاء بنو يقطان. وكان مسكنهم من ميسا حينما تجيء نحو سفار الجبل المشرق.

{سفر التكوين ٢٦/١٠ ٣١}

ويقطن كما تبينه التوراة هو ابن لعابر وأخ لفالح ابني عابر بن شالخ بن أرفكشاد بن سام بن نوح. على هذا النحو تخرج التوراة في (سفر التكوين) مشجرة نسب (يقطان) ويقطان هو (قحطان) عند الإخباريين العرب. وقد جاء في كتاب: (الأمم السامية) ط دار فضاء مصر / ١٩٨١ بيان للنص المذكور:

المراد من ميسا حتى سفار (ظفار) المقاطعات الواقعة في الجنوب الشرقي من جزيرة العرب وما يلي الجنوب من نجد وكانت القبائل الثلاث عشرة المنحدرة من قحطان تقيم بتلك المقاطعات ومن بينها:

١. حضرموت: التي تسمى بلاد حضرموت بما وكانت .
٢. أوفير: (أوفر/ هي المعافر = الحجرية اليوم). تحتل مرفأً بحرياً اشتهر باسمها في التاريخ القديم- وذلك على ساحل البحر الأحمر- والمراد ب:
٣. حويلة: بلاد الأحقاف أي البلاد الرملية وكانت إقليمياً يحيط به نهر تسمية التوراة نهر (فيثون)، أما
٤. سبأ: (شيبا) هي سبأ التي تنسب إليها الدولة السبئية وعاصمتها مأرب وكانت أملاكها أي مملكتها تمتد إلى شمال الجزيرة العربية في عهد (ثعلبات بن عزر) و(سرجون الثاني) الآشوريين كما ذكرت نقوش عهديهما وكانت حدود مملكة سبأ تتأخم من الشمال ملك سليمان- فلسطين- من جهة الجنوب في عهد ملكة سبأ (بلقيس) في القرن العاشر قبل الميلاد. أما:
٥. شالف: فهي (السلف)
٦. عوبال: وهو عيبل. ٢٢١

هكذا اجتهد أصحاب كتاب الأمم السامية في محاولة الإحاطة بجذور الأمم السامية وجغرافيتها وإذا كنا على واثم مع هذه التخريجات فإن من اللائق بنا ونحن نؤسس إعادة الاعتبار لذاكرتنا التاريخية أن نستشير أصدق المصادر طراً ونقصد بما نقوش المساند الحميرية العتيقة علنا نظفر منها بما قد ينور

الزوايا الغائمة من ذاكرتنا (ويهدى للتي هي أقوم) وإذ نجد أصحاب كتاب الأمم السامية قد وجدوا سلوكهم في الآثار الاسمية للممالك الجنوبية العتيقة نحو سبأ وحضرموت والمعافر وحويطة والسلف... الخ. تلك التي تفسر لائحة الشعوب السامية الواردة في سفر التكوين التوراتي فلعله من المناسب هنا أن نشير إلى نقش عجيب (ربرتوار/٤/٤٣٠) تعرض له دكتور التاريخ المرحوم (جواد علي) وهو عبارة عن لوح برونزي حفرت عليه عبارة:

عبد شمس بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ٢٢٢

أما بالنسبة إلى (سفار جبل المشرق) فقد آنس أصحاب كتاب (الأمم السامية) فيه موضع شهير في جنوب شبه جزيرة العرب وهو (ظفار) الاسم الذي أطلقته حمير على حاضرة الحميريين وقصبة ملكهم الشهيرة باسم (ظفار) وتقع جنوبي يريم بمسافة ١٧ كم.. وتقوم على قمة جبل (ذو ريدان) هذا الموضع له شهرته التاريخية نستبعد أن يكون المتصور ب(سفار) التوراتي. كما أن (ظفار الحبوطي) الواقعة في التخوم الغربية لسلطنة عمان ليست المقصودة ب(سفار/توراتيا) لأن نقوش المسند الحضرمية العائدة إلى القرن الثالث للميلاد عهد الملك الحضرمي (العزيط) ذكرت تسمية ذلك الإقليم الشهير بمحميات اللبان وهي:

(ساكلن/أي الساكل) لأن النون هي لاحقة التعريف الحميرية.

إذا هل بوسعنا استشارة نقوش المساند الحميرية عليها تكشف لنا عن موضع (سفار) التوراتية وموقع (جبل المشرق) هذا:

• سفار اليافعية:

وردت هذه التسمية (سفار) في واحد من نقوش ناحية (الحد) اليافعية التي تشكل اليوم الحد الشرقي لمنطقة (سرو حمير/يافع) والتي تعرف بتسمية تاريخية عتيقة أيضا وهي (العناق/عنقيم توراتيا). أما كيف وردت هذه التسمية (سفار) في نقش الحد الذي تعرض له مستشرقان يعملان لصالح مركز البحوث الفرنسي (CNRS) هما: (كريستيان رويان) و(فرانسوا بريتون) عام ١٩٧٦ للميلاد. وتناوله في دراسة تصويرية الباحثان اليمانيان (د/بافقيه) و(د/باطايع) في مجلة (ريدان/٥) ١٩٨٨ للميلاد. ويحتوي هذا النقش المعروف بنقش : (جامع بني بكر) يقول نصا :

١.ووترم/ ودوسم/ بنو/ يشرن/ وسيض....

٢. ..و/ عبدعم/ وهوفعم/ بنو/ ذ سفرم/ اقول/ شعبن/ سفرم/

٣. عشقو/ وسقح/ أبرث/ شمسهو/ بعن/....

٤. عم (٩) بأخيل / شعبسمو / ومادبتهمو / سفر / ٢٢٤

ومحتوى هذا النقش هو:

هذا نقش لبعض الأقيال بني (ذي سفر) زيروه بمناسبة قيامهم بأعمال عمرانية في مواضع (أجناء معبد) شمسهم بجبل ما في المنطقة وذلك بعون (عم)؟ وبحول شعبهم وأتباعهم (سفر). ٢٢٥
وهكذا فنحن أمام نقش حميري قديم يعود إلى عهود (القيالة) يصف الملوك (الأقيال) أنفسهم بأنهم من بني (ذ سفرم) الميم هنا هي لاحقة التنوين العربية الجنوبية أي أنهم من بني (ذي سفر/سفار بالتصويت) وهم ملوك أقيال (شعب = قبيلة كبرى في لغة النقوش) يعرف بنفس التسمية (سفرم/سفار) وقد رجح محققوا نقش (جامع بني بكر) موطن هذه القبيلة (سفار) في نطاق التخرم الشرقية (لسرو حمير/يافع) الواقعة غربي محافظة البيضاء ومدينتها الأثرية المعروفة تاريخيا باسم (حصي) الواقعة في نطاق قبالة (مضحيم/مضحا). ولكن هل تقع (سفار اليافعية) في (بلاد المشرق) كما هو (سفار جبل المشرق) في النص التوراتي؟

نعم فقد أظهرت نقوش المساند القتبانية تحالفا قديما ضم في حوزته أقواما وقبائل جنوبية كبرى وحدها آله القمر القتباني الشهير ب(عم) لهذا فقد عرفوا في النقوش ب(أولاد عسم) كما في نقش (ربرتوار/ ٣٥٥٠) العائد إلى عهد مكاربة قتبان حيث تظهر تجمعات قبلية متحدة مع قتبان وأولاد عسم مثل كحد(دثينة) وأوسان ودهسم (يافع) وتنبو(تبين) وقد استمر هذا التحالف قائما وعرف فيما بعد باسم (التحالف المشرقي) في القرن الثاني للميلاد كما في (جام/ ٢٨٦٧) و(جام/ ٦٢٩) :

الذي يصف لنا قيام تحالف بقيادة حضرموت والقيال الردماي (وهب إل يحوز) بن معاهر وذو خولان وكل (ولد عم) وأوسان وهو ما نصفه بالتحالف المشرقي. ٢٢٦

وقد استمرت تلك المناطق الجنوبية الشرقية الواقعة ما بين (يافع) وبلاد المهرة شرقي حضرموت تعرف باسم بلاد المشرق وأقرب الشواهد على ذلك تسمية فتوحات أئمة اليمن - حتى القرن العشرين - لتلك المناطق ب(فتوحات بلاد المشرق) وفي هذا النطاق تقع (سفار اليافعية) أي في (حدود المشرق) الأمر الذي ينطبق تماما على النص التوراتي هذا الذي جعل مواطن بني (يقطان/قحطان) تنتشر عبر الامتداد الواقع من حد(ميشا حينما تجسيء نحو سفار جبل المشرق) إذا فنحن في (سفر التكوين/ الاصحاح العاشر) أمام لائحة ليست (بلائحة أمم) بقدر ما هي جدول بقبائل شبيه الجزيرة العربية وسفر التكوين عبارة عن ديوان جمعت فيه الأساطير المتعلقة بأصول القبائل والخواضر القديمة في شبه الجزيرة العربية بما فيها الأساطير المتعلقة بأصل بني إسرائيل.

والفكرة السائدة بأن سفر التكوين عبارة عن محاولات لتوضيح أصول عالم أوسع يشمل جميع بلاد الشرق القديم هي فكرة غير صحيحة وحرية بالإهمال.^{٢٢٧}

وحيث أن (لائحة الشعوب/ الأمم) هذه تسرد سلالة حام بن نوح في (تكوين/ ١٠) مظهرة أن له من الأبناء أربعة وهم :

- كوش/كوش.
- مصرييم/مصريم.
- فوط/فوط.
- كنعان/كنعان.^{٢٢٨}

وحيث أن (كوشا) قد ترسب فيما ذهب إليه (د/زياد مكي) في تسمية قحمة اليمن عند أهل عمران وفقا لرواية (ابن الجاور) الآتية الذكر، الأمر الذي يتطابق مع ما طرحه (الصليبي) من احتمال أن يكون (كوش) يتمثل أيضا ب(كيسه/كيس) و(كوش/كوس) في منطقة جيزان..^{٢٢٩} لأن منطقة (جيزان) ليست إلا بعض أراضي قحمة الساحلية ومنها يتضح لنا صدق رواية (ابن الجاور) القائلة بأن قحمة هي (كوش عند أهل عمران) فهاهي (كوس/كوش) الجيزانية تقف شاهدة حية حتى اليوم. هذه الشهادة الدامغة إلى جانب حقائق أخرى دفعت ب(د/زياد مكي) إلى تبني أطروحة الصليبي القائلة بأن (مصرييم في هذا التقسيم الأثني يقصد بها مصر في جزيرة العرب) أي إقليم مصر. النص الآنف الذكر - ونحن بدورنا قد استشرنا نقوش المساند اليمنية القديمة في مطلع هذا التمهيد - وسرّيد على ذلك في الفصل اللاحق... غير أن ما يهمنا الآن هو تدعيم هذا الطرح بمزيد من الشواهد أولها يتلخص في الكشف عن موطن (فوط بن حام/حم) فهل له من أثر ببقعة ما من شبه جزيرة العرب ؟

- فوط بن حام/حم:

نعم فقد خلف هذا الاسم (فوط) بنفس الصيغة في:

- فوط: قاع منبسط بالشمال الغربي من ساقين من بلاد صعدة، في وسطه تقع مدينة حيدان.^{٢٣٠}

ولا غرابة أن قاع (فوط) هذا الذي يقع في قلب شام اليمن إذ تعد (صعده) حتى اليوم حاضرة بخلاف الشام... وفي نفس الوقت يحوي قاع (فوط) على مناطق أثرية عتيقة: (إذا تقع حيدان في الجهة الشرقية من جبل (الفتاح) الغني بآثاره القديمة أما (ساقين) فقد كلنت مشهورة بسدها العتيق الذي ظل باقيا حتى سنة ٢٠٠ للهجرة... وكانت مياه السد تسقي وادي

العبيدين المشهور بأعنايه وفواكهه). ٢٣١

والآن دعونا نخرج سوية لنرى شاهدا آخر في رحاب قامة الأسرار ليروي لنا قصته مع بني إسرائيل في عهد بطل الخروج من مصر الاستبعاد ألا وهو موسى المصطفى (عليه السلام) هذا الشاهد الحلي هو واحدة من المادن التهامية تعرف ب:

• حلي: بفتح الحاء وسكون اللام، بلدة قمامية على شط البحر الأحمر في جنوبي القنفذة، ويقال لها (حلي ابن يعقوب) وهي مشمولة الآن بنفوذ السعودية. ٢٣٢

فما شأن (حلي ابن يعقوب) ٢٣٣ هذه بخبر خروج موسى الكليم (عليه السلام) بقومه من (مصر).... نعم فشأنها عظيم في سيرة بني إسرائيل (لاحظ فهي حلي ابن يعقوب)!

فقد وصفها (ابن الجاور) في عداد المدن القائمة على محجة الطريق بين مكة والمحالب بقرله: وإلى حصارة خمس فراسخ وإلى حلي سبع فراسخ بلد فيه جامع ومنازة.... وجميع هذه الأعمال لبني كنانة. وإنما اشتق اسم حلي من الحلي الذي جمعه السامري من بني إسرائيل في أيام هارون بن عمران (عليهما السلام) وجعل منه صورة عجل كما قال الله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً خَسِيساً لَهُ خَوْرٌ ﴾. ٢٣٤ ولا غرابة أن هذه الشهادة أتتنا من القرن الثالث عشر للميلاد - عهد المورخ ابن الجاور - تعني أن أبناء مدينة (حلي ابن يعقوب) التهامية قد جبلوا على حفظ ذكرى هذه الواقعة الشهيرة ذكرى ارتداد بني إسرائيل عن عبادة التوحيد إلى عبادة العجل (ثور/بعل) في ظل غياب كليم الله موسى (عليه السلام). وحتى لا تذهب هذه الواقعة أدراج رياح النسيان فقد حرص أهالي بلدة (حلي) على تخليدها بإطلاق هذه التسمية عليها... وبهذا فإننا نعتبرها شهادة اثبات وتصديق لأطروحة (الصليبي) القائلة بأن بلاد التوراة ومواطنها هي شبه جزيرة العرب فضلا عن أن (حلي) قد تطرق إليها (الصليبي) وهو يقتفي مسار حملة الملك المصري (شيشانق/شوشق أو شيشق بالعبرية على مملكة يهوذا في غرب شبه جزيرة العرب في القرن العاشر قبل الميلاد.... وهي في ذات الوقت تدخل في نطاق (أرض الميعاد) التي حددها (الصليبي):

من جوار الطائف شمالا حتى حدود اليمن جنوبا ،
ومن حافة الرمال شرقا إلى البحر غربا (في الغرب).
وطالما حاول الباحثون التوراتيون مطابقة هذه الأرض
مع خريطة فلسطين وجوارها في الشام فلم يفلحوا. ٢٣٥

الفصل الأول

الوقائع الإبراهيمية

في

أرض التيمن / اليمن

(القصص القرآني) و(القصص التوراتي) على الرغم من نقاط التماس التي تجمعهما ، فإن هنالك من التفصيلات والمفارقات التي يتباين فيها النص القرآني عن النص التوراتي الكثير مما لا يدفع على التأمل فحسب، بل ويحفز الباحثين في ميدان الدراسات التوراتية على إعادة النظر في النص التوراتي مسترشدين بالقيس القرآني، ولعل أخطر المفارقات التي يرصدها أهل الاختصاص تكمن في قضية تعمد النص التوراتي على إخفاء أي أثر للنبي إبراهيم(عليه السلام) في جزيرة العرب:

فالتوراة تصر من جهتها على الصمت المطبق إزاء ما أعلنه القرآن الكريم ، حول علاقة النبي إبراهيم ببلاد العرب الحجازية، فلم يرد لهذا الأمر أي ذكر في التوراة المتاحة بين الأيدي اليوم... فلا قصة تكسير النبي للأصنام أو مثل قصة إلقائه في النار ، أو مثل خلافه مع أبيه حول صادق العقيدة أو مثل حواراه مع الملك المذكور في التراث الإسلامي باسم (نمرود).

لهذا فقد لاذ الباحثون في حرم الرواية القرآنية لينهلوا من مواردها العذبة... فالقس (ماير) لم يسل جهداً في سبيل أن يطعم كتابه (حياة إبراهيم وطاعة الإيمان) بدرر من الكثر القرآني:

ثم أنه-أي إبراهيم- كان كل ما رأى ممثلاً حطمه وكان يأبى أن يجنو للنار... وهذه الروايات لا تستند إلى أية إشارة في الكتاب المقدس على أنه من الناحية الأخرى لا تورده فيه إشارة تنفيها.

هذه المعطيات وغيرها مما عرضنا في (المدخل) جعلت الباحث العربي الكبير(د/سيد القمني) يتصدى-وهو صاحب الأبحاث الرائعة في تراث الشرق الأدنى القديم- لدراسة سيرة خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) مقتفياً آثار النبي الكريم في رحلته الدائبة في أصقاع الشرق الأدنى ، فقد كان كما تنعته التوراة:

أرامياً تانهاً كان أبي فأنحدر إلى مصر وتغرب هناك في نفر قليل فصار هناك أمة كبيرة وعظيمة وكثيرة. [سفر التنية/٥/٢٦]

وفي القرآن الكريم:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ سورة النحل / الآية ١٢٠ وإذا كانت محاور أو محطات السيرة الإبراهيمية تتلخص كما هو ماثور عند الباحثين في:

انطلاق النبي إبراهيم بأهله بمن فيهم ابن أخته النبي لوط (عليه السلام) من (أور الكلدانيين) الواقعة جنوبي الفرات إلى:

بلدة (حاران) في أقصى الشمال. ومنها كانت عودته:

إلى كنعان /فلسطين في الجنوب الغربي ومنها كانت وجهته:
إلى مصر التي تغرب فيها في سنوات القحط والفسالة ثم كانت وجهته النهائية:
إلى أرض الميعاد كنعان/ فلسطين.

غير أن (د/ القمني) قدّم في كتابه (الني إبراهيم والتاريخ المجهول) عرضاً فريداً لمسار التجوال الإبراهيمي شمل المناطق المذكورة في الأثر التقليدي(أعلاه) واقتحم على جزيرة العرب تخومها... حيث لم يرصد طريق النبي إلى الرحاب المقدسة حيث أقام في (مكة البيت العتيق) فحسب، بل وتتبع المركب الناحوري إلى (أرض التيمن) أرض الجنوب-جنوب جزيرة العرب- التي هي (مصر الأقصى) فكانت خارطة الرحلة الإبراهيمية وفقاً لأطروحات القمني على هذا النحو:

الانطلاق من (أور/ أرتو) جنوب أرمينيا في المنطقة الكاسية. ثم

الهبوط إلى الجنوب متخللاً بلاد الخور ف

الاستمرار جنوباً إلى فلسطين. ثم

الهبوط من فلسطين إلى مصر (مصر الأدنى/ مصر النيل).

الخروج من مصر إلى جزيرة العرب حيث مصر الأقصى أو اليمن.

ونحن بدورنا سنميط اللثام عن أهم المواقع التي عرج عليها أبونا إبراهيم(عليه السلام) في اليمن القديمة... وأبرز الوقعات التي عاشها الداعية الأول للعقيدة الحنيفية في جنوب الجزيرة وهي وقعات حسام ظل علم الثوراة التقليدي يقدمها على أساس انتمائها إلى البلاد الواقعة ما بين لمري الفرات والنيل . في الوقت الذي ترفض فيه اللقى الأثرية والآثار الكتابية المكتشفة في بلاد الرافدين ومصر النيل أن تقدم أي دليل على الطرح التوراتي حتى من قبيل الإشارة الغير مباشرة إلى أي اتصال ما للقبائل الإسرائيلية معها، سواء في عهود (الآباء) أو في العهود اللاحقة من التاريخ اليهودي. فما هي الظروف التي أرغمت خليل الرحمن على الرحيل جنوباً ؟

أو ترى ما الذي حدى بخليل الله أن يترك أرض الميعاد(المفترضة!) وهو لم يكد يتنفس الصعداء فيها ويفرغ من إشادة (مذبح الرب هناك) ؟

ثم ارتحل إبراهيم ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب. [سفر التكوين/١٢/١٠]

الإجابة يسوقها لنا النص اللاحق من نفس السفر نفس الإصحاح:

وحدث جوع في الأرض. فانحدروا إبراهيم إلى مصر ليتغرب هناك. لأن الجوع في الأرض كان شديداً

[سفر التكوين/١٢/١٠]

إذاً فهو الجوع الذي دفع إبراهيم(عليه السلام) ورهطه نحو الجنوب. وفي واقع الحال إن عبارة (الجنوب) ترد في التوراة بإلحاح عجيب يشير إلى الوجهة التي أمّا أبونا إبراهيم(عليه السلام) ووفقاً لطرح(د/القمني) :

فالإصرار الواضح في رحيل النبي نحو (الجنوب) يحيلنا باستمرار إلى جزيرة العرب جنوباً ، فالتوراة تكرر دائماً التعبير:

(فصعد إبراهيم من مصر إلى الجنوب) [سفر التكوين/١١/١٣]
(وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب، وسكن بين قادش وشور، وتغرب في جرار)
[سفر التكوين/١١/٢٠]

هكذا فالجنوب المقصود هو جنوب جزيرة العرب خاصة في ضوء قراءة الباحث التوراتي البارز(د/كمال الصليبي) الذي يرى في عبارة (هـ-نحج) الواردة في النص العبري(الجنوب/بالقلب) لا صحراء (النقب) في جنوب فلسطين كما هو مأثور عند أهل الاختصاص .

وقراءة (الصليبي) هذه تنسجم مع (الترجمة العربية) لعبارة(هـ/نحج) المعمول بها في الترجمة العربية ل(الكتاب المقدس) من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي تنسجم مع (النعت) الذي أطلقه شيخ المفسرين ابن كثير):

(ثم إن الخليل عليه السلام، رجع من بلاد مصر إلى أرض (التيمن) وهي الأرض المقدسة التي كان فيها، ومعه أنعام ومال جزيل)

وبغض النظر عن تسليم (ابن كثير) -بجسارة للمفهوم التوراتي حينها- بأن الأرض (التيمن تعني أرض بيت المقدس) ف(المسعودي) كان قد استخدم:

مصطلحين للدلالة على الجنوب، الأول هو (يمن) أما الثاني فهو(تيمن).

وفي هذا المنحى يتحفنا الأستاذ/ فرج الله صالح ديب:

.... تيمن: من يمن ، وهي سريانياً(تيمونو): الجنوب ، لكن الجنوب قياساً لمن ؟ أليس قياساً إلى الشمال : شمال الجزيرة في لسان العرب:

تيمن من يمن. ومن معانيها البركة-ومنها ميمون ويامن. والأيامن خلاف الأشاتم. قال المرقش:

فإذا الأشايم كالأيامن والأيامن كالأشايم

يمن ، اليمن. أشب لليمن: وحق سلمى على أركانها اليمن. ويمنوا أتوا اليمن. وتيمن: إذا أتى اليمن(أي جنوب الجزيرة). ولها اشتقاقات في ثمان صفحات.

ومن أراد استشارة النقوش المسندية القديمة، فعليه الرجوع إلى نقش (ربرتوار/٣٠٢٢) و (كوربوس/٤٠٧) فيما يخص (مغت وشامت) حيث فندنا هذا الموضوع في (المدخل).
أجل فقد كانت جنوب شبه جزيرة العرب هي أرض (التيمن) التي شُذت إليها رحال الركسب الإبراهيمي في سني الجوع والفاقة. أرض التيمن هي جنوب الجزيرة المعروف بـ (اليمن) وإلى مثل هذا يشير النص:

السرياني للتوراة بصدد الحديث على ملكة باسم ملكة (تيمن/تيمونو) أي الجنوب.

* مصر اليمن:

وصل الخليل (عليه السلام) إلى يمن البركة فأراً بأهله من نوازل القحط التي سادت شرق المتوسط وشمال الجزيرة... واقتاد أهله بمن فيهم زوجته الصالحة (سارة) وابن أخيه النبي لوط (عليه السلام).. ونرجح أنه قصد في اليمن مخالفاً بعينه طالما ذكره الأخباريون على أنه (مصر اليمن) فأبي مخلاف هو يد ترى ؟

* مخلاف السحول:

بفتح السين وضم الحاء المهملتين: هي قاع معروف ما بين (إب) جنوباً وحتى قفر يريم شمالاً. وقد ذكره لسان اليمن (الهمداني) في الصفة والإكليل:
ويتصل بمخلاف (خولان) مخلاف (آل ذي جره).... ومخلاف ذي جره وخولان يسمى:
(خزانة اليمن) و(ذمار) و(رعين) والسحول مصر اليمن.
إذاً فـ (مصر اليمن) هي ذمار ورعين والسحول عند الهمداني. أما تحقيق مصنفات الهمداني العلامة (محمد بن علي الأكرع) فيؤكد ما ذهب إليه لسان اليمن (الهمداني) غير أنه يحصر مصر اليمن في مخلاف السحول بالذات:

من أخصب بخاليف اليمن ، ويقال له سرّة اليمن و(مصر اليمن).
وهكذا فذمار ورعين والسحول يخلاف يُعرف في أيام الهمداني بمصر اليمن... ويتواتر ذكره في ا
لذاكرة الشعبية عبر العصور حتى اليوم كما ذكر الأستاذ (محمد بن علي الأكرع):
(السحول سرّة اليمن ومصر اليمن).

والشائع لدى عامة الناس في عموم اليمن أنّ من يهرب من الجوع فعليه بالسحول. وفيه يقسول
حكيم المزارعين اليمنيين (علي بن زايد) في أحد مهاجل البدار:

إن كنت هارب من الموت ما حد من الموت ناجي

أهرب سحول ابن ناجي

وإن كنت هارب من الجوع

وفيه يقول طرفة بن العبد:

يمان وشنة ريده وسحول

وبالسفح آيات كأن رسومها

ويدخل في السحول بعض من يحصب السفلى ويُعرف بذي قينان (بالسحول). وتُعد يحصب من المناطق الخصبة زراعياً ولذلك تعدت السدود التي أقامها اليمانيون القدماء في هذه المنطقة حتى قيل أنها وصلت إلى ثمانين سداً. وإلى ذلك أشار أسعد تبع في قوله:

ثمّالون سداً تقذف الماء سائلا

وفي البقعة الخضراء من أرض يحصب

على ضوء هذه الإفادات المتواترة لدى الإخباريين حول إقليم (مصر اليمن) الأمر الذي يتناغم مع المتواتر عبر الذاكرة الشعبية نواصل تحرينا عن (مصر التوراة) = (مصر اليمن). أو مصر الجنوب (جنوب جزيرة العرب).

فياترى من هو ملك اليمن القديمة الذي عاصر النبي إبراهيم الخليل ؟

• فرعون اليمن:

المشهور لدى الإخباريين العرب وعلى رأسهم لسان اليمن (الهمسداني) أن خليل الله النبي إبراهيم (عليه السلام) كان معاصراً للملكين من مكاربة سبأ (السلالة السبئية الأولى) هما:

☀ الملك عبد شمس بن وائل وأبيه الملك:

☀ وائل بن الغوث.

وهما من سلالة (الهميسع بن حمير بن سبأ) ، ويأتي مسلسل نسبهم في مشجرة نسب أولاد الهميسع بن حمير في كتاب (الإكليل / ٢ / ص ٣٤١) :

عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أئمن بن الهميسع بن حمير.

وفي باب القبوريات من (الإكليل / ٨) نقرأ:

السكسك بن وائل بن حمير:

وأما السكسك بن وائل بن حمير فغزا النمرود بن ماش، فلما بلغ (جنو قراق) من أرض العراق اعتل ومات فحملوه ورجعوا قافلين إلى اليمن.

تنقل لنا التوراة وقائع هذه الرحلة بقيادة النبي إبراهيم وهو حينها:

ابن خمس وسبعين سنة. لما خرج من حاران. فأخذ إبراهيم ساري أمراته ولوطاً ابن أخيه. [سفر التكوين / ١٢ / نص ٥-٦]

كان هذا في بداية الرحلة ولا ندري كم مكث في أرض الميعاد المفترضة كنعان (فلسطين)، وكسل ما نستطيع قوله أن سنوات قد مضت من عمره وهو يبني فيها مذابح للرب:
إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة... فبنى هناك مذبحاً
للرب الذي ظهر له. ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي
بيت إيل ونصب خيمته. وله بيت إيل من المغرب وعاي
من المشرق فبنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب.
ثم ارتحل إبراهيم ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب.
[سفر التكوين/ ١٢/ ٦-٩]

لا شك أنه وقد بلغ في رحلته هذه تخوم مصر كان قد تجاوز الثمانين من عمره بسنوات. ولنترك التوراة تروي لنا بقية القصة:

وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال
لسارى امرأته أئني قد علمت أنك امرأة حسنة
المنظر، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون
هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قولي أنك أختي
ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك.

[سفر التكوين ١٢/ ١١-١٣]

لن أقف على الجوانب الأخلاقية والأدبية والعقائدية للنص، فقد تصدى لهذا الشأن كثير من أهل الاختصاص ومنهم (د/سيد القمني) إذ خصص في كتابه السالف الذكر (النبي إبراهيم والتاريخ المجهول) فصلاً بعنوان: (إبراهيم في مصر). ناقش فيه رأي القس (ماير) وآخرين ممن أدلوا بتفسيرات للحوار أو القرار الذي أدلى به خليل الله لسارة (سارى) زوجته، عندما اقترب الركب من (مصر التوراتية) = (مصر الأقصى/مصر اليمن).

فهل من سبيل يأخذنا إلى مجاهل التاريخ البعيدة فتعرف على أحوال المصريين وموقفهم من المرأة بشكل عام وقصة هذا الوافد الكريم عليهم.

وأن لنا فيما تتناقله الألسن وتسجله أقلام الإخباريين صحة يمكن أن نأمن لها في هجرتنا نحو تأسيس معرفي سليم وصادق لوقائع العهد القديم وأحداثه المثيرة... ومن المفيد لنا أن نضرب إلى حقبة أقدم من عهد إبراهيم الخليل (عليه السلام) هي حقبة:

• مؤسس السلالة السبئية:

يُعرف مؤسس السلالة السبئية لدى الإخباريين العرب بأنه كما ينقل لنا (عبيد ابن الشريه):
سبأ بن يشجب بن يعرب واسمه عبد شمس، وهو أول من ملك فيهم وأول من سبا السبايا وغسوا
لسبي الحرم والذراري وفيه يقول شاعرهم:

ومنا الذي لم يسب قبل سبائه ومنا الذي راى الأنام مرارا
وقد ملك بعده (حمير)، وذلك قبل عاد بزمان وفي ذلك قال الخلجان بن الوهم من عاد:
أفي كل عام بدعة تعدثونها ورأى على غير الطريقة تعبروا
فإن لعاد سنة في حفاظها سحبي عليها ما حيننا ونقبر
وللموت خير من طريق تسبنا به جرهم ولعاد منها وحمير

وظلت هذه العادة تسري في دماء ورثة تاج سبأ وحمير ومعين وحضر موت وقتبان وغيرهم ممن
قدماء اليمنيين الذين حرصوا على الغزو من أجل سبي خرائد النساء وربائب الخدور:

يقود بها ديارها غير عاجز	ثمانون ألفاً قادها من براش
قأبوا بالقي كاعب مظرية	على إبل مثل الضباع النواش

وحق عهود متأخرة استمر الملوك والأقيال والأذواء يتباهون بكثرة نسائهم وذراريهم اللواتي
يقصرون لهم منذ طفولتهن ففي (ذي موكل) يقول قس بن ساعدة:

وعلى الذي كانت بموكل داره	يهب القيان وكل أجرد شاح
---------------------------	-------------------------

وفي (ذي الشوذب) قال النعمان بن بشير الأنصاري من صحابة النبي محمد ﷺ:

وذي الشوذب السمع الذي كان قد علا	ثُبان له حور النساء النواعم
----------------------------------	-----------------------------

وتشير نقوش معينة إلى نساء أجنبيات قَدَّمن تجار معينيون لمعبدهم الرئيسي في معين وهنَّ من
مناطق مختلفة من (غزة، ديدان، مصر، يثرب [المدينة]، صيدا، يوان، {بلاشك من الأراضي الأغريقية في
أوروبا أو آسيا الصغرى})، مواب وعمون (عمان). وهذه التقدّمات يرى فيها (ريكمسن) وسيلة لتقدّم
العشر المقدس الواجب تسليمه من قبل تجار (معين) المغتربين للمعبد الرئيسي للوطن الأم. لكن بعض
العلماء وبخاصة (محمود الغول) افترضوا أن الأمر يتعلق بإجراءات هدفها حصول الناذر على مرافقة
بالزواج من المرأة المقدمة بهذه الطريقة، على الرغم من وضعها كأجنبية.

وما دما نستقص عن دور المرأة في حياة اليمنيين القدماء فإنَّ أقدم نقوش المساند المكتشفة في
منطقة من بني ظبيان/ خولان الطيال تسجل لنا عن سيدة هي في النقش الموسوم [٤٣/١]:

هذا ما صادت به جحمة ذات بيت يشع أمر

منطقتي (أريدي) و(دخم)

اجتأوا مئة وعشرة.

فهذا النقش صاحبه (جحمة) وهي سيدة بيت (يشع أمر) وهو مكرب سبئي من مكارية السلاللة

التقليدية وهو في نقوش الصيد والطرائد (نقوش يلا):

يشع أمر بين بن سمه على ينوف مكرب سبأ

وهو الذي حكم مع والده في منتصف القرن

السابع ق.م. وسيدة قصره (بيته) التي تمت عملية

الصيد هذه لحسابها الخاص كتقدمة منها للآلهة تعد

أصدق مثلاً على مكانة المرأة الرفيعة في عهود مكارية

سبأ الضاربة في القدم.

وفي نقش يعود إلى القرن الثالث للميلاد عهد نشأ كرب يامن يهرحب ملك سبأ وذو ريدان بن

أيل شرح يحضب/ ١ ويازل بين.

وهذا النقش [٢٤/أ] صاحبه رب عثت/ يغنم/ من بني/ صعقان/ وتزاد/ ونهمان/ يتقرب

للإله (المقة) ثهوان بعل أوام، بضم برونز مذهب وفاء بنذره وحمداً لما من عليه من تحقيق أمله في زفافه

على محبته:

* تحي ال/ بت/ بني/ جرقم/ وصعقم

عدي/ يتهو/ تزداد. ويطلب لنفسه أن يرزقه بأولاد ذكور صالحين من:

* اتتهو/ تحي ال/ ذات/ تزداد ، أي من أنثاه تحي ايل ذات (صاحبه) تزداد، وقد فهم الأستاذ

مطهر الأرياني أنها قد أصبحت بهذا مثل زوجها تزاديه بما معناه أن المرأة قديماً كانت تكتسب اسم

عائلة زوجها. وهذا الكلام صحيح إلى حد ما، غير أننا من النقش السابق نرى أن:

جحمة/ ذات/ بيت/ يشع أمر (٤٣/أ)

تحى أيل/ ذات/ تزداد (٢٤/أ)

وتزداد = بيت (قصر) / بيت سلحن مثلاً.

فقد نص في أول النقش:

(عدي/ يتهو/ تزداد)

يعني أن: (جحمه) في النقش العائد إلى منتصف القرن السابع (قبل الميلاد).

و(تحي ايل) في النقش العائد إلى القرن الثالث للميلاد هما سيدتا قصر جحمه سيده (ينع أمر) .

وتحي ايل سيده(القصر تزد).

ولعل أصدق تفسير يؤيد ما ذهبنا إليه من أن المرأة كانت لا تلحق باسم عائلة زوجها وإنما تكرم في بيت زوجها بتمليكها شيء يرضيها و يطيب خاطرها. وإذا كان هذا الشيء ذا قيمة نفيسة نحو بيت أو حقل أو ضيعة... إلخ. فإن الناس يدعونها: فلانة (حققت) بيت / ضيعة كذا أي فلانة ذات(صاحبه)...

أما إذا كانت الملكية هذه صغيرة نحو(شجرة قات أو شجرة بن... إلخ) وهو الشائع حتى اليوم في(سرو حمير/يافع) فإن الشجرة هذه تضاف إلى اسمها فيقال: قاة مريم أو بُنة أروى... إلخ.

وهذه الملكية تمنح لها عادةً من رب بيت زوجها قبل دخولها إلى بيت زوجها أثناء زفها إليه ، أي في (يوم الزفاف) فإن المرحبات بها عند عتبة بيت زوجها يرددن أهازيج الدان ترحيباً بمقدمها، ومما يرددن حثها على عدم الدخول إلاّ (بحُتامة):

* (ألا تحتمي قولي / ألا ما عاد لش قولي)

فتتوقف وتمتنع من الدخول(أي تحتم/ ترفض) فيخرج سيد البيت أو سيدة البيت(عمتها/ أم الحريو) فيرحب أو ترحب بما هكذا:

مرحبا بش من حيث

جيش إلى حيث دخلش

ولش الأرضة الفلانية

أو القاة العلانية

والنص يمكن قراءته:

مرحبا بك من حيث جنتي

إلى حيث دخلتي

ولك العروسة(الشجرة وتسمى الشجرة بموقعها)

والقاة (=====)

وقد تزيد في(تحتمها) فيزداد العطاء (وهذا نادراً) فتؤول ملكية ذلك الشيء لها.

ومما لا شك أن ملوك اليمن القديمة وأقيالها وأذوائها كانوا يعطون (الحُتامة) ل(الحريوة). بمنحها

عطية تليق بها وعلى رأس هذه العطايا القصور التي كانت رمز عزهم وبيوت حكمهم فيصير اسمها كما لاحظنا في النقشين: جحمة/ ذات/ بيت يشع أمر وتحي ايل / ذات/ تزداد.

وهي قصور بلا شك... وإلى القصور كان ينسب الملوك والأقيال والأذواء: نحو: (ذو ريدان، ذو غيمان، ذو يحضر، ذو ماويت ... إلخ). أو إلى وديان نحو: (ذو يهر، ذو ناخب ... إلخ).

لا غرو بعد هذه الشواهد الأثرية والنقلية أن المرأة في اليمن القديمة كانت حائزة على مكانة رفيعة تستحق من أجل الإقتران بها أن ينذر رجلها للآلهة النذور وأن يجعلها بعد المن عليه بالزواج منها سيدة بيته (ذات بيت)، وقد ذاع في العالم القديم دور المرأة اليمنية هذا الأمر الذي تشهد عليه النقوش الآشورية العائدة إلى عهد:

* تغلا تيلصر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق.م) حيث تظهر اسم ملكتين عربيتين هما: (سء/ءم/سي) شمس ملكه (ء/ري/بي). (زا/بي/بري) الزباء.

كما تشير نقوش العاهل الرافدي (آسر حدون) إلى ملكة سبأية دون أن يشار إليها بالاسم، وأخرى ذكرتها نصوص (سنحريب)، ومن أسماء ملكات سبأ التي أنشأت علاقات مع حكومات الرافدين، الملكة (يشعي)، والأميرة (تبوءة) أيام حكم الملك الرافدي (آسر حدون). ولسنا في حاجة إلى ذكر قصة الملكة بلقيس (ملكة سبأ) مع نبي الله سليمان (عليه السلام) / ٩٥٠-٩٥٥ ق.م. المذكورة في الكتب المقدسة (العهد القديم) و(القرآن الكريم). فهذا هو الوجه المشرق لمقام المرأة عند قدماء اليمنيين، فهل دون لنا التاريخ حوادثاً كان للمرأة فيها لونا آخر غير ما عرضنا له.

تنقل لنا كتابات الأخباريين العرب حادثة ترجع إلى عهد قريب من عهد نبي الله إبراهيم (عليه السلام) إن لم تكن بالفعل متزامنة مع عهد الخليل نفسه:

• عمرو ذو الأذعار:

هو أحد ملوك السلالة السبئية التقليدية (العتيقة)، وهو عند (وهب بن منبه) عمرو (ذو الأذعار) بن أبرهه (ذي المنار) بن الصعب (ذي القرنين) بن الحارث (الرائش-ذي مرثد) بن عمرو (الهمال/ذي منلح) بن عاد (ذي شدد) بن عامر بن الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير.

قال أبو محمد:

لما ولي عمرو (ذي الأذعار) الملك قهر الناس وذعرهم
بالجور فلا يرفق لقريب ولا بعيد وأسرف على العرب
بالسلطان وشرّد الناس ووسم من سخط عليه بالنار من أبناء
الملوك، وبدل على الناس السيرة التي كانوا عليها يعرفون،
فدعر الناس من خوفه ذعراً شديداً، وبه سُمّي عمرو بن الأذعار.
وأنه كان يزيي بنات الملوك من حمير فيؤتيهنّ أبكاراً وغير أبكار،
فكنّ يشربن معه الخمر وكان ينادمهن على الخمر ويصيب منهنّ حاجته.
وفيه ينقل لنا (وهب) قصيدة نسبها لعمرو بن الهدهاد (شقيق الملكة بلقيس) وهي أول هجو كان
للعرب منها:

كم من فتاة طفلة غادة	تذكر من يوميه ما أحرمها
وكم كريم ماجد سيد	من حمير الأنجاد قد أوسما

• ثورة شرحبيل:

حسب رواية وهب أنّ أحد كبار حمير وهو شرحبيل بن عمرو بن غالب بن السياب (المتاب/عند
الهمداني) بن عمرو بن زيد بن سكسك بن وائل بن حمير. وكان نازلاً بمأرب في قصره بينون (بعض
أعمال ذمار. أما قصر مأرب فهو سلحين)... فجمع شرحبيل حمير وقبائل بني قحطان ممن كان بمأرب
ثم قام فيهم خطيباً فقال:

يا بني قحطان: النساء هنّ الحمى فدون الحمى سفك الدماء. هل جزعتم أن يسمكم بالنار: فالنار
ولا العار (مثل شائع)

والخطبة طويلة، وقد قامت بعدها حرب طويلة بين عمرو ذي الأذعار (في صنعاء/غمدان)
وشرحبيل (في مأرب/سلحين) انتهت بوفاة شرحبيل واستمرار (ذي الأذعار) على سيرته رغم
المصارحات مع (الهدهاد) الهدهاد بن شرحبيل الذي تزوج من جنية في غمرة حروبه مع (ذي الأذعار)
انجذب منها:

* بلقيس (ملكة سبأ) وعمرو:

ولهما قصة عجيبة يرويها (وهب). بما فيها من تشرد وملاحقة من قبل (ذي الأذعار) بعد وفاة

أبيهما (الهدهاد).... ولكن نهاية عمرو ذي الأذعار تحدث (بعد عُمر مديد) على يد أجمل نساء العالم القديم الملكة بلقيس (صاحبة سليمان [عليه السلام]).

أما الشاهد الثاني فيرشدنا أيضاً إلى ولع بعض الملوك القدماء في جزيرة العرب إلى قهر رعاياهم ومواطنيهم في أعز الأمور وأكثرها إثارة للغيرة والحمية وهي المرأة ! وهذا الشاهد نسوقه لكم من القرن الخامس للميلاد في (المرحلة الثانية من عصر التبابعة) ويعود إلى عهد أشهر ملوك التبابعة المعروف بـ (أسعد الكامل) وهو في نقوش المساند: أبي كرب أسعد ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وبمنه وأعرأهم (طوداً وقمامة).

والقصة كما ترويها كتب التراث ترجع إلى الجزء الأخير من اللقب الملكي هذا أي إلى (الأعراب طوداً وقمامة)، حيث سجلت هلاك بطنين عريين من (العرب العاربة) هما:

• * طسم وجديس :

ينقل لنا الأخباريون وبالدات (نشوان الحميري) هلاك هاتين القبيلتين بسبب: (عفيرة بنت غفار الجديسية) التي بدلاً من زفها لزوجها من (طسم) عرج بها عنوة على (عمليق) ملك (طسم) فأفتضها على جري عادته في النيل من بنات قومه (طسم) فكانت هذه الوقعة الشرارة التي أضرمت النار في هذين البطينين وأتت عليهما عن آخرهم... فهاهي (عفيرة) قد أدخلت على (عمليق) تصحبها القيان يضربن بالدفوف ويغنين ويقلن:

أبدي بعليق المليك فاركي

وبادري الصبح بأمر معجب

فسوف تلقين الذي لم تطلب

فما ليكر دونه من مهرب

وخرجت (عفيرة) لا إلى بيت الزوجية بل إلى أهلها حيث أخذت تعيرهم بالأشعار... فكانت (جديس) لـ (طسم) وملكها فأفتتها بالسيف بعد مأدبة عملتها لـ (طسم) وملكها (عمليق) في صحراء (اليمامة)، فلما انتشغل الضيوف بالطعام، نضت (جديس) سيوفها من حواف الرمال وإذا أخذت السيوف تحصد رؤوس (طسم) و (الأسود/ سيد جديس وشقيق عفيرة) يترنم بالأشعار:

يا صيحة يا صيحة العروس

حين تمشت بدم جيس

يا طسم ما لقيت من جديس

هلكت يا طسم فبتس البس

هذا ولم يسلم من (طسم) إلا من بلغ (تبع حمير) بالواقعة فغزاهم ولم ينفعهم تحذير (زرقاء اليمامة) بقوطا الشهير: جاءكم الشجر أو أتتكم حمير...

هذه الواقعة أكدتها الحفريات الأثرية التي جرت في (اليمامة) حيث عثر في (ماسل الجمع) على نقش بالحرف المستند يُعرف بـ: (ريكمانس/٤٠٩) الذي سجل زيارة (أبي كرب أسعد) وابنه (حسان يهامن) لذلك الموضع في الأطراف الجنوبية لنجد في ركب من أعراب كندة.

وفي هذا الكشف (الأركيولوجي) اسناد كبير أتى ليعزز من مصداقية الشاهد النقلي الذي كان ينظر إليه قبل هذا الكشف بعين الريية ويحسبه البعض في عداد (شطحات) الأخباريين اليمانيين المهولة لأبحاد الماضي البعيد. غير أن ما يهمنا في هذا المقام هو تقديم هذا الشاهد العدل كبرهان أردنا به أن ثبت ولع (فراعنة اليمن-إن جاز التعبير) المدمر في (استحياتهم) للنساء الفواتن على وجه التحديد بغرض التمتع بهن ولو كلفهم هذا الأمر شن الغزوات إرضاءً لرغباتهم المتقدمة شبقاً في المرأة التي جعلوا منها سيدة لقصورهم المتخمة بالنعيم.

هذه العملية ما كان لها أن تحصل إلا بحير ممارسة العنف ضد الرجال الذين يحاولون الذود عن نسائهم وذرائعهم، وفي ظل من عدم التكافؤ بين القوة الغازية الطامعة في الاستحواذ على (الجنس اللطيف) والقوة المدافعة المتفانية على الرغم من قلة رجالها وبرار عتادها، فإن المعركة محسومة النتيجة سلفاً ومفادها:

استحياء خرائد النساء وكواعبهن.

قتل أشداء الرجال وأنجدهم في الدفاع عن الحرم...

وفي الأسطر اللاحقة نعرض لجانب مما حدث لني الله وخليله إبراهيم (عليه السلام) في (مصر اليمن):

تلكم هي البيئة التي خشى نبي الله توغله بأهله فيها بظروفها وأحوالها التي عرضنا لها حتى عهد جد السبئيين الأعلى عبد شمس (سبأ) ومضاعفاتها وتداعياتها عبر العصور اللاحقة وآثارها الحية فللواقف على أطراف تخومها يكون بين نارين أشدها الانتحار الجماعي بموته وسلالته جوعاً واعتقاداً (وهي في الأصل عادة أهلها) إذا أثر المكوث خارج حدودها... والداخل إليها يخاف أن يترصده الموت قتلاً على أيدي البعض فيها (وهم بلا شك قليلون) ممن يرغبون في حسان النساء ولو اضطهرهم الأمر للفتك بأزواجهن.

فما الذي أدركه نبي الله فيها ؟

(يجيب أقدم أسفار التوراة):

(فحدث لما دخل إبراهيم أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً.
ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة إلى
بيت فرعون، فصنع إلى إبراهيم خيراً بسببها. وصار له غنم ويقر
وحمير وعبيد وإماء وأتْن وجمال. فضرب الرب فرعون وبيته
ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة إبراهيم. فدعا فرعون إبراهيم وقال
ما هذا الذي صنعت بي. لماذا لم تخبرني أنها امرأتك، لماذا قلت لي
هي أختي حتى أخذتها لتكون زوجتي. والآن هوذا امرأتك، خذها
واذهب. فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامراته وكل ما كان له).

[سفر التكوين ١٢/١٤-١٩]

مرة ثانية لن نحض في الأبعاد الأخلاقية والأدبية لهذه النصوص ولا ما ذهب إليه بعض الباحثين
التوراتيين في تناولهم لهذه النصوص إلى حد بلغ بهم إلى التحديف على تحليل الله، ولنكتفي ببعض مما
أورده شيخ المفسرين (الحافظ بن كثير):

(رأيت في بعض الآثار أن الله عز وجل كشف الحجاب
فيما بين إبراهيم (عليه السلام) وبينها... وكان مشاهداً
لها وهي عند الملك، وكيف عصمها الله منه، ليكون ذلك
أطيب لقلبه وأقر لعينه وأشد لطمانينته، فإنه كان يحبها حباً
شديداً، لدينها وقرباتها منه وحسنها الباهر، فإنه قد قيل أنه لم
تكن امرأة بعد حواء إلى زمانها رضي الله عنها.

والتوراة لا تفصح عن اسم هذا الفرعون الذي أجزل بالعطاء لإبراهيم (عليه السلام) من أغنام
وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتْن وجمال، وكما أشرنا للملاحظة الأستاذ (سيد عبد الكريم) أن مصر
الفرعونية (مصر النيل) لم تعرف الجمال (الإبل) إلا في القرن الثالث (ق.م).

أما عند الأخباريين فإن هناك روايات مختلفة عن هذا الفرعون، وقد وجدنا (ابن كثير) يتحاشى
نعتة بالفرعون ففي تناوله لحديث الثلاث كذبات:

اثنتان منهن في ذات الله، وقوله: «إني سقيم». الصفات الآية/ ٨٩

وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ الأنبياء الآية/٦٣

وقال: بين هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على (جبار من الجبابرة).... [الحديث أخرجه البخاري في صحيحه].

وفي رواية (الحافظ ابوبكر البزار):

(.... وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة).

ومن النعوت التي أحيط بها هذا الجبار في كتب الحديث أنه: ملك وفاجر وكافر !.

أما اسم هذا الجبار ففيه تخطيطات ذكر منها (ابن كثير):

ذكر بعض أهل التواريخ أن فرعون مصر هذا

كان أخاً (للضحاك) الملك المشهور بالظلم، وكان

عاملاً لأخيه على مصر. ويقال كان اسمه

(سنان ابن علوان ابن [عويج] بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح).

وذكر (ابن هشام) في التيجان: أن الذي أرادها عمرو بن امرئ القيس

بن مايلون بن سبأ. وكان على مصر نقله السهيلي... والله أعلم.

وعلى كل حال فيمكننا أن نستخلص من هذا الآتي:

أشرنا فيما سبق أن معاصر خليل الله في اليمن هو: السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ (ومايلون

بن سبأ) في النص أعلاه يشير إلى وائل جمعه (وائلون/مايلون).

سنان بن علوان: اسم عربي لا يحتاج إلى دليل وهو ابن عويج بن عملاق، وعويج يشير إلى لقبين

لكل من:

* عبد شمس سبأ الأكبر. فقد ذكر الهمداني في الإكليل / ١ من ألقابه، وقال آخرون: كان يسمى

بالأعقف. (لاحظ الأعقف = تصغيره عقيف = عويج)

* حمير بن عبد شمس سبأ الأكبر، وفيه قال وهب بن منبه: وكان يقال لحمير العرنجج،

والعرنجج: العتيق.... (لاحظ عرج تصغيره = عريج = عويج = عقيف).

ومن هذا نستنبط أن مثل هذه الألقاب التي تدل على القوة والحركة والقِدَم كانت سارية في

سلالة سبأ التقليدية وهي المعاصرة لني الله إبراهيم الخليل (عليه السلام).

عمرو بن امرئ القيس بن بابلون (مايلون/ابن كثير) بن سبأ هو ابن عم السكسك بن وائل بن

حمير بن سبأ. وينقل لنا وهب أنه قد أقره السكسك ابن وائل على (أرض مصر) حيث حكمها جده

بابلليون (مايلون) بن عبد شمس سبأ. وأن سبأ ولي على مصر ابنه بابلليون وإليه تُنسب مصر للملكه عليها، ثم انصرف سبأ عبد شمس يريد (مكة) فسار بالعساكر على (الشام). هذه الحثيات تعزز ما ذهبنا إليه من أن (مصر التوراتية) هي إقليم في اليمن. ففرعون إبراهيم هذا هو واحد من اثنين:

السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ

أو عمرو بن امرئ القيس بن بابلليون/مايلون بن سبأ.

وفي الفقرة أعلاه المقصود بـ(الشام) شام اليمن ولعله من المناسب هنا أن نذكر أن الشام كان أحد (ألوية/محافظات) حكومة ١٩٤٨م الدستورية كما نص على هذا في القائمة الرابعة (كبار الموظفين غير الشوريين) /ملحق الميثاق المقدس... ولواء الشام هذا هو اليوم محافظة صنعاء. ولمن يريد التعمق في هذا الموضوع نحيله إلى موضوع الشام في كتابنا هذا (العكوة الشامية/ العكوة اليمانية في حازان ويمنت وشامت في نقوش المساند).

لقد قيض الله من هذه الحادثة المتعلقة في ثلاثة الأثافي (الكذبة الثالثة) لخليله إبراهيم في أرض التيمن (مصر الأقصى/ مصر اليمن) عوناً ومدداً يساعده في نشر دعوته الحنيفية في جزيرة العرب. وعلى أقل تقدير أن حفيد (العربنج) وهو هنا السكسك بن وائل بن حمير قد تعاطف مع الدعوة الإبراهيمية إن لم نقل أنه قد اعتنق الحنيفية بالفعل، فسواء كان هو (الفرعون) الذي أراد (ساراي) أم ابن عمه عمرو بن امرئ القيس ابن بابلليون/مايلون الوالي على (مصر التوراتية)، فإن هذه الواقعة كان لها مسن الأثر في نفوس أولئك اليمانية ما لا نستطيع التكهن به هنا غير أن توغل نبي الله جنوباً بعد هذه الحادثة تحت رعاية خاصة من (فرعون مصر) ليدلنا على عمق التغيرات الحاصلة فيما بعد في جزيرة العرب ككل. ولعلنا لا نبالغ إذا أرجعنا أهم غزوة غزاها السكسك بن وائل شمالاً كان لها علاقة مباشرة في تواجد نبي الله إبراهيم ورهطه في جنوب الجزيرة.

• السكسك يغزو النمرود:

في باب القبوريات كتب لسان اليمن (الهمداني) أما السكسك بن وائل بن حمير، فغزا النمرود بن ماش فلما بلغ (خنو قراقر) من أرض العراق اعتل ومات فحملوه ورجعوا قافلين إلى اليمن. و(النمرود) هذا هو نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن نمرود (باني المجدل) بن كوش بن حام بن نوح: ويقال كوش بن حام.

وقد كانت وفاة السكسك على حدود بلاد النمرود مدعاة للأخبر كي (حسب رواية وهب بن

منبه) : يزداد جرأة واستكباراً في الأرض فطغى على بابل، ونمرود بن ماش أول أعجمي متوج.
فإذا لم يمانني الصواب فهذه الغزوة الأخيرة في حياة السكسك تكون قد أعدت بشكل متعجل
لتأديب خصم إبراهيم الأول وعدوه اللدود (النمرود)، وهي في الأساس تشكل حلقة في استراتيجية
ملوك سبأ في الدود عن الأقاليم الشمالية لجزيرة العرب، وهو الأمر الذي يتجلى في الغزوات اللاحقة
التي شنتها الملوك السبائيون من آل الصوار بن عبد شمس على الأراضي الرافدية.

• أرشيم ملك سبأ:

تخبرنا الآثار النقشية الرافدية العائدة إلى منتصف الألف الثاني (ق.م) عن ملكين سبئيين هما
حسب نصوص (أشور بانيبال):

أرشيم ملك سبأ.

تو-شمر.

ويرى الأستاذ (الفرح) أنهما على التوالي:

الحارث الرائبش عند الأخباريين.

شمر ذو الجناح.

وهذا الأخير استقر في آشور كحاكم للأقاليم الخارجية. هذا الكشف يتناغم مع ما ذهب إليه
أصحاب كتاب (الأمم السامية) عن غزو الأراميين لتلك الأقاليم:

ومع أنه ليس لدينا ما يعيننا على معرفة الأسباب

التي جعلتهم يغيرون على بابل وأشور ويحتلون

بلاد الرافدين. فمن المرجح أن ذلك يرجع إلى قيام

دولة كبرى في جنوب الجزيرة العربية، وقد تدفقوا

من آشور إلى سوريا، وظلوا في طريقهم يغزون ويفتحون...

ولم يبق في طريقهم إلا جبال أرمينية شمالاً والبحر المتوسط غرباً.

[الأمم السامية ص ١٠٥]

فإذا ربطنا هذا مع ما تقرره الدراسات التاريخية عن سقوط دولة (الحثيين) عام ١٤٣٥ ق.م. وأن
قوة عظمى سيطرت على بلاد الرافدين والشام والأناضول... إلخ. ونشرت عبادة الشمس (إله شمس)،
يتضح أن ما تم كان تحريراً لبلاد الشام والرافدين.

والحارث الرائبش هذا يعرف نسبه عند الأخباريين على هذا النحو (حسب رواية وهب بن منبه):

الحارث الرائش (ذي مرثد) بن عمرو (الهمال/ذي مناح) بن عاد (ذي شدد) بن العامر بن الملطاط بن سكسك بن وائل.

وهذا نرى أنما قصر عن تحقيقه السكسك بن وائل (معاصر إبراهيم) في القرن الثامن عشر (ق.م) عند غالب الباحثين... من غزو بلاد (النمرود بن ماش) تمكن من إيجازه أحد الأحفاد المعروف بالرائش:

وإنما سمي بالرائش لأنه راى الناس بالغنائم، وقد يقال
ذو رياش وهو عند الهمداني وفقاً لرواية شيخه (أبي نصر اليهري):
الحارث (الرائش) بن إلي شدد بن الملطاط بن عمرو (ذي أيبين)
بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث
بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن الهميسع بن حمير.
والاختلاف بين قائمة (وهب) وقائمة (أبي نصر) شيخ الهمداني، يأتي بدرجة رئيسية في آخر كل
منهما:

لقد اكتفى وهب بنسب السكسك بن وائل إلى أرفع أجداده وهو هنا حمير بن سبأ.
عبد شمس ٢ في قائمة (أبي نصر) هو السكسك نفسه غير أن ستة من أجداده تفصله عن جده
حمير.

أما الأسماء بين الحارث الرائش والسكسك (عبد شمس ٢) فإن الاختلاف بينهما طفيف وهو في
ترتيب الأسماء التي وردت بتشابه شديد.
ومسيرة لموقف لسان اليمن (الهمداني) فإننا نفضل قائمة النسب التي أوردها عن شيخه (أبي نصر
اليهري).

وبعد فإن هذه الواقعة تنوح بما ترويه التوراة:

فأوصى فرعون رجالاً (فشيعة) وامراته وكل ما كان له .

[تكوين ٢٠/١٢]

إن في هذا النص نكهة يمانية لا بد في الفعل (شيع) (التقويس أعلاه لنا للفت النظر، وهنا) وهذا
الفعل واشتقاقاته لا يخلو منه نقش من نقوش المساند ومن معانيه:

شوع (فعل) أدى خدمة، قائم بوجائب لـ (أحد) ١١/٢ كوربوس لوحة ٣ مجلدا.

شوع ج شوع ، شععي (اسم) تابع نصير ١/٧٥ ربرتوار/ ٢٧٥٤ نقوش معين/هرم.

شيع (فعل) أدى خدمة ٥/١٠٥
حام / ٩١٩ نقوش العقلة (نقوش حضرمية).
حول هذه المفردة نحيل القارئ إلى.
هكذا فقد شيع رجال عبد شمس (السكسك) نبي الله في
رحلاته التي توغلت في جنوب الجزيرة:
فصعد إبراهيم مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط
معه إلى الجنوب. وكان إبراهيم غنياً جداً في المواشي
والفضة والذهب. وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت ايل....
[تكوين ١٣ / ١-٢]

حول هذا النص يقول القمني:
يشير هذا إلى فجوة كبرى وسط الرواية فهي بسرعة
تقول أنه عاد من الجنوب ولا تعلمنا لماذا خرج من مصر
واتجه جنوباً في الأصل، ولأي هدف. كان نزوله جنوباً،
ولا الأحداث التي جرت له هناك، ولا المدة التي قضاها
في هذا الجنوب كما هي عادة التوراة التي عهدناها مفصلة
إلى حد الإملال.
ولنحزن نقول إن الجنوب هذا لم يكن سوى النواحي الجنوبية من مصر اليمانية (مصر
الأقصى/السحول افتراضاً).
لقد شد الرجال هذه المرة في اتجاه الجنوب الشرقي إذ قرش معه طريف ماله وتالدده وكل رهطه
من فيهم نبي الله لوط:

ولوط السائر مع إبراهيم كان له أيضاً غنم وبقر وخيام.
ولم تحتملها الأرض أن يسكنها معاً. إذ كانت أملاكهما كثيرة.
فلهم يقدر أن يسكنوا معاً، فحدثت خصامة بين رعاة مواشي
إبراهيم ورعاة مواشي لوط، وكان الكنعانيون والفرزيون حينئذ
ساكنين في الأرض. فقال إبراهيم للوط لا تكن خصامة بيني
وبينك وبين رعايتي ورعاتك. لأننا نحن أخوان. أليست كل الأرض
أمامك اعتزل عني. إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً وإن ذهبت يميناً فأنا شمالاً.
[تكوين ١٣ / ٥-٩]

الفصل الثاني

المؤتفكات بلاد لوط

ما بين

يرامس و الشجر

ويستمر (سفر التكوين) في وصف وقائع الرحلة:

فرفع لوط ورأى كل دائرة الأردن أن جميعها سقي قبل ما أخرج الرب
سدوم وعمورة كجنة الرب كأرض مصر. حينما تهيء إلى صوغر.
فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن وارتحل لوط شرقاً. فاعتزل الواحد
عن الآخر. إبرام سكن في أرض كنعان ولوط سكن في مدن الدائرة ونقل
خيامه إلى سدوم. وكان أهل سدوم أشراً وخطاه لدى الرب جداً.

[تكوين ١٣ / ١٠-١٣]

فهل لنا من سبيل إلى معرفة البقعة التي شهدت افتراق آل بيت ناحور ؟
في الواقع أنني أجد نفسي مجبراً على تأجيل الإجابة لهذا السؤال إلى موضعه المناسب... حتى لا
أهم بالانتقائية المعدة سلفاً لصالح تفصيل الواقع (وهو هنا الجغرافيا التاريخية) لكي يلائم النظرية (وهي
هنا النصور التوراتية) التي لا تخلو نفسها من تعديلات وتحويرات ناجمة (هي) عبر محاولات محققني
الأسفار التوراتية الرامية لتعديل (تفصيل) النصوص الأصلية وفقاً لإحداثيات أو بيئات جديدة لا علاقة
لها بالمقام الأول مع النصوص العتيقة. لهذه الأسباب أفضل طرح المعطيات التالية:

• قراءة صليبية للنص:

هذا النص أعاد قراءته الدكتور (كمال الصليبي) في كتابه المعروف: (التوراة جاءت من جزيرة
العرب) على هذا النحو:

فرفع لوط عينيه ورأى أن كل (ككر ه - يردن) سقي باتجاه شحت
(ل - فني - شحت) وهي بجانب سدوم وعموره (يهوه - سدوم - و - عت - عمره) إنها كجنتك -
جن - هوه) كأرض مصر بم باتجاه صعر. ولهذا اختار لوط لنفسه (كل ككره - يردن) وارتحل من
قدم... وسكن لوط في كهوف الككر ونصب خيامه حتى سدوم [تكوين ١٣ / ١٠-١١].^١
وكان الصليبي قد توصل إلى قراءة العبارة كل (ككر ه - يردن) خلافاً للقراءة التقليدية (كل دائرة
الأردن) بل (كل محيط جبل ريدان) على اعتبار أن:

ككر = محيط.

ه - يردن = جبل ريدان [ص ١٤٣]

ولنترك هنا قضية معالجة النصوص، ونعود إلى المعطيات.

• في إشارة واضحة إلى المؤتفكات (بلاد لوط)

ينقل لنا صاحب (تاريخ المستبصر) ابن الجاور:

حدثني أحمد بن علي بن عبد الله الحماصي الواسطي قال: ما بين الشحر وأحور سبع قريات سود أي سبع قرى مسودة الأرض قلب الله عز وجل بها وهي من قرى قوم عاد.^٢ ويعهد لهذا القول في حديثه عن المنطقة الساحلية الواقعة بين الشحر في حضرموت وظفار غرب سلطنة عُمان بقوله:

وتعبر جبل فرتك أول مبتدأ غب القمر وهو مندح المراكب المقبلة من الهند. وإلى الحصويين ستة فراسخ. وهذا الأراضي سبع قرى مقلوبة وتسمى عند الفرس (هو سكان) أي منكورين.^٣ أما (هو سكان) التي بيّناها (بالتقويس)، فقد ظن ابن الجاور أنها تسمية (فارسية) بمعنى (منكورين) ... وهو في الواقع الحال قد نقل لنا التسمية العتيقة لساحل ظفار، كما ورد في نقوش المساند اليمنية العائدة إلى عهد ملك حضرموت (العذيلط) فهي: (أرض / ساكلن).^٤

أي أرض الساكل (النون اللاحقة التعريف لعربية الجنوبية).

وحيث أن: ه-سكن (بدون تصويت)، نقرأها بالعربية (السكن) أو الساكن (على اعتبار الهاء هي سابقة التعريف العبرية) وحيث أن النون واللام يتبادلان فإن:

هوسكان (ابن الجاور) = الساكن = الساكل.

وعليه ينبغي علينا البحث عن بلاد لوط في الإقليم الممتد من شرق عدن (أبين) حتى ظفار (سفار توراتياً) في غرب سلطنة عُمان.

• ينبغي لنا الإشارة هنا بجهد الباحث المجدد (د/ سيد القمني) في محاولاته

الكشف عن بلاد لوط في الإقليم الذي أشرنا إليه، والواقع على امتداد

الساحل شرق عدن حتى أقصى حضرموت، فقد وجد (القمني) في:

■ ثمود: وهي منطقة في أقصى الحدود الشمالية الشرقية للجمهورية اليمنية نكهة أو أثراً من ثمود البائدة وباستخدام قوانين القلب والإبدال فإن:

ثمود سمود (إبدال) سدوم (بالقلب).^٥

وقد أخذ القمني بقول الإخباريين العرب من أن أكبر معبودات عاد وثمود يعرف:

■ صمود: وفيه قول أبو سعيد المؤمن حسب رواية عبيد بن شريه الجرهني:

لنا صنم يقال له صمود يقابله صداء والبغاء^٦

ولهذا فهو عند القمني يشير إلى (سدوم) أيضا.

وتستقر في متحف المكلا كسر نقش قيل أنها من ثمود عليها كلمة:

(ص ل ح = صالح ؟)^٧

تري هل هذا النقش يشير إلى نبي الله صالح (عليه السلام) الذي أرسله الله إلى (ثمود) حسب القصص القرآني.

■ عموره: يستهدي (القمني) من خاصية الترافق بين سدوم وعموره في القصص التوراتي والتلازم أو الثنائية الحاصلة في السرد القرآني لعاد وثمود، والنهاية المدمرة لهما إلى طرح مفاده: (أن عاد تشير إلى عموره).

ويسند هذا الطرح بما ذكره الأخباريون العرب حول الطبيعة البركانية للمنطقة، فالمسعودي في مروج الذهب ينقل لنا:

أطمة وادي برهوت ، وهي نحو بلاد سبأ وحضرموت من بلاد الشحر، وذلك بين اليمن وبلاد عمان، وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة، تقذف من قعرها بجمر كالجبال، وقطع من الصخور السود حتى يرتفع ذلك في الهواء ويدرك حسا من أميال كثيرة. ثم ينعكس سبلا في هوي إلى قعرها وحولها، والجمر الذي يظهر منها حجارة قد احمرت وقد أحالها من سواد، حرارة النار.^٨ هكذا وعلى العموم هو طرح (د/سيد القمني) الذي فضلنا عرضه هنا حتى لا نغمره حقه في أقدمية الطرح.

• بلاد لوط:

مضت على الرحلة التي قام بها الأستاذ صلاح البكري إلى موطنه سرو حمير/يافع أكثر من أربعة عقود، وأسفرت عن تأليفه كتاب بعنوان: (في شرق اليمن يافع). وطبعته رديئة في العام ١٣٧٤ للهجرة. في هذا الكتاب نقل لنا وثيقة (جمدت التاريخ) حسب تعبير الباحث التوراتي (د/زياد مئي)... وهاكم الوثيقة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قيم الإمامة العلوية مما امتد به واستقر من ميراث النبوة في مصالخ الإسلام

وصلاح الأعمال واتباع الشريعة الشريف، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه علامات ما تقدم فيما استقرت الإمامة العلوية في البلدة المعلومة:

• بلاد لوط:

الواردة إليها نواحي يافع الجبل، وهي المتوسطة ما بين حدة بحر الملح ويافع الجبل (ساحل أبين) بعد مرور تلك الدولة الإمام المستعلي الحسين بن الحسن بن الإمام القاسم على يد:

• صلاح بن أحمد مسمار:

وجماهير الأنساب بكسر اليمين دهرًا طويلاً، قام انتهاء الارتحال وتولى عن البلدة المعلومة.

• السلطان صلاح الفضلي:

وخلايقه (خلفاؤه) وولاه الإمام المستعلي ما بيده في مبايعة بكسر اليمين المعمور ولاه وقلعه ما بيده في مرور بلدته وصح مستناب في بلدته المشتملة بمحدودها الأربعة بعد خروج الخلايف الطائفة من: القيعاف والمقاييع.

• مقاييع حلمه:

القيحاف إلى أم فيحية إلى غربي حلمه إلى الروند والأممية وإلى النبوة وإلى حبيل برق وإلى الرمالسة و أم خشاعية إلى جعار وإلى الحبيل وإلى قلعة خنفر.

وصح ما سمي من حد وبلد وأوطان وهاملات الأطيان إلى عرض حد اليافعي بنظر اعترف الحدود وانصراف من وصل بالمرور القادم بالتأسيس المتقدمة بالأرض المعلومة إلا أنها وجدت الدولة الإمامية تلك البلدة مطموعة وسلطتهم مطموعة وما صارت لهم تحت القبض القادم إلى بعد إظهار مناد الإمامة العلوية في صحيح الرقم الواقع بيد السلطان صلاح الفضلي وخلايقه بانقياد إلى الإمام المستعلي وتقديم الرقيم في وقت طلب الخليفة الطائفة، وتكفل الإمام المفترض بما يلزم البلاد من الخلايف والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين.

صح في عام وفاء الميه من بعد الألف (١١٠٠) للهجرة في صحيح الإمامة وجماهير الأنساب بكسر اليمين. وكتب ذلك الصحيح:

صلاح بن أحمد مسمار الإمام
عبد العلي بن أحمد الأهدل.

المرجع/ في شرق اليمن يافع.

للأستاذ/ صلاح البكري (١٣٧٤هـ) ص/ ٩١

• ملاحظات على النص:

١) البلدة المعلومة بلاد لوط: هي البلدة المعروفة فيما قبل النظام الجمهوري بسلطنة الفضلي
أنظر الملاحظة (٣)

٢) هذه الوثيقة التاريخية ترجع إلى عهد إمام لم يتسلم الحكم في عموم اليمن وهو:
الإمام المستعلي (حسب الوثيقة) الحسين بن الحسن بن الإمام القاسم. وقد ذكر النواسعي أنه الراحل
بإله الحسين بن الحسن بن الإمام القاسم.

كانت دعوته من رداً، وهو ممن عارض الإمام المعروف بالمهدي محمد بن أحمد بن الحسن
صاحب المواهب/ ودعوته بالمنصورة من اليمن الأسفل سنة ١٥٩٦ للهجرة (١٠٩٧هـ) ... وقد
أدت معارضة هذه إلى سجن صاحب المواهب له في صنعاء لمدة عشر سنوات، ثم أطلقه ومات بصنعاء
في شهر جماد الأولى ١٢٢١ للهجرة (١٢٠٢١هـ).^٩ وكما تظهر الوثيقة أن نفوذه امتد ليطلق يافع
وبلاد الفضلي، وهو أي الإمام الحسين بن الحسن بن الإمام القاسم الذي أنشأ (مسجد النور) سنة
١٠٨١ للهجرة. وكان مركز إدارته في بلدة مسجد النور/ يافع.^{١٠} وقد بدأت إمارته على يافع من
(١٠٧٥هـ) كما تظهر وثائق نقلها البكري في نفس الكتاب.

أما نص الوثيقة فيعود (١١٥٥/١١٠٠ للهجرة).

□ الإمام عبد العلي بن أحمد الأهدل الحسين (الحسيني) هو الحاكم بأمر الله... وقد تولى الحكم
فيها منذ فترة قبل ١٠٧٥ للهجرة.

□ صلاح أحمد بن مسمار: شغل منصب عامل الإمامة في يافع لفترة طويلة قبل ١٠٧٥ للهجرة
حتى بعد ١١٠٠ للهجرة. وقد كانت له منشآت في يافع منها إصلاح الطرق وتمهيد العقاب حتى
جعلها صالحة لسير الدواب والمنشأة. وأهم هذه العقاب:

• نقيل بني بكر.

• ذروب.

• غوزلي.

• يشرعه (صدر).^{١١}

• السلطان صلاح الفضلي:

هو السلطان الذي تولى بموجب هذه الوثيقة (الرقيم) الولاية في بلدته المعروفة ببلاد لوط (أي
سلطنة الفضلي) وهي أبين: وكانت تسمى (سلطنة الفضلي) نسبة إلى سلاطين أهل فضل الذين

حكموا قبل وأثناء الاحتلال البريطاني، ثلاثة آلاف ميل مربع تحدها:

من الشمال: يافع السفلى والعوذلي.

من الجنوب: بحر العرب وخليج عدن.

من الشرق: العوالق السفلى.

من الغرب: لحج وعدن.

ولها سهل ساحلي يمتد أربعة إلى ستة أميال عرضا تقع إلى الشمال منه هضبة ترتفع ثلاثه آلاف قدم عن سطح البحر.

ويعرف القسم الساحلي (بأبين) ويسقيه وادي (بنا) ووادي (حسان) اللذان يسدان في يافع فيسقيان منطقة الوادي الكائنة عند السفوح فوق السهول الساحلية الرملية. أما الجبال فقاحلة بركانية عمرها. ١٢

• **اختلايف الطائفات:** تشير هذه الفقرة إلى القبائل البدوية المتنقلة (الطائفية/المتجولة)

ومنها:

✱ **القيحاف:** الإشارة هنا ربما تكون ل/جحاف: (بكسر الجيم بعدها جاء مهملة ثم ألف آخره قاف).

وهم فرع من قبيلة (أم حضن) العوذلية، ثم من بوطهيف منها وأهم مساكنهم (أم قيمة). ١٣

أم: في أم حضن/ وأ قيمة هي سلبقة التعريف الحميرية.

✱ **المقاويح:** مقاويح حلمه... هي (أي حلمه) أحد المواضع الحدودية بين يافع والفضلي. أما المقاويح الذين ينسبون إليها فهم في الأصل يرجعون إلى موضع ذكره (الهمداني) من أعمال أحور بقوله: القويح (تصغير قاع) لبني عامر من كندة. ١٤

وحيث أن أهل مناطق الكور والظاهر يستخدمون سابقة التعريف الحميرية (أم) كما اسلفنا ف/القويح هي (أم القويح) وأهلها (مقاويح) بإهمال الألف.

✱ **حليل البرق (برق):** بلا طح إليها مخارج سيل حطاط من يافع.

وجعار: العاصمة الإدارية ليافع الساحل.

وخنفر: حصن قديم ذكره (الهمداني) وإليه ينسب ذو خنفر أحد أقبال حمير في يافع الساحل أيضا يطل على جعار.

✱ **الرمالة:** هي الرملة، وطن يسكنه آل حميد بن علي من مراقبة الساحل وأهل شداد الرملة:

بطن من قبيلة أهل بليل الفضلية أهم مواطنهم مأرب. ١٥

✽ أم/خشايعه: هي أم/خاشعة، فخذ من قبيلة أهل أم بشع المرقشية، أهم مواطنهم في أم عربية (ساحلية). ١٦

✽ آل حبيل: مواطن كثرة تدعى الحبيل منها: موضع في الشمال الغربي من مودية هو حلال أهل محكل من قبيلة آل حسنة (دثينة). ومن قبيلة السعيد يترل فيه بعض منهم يعرفون بأهل أم/حصينة.

وأم حبيل موضع آخر إلى الشمال منه يترل فيه بعض من أهل مارم يعرفون بالجابري وهم فخذ من قبيلة أهل بليل الفضلية. ١٧

✽ النوبة: يمكن أن تكون النوبة: يسكنها فخذ من قبيلة جعرة من دثينة، يعرفون بأهل النوبة. ١٨

✽ (الأمية، أم فيحية، الروند) مواضع على حدود الفضلي أيضا.

وبعد هذه الوثيقة (الرقيم) الرسمية التي تجاوزت في عمرها ثلاثة قرون، تفصح أن بلاد أبين التي تتدفق إليها سيول (سرو حمير/يافع) عبر سلب وحطاط وينا. هي بلاد لوط، ومبلغ علمي أن لا أحد من قدماء اليمنيين يدعى بهذا الاسم... لقد خلدت هذه البلدة ذكرى وفادة نبي الله لوط على أهلها ودعوته لهم ليدينوا بدين الرحمانية الحنيفية.

وتعرف أبين في نقوش المسند بأنها بلاد تفض حسب ما نص على ذلك نقش النصر الكبير (ربرتوار/٣٩٤٥) الذي سجل فتوحات المكرب السبي (كرب ايل وتر) العائد إلى النصف الأول (أو آخره) للألف الأول قبل الميلاد:

وكل مدن ومناطق (أبضع) حول منطقة تفض (أبين) باتجاه دهسم (يافع)... ١٩

هكذا وردت التسمية في أقدم نقوش المساند. أما أبضع هذه: فإني أرى فيها مدينة:

أم/وضيع: عاصمة قبيلة أهل بليل أحد قبائل أبين (الفضلية). ٢٠

أم : سابقة التعريف الحميرية:

لاحظ وضع = بضع (بالإبدال بين حرفي الشفة الواو والباء).

ولعله من المفيد أن نورد هنا ما ذكر (الهمداني) عن تسمية أبين:

فأولد الصوار بن عبد شمس ذا يقدم مثل يعمر... وأولد ذو يقدم.

ذا أبين: وبه سميت أبين عدن بقول أبي نصر. ٢١

وقد أسلفنا أن السكسك بن وائل معاصر النبي إبراهيم والنبي لوط وكان التسمية أبين قد حدثت

بعد أن خسف الله لوط بقوم بسنوات قليلة.

ف/ عبد شمس ابن وائل هو الجلد الثاني (ليس إلا) لذي (أبين !).

والآن فلنحاول الإجابة على السؤال السابق وهو: ماهي البقعة التي شهدت افتراق آل بيت ناحور؟

لقد اتجه الراكب الإبراهيمي كما بينا سابقا نحو الشرق عبر بلاد ردمان القديمة و(مضحييم/البيضاء) حتى بلاد الظاهر(بلاد العواذل) وهي بلاد جبلية يصفها لنا الأديب(محمد علي لقمان) في رحلة إليها عام ١٩٤٥م :

(الظاهر: نجد طويل، مؤلف من هضاب ومنحدرات وأودية خصبة ومسالك واعرة وقرى صغيرة ومزارع غنية ومراع ومراتع للغزلان. ومن ذرى الظاهر (التي تناهز في ارتفاعها عن سطح البحر سبعة آلاف وأربع مئة قدم ٧٤٠٠ قدم) أي من رأس عقبة ثرة: أرسلت (الكلام هنا لصاحب الرحلة) نظري على ما يشرف عليه المرء من هذا العلو الشاهق، وإذا بي أرى الجبال الممتدة من الكور إلى خليج عدن. ٢٢

من هذه البقعة بالذات من جبل الظاهر في بلاد (الكور) :

.... رفع لوط عينيه ورأى أن كل (ككره-يردن) = محيط جبل ريدان سقي باتجاه شحت(ل-فني-شحت) [انظر قراءة الصليبي).

جبل ريدان: معروف في بيحان القصاب، ويطل على وادي نحر إلى الشمال الغربي من القصاب. ٢٣

شحت: شحت هذه التي بجانب (سدم وعمره) نجد لها صدى في أحد مدن دثينة وهي:

الموشح: وهي مدينة كبيرة ذكرها (الهمداني) في الصفة في مواطن دثينة... يصفها محقق الصفة الأكرع بأنها: بضم الميم والواو وتشديد الشين المعجمة، ثم جاء مهملة: بلدة أهلة بالسكان إلا أنها اليوم صغيرة ودعوتها عوذلية. ٢٤

والأصل في : موشح وشحت(وشح) والميم في موشح زائد والتاء في شحت زائد للتأنيث. وهكذا:

موشح = شحت.

سدوم: هي عند (القمني) كما أسلفنا ثمرد... ومما لا شك فيه أن العديد من أسماء الأماكن يمكن أن تشير إلى سدوم التوراتية في منطقة تمتد من بلاد الفضلي(بلدة لوط) إلى الشحر حسب تحديد (ابن

المجاور) وهانحن هنا نورد بعض أسماء الأماكن ذات العلاقة.

السوط (سوطم) : من المواقع التي ذكرت في نقش (ربرتوار / ٣٩٤٥) الذي سجل حملات مكرب سبا (كرب ايل وتر) في النصف الأول (وآخره) للألف الأول (ق.م) على هذا النحو:
ويوم هلجم كحد ذي سوطم لأفم خانوه أو غدروا به....

والمعروف أن الهضبة التي تشقها أودية كثيرة ومنها وادي عرمة تسمى السوط.
وينبغي الإشارة هنا أنه عند مخارج وادي عرمة-العطف-والمعشمار، قامت شجرة حاضرة
حضر موت القديمة.^{٢٥}

وعليه: سوطم (سطم) (بلا تصويت) = سدم (بإبدال الطاء من الدال)
سطوم = سدوم.

وفي الآتي ما يدعم طرحنا هذا:

عموره: هي المدينة الرئيسة الثانية في بلاد لوط (عمره). ونجد لها صدى في:
عرمو : من المواقع التابعة (لكحد) (كحد ذي سوطم) في النقش المعروف بنقش
النصر (ربرتوار / ٣٩٤٥) أنظر أعلاه:
(عرمو / ذت / كحد).^{٢٦} وهو عند أهل الاختصاص (علماء الآثار) وادي عرمة المذكور أعلاه
(أي أحد الأودية التي تشق هضبة سوطم).

عمره (بدون تصويت) هي عمره (بالقلب وبدون تصويت أيضا) إذن ؛

• عرموة (في نقش مكرب سبا) يمكن أن تكون عموره (التوراتيه / وبالقلب)

ومن الاحتمالات الأخرى حول عموره الآتي :

• عاد (في القصص القرآني) حسب ما ذهب إليه (القمني) أو

• عموديه (تصحيفا) : أحد القرى الإيبية (الفضليه/بلاد لوط في الوثيقة الرقيم)

هي حلال ال عوض محضار فخذ من قبيلة أهل فضل .^{٢٧}

هاتان هما سدوم وعموره فأين صعر ياترى ؟

في [الاصحاح / ١٣ من سفر التكوين] :

انها جنة [ك جن يهوه]

كأرض مصرم باتجاه صعر

[قراءة الصلبي]

أما [أرض مصر] فقد تناولناها بالتفصيل وأما [صعر] فأثارها على النحو التالي :

- صوعر : زوعرة (بابدال الزاي من الصاد) قرية في كور (العواذل) وهي لال يزيد من قبائل العواذل في [مهيجار] في وادي [مرتعه] .^{٢٨}

ومن الدلالة التي تدعم طرحنا هذا ، ما ذكره [الهمداني (في الصفه)] عن الطرق المؤدية من الكور إلى دثينة من الحيز الأيمن :

ثم الكور إلى دثينه له طرق كثيرة منها الرقب ودمامه ووساحه والبحير وتاران وثره وعرفان [وملعه] وبرع وحسره .^{٢٩}

وحيث أن [الاصحاح/١٤ من سفر التكوين] يخبرنا أن [بالغ هي صوعر] بالنص وملك بالغ التي هي صوعر

[تكوين/١٤/٢]

• إذن :

- ف/صوعر (التوراتيه) = بالغ (التوراتيه) (١)
 - زوعره (جزه لقمان) = وادي مرتعه (لقمان) (٢)
 - و (الهمداني) = ملعه (همداني) - (٣)
- وكما أسلفنا :
- صوعر : زوعره (بالابدال)
- وحيث ان بالغ (بلغ/بدون تصويت) : ملعه (ملع/مذكر)
- أما مرتعه : (وادي) كما ذكره (جزه لقمان) المركز الاداري للدائرة الشماليه من بلاد طاهر.^{٣٠}
- فيظهر ان الناس مثلما أبدلوا الميم من الباء الموحده في [بلغ/ملع] فقد أبدلوا الراء من اللام في [ملع/مرع] وحشروا تاء زائدة في الاسم فاصبحت التسمية [مرتعه] وعليه :
- فلإننا نرجح :
- ان صوعر التوراتيه هي التي بالغ " هي اليوم زوعره في وادي [مرتعه] احد وديان كور

العواذل (جنوب البيضاء) الذي كان يعرف في ايام الهمداني (القرن العاشر الميلادي) بطريقة المؤدية الي دثينة والتي هي ملعة .

والاحتمال الآخر هو ماذهب اليه [د/سيد القمني] :

• صوعر التوراتية : هي قرية (الصوعر) قرب (موكل) جنوب (هكر) بخمسة عشر كيلومترا علي وجه التحديد.^{٣١}

اما الفقرة الاخيرة من النص القائلة (حسب قراءة الصليبي) :

• وسكن لوط في كهوف :

الككر ونصب خيامة

حتى سدم

فان الاشارة هنا اذا لم يجانبنا الصواب

إلى : الكور (الكـر / بدون تصويت) :

* كور العواذل واهم مدنة زاره ولودر، وتعلو جبال الكور عن سطح

البحر بثلاثة الاف قدم تقريبا.^{٣٢} أي ان الكور هو القسم الجنوبي

من بلاد الكور. اما القسم الشمالي منه وهو الاكثر ارتفاعا فهو

[بلاد الظاهر] وهو الجزء الأكثر التصاقا بالبيضاء .

أما بقية مدن الموثفكات (المنقلبات) التي يسكنها قوم لوط فهن :

• اذهه : وملكها شهاب كما نص على ذلك الاصحاب/١٤ من سفر التكوين

والذي سنتناوله بالتفصيل .

وهي ادوم كما ذكرها الثعلبي ونجد اليوم اثرها في :

• موديه : (في صيغة النسبة/المؤنثة (لمودي/موديه)

(وبالقلب): وهي قصبة دثينة والعاصمة الإدارية

للمنطقة الوسطى فيها وتحدها أبين (بلاد الفضلي/بلده لوط)

ومن الجنوب والغرب .^{٣٣}

ودثينة هذه عرفت في أقدم نقوش المساند (ريرتوار/٣٩٤٥) العائد

إلى أواسط الألف الأول [قدم] .

• [دثنت] :

دثنت/احلقو/وميسرم

ودثنت/ذت/ثبرم (التابعة لثبرم) .^{٣٤}

أما الاحتمال الثاني فنجده في :

• اموده : (بالقلب) : وهي احد قرى جروش يرامس : وهي احد مواطن

قبيلة أهل شنين الفضلية (الابينية) .^{٣٥}

وفي الآثار الاسمية المذكورة من المعاني ما يشير إلى النوازل التي ابادت قوم لوط وعلى سبيل المثال:

• دثينه/دثنت : التي فرغنا من ذكرها تعني ، كما ورد في [لسان العرب لابن منظور] .

الدثينه : الدفينه ، عن ثعلب ، قال ابن سيده : وأراه على البدل .

الجوهري : والدثينه ، موضع ، وهو ماء لبني

سيار بن عمرو

ويقال : انما كانت تسمى في الجاهلية الدفينه ثم تطيروا منها فسموها الدثينه

وفي الحديث ذكر الدثينه ، وهي بكسر الراء وسكون الياء ، ناحية قرب عدن ، لها ذكر في

حديث ابي سيره الخفي .^{٣٦}

وكما تقول العرب :

الشي بالشي يذكر ، فعلى الرغم من تطير بني سيار من تسمية

ماتهم بالدفينه في الجاهلية (حسب الراية المذكورة) ، فإن لهذا

التطير سبب وجيه ومصدره في نظري النكبة التي حصلت لقوم لوط

في دثينه أبين وربما كان الاسم الأصلي لدثينه أبين هو دفينه لأنها قلبت

(عاليها سافلها) ، والمزمع أن هذا الاسم قد أطلق عليها فيما بعد الحادثة

الدمرة فتطير الناس من الاسم فيما بعد وقلب إلى دثينه الأمر الذي حصل

(أي النظير) لمن لهم مواطن تحمل نفس الاسم . وأكبر دليل على صحة

طرحنا هذا هو النقش الذي استشهدنا به في ذكر دثينه (ربرتوار/٣٩٤٥)

حيث ينص :

• [ودثنت|ذت|ثبرم]

وإذا أخذنا هنا بملاحظة البروفسور بيستون :

• ليس من المستبعد أن يكون التميم

أحيانا منزلة لام الجنس العربية

نحو الدم . ٣٧

وعليه فإننا نقرأ النص :

• [دثنت اذت اثيرم] :

• دثينه صاحبة (ذات) الثبور والثبور في العربية الجنوبية القديمة وفي اللغة العربية يعني

الهلاك والدمار والفناء .

وفي لسان العرب :

وفي حديث الدعاء : أعوذ بك دعوه الثبور ، هو الهلاك

وثيره الله : أهلكه إهلاكاً لا ينتعش ،

فمن هنالك يدعو أهل النار :

وثبوراه ! فيقال لهم : لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً

وادعوا ثبوراً كثيراً . ٣٨

وهكذا فإن نقش النصر الكبير هذا قد أحتفظ لنا بذكرى هلاك قوم لوط في تسمية أحد

مواطنهم الرئيسة

• [دثينه ذات الثبور]

وقد ذكر [أهمداي] هذا الموضع فمن البقاع المشؤمة بل وعلى رأسها ،

وذلك عن رواية يتداولها أهل العلم من حمير منسوبة لكعب الاحبار المتوفي

في [٣٢ للهجرة]

• ختأ :

في الجبل الاشيب سيد جبال النار وقطب اليمن إذا سكن سكنت اليمن

وتكون منه زلازل في جوار فوهته داره يليها ست عشرة وائت منحدر

من أعلاه . وروي أن ذلك يظهر فيه أهل النار والخراب وتعوي فيه

الذئاب ثم تعمر فيه الدور وتشيد فيه القصور ويؤهل فيكون من امصار

المنصور ويسير بين يديه رجل من أهله كأن به راجل بين يديه حاف

متذلل له مسارع في طاعته نافذ في أمره وتذال به الجبال من السهول
ويكون في اشهرها باليمن .^{٣٩}

• **وختا هذا هو :** بضم الخاء وفتح التاء المثناة من فوق والـف مقصوره موضع بالقرب من
دثينه ويرامس في أبين .^{٤٠}

• **يرامس :** واد مشهور شرق أبين فيه النخيل والعطب وهو لفرقه
من الاصابع من حمير .^{٤١} وإليه تخرج سيول سرو حمير
يافع (أي آله في صميم بلاد لوط حسب الوثيقة الرقيم) .
وفيه أحد المؤتفكات كما اسلفنا . ويحمل اسمه (يرامس) ذكرى
الاندثار والهلاك (رمس) التي حلت بقوم لوط .

بعد هذه الشواهد والقرائن الأثارية والحيه هل تبقى لنا من شك في شي مما طرحناه ؟
وفي نطاق [دثينه ذات الثور] نعر على أثر اسمي آخر لخامس المؤتفكات وهي كما ذكرها
الثعلبي في عرائس المجالس [ص/٦٣] :

• **ساعور :** [سعر/ بدون تصويت] تخلف هذا الاسم في أحد قرى قبيلة
الميسري (الدثينه) ، وتعرف هذه القرية ب/ امشعره ويسكنها
منهم أهل امفقيريه (١) .^{٤٢}

• **ام :** سابقة التعريف الحميري في ام/شعره وام/فقيريه
ولهذا ف/ساعور (التوراتيه/ عند الثعلبي) هي اليوم ام/شعره
[بالشين بدلا من السين وبدون تصويت] .

[شعره = سعره = ساعور]

هذا وقد شارفنا على ختم بحثنا عن بلاد لوط فلندكر باحد المعطيات التي حفزتنا للبحث عن بلاد
لوط (عليه السلام) في الاقليم الممتد من شرق عدن إلى الشحر الا وهو ما نقل ابن الجاور عن أحمد بن
علي بن عبدالله الحمامي الواسطي قال :

بكسر الشين المشددة وسكون الخاء ،
مدينة وناحية منبسطة في حضرموت الساحل ،
تطل على المحيط الهندي وتعتبر ثاني ميناء في

حضر موت ومن بلداتها :

- المعينه وتبالة وألحامي والديس وقيصصر وريده ال الودود .^{٤٣}

والشحر هذه يزعم أهلها أنها :

- مدينة (عاد) وأن منطقة الشحر هي أرض
الاحقاف اعتمادا منهم على رواية قديمة تنسب
إلى قتادة بن دعامة البصري (ت ١١٨ للهجرة)
وكان مفسرا وملما بأيام العرب وأنسابهم .^{٤٤}
-

الفصل الثالث

وقائع اصحاب الممارك الاصحاب الرابع عشر من سفر التكوين

وفائـم أصـاح المـارك

(الأصحاح الرابع عشر من سفر التكوين)، هو يحق سجل المـارك دارت رحاها في العهد العتيق بين ممالك جنوبية عديدة كانت اليمن القديمة تعج بها، وكان الشاهد على تلك المـارك نبي الله وخليفه إبراهيم (عليه السلام) ولوط (النبي) ابن هاران (هرن/ توراتياً) أخى إبراهيم (عليهم السلام). أما الممالك التي خاضت هذه الحرب فهي:

١. شنعار: وملكها حينها أمرافل.
٢. الأسار: === أريوك.
٣. عيلام: === كذرلعمر.
٤. جوييم: === تدعال.

هؤلاء فريق اتحدوا في حرب ضد:

١. سدوم: وملكها حينها بارع.
٢. عمورة: === برشاع.
٣. أدمة: === شنآب.
٤. صبوييم: === شميمير.
٥. بالـع/صوغر: === (ملك بالـع).

ترى هل لتلك الممالك من آثار تذكر بوجودها على الأرض اليمنية...

هذه الممالك البائدة تخلفت اسمائها في:

- شنعار: ترسب اسم هذه المملكة في:

وادي المعشار (معشر/ شـعر - بدون تصويت) (بالقلب والإبدال) : وهو وادي خصب يحـد

منطقة شبوة من الغرب.

- وشبوة: مدينة عتيقة كانت حاضرة بلاد حضرموت وقد عرفت (أي شبوة) قبل عهد

(الهمداني) - (لسان اليمن) بأرض ضميمج (وهم من حضرموت القبيلة وأرض :

أل معشار: وهم من قبيلة كندة.^١
وعليه ف/ شنعر (التوراتية) هي أرض معشر بعض من أرض شبرة.
• أل/ اسار: ترك أمرها الآن لعدم قطعنا في شأن ما توصلنا إليه عنها. ولنستمر في تعزيز موقفنا
بخصوص (شنعر/ معشر)
أولاً: هذا وتؤكد قرائن أخرى أن (شنعار) التوراتية هي (المعشار) في البلاد المشرقية من اليمن
وأهم هذه الآثار:

• بلاد الأردنية النفيسة:

يشار إلى (شنعار) بأنها تشتهر بصناعة الأقمشة وبالثبات الزرقاء منها على وجه الخصوص:
ورأيت في الغنيمة رداء شنعاريا نفيسا. [سفر يشوع ٢١/٧]
هذا الوصف يتناغم مع نص توراتي آخر ذكر فيه أسماء موانئ يمنية ذائعة الشهرة:
حران وكنه وعدن تجار شبا وأشور وكلمد تجارك. هؤلاء تجارك بنفانس بأرديسة أسمائجونية
ومطرزة وأصونة مبرم معكومة بالخيال مصنوعة من الأرز بين بضائعك.

[سفر حزقيال/ ٢٧/٢٣-٢٤]

ولسنا بحاجة إلى التوسع في القول فيما يخص أسماء المواطن الواردة في النص:
ف/ كنه قنه (قنا) الميناء الشهير في حضرموت. وعدن فرضة اليمن وبوابتها. أما شبا
ف(سبا) أحد أشهر ممالك اليمن القديمة.

والترجمة عن النص الأنكليزي هي (جزء من النص):

هؤلاء هم تجارك بجميع أنواع السلع وبالأقمشة الزرقاء.^٢

وبلاحظ صاحب (عدن فرضة اليمن) على النص:

فهذه الأقمشة الزرقاء المصبوغة بالنيلة لا زالت إلى اليوم تستعمل في الأرياف اليمنية. بل إنها
كانت مألوفة في عدن إلى عهد قريب جدا.^٣

ولمن يرغب في التحقق من هذا الأمر فليذهب إلى (يافع بني قاسد) (السفلى)، فمازالت النسوة
يلبسن الثياب البيحانية (نسبة إلى بيحان) المنيلة، وترى وجوههن تمور بالنيلة الزرقاء المطرية للبشرة...
هذه الصبغة تمحض وجوه صبايا حمير القمحية في عين من لم يألف رؤيتهن ب/لمسة من السحامة
الكاذبة.

ولا عجب أن النص التوراتي هذا حتى بشقه الأخير يسجل شهادة دامغة على المورد الأصلي لهذه

الأقمشة بل والمدن التي نسجت فيها:

• * الأصونة المبرم:

الأصونة هي المصاون (جمع) مصون نسبة إلى أحد المدن المشرقية العتيقة وهي:
لمصون:

ذكر حمزة لقمان أن (لمصون) كان الاسم القديم (لميفعة).^٣

وحيث أن اسمها الأحداث أي (ميفعة) يرجع بدوره إلى عهود عتيقة:

ميفع: من مدن حضرموت القديمة التي هاجمتها قوات المكرب السبئي (كرب ايل وتر) كما نص
عليه نقش النصر الكبير (ربرتوار / ٣٩٤٥) العائد إلى أواسط الألف الأول (ق.م).^٤ وقد ذكرها
مورخوا اليونان والرومان القدماء ومنهم بتولمي (بطليموس) الذي سماها:

(ميفا مترو بوليس) التي تعني:

(ميفعة العاصمة) أو (ميفعة المركز التجاري). والولاية التي تقع فيها اليوم ميفعة تعرف (ببلاد
الواحدي) وكانت مشهورة بصناعة المعادن وحياكة الملابس.^٥

وحيث أن المصون هي التسمية الأقدم (لميفعة) فلربما أنها تعود إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة
(ق.م). وما يهمنا هنا أن هذه (المصوان) الأقمشة التي تحمل اسمها (أي اسم لمصون) تبرهن على تهاافت
الرؤية القائلة بأن المواطن المذكورة في هذا النص (حزقيال / ٢٧) هي في بلاد ما بين النهرين. وقد
عرفت المصاون هذه لدى العرب وغيرهم:

الصوان، والصوان: ما صنعت به الشيء

والصينة : الضنون، يقال : هذه ثياب الصينة أي الصون. وصان عرضه = صيانة وصونا، على

المثل؛ قال أوس بن حجر:

فإننا رأينا العرض أحوج ساعة إلى الصون من ريطيمان مسهم^٦

هذا فيما يخص (اصونة) أما المفردة اللاحقة لها وهي (مبرم) فإنها لا تشير في نظري إلى مادة
النسيج أو إلى طريقة حياكته (بالبرم/اللف) وإنما إلى نوعية من الثياب المسماة على تسمية المدينة التي
صنعتها:

برم: ورد هذا الاسم في النقوش اليمنية القديمة وبالذات (القتبانية) العائدة إلى القرون ما قبل
الميلاد، وكان يطلق على الوادي بيحان الأسفل الذي يفصله (ممر مبلقة) عن وادي حريب كما نص
عليه نقش قتباني (ربرتوار / ٣٥٥٠) المكرس لأعمال في (مبلقت) اشتركت فيها قبائل (ولد عم) نسبة

للإله (عم). وأوسان/ وكحد/ ودهسم (يافع)/ وتنبو/ تين (مآتيه من ميثم باب والضالع حتى الحج). وإلى (برم) تنسب ثياب (ميرم/ برم) وعليه فإن النص ينبغي إعادة قراءته على هذا النحو:

• أصونة وميرم (أو وبرم).

عاصمة وأن الثياب المخبرة بالنيل مازالت تعرف في (سرر حمير/ يافع) بالبيحانية (نسبة إلى بيجان/ بيجن/ ربرتوار ٣٩٤٥) والذي يعرف أسفله في النقوش كما لاحظنا باسم (برم). وقد سبق لنا القول أن (المعشار) هو اسم جامع يطلق على البلاد الواقعة إلى الغرب من الشحر وبالذات منطقة (شبو) حاضرة حضرموت القديمة الواقعة عند نهاية سلسلة ثلاثة أودية هي: عرمة- العطف- المعشار.

وحيث أن : (شعر/ توراتيا) هي (معشر/ كما في النقش) بالقلب والإبدال. فإن الرداء الشنعاري الفاجر (يشوع ٢١/٧) مصدره شبوة المعشار بالذات (مملكة شنعار/ توراتيا).

• **عيلام:** (عيلام) على اعتبار أن الميم هي لاحقة التنوين (التميم) العربية الجنوبية القديمة ولذلك فأقرب التسميات التي تدل على هذه المملكة التوراتية.... هي ما ورد في نقش المكرب السبئي (الملك) كرب ايل وتر... في نقش (ربرتوار ٣٩٤٥) المعروف بنقش النصر الكبير والعائد إلى القرن الخامس قبل الميلاد. ففي فتوحات هذا المكرب العظيم للممالك اليمنية القديمة نجده يذكر (في الأسطر ص ٧-١٣) إلى جانب مناطق كثيرة: يلاي وشيعن: وكل مدن ومناطق (أبضع) حول منطقة تفض (ابين) باتجاه دهسم (يافع) وكل البحار التابعة لتلك المناطق، وكل أرض يلاي وشيعن.

ولدينا احتمالين حول يلاي (عيلام = عيلام التوراتية) هما :

(أ) إذا عولنا على ذكر (يلاي) في هذا النقش متلازمة مع شيعن (الغير معروفة هي الأخرى) ولكن على مقربة من بلاد دهسم (يافع) إن لم يكن فيها فإن لدينا من آثار هذا الاسم:

وادي يرى / يله (يلاه):

أحد أودية (يافع بني قاسد) الخصبة وهو من أودية السعدي ومخرجه إلى سلب فأين وحيث يشتهر بمقطعه الأول ففيه القول الشعبي:

من علف يرى أبقره الناس.

أي من كثر أعلاف يرى ربى الناس البقر. أما الاحتمال الثاني وهو الأرجح رغم بعض

التحفظات.

• (ب) يلا:

منطقة في بني (ظبيان) في أراضي خولان الطيال (خولان العالية) الواقعة إلى الشرق من صنعاء ولا تبعد (يلا) عن مأرب أكثر من خمسة وثلاثين كيلومترا... وتعود شهرتها اليوم إلى ما اكتشفت بها البعثة الأثرية الإيطالية بقيادة البروفيسور (دي بحريت) من نقوش (الصيد والطرائد)... في عهد المكرب السبئي (كرب ايل وتر) نفسه أي أنها تعود إل نهاية النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد إذا أخذنا بالحسبان ذكر والده المكرب (ذمار علي) (ذريح).^٧

أما أنا فلاني أرحح أن تكون:

يلا: خولان الطيال هي عيلا (عيلام التوراتية)... ورغم ما يثيره الاعتراض على أن (يسلاي) المقصودة في النقش النصر لا يعقل أن تكون (يلا خولان) على اعتبار أنها كانت في العهود السبئية في قلب أراضي سبأ مما قد لا يحتاج صاحب نقش النصر إلى ضربها وتأديبها... ولكن هذا لا يفسد تحيزنا لصالحها مما يدل على عراققتها هو اكتشاف نقوش الصيد والطرائد فيها والتي ذكرناها آنفا. وعليه:

عيلام (التوراتية) = عيلا هي (يلا الخولانية).

• جوييم: في صيغة جمع جوي. أصداء هذه المملكة نجدها في ثلاثة مواضع أثرية هي:

(أ) الجوة: ذكرها الهمداني في (الصفة) في مخلاف المعافر (أوفير/توراتيا) بقوله:

الجوة من عمل المعافر. فالرأس فيها والسلطان عليها آل ذي المغلس الهمداني ثم المراني من ولد عمير ذي مران قيل همدان الذي كتب إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم).^٨

وهي عند المصحفي:

آل جوة: بضم الجيم ثم واو مهموزة بعدها هاء. وقد تشدد الواو مع حذف الهمز، وهي مدينة خربة في جبل الصلو تحت قلعة الد ملوة، وكانت قديما - كما حكى الجندي - مدينة عامرة بالعلم والعلماء وسائر الطبقات...^٩

• آل جويم: ذكرها الهمداني في (الصفة) كأحد مواطن الأزديمانية العريقة:

ولحق كثير من ولد نصر بن الأزدي بنواحي الشحر وريسوت وأطراف بلد فارس. فالجويم فموضع آل الجلندي.^{١٠}

وقد ذكر صاحب (طرفة الأصحاب):

ومن الأزدي الجلندي الملك الذي ذكره الله في القرآن: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾. ويسوي أن

من ذريته بني شجيعة ملوك الشحر.^{١١}

(ب) الجوجة: (بتضعيف الجيم) : منطقة أثرية قرب شبام، وقد كشفت فيها مخربشات وبحوازهـا مقابر كهفية قديمة لم تمس.^{١٢}

ونحن نيل أن مملكة جوييم (التوراتية) هي:

آل جوة (وصيغة النسبة إليها جوءى- والميم لجمع العاقل جوييم/جوييم)، في مخلاف المعافر الشهير بعراقته التاريخية... والمعروف اليوم بالحجرية. أما الخمس الممالك الأخرى فليست إلا حلف الموتفكات بلاد لوط أو عصبة مدن دائرة الأردن (توراتيا).

وكما نخبرنا اصحاب المعارك هذا (الإصحاح الرابع عشر) فإن المعركة قد أسفرت عن هزيمة حلف الخمسة (مدن الدائرة/ بلاد لوط)، وقد أقر المهزوم بهزيمته واستسلم لمشيمة حلف الأربعة المنتصر ونخضع لشروط الأخير المجاورة التي قضت باستبعادهم إلى أجل غير مسمى.

أما الموقع الذي أبرمت فيه هذه المعاهدة فهو:

جميع هؤلاء اجتمعوا متعاهدين إلى

عمق السديم الذي هو بحر الملح.^{١٣}

ولا يخطر ببال نابه أن معاهدة الاستسلام هذه قد تمت على ظهر بارجة حربية في بحر الملح، بل في بقعة من اليابسة تعرف (توراتيا):

بعمق السديم الذي هو بحر الملح... فهل لنا قدرة في معرفة هذا الموقع.

آل سديم: اسم بصيغة النسبة سدي يقابله في العربية صيهدي (بإبدال الصاد من السين).

صيهدي: فلاة تمتد من قرب هينن (غرب حضرموت) متجها غربا فيشمل وادي السور ووادي العبر، ومن العبر يتجه غربا فيشمل جومليس المشترك بين الصيغر ودهم بالجوف، ثم يتجه جنوبا فيشمل رملة السبعين... أما في الشمال فتشمل الأجزاء الغربية من رملة بني ميسان ورملة الزأزا، كما يشمل رملة الصيغر ورملة الدواسر الكهلانية، ورملة يام الحاشدية الهمدانية. ومن الغرب الشمالي يشمل المنطقة الصحراوية الواقعة غرب عسير إلى نجران في الجنوب، وتباله ويشقه في الشمال يليها إلى الشمال الغربي بلاد غامد وزهران.^{١٤}

ولأن الحضارات اليمنية في أدوارها الأولى قد قامت حواضرها الرئيسة حول (صيهدي) فقد أطلق عليها المستشرق البريطاني بيستون (ثقافة صيهدي) وقد أطلق لسان اليمن (الهمداني) على صيهدي: (فلاة اليمن وغائظه...) وقد أسهب في (الصفة) في وصف معالمها وحدودها... واكتفينا

بملاحظة (بامطرف) على ما قاله (الهمداني) في نطاق صيهده.

فأين هو (عمق السلام / عمق صيهدهم) الذي ورد ذكره في (الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين) وسماه بحر الملح ؟

• * بحر الملح: عمق السديم (عمق صيهدهم) :

موقع المعاهدة هذا ذكره لسان اليمين في وصفه لمخلاف مأرب بقوله:

وشرقيها (أي مأرب) القاع الأملق من صيهده (صيهدهم) ونهيه من دغل فالي

* جبل الملح: وليس بجبل منتصب ولكنه جبل في الأرض وهو يبقى منه أساطين يحمل ما استقل من تلك الخافر وربما الهدم على الجماعة فذهبوا.^{١٥}

هذا هو بحر الملح (توراتيا) / جبل الملح (عند الهمداني) وهو ليس بجبل منتصب بل جبل في الأرض (منجم). وهو اليوم مازال مصدرا للملح الصخري. وقد ذكره (ابن الجاور في تاريخ المستبصر:

بين العواهل ووادي بيحان لم يكتل عرب مذحج ، والبدو والبلاد كلها إلا منه ويقال يكتال منه عرب نجد (شمال الجزيرة) وما حولها من البدوان.^{١٦}

ولن يشك فيما ذهبنا إليه أن (بحر الملح هو جبل الملح [منجم]) فإن لسان اليمين يزيدنا عنه بقوله:

وهو أرض لا نبات فيها فيحمل إليها الماء والزاد والخطب والعلف ويحتفظ على الماء من أجل الغراب أن ينسر السقاء فيذهب ماؤه. وهو من مأرب على ثلاثة مراحل خفاف وثنتين بطيئتين.^{١٧}

وبعد هذه الأرض التي لا نبات فيها (لا أثر للحياة فيها) ويخاف الضاعن فيها أن ينسر الماء من غربته فيموت فيها عطشا. أليست بحرا ميتا وقمينا بالمحقق التوراتي أن يطلق عليها:

(عمق السديم الذي هو بحر الملح / تكوين ٣/١٤).

ثم إن اكسير الحياة المقدس هذا (الملح) له دلالة أخرى تقنعنا أن قدماء اليمنيين كانوا يفضلون قطع معاهداتهم الخطيرة في (بحر الملح) فلا صداقة ولا ذمام كما يقول المثل الشعبي إلا ب : (عيش وملح).

وفي لسان العرب ورد:

العرب تسمى المدن والقرى : البحار.

وفي الحديث: وكتب لهم ببحرهم أي بلدهم.

والبحرة : الفجوة من الأرض تتسع...^{١٨}

وعليه : فعمق السلم الذي هو بحر الملح = عمق صيدهم الذي هو بحر الملح (أي أرض الملح) فهي:

عمق صيهد (القاع الأملق/ همداني) الذي هو جبل الملح إلى الشرق من مأرب حاضرة سبأ التليدة. يخبرنا نفس السفر في نفس (الاصحاح/ ١٤)، عن تمرد قام به الفريق المهزوم بعد اثني عشر سنة من الاستبعاد على أيدي (كدرلعمر/ ملك عيلام = يلا) مما حدى بالأخير إلى استنفار (قوى الأربعة) من أجل جولة أخرى مع المعسكر المتمرد، وهذا ما حصل بالفعل:

وضربوا الرفائيين في عشتاروت قرنايم والروزيين في شوى قرينايم والخوريين في جبلهم سعير، إلى بطمة فاران عند البرية، ثم رجعوا إلى عين مشفاط التي هي قادش، وضربوا كل بلاد العمالقة وأيضاً الأموريين الساكنين في حصون تامارا.

[سفر التكوين اصحاح ١٤]

وهذه هي خارطة المعركة ووقائعها التي نقلها لنا (سفر التكوين) في (اصحاح المعارك) ، وهذه هي مواطن قوى التمرد التي تعرضت لها فيالق المنتصر . فهل لها من بقية في جنوب الجزيرة العربية ؟

● عشتاروت قرنايم:

قرنايم تشير إلى أحد أقدم الخواضر اليمنية وهي : قرناو/ قرنايم (والميم هنا هي لاحقة التنوين العربية الجنوبية القديمة (في النقوش)) : وكانت قرناء (قرنو/ في النقوش) المعروفة ب/ معين حاضرة دولة معين في الجوف وهو من أخصب بقاع اليمن وأصلحها للزراعة.

وقد زاره هالفلي عام ١٨٦٩ وعاد منه إلى فرنسا بعدد وافر من النقوش بعد أن طاف بعدد من خرائبه التي تقع على خط واحد تقريبا وسط هذا السهل فيما بين الشرق والغرب، وهذا قول الأستاذ (محمد توفيق) بعد زيارته التي قام بها لخرائب الجوف في العام (١٩٤٤-١٩٤٥).

وخرائب معين الشهيرة هي:

قرناو (معين) ، هرم الحزم (كمنهـو) والسوداء (نشن)

البيضاء (نشق) وخربة براقش (يثل).^{١٩}

* عثر ذو رصف: يقع في خربة السوداء (نشن) أحد أقدم معابد الإله عثر (نجم الصباح) / عشتار عشتاروت... وقد انتهت بعثة آثار فرنسية من الكشف عن معبد عثر (ذي رصف) في أوائل التسعينات. ومن تسميات هذا المعبد /محرم/عثر/ أي بيت عثر... وقد تم بناؤه بشكله العام في عهد

ملك نشن (سمه يفع) ، وهو الملك الذي ورد اسمه في نقش المكرب السبيي /كرب ايل وتر/ في نهاية النصف الأول للألف الأول قبل الميلاد. عندما قام بحروبه الشهيرة التي سجلها لنا نقش (ربرتوار/ ٣٩٤٥).^{٢٠} ولكن البعض يذهب إلى القول بأن بيت عثر هذا يرجع إلى الألف السادس ق.م.^{٢١} وما يهمنا هنا هو أن :

عشتاروت قرناييم التوراتية تشير إلى عثر قرناييم (وعثر ذو قرناء) في جوف اليمن. وإلى هذا الأثر نفسه، نقل لنا (لسان اليمن) الحمداني عن هشام ابن الكلبي: قرن عشار:

قال: حدثني سليمان الكندي وراشد بن شبيب أن بين عطان صنعاء وجبل عيبان موضع يقال له بئر جدرين فيه قبر النبي يوشع بن نون (عليه السلام) وفيه مال عظيم لأنه مخرج المال مع اشتهاق قبر المذكور في (قرن عشار) وهي موطن حمير وستعمر...^{٢٢} * (التقويس لنا للإبانة)

و/عشار: بضم العين وكسرها قرية عامرة في الجنوب الشرقي من صنعاء وعدادها من بلد ذي جرة (سنحان) وتسمى أيضا أعشار.^{٢٣}

قرينايم: بعد عصيان (مدن الدائرة) ونقضهم الصلح (في عمق السلام/ بحر الملح) الذي حدث في السنة الثالثة عشرة كما يخبرنا (الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين) تعرضت بلاد كثيرة لهجمات حلف الأربعة ومنها بلاد:

الأميين في شوى قرينايم [سفر التكوين /اصحاح ١٤] ومن معاني شوى في الفصحى:

وقال بعضهم الشوى جماعة الأطراف. وشوى الفرس قوائمهم...^{٢٤} وعليه: فإن شوى قرينايم.

يمكن أن تعني ضواحي قرينايم أو طوارف (أطراف) قرينايم.

إذا لم يكن اسما لموقع بعينه في قرينايم بلاد الأميين. وفي واقع الحال أن النص يشير بصراحة إلى مدينة قديمة في جنوب الجزيرة العربية هي المعروفة في نقوش المساند اليمنية القديمة ب:

هجرن/ قرينم/ ذت/ كهلم:

مدينة/ قرية/ ذات/ كاهل. وهي :

حاضرة مملكة كندة (كدت في النقوش) الأولى في وادي الدواسر والتي عثر فيها على موضع قمبر

لأحد الملوك هو معاوية بن ربيعة القحطاني ملك قحطان... وقد ذكرت في نقوش سبئية تعود إلى أوائل القرن الثالث للميلاد في عهد الملك (شعر أوتر) ملك سبأ وذي ريدان من ملوك (المرحلة البتعية الهمدانية/ عند علماء النقوش) وذلك في نقش (جام/٦٣٤) وفيه يذكر صاحبه شرح/بن/ خذوه/ ورجل، تقديمه قريان للإله ايل المقه ثهوان/بعل/ أوام. وذلك من الغنائم التي أخذها من (مدينة/قرية/ذات/كاهل) وليسعه المقة بالخطوة والرضاء عند سيده (شعر أوتر/بن هفان) هفان (ملك سبأ وذي ريدان).^{٢٥}

وإلى نفس العهد يرجع ذكر (قريتم/ق ر ي ت م) في نقش (جام/٦٣٥، وجام/٦٤١) من نفس الفترة أي عهد (شعر أوتر) ملك سبأ وذي ريدان.^{٢٦} وتعرف قرية (قريتم) اليوم باسم الفاو.

وإذ يخبرنا (الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين) أن أهل /قريتايم/ هم الأيمن... فلا غرابة أن نجد هذا الإزدواج قائما عبر العصور بين (قريتم في النقوش وأهلها ياميم) وقد وردت نقش يعود إلى عهد (شهريرعش) ملك سبأ وذي ريدان (الملك التابع عند الأخباريين)، في المرحلة التي توحدت بها على يده الإرادة السيادية لليمن ككل تحت حكم الحميريين (آل ذي ريدان) مع نهاية القرن الثالث بعد الميلاد. أما النقش فهو (المسند/١٧) في كتاب (الأستاذ مطهر الإرياني/ نقوش مسندية) : وفيه يخبرنا صاحبه : شوف عشت أشوع الهمداني مع ابنه زيد أيمن، ويعددان انتمائهما إلى : همدان (حاشد وبكيل) وذي فيشان وساران ومن أقيال سمعي/ مثاليين ذي حاشد ومربعين ذي ريدة... وفيه ذكر لغزوه قام بها (شهريرعش) ورافقه فيها ضد عشائر الأعراب :

سفلن (ويامم وذي قريت) وذا بن وارشم.^{٢٧} وهذا التلازم بين يامم وذي قريت (قريتم) في هذا النقش نجد ما يزكيه فيما ترك لنا لسان اليمن (الهمداني) من ذكر ليام (القبيلة) ومواطنها القديمة يام: ينسب إلى يام بن أصبي بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد ويفهم من كلام (الهمداني) أنه كان ل(يام) مواطن قديمة قبل موطنها الأخير. حيث أن فروع وادي المنبح هي مواطن (يام القديمة) ثم يقول:^{٢٨}

ويام وطن بنجران هو نصف ما مع همدان منها (صفة ٢٢٦). ولاشك أن الياميين في بنجران كانوا أهل قريتم وبكلمة أخرى الياميون في بنجران هم الأيمن في

شوى قرينايسم اصحاب / ١٤ نص.

• سعي: جبل هو موطن الحوريين، فقد كان عرضه لهجمات تحالف الأربعة:

والحوريين في جبلهم سعي (تكوين/ ١٤)

أما (سعي) فإن الإجابة عنه نجدها لدى الباحث (د/زياد منى) بقوله:

أما الاسم عسير والذي يطلق على قطاع من جنوب غربي الجزيرة العربية ، فقد نشأ وفق ما يفيدته الأخباريون العرب من وعورة أرضه وعسرها. ونظرا للميل الدائم لدى الأخباريين العرب في تقديم شروح لكل ما هو مفقود من الذاكرة الشعبية، فأنا لا أعتقد أنه يعود في أصله إلى الاسم

(سعي) الوارد في العهد القديم.^{٢٩}

إذن فجبلهم (سعي/ هو جبلهم عسير).

ترى هل يوجد في سرة عسير ما يذكرنا بالحوريين أصحاب جبل سعي/عسير.

*حورة: ذكرت في نقش (جام/٦١٦) وصاحبه هو وهب أوام ياذف السخيمي، من عهد نشأ يكر بيهامن يهرحب بن أيل شرح يحضب (الثاني) ، ويتحدث عن حرب خاضها ضد عدد من العشائر منها:

(دواء/دوت) و(أباس) و(أيدعان = الأيداع) و(حكم) و(حد لئه) و(غامد).

(وحورة / حارة):

وقد دارت الحرب في أسافل /ذي بثران/ وخلق وتندحان...^{٣٠}. وكلها مناطق في سراه

عسير.....

أما (حورة) هذه فصيغة النسبة إليها (حوري) جمعها حوريون(حوريين).

وقد ذكر الهمداني حارة في ذلك الحيز من الأرض وجعلها موطناً لقبيلة(يام.القدمية)،

بلد يام: ليام وطن بنجران نصف ما مع همدان منها ثم بلدهم يطرد عليها ناحية الحجـسـاز إلى

حدود زوبيد وتمد من ناحية (حارة) وما يليها وهي (حارة) وسمنان فألى ما يصالي خليف دكم من

أعالي حبون...^{٣١}. ثم تعود عاصفة الحرب في طريقها راجعة إلى سهل الجوف لينال شرها:

بطمة فاران عند البرية (/تكوين / اصحاب/ ١٤ نص)

• المطمة: بضم الميم وكسر الطاء المشددة وفتح الميم بلدة مشهورة في الجوف أسفل وادي مذاب من ناحية الجنوب بالشمال الغربي من الحزم (كمنهـو في النقوش) بمسافة ثلاثين كيلومترا.^{٣٢}

ف(بطمه فاران: هي المطمة/ بإبدال الميم من الباء) وكلاهما أي الميم والباء (الموحدة) لهما نفس المخرج الصوتي وهو الشفة.

فاران: في تعرضه (أي الهمداني) لأردية الجوف الرئيسة ، ذكر الهمداني واد رابع يسقي الجوف: وادي المنيج: وفروعه من بلد يام القديمة وبلد مرهبة ملح(وبران) ومسورة وجبال فهم مما يصالي مهنون من بلد خولان. ويأتي قابل فهم الشمالي بأودية لطاف مثل أوبن وغيره. ثم يشرع على الفرط وهو جانب الغائط وهو من ديار بالحارات. ٣٣

وبران (بالباء الموحدة) ليست إلا فاران: بإبدال الباء من الفاء (حرفي شفه) ، أما البرية التي حرص محقق السفر (سفر التكوين) من ذكرها لكي يميزها عن أي (فاران) أخرى (باران) فليست سوى غائط اليمن (صيهده/ السدم)، وكما أشار (لسان اليمن) إلى جانب الغائط (البرية) = الفلاة حسب تعبير الهمداني، فقد درج الأقدمون على تسمية بعض جوانب الصحارى والبحار إلى البلدان القائمة على تلك الأطراف (الجوانب). فجانب من الغائط الذي هو جانب من البرية الذي تقوم عند بران(فاران تورانيا) هو المقصود بالبرية برية فاران = غائط بران.

ومن بطمة في وسط سهل الجوف (مطمة) يتحه إعصار المعارك نحو السراجل الجنوبية الشرقية ، وبالذات إلى عين مشفاط التي هي قادش وضربوا كل بلاد العمالة وأيضا الأموريين الساكنين في حصون تامارا . [تكوين/١٤] .

فأين هي عين مشفاط التي هي قادش . وكيف سهل لجيش الأربعة الوصول إليها ؟

• عين مشفاط : هي عين مشقاص (بالقاف والصاد المهملة بدلا من الفا والطاء) .

* المشقاص : هو المنطقة الساحلية الواقعة الى الشرق منهم (أي اهل الشحر) كالحامي والديس الشرقية الى مكان اسمة الدمخ حساي ومهناها (كتبان الرمل) وهي الحد الفاصل بين منطقة الحمووم (حضرموت القديمة) ومنطقة المهرة . ٣٤

وكما قال (بالحزمة) فان قسبة المشقاص هي :

• حيريج : هي أم المشقاص وبها بندر يقصده أهل الهند والصومال وغيره وقد دثرت الآن. ٣٥ وموقعها الضفة الغربية من وادي المسيلة. ٣٦ فأم المشقاص (عين مشفاط) وهذا أحد الاحتمالات.

أما الاحتمال الأكثر فيذهب لصالح واد في ذلك الحيز يعرف بـ :

• هينن : مدينة هينن تقع في وادي هينن في الجنوب الغربي من شبام ويبعد عن وادي العبر

قراءة ثمانين ميلا الى الشرق . ٣٧

هينن = عين (بإبدال الهاء من العين وإهمال النون الأخيرة) .

وعليها يمكننا القول ان :

(عين مشفاط التي هي قادش / تكوين / ١٤-٧) هي :

هينن المشقااص .

● وادي العين : من اودية الكسر الشرقية ولكننا نستبعد هذا الاحتمال لوقوع هذا الوادي خارج نطاق المشقااص .

لكن الشيخ (سالم بن حميد الكندي) صاحب تاريخ حضرموت ، نجد في المجلد الثاني (وهو الاخير) من كتابه هذا تعريفا في معجم الاماكن (ونظنه من عمل المحقق الاستاذ عبدالله الحبيشي) :

العين : واد واسع شرقي المشهد والوادي الايسر من دوعن . ٣٨

وعينات : من اشهر قرى حضرموت على نصف مرحلة من تريم . ٣٩

أما مسالة وصول جيش الاربعة ، فقد كان حسب وصف لسان اليمن :

فمن اراد حضرموت من نجران والجوف جوف همدان فمخرجهم منهل فيها ابار . ٣٩

وتزداد قناعتنا بصحة ما ذهبنا اليه في تحقيقنا لموقع قادش (التوراتيه) التي هي (عين مشفاط) في ألها احد مدن المشقااص شرقي الشحر كلما ازدادت معارفنا عن قادش هذه واحوالها او بيئتها فهي على مقربة تخوم صحراويه تعرف (توراتيه) ببريه (صين) (قارن سنة الى الشرق من قبر النبي هود مثلا) ، ولعل قادش هي اول المواطن المسكونه التي يقترب منها شعب اسرائيل بقيادة كليم الله موسى واخييه هارون ، الأمر الذي نتعرف عليه في سفر العدد :

واتى بنو اسرائيل الجماعة كلها الى بريه صين في الشهر الأول. واقام الشعب في قادش (

[سفر العدد/ ١/٢٠] .

ويتعرض شعب اسرائيل الى حدوث قادش هذا الى الهلاك عطشا فيحارون بالشكوى :

لماذا اصعد ثمانا من مصر لتاتي بنى الى هذا المكان الردي . ليس هو مكان زرع وتين وكرم

ورمان ولا فيه ماء للشرب . [سفر العدد/ ٥/٢٠] .

وتحت وطأة حاجة القوم للماء على اطراف الصحراء يدعوا موسى (عليه السلام) ربه بالافوت

فيستجيب لدعاه :

• مريجة :

ورفع موسى يدها وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير فشربة الجماعة ومواشيها .

ف/هذا (ماء مريجة) حيث خاضع بنو اسرائيل الرب فتقدس فيهم .

[لعدد/٢٠/١١-١٣].

فكما كانت (ماء زمزم) مدعاة لجرهم والعماليق الى سكنا مكة كانت مياه (صخره مريجة) هذا ما دعتهم لأقامة فذلك الحيز تعرف اليوم بـ :

• مريجة: بابدال الميم الثانية من الباء في مريجة: قرية على الطريق المار من سينون الى تريم.^{٤٠}

وهي في الأصل مدينة ذكرة في نقوش المسند الى هذا النحو :

• مريمتم:

كما في النقش العائد الى مستهل القرن الرابع للميلاد / عهد (ذمار على يهين) ملك سبأ ودي ريدان وحضرموت ويمنت إذ قام صاحب النقش وهو : (لفي عنت يشيع المرحي) بغزوة عدي أرض حضرموت وعدد من المدن التي تعرض لها على هذا النحو :

عدي/صوران/وعقرن/وشبوت/ورطغم/ومريمتم/وترم.^{٤١}

وعليه :

مريجة (التوراتيه) = مريمتم (في النقوش) = مريجة (حاليا) قرية فيها بين سينون وتريم في حضرموت وهي بلا شك إحدى الشواهد الحية التي تشير الى البيئة الاصلية لقادش (قدش) أي المقدسه ومنها اتسوا في عصور متأخرة بالتسمية العربية (بيت المقدس) والمأثور لدى العلماء التوراة أن قادش (قدش) قد وقعت بيد قبائل الخبير و(وهم يعتقد انها اصل العبرانيين).^{٤٢} وحتى لا نخرج عن صلب موضوعنا فان قادش هذه قد ذكرت في التوراة ايضا تلازم مع صنعائيم :

وخيم حتى الى بلوطة هي صنعائيم التي عند قادش . [قضاة/٤/١١] .

فهل لـ(صعنابيم) هذا من اثر هنالك :

• سنا/وصنا:

معظم المواقع الأثرية (تركز) ما بين (سنا)

الى الشرق من قبر النبي هود (وصنا) في

وادي رخية. وقد عثر في (سنا) على نقوش

تعرف باسم : (نقوش حصن الكيس) نسبة

إلى الموقع (الحصن) الذي عثر عليها فيه.^{٤٣}

وحيث أن (سنا) الذي يقع بينه وبين السوم قبر النبي هود في منطقة ثرة بالمياه طوال العام.

وإلى جوار الضريح تقوم مدينة بيوتها خاوية لا ترم إلا في وقت الزيارة.^{٤٤}

فلنأمل أن مدينة قادش (عين مشفط) لا تبعد كثيرا عن سنا :

فصيغة النسبة هي : سنائي/سنوي . وبإضافة لاحقة التنوين (التمييم) العربية الجنوبية يكون السهم

(سنائم) أو صنائم ، ويمكن أن تكون العين المهملة بين الصاد والنون في (صعنائم) إندالا في الأصل من

الهمز الذي أهمل عند الحضارة مع مرور الزمن .

أما بلاد العمالة التي ضربة في هذه الحرب فنجد فيها إارة إلى مواطن :

• عمالة حمير :

ومنها المناطق السيبانية الحميرية الواقعة إلى المغرب من الشحر . فاقدم اشارة في نقوش المساند إلى سيبان

ترجع إلى نقوش النصر الكبير (ربرتوار/٣٩٤٥) . العائد إلى عهد المكرب السبيي (كرب ايل وتر)

في بداية النصف الثاني من الألف الأولى (ق.م) حيث يذكر :

سيبان وأراضيههم ومدنهم :

البح وميفع ورقم وكل أرض عبدان ومدنهم

وسرهم ومرعاهم وجند عبدان حرهم ورقيقهم اقتطعهم.^{٤٥}

وعمالة حمير ينسبون إلى عمالق بن السميدع بن الصوار وله شقيقان هما: يناع وذو المردع.

ثلاثة نفر بني سميدع بطون كلها وهذه عمالة حمير ليس ولد عملاق بن لوذ بن سام.^{٤٦}

ولا نشك أن هذه الحرب قد وصلت إقليم ظفار الواقع إلى الشرق من ساحل مشقاص والمههره

وهو ساحل اشتهر بالنشاط التجاري في العالم القديم وبالذات في احتكار تجارة اللبان قد

كشفت النقوش العائدة إلى عهد الملك الحضرمي (العذليط) أن اسم الاقليم (أرض/س أ ك ل ن

[الساكل])؛ في النقوش التي عثر عليها في موقع أثري يطل على (خور روري) غير البعيد من صلالة

نجد أن :

(اسدم/تعلن/بن/قومم/عبد/العذ/يلط/ملك حضرموت).

وهو صاحب النقش هذا المعروف بـ(بيرن خور روري ١) يتحدث عن ارسال عمال بناء

خصيصا من (شبوة) حاضرة حضرموت لبناء مدينة (سمهر) على ذلك الساحل.^{٤٧} والواقع يدل على أن (سمهر) ميناء قدرة (بيرن) زمن قيامة من خط نقوشه بالقرن الأول قبل الميلاد. ولا بد أن ذلك العمل له علاقة بتنظيم وتصدير اللبان من ظفار (ساكلن) إلى (قنا) كما يفهم من كتاب الطواف حول البحر الأحمر (البريلوس).^{٤٨} وفي نظري أن (خور روري) الواقع على الساحل الشرقي من صلالة يحتفظ لنا باسم أحد العشائر التوراتية المعروفة :

[تكوين/١٤ نص]

الأموريين الساكنين في حصون تامارا

أمروري (بالقلب) = أموري .

هذا إلى جانب ما تظهره الخرائط الجغرافية لهذا الإقليم (ظفار/ساكلن) من وجود بلدة على

• ساحل صلالة تعرف :

تمريت/تمارا = حصون تمارا .

بعد هذه الضربات المتلاحقة والمعارك التي طالت معظم جنوب جزيرة العرب. فمن سهل الجوف إلى سراة عسير إلى ظفار (ساكلن) عبر كل أراضي حضرموت القديمة من رنية حتى أقصى المشقاص . يخبرنا سفر المعارك هذا أن حلف الخمسة (المنهزم) قد جمعوا شتات قواهم في محاولة أخيرة للنيل من حلف الأربعة (المنتصر) :

فخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك أدمة

وملك صبويم وملك بالع التي هي صوغر ،

ونظموا حربا معهم (أي حلف الخمسة) في عمق السديم .

[تكوين/١٤ نص ٨].

فكما كانت الحرب السابقة قد توجت بمعاهدة الاستعباد في (عمق السديم/عمق صيهاسم) كانت الحلقة الأخيرة في هذه الحرب في (عمق السديم) أيضا :

مع كدر لعومر ملك عيلام

وتدعاك ملك جوييم

وأمرافل ملك شنعار

وأريوك ملك الأسار

أربعة ملوك مع خمسة .

[تكوين/١٤ نص ٩].

وقد أنهت الجولة الأخيرة بهزيمة ماحقة لحلف الخمسة (مدن الدائرة) :

وعمق السديم كان فيه آبار حمر كثيرة ، فهرب ملكا

سدوم وعمورة وسقطا هناك. والباقون هربوا إلى الجبل.

فأخذوا جميع املاك سدوم وعمورة وجميع أطعمتهم ومضوا.

[تكوين/١٤ نص ١١]

وحيث أن عمق السديم الذي هو بحر الملح كما اسلفنا ليس فيه ماء ولا نباتا فإن المقصود في هذا النص بقعة في (صيهده/صيهدهم) فلاة اليمن وغائطة الذي نص فيه اودية كثيرة نشأت عليها حواضر اليمن القديم . فعلى مخارج اودية تصب في صيهده :

فعلى وادي ذنه كانت مدينة مأرب عاصمة السبئيين وعلى

وادي بيحان كانت مدينة تمع عاصمة القتبانيين وعلى وادي

عرمة كانت مدينة شبوة عاصمة الحضرميين وعلى وادي مذاب

كانت مدينة قرنا وعاصمة المعينيين .^{٤٩}

فالى احد هذه المولقع يشير النص التوراتي :

• الآبار الحمر :

في نطاق وادي مذاب او الى الجوار منة يشير صاحب نقش النصر الكبير (ربرتوار/٣٩٤٥) السالف الذكر الى مصدر هام للمياة في ذلك الحيز سماه :

• ماء حمرة : في السطر (١٤-١٧) يفند وقائع الحملة على سهل الجوف ومدنه ومنها انه :

استولى على ماء (عذب) (صلم وماء حمرة) وحرم ملك نشن ونشق من ماء مذاب .^{٥٠}

/فماء حمرة /هذه المذكورة في اوساط الالف الاول قبل الميلاد حسب تقديرات اهل الاحتصاص لوقائع حملات المكرب السبئي (كرب ايل وتر) تشير الى : (الابار الحمر) الكثيرة التي لقي فيها ملك سدوم وعمورة حتفها .

ومن حيث كثرة الابار في سهل الجوف فمسألة لاحتجاج الى دليل ففيما بين معين (قرنار) وهرم ،مسافة لاتتجاوز الفرسخ (حسب تعديد ابن الجاور) ، وفي هذا الفرسخ تنتشر عشرات الابار وفيها اورد (ابن الجاور) هذه الابيات :

ما بين معين وهرم سبعون بئرا لابن لحم

مطوية بالساج من جوف القدم مابرحت لحم حار لحم

غلبت عليها هذيل وعقيل وجشم^{٥١}

هذه الابيات لم ينسبها (ابن الجاور) لأحد. وقد أشكل عجز البيت الثاني على محقق (تاريخ المستبصر لابن الجاور) فترك الأحرف بلا نقاط.

والأهم عندنا هنا هو كثرة الآبار وأنها مطوية بالساج : وهو خشب يجلب من الهند واحدته ساجة .^{٥٢}

وحيث ان الخشب المجلوب من الهند يغلب على لونه الحمرة، فقد ظن الشاعر ان الآبار كانت مطوية بالساج ، ونحن نميل الى ان تلك الآبار كانت مطوية بخشب (العلب/السدر) وهي شجرة هائلة تنتشر في جنوب الجزيرة كلها ، وأخشابها حمراء قائمة وكان الأهالي في (سرو حمر / يافع) يضعون أخشاب العلب بعد تجفيفها في قيعان الآبار لمدة تربو على الحول ، فتكتسب بذلك قوة (صلابة) ومرونة. ثم يزرعوها بعد ذلك من جوف المياه ويستخدمونها في أغراض البناء ، وتستخدم أحيانا في طي الآبار اذا دعت الحاجة لا تؤثر فيها رطوبة . ولهذا السبب ترجع تسمية (ماء حمرت / ربرتوار /٣٩٤٥) والواردة في هذا النص التوراتي الذي أسهبنا في شرحه .

وقوع نبي الله لوط في الأسر

لقد خمدت نيران الحرب الشاملة هزيمة ماحقة لحلف الخمسة ونهبت سدوم وعمورة ومست
الحرب بأذاها (آل بيت ناحور) فقد وقع نبي الله لوط في الأسر:

وأخذوا لوطاً ابن أخي إبراهيم وأمالكه ومضوا. إذ كان ساكناً في سدوم. [تكوين/١٤/نص ١٢]
هكذا فقد أتى من يبلغ نبي الله إبراهيم بهذا الخبر وهو ما زال كما أسلفنا في الكور كور مذحج
(كور العواذل - جنوب البيضاء) وتحدد التوراة هذا الموضع:

فأتى من لجا وأخبر إبراهيم العبراني. وكان ساكناً عند بلوطات ممرا.... [تكوين/١٤/١٣]
وحسب قراءة (الصلبي) لهذا النص:

(ب ء لني ممرء) الترجمة الصحيحة لهذا النص : عند حرش ممرء أو غابة ممرء.^{٥٣}

وقد انطلق (الصلبي) في قراءته هذه من بديهية مفادها أن:

(ء لن) في العبرية : هي الشجرة الكبيرة، الغابة الحرش. وقد حذفت ميم الجمع في (ء لني) بداعي
الإضافة. [الهامش بنفس الصفحة / ص ٢٣٨]

ولعمري أن إبراهيم (عليه السلام)، ينبغي عليه أن يكون في حاز من الأرض كثيف النبات، وهي
بلاشك حالة تفرضها الضرورة لرعي مواشيه الكثيرة. ومن الآثار الإسمية (أسماء المواضع) في ذلك الحيز
بحد:

• قرية أم حمراء: (أم : سابقة التعريف الحميرية) قرية عوذلية وصفها (الناخي) في الطريق إلى
يافع من أبين (عبر السيلة البيضاء)، فبعد ذكره لقرية أم صره (أحد كبريات قرى قبيلة بليل
الفضلية - لقمان - ص ٢٢٧) ثم (الحمراء) وقرية الماحل والصعيد بعدها هبطنا إلى السيلة البيضاء
. وفي طريق العودة يصف (الناخي) البيئة الواقعة فيها تلك القرى بقوله:

(وقرية الماحل واقعة على أكمة صخرية وأمامها الفضاء الواسع الصالح للزراعة و(الرعي)، وفي
قلب هذا الفضاء مزرنا على عدة قرى تسمى بالجوف الأعلى والجوف الأسفل.
وينقل لنا محادثة له وقد وصل إلى (لودر) بعد المرور على (زارة) وهما أهم مدن الكور ، كان

موضوعها هذه الأرض الشاسعة وبينتها الزاخرة بمقومات الزراعة.... والحادثة كانت مع أحد الأهالي الذي بادر صاحب الرحلة (الناحجي) بقوله:

(مالك يا شيخ ضربت كف بكف. هل حصل لك شيء؟)

فقلت (على الفور): نعم أعطاكم الله أرضاً لستم لها بأهل. وذكرت الساعات التي قطعتها السيارة في تلك المساحات الطيبة الواسعة. فأخذ قلماً وضرب به المنضدة وقال: هذا الذي شاهدته بالنسبة لما لم تشاهده أي نقطة بالنسبة للمنضدة.^{٥٤}

هذا وقد ذكرت (أم حمراء) هذه في مراسلات المستشرق السويدي (الكونت كارلودي لنديسرج) كموقع واعد بالآثار القديمة.^{٥٥}

في هذه البيعة ذات الأحراش عاش نبي الله سنوات من عمره في (أم حمراء) أو في واحدة من قريتين تقعان إلى الجنوب الغربي من أم حمراء وهما:

الرواء: بضم الواو مع المد والهمز بلدة في أبين شمال حنفر، قال الهمداني في (الصفة) أن بني مجيد ساكنيها.^{٥٦} وتقع إلى الغرب ملتقى الإفلاج (باب الأفلاك) حيث تلتقي عدة سيول منها:

- ريبان : ومآتيه من جبال العواذل (الظاهر) .
- سنبا : ومآتيه من جبال سرو حمير/يافع.
- هايرة: وتقع إلى الغرب من(الواء) في رأس وادي حسان الأبيني عند السفح الجنوبي الشرقي لجبل (سنبا). وعليه(فحرش ممرء) هو بلا شك واحد من ثلاث:
- ◆ أم حمراء : امراء (بالإدغام).
- ◆ أم رواء : (بسابقة التعريف الحميرية وإهمال الواو).
- ◆ مايرة : (مرة/ بدون تصويت فإذا أدخلنا عليها سابقة التعريف الحميرية [أم] فهي أم مرة = أم

(امر)

◆ نجدة نبي الله إبراهيم للوط (عليهما السلام) :

تخبرنا التوراة في نفس الإصحاح من سفر التكوين بهذه النجدة بالنص:

فلما سمع إبراهيم أن أخاه سبي جرعلمانه المتملن ولدان بيته ثلاث مئة وثمانية عشر واتبعهم إلى دان. وانقسم عليهم ليلا هو وعبيده فكسرهم وتبعهم إلى حوبه التي عن شمال دمشق، واسترجع كل الأملاك واسترجع لوطا أخاه أيضا وأملاكه والنساء أيضا والشعب.

[تكوين/ ١٤ / ١٤-١٦]

ولهذه الحادثة أصداء عند الأخباريين العرب نقلاً عن مصادر توراثية (إسرائيليات) (فالحافظ ابن كثير) يرويها على هذا النحو:

(قالوا: ثم أن طائفة من الجبارين تسلطوا على لوط (عليه السلام) فأسروه، وأخذوا أمواله واستاقوا أنعامه فلما بلغ الخبر إبراهيم الخليل سار إليهم في ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً، فاستنفذ لوطاً (عليه السلام) واسترجع أمواله، وقتل من أعداء الله ورسوله خلقاً كثيراً وهزمهم وساق في آثارهم حتى وصل إلى شمالي دمشق وعسكر بظاهرها عند برزة...)^{٥٧}

هكذا فقد نقل شيخ المفسرين النص بحذافيره، وما يسترعي انتباهنا أن النص التوراتي قد نقله (ابن كثير) بما يناسب الجغرافيا المحيطة بـ (دمشق) ولهذا لجده عدل عن ذكر موقعين ورد ذكرهم في النص الأصلي (التوراتي) وهما:

□ دان.

□ حوبة.

وقد أقحم بدلا من (حوبة) تسمية ربما تكون في شمالي دمشق هي (برزة).... ولهذا الأمر عندنا دلالة الداعمة لقولنا بأن الجغرافيا التوراتية الأصلية في جزيرة العرب وبالذات في جنوبها على وجه التحديد.

نعم فقد ذهب نبي الله إبراهيم لنجدة ابن أخيه هاران، بعد أن بلغه النبأ وهنا يجب التأكيد على نقطتين ذي أهمية بالنسبة لمتابعينا هذه وهما:

◇ الأولى: وتعلق بالزمان. فالملاحظ هنا أن (حرش ممر) منتجع إبراهيم (عليه السلام) لا يبعد كثيرا عن بلاد لوط... فقد أتى من يبلغ إبراهيم (عليه السلام) في الحال بواقعة أسر نبي الله وانتهاب أمواله.

◇ الثانية: وتعلق بالمكان. فالملاحظ أن (حرش ممر) يقع أيضا إلى الجوار من (دان) الموقع الذي التقى به إبراهيم في جيش (كدر لعمور) العائد في طريقه إلى (حوبة) مثقلا بالغنائم والسبايا وفيها لوط (عليه السلام) قد أسرته جحافل الجيوش المنتصرة (طائفة الجبارين/ حسب تعبير ابن كثير). لقد اتخذ الخليل طريقا مختصرة مكنته من الوصول إلى (دان) في الشمال من (حرش ممر/ في بلاد الكور) فلين دان هذا؟

✽ وادي دان: أحد أودية بلاد العنق (عنقيم توراتيا) في (سرو سمير/ يافع). ذكره (الهمداني) في (الصفة) بالذال المعجمة بقوله: (العر لا دان من يافع).^{٥٨}

وفي الإكليل بالبدال المهمل (أدان).^{٥٩} وهو اليوم من أودية شرق يافع (العناق) يعرف بأعاليه في سفح (جبل العر) باسم رادي (أم شراف) وفي أسافله باسم وادي (خيله) [أنثى الحصان]. ومنه (أي من دان) تذهب بك (طريق السيارات / سابقا القوافل) إلى الموقع التوراتي الآخر وهو:

* حويه: (حبه بدون تصويت) : بفتح الحاء المهمله والباء الموحدة آخره هاء. ورد ذكره في النقوش المسندية / كوربوس ٦٢١) والعائد للقرن السادس للميلاد. فقد كان موطن السلالة الحميرية (حيم) / الميم لاحقة التنوين العربية الجنوبية (التميم). أما الحمداني فقد جعل (حبه) في نسب سلالة حمير الأصغر : حبه بن زرعة بن سبأ بن وائل بن سدد بن زرعة (حمير الأصغر) .
واليه (أي إلى حبه) ينسب (وادي حبه بالسرو).^{٦٠} وقد ذكر الأكوع:

السرو المراد به هنا سرو حمير، وهو بلاد يافع ... ويرى جبل حبه من بلاد البيضاء إذ حبه من يافع غرب البيضاء - وآل حبه من قبائل يافع.

وجبل حبه هذا هو ثالث ثلاثة جبال مازالت جميعها تعرف باسمائها القديمة، وقد وردت في صفة جزيرة العرب للهمداني:

" فالعر لأذان من يافع وثمر للدراحن من يافع وحبه للأبقور من يافع".^{٦١} فأين حبه من (دمشق/ التوراتية هذه).

* دمشق: ذي أم شق (ذ مشق / بدون تصويت) ذي أمشق هذه يقع حبه إلى الشمال منها تماماً كما ورد في النص التوراتي وهي منطقة واحة فيها وديان خصبة تنتج البن وأهم وديانها:

- سلب (أسافل ذي ناصب).
- قرض
- نخرة
- سبيح (سباح)
- ضبه.

والى جانب السكان المستقرين في هذه القرى وغيرها يوجد قسم آخر من أهل (أمشق) الرحل الذين ينتقلون حيثما يوجد الكلاً لمواشيهم.^{٦٢} هذه المنطقة (ذا مشق) بالذات هي المعنية بقول حمزة لقمان (في حصرة لحدود يافع بني قاسد) : وتحتها (أي يافع بني قاسد/ السفلي) من الشرق بلاد العوذلي (بلاد الكور/ والظاهر) وبلاد الفضلي (بلاد لوط)...^{٦٣}
(ما بين الأقواس لنا للتوضيح).

وعليه فهذا القسم من يافع / سرو حمير المجاور (لخرش ممر)، الواقع على وجه التحديد إلى الغرب

من هذا الحرش. كان نبي الله يعرفه تماما ويختلط فيه رعاة مواشيه مع الرعاة من (ذي أمشق) ولهذا السبب بعينه جعله في روايته للواقعة أساسا (أو مرجعا) لتحديد المواقع الجديدة التي نزلها طلبا لفك أسر لوط (عليه السلام)... الأمر الذي أربك فيما بعد (عمات السنين) المحقق التوراتي الذي كان يتعامل مع نصوص لا تكتب فيها الصوائت فوهم أن (ذ مشق [بالذال المعجمة]) هي (دمشق) بلاد الرافدين... إلى جانب محاولات القبائل اليهودية التثبيت بأوطانها الجديدة وطمس ذكرى الجذور القديمة في مواطنها الأصلية... الأمر الذي أخذ الدارسون المعاصرون للآثار التوراتية التنبه له، وشكل أحد الأسباب لإعادة دراسة الماضي التوراتي.

ومن الآثار التي تشهد على تدخل محقق (سفر التكوين) في إعادة صياغته مما أوقعه في تناقض مريع الآتي:

أخبرنا (الإصحاح ١٤/ من سفر التكوين) أن المعارك قد أسفرت عن هزيمة (حليف الخمسة) وسقوط ملكي سدوم وعمورة (في آبار حمر كثير في عمق السديم) والتي حققنا مراقبتها. ثم نفاجأ في نفس الإصحاح أنه بعد نجاح إبراهيم (عليه السلام) من هزيمة جيش (كدر لعومر والملوك الذين معه إلى عمق الشوى الذي هو عمق الملك... [تكوين/١٤/١٧])

وفك أسر لوط واسترداد جميع الغنائم نفاجأ أن على رأس مستقبلي نبي الله إبراهيم كان ملك سدوم ^{١٤}

فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسره كدر لعومر... [تكوين/١٤/١٧] ترى كيف عاد ملك سدوم إلى الحياة بعد أن وقع في الآبار الحمر لعمق السديم مع حليفه ملك عمورة ^{١٥}

سيرد البعض أن ملكا آخر لسدوم قد تسلم الحكم فيها بين عشية وضحاها، وكان على رأس المستقبلين لإبراهيم (عليه السلام) أو أن وقوع ملك سدوم وملك عمورة في الآبار الحمر لا يعني هلاكهم... ولعمري أن الأكمة تخفي ما خلفها ^{١٦} وأن الأمر على أي وجه كان يشير البلبلة والتشويش الذي بدوره يشير إلى تحريف التوراة تماما كما نص عليه القرآن الكريم:

﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ الآية ٤٦ النساء.

﴿يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به﴾ الآية ١٣ المائدة.

من هذا المنطلق فإننا نميل إلى القول بعدم نشوب معركة بين نبي الله إبراهيم والقوات المنتصرة، فالمعركة أو بالأحرى الحرب الشاملة التي اجتاحت معظم جنوب جزيرة العرب كانت بين ممالك

جنوبية بالإعتبار الأول، ولانثك أن النبي إبراهيم (عليه السلام) ورهطه الذين وفسدوا معه إلى أرض التيمن (الجنوب) كانوا محل تقدير وترحيب من جميع الممالك المتطاحنة في جنوب الجزيرة، وبالذات ممن هم على احتكاك مباشرة بمنتجعه أي جيرانه في (سرو حمير/ يافع) الذين كانوا حينها رأس مملكة عيلام (يري يلا) وكانت أشد بطون حمير وأصعبها مراسا تسكن في (سرو حمير)، هذه البطن هي : العناق (عنقيم توراثيا) والتي وضعت في فترة لاحقة شمالا في اطار التحالف القبلي المعروف ب/ بني كركر عند الأخباريين العرب. ولم تنقطع سلالتهم عبر التاريخ حتى اليوم.

فهم أي (العناقين) الجبابرة الذين أوقفوا شعب إسرائيل بقيادة كليم الله موسى (عليه السلام) من الدخول إلى أرض الميعاد (أرض كنعان)، فقد نقلت لنا التوراة خبرهم على لسان مندوبي قبائل الأسباط اليهودية الذين أنتدعهم موسى (عليه السلام) في مهمة غرضها التعرف على أرض كنعان قبل الإستيطان فيها فهكذا خبروا موسى :

وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق فكنا في أعينهم كالجراد... [سفر العدد/ ١٣/ ٣٣]

والمنطقة الشرقية من سرو حمير / يافع الواقعة الى الغرب من البيضاء (بيضاء حصي) والمعروفة باسم الحد، كانت (حسب تعبير حمزة لقمان) تسمى قديما (العناق).^{٦٤} ونحن نقول أنها لا زالت تعرف بالعناق. ففي تحقيقه لبعض المواطنين في سرو مذبح التي جعلها الحمداني في الصفة مواطن لقبيلة (رهاء) يقول الأكرع :

وهر بالتحريك وقد يكسر الحرفان : بلدة وواد دعوته اليوم في يافع ثم في (العناق) مجاور للبيضاء.^{٦٥}

عودة إلى النص :

وكما أسلفنا فنحن نخدس أن ما حدث للوط (عليه السلام) وأملاكه من قبل القوات المنتصرة كان مجرد غلطة حدثت في جلبيه الجيش الزاحف، فلما تبين الأمر في وادي (دان/منطقة العناق) أن لوطا في الأسرى ونظرا للشهرة التي كان قد أحرزها الخليل في (مصر اليمن/ السحول افتراضا) ودعوته للترحيب التي كانت لا ريب قد بدأت تغلغلها في (سرو حمير) فقد وجب على قائد القوات (كدر لعومر) دعوة ضيفه الكريم والشيخ الخليل إبراهيم (عليه لاسلام) لمرافقته إلى حاضرة مملكته الحصينة حوبه (حبه) الواقعة في جبل (حبه) الشديد التحصن برجال حمير (العناق) وبطيبة (سرو حمير) الورة.

وردنا على من يحتج بقولنا في تحقيق عيلام (التوراتية) أن المقصود بها منطقة (يلا) —على وجه

الترجيح- في خولان الطيال فإننا نرد عليه بأن هذه المسألة لا تفسد أطروحتنا في شيء. فعلاقة (سرو حمير) بمنطقة مثل (خولان الطيال) عريقة في القدم وعرقية (إثنية) ودليلنا ما نقله لنا لسان اليمن الهمداني بشأن خولان:

خولان صنعاء:

تعرف ب(خولان الطيال) أو (خولان العالية) وقديما (خولان أدد) ومنازلها شرقي مدينة صنعاء إلى قرب مأرب، وقد نسبها الهمداني إلى :

مالك بن حمير عن طريق عمرو بن قضاة في الجزء الأول من الإكليل...^{٦٦}

وقد تجسدت هذه العلاقة بين (سرو حمير) و (خولان العالية) في عصور متأخرة (القرون الأولى بعد الميلاد) في اتحاد أكدته النقوش المساند بين البيت اليزني (ذو يزن) والبيت الجدني (ذو جدن) فالأول من (سرو حمير) والثاني من (خولان) .. أنظر بحثنا عن الفترة اليزنية في هذا الكتاب) - الجزء الثاني /القسم الأول.

بهذا نكون قد جلدنا الكثير من تاريخ جنوب جزيرة العرب في أقدم العهود التوراتية. إذ وضعنا على كاهلنا دراسة تلك الحقبة المورثة في قدمها إلى مطلع الألف الثانية قبل الميلاد انطلاقا من نصوص الإصحاح الرابع عشر من سفر التكوين... وقد أثارنا تسمية هذا الإصحاح بـ(أصحاح المعارك) ، حيث أسهبنا في اقتفاء مسارح المعارك في جنوب جزيرة العرب لا من خلال الآثار الأسمية فحسب والتي مازالت باقية حتى يومنا هذا، بل من خلال إفادات نقوش المساند اليمنية الجنوبية القديمة التي تعرضت لمواقع كثيرة تحمل نفس التسميات لا للمواطن التوراتية فحسب، بل ولأهالي تلك المناطق أيضا في ثنائية تطابق إلى حد بعيد ثنائية النصوص التوراتية...

وبعد فإن الصفحات اللاحقة ستزيد من معارفنا حول التاريخ التوراتي للمنطقة وتعزز بلاشك من قناعاتنا بأن التوراة تحمل في نصوصها العتيقة الكثير بالنسبة لتاريخنا وتدهشنا بالكثير من المفاجآت إذا ما كررنا جهودنا البحثية مهمة عالية غايتها إعادة الاعتبار للتاريخ وعقلنته.

العقيدة الإبراهيمية ملة المتطهرين

ومنذ هذه الوفادة الإبراهيمية الكريمة على أرض (اليمن) والدعوة الحنيفية الموحدية، تجدد لها متنفساً في صدور اليمانية الرحبة فلا تعدم اتباعاً لها يتوارثون رسالتها وقيمون إحياءاً لمناسكها بيوتاً ومساجداً يذكرون فيها رب إبراهيم ويعبدونه وفقاً لملة لإبراهيم الحنيفية عبر القرون الخوالي التي تفصل بينها وبين البعثة المحمدية التي شاء الله أن تهتز لها جنبات المعمورة فتدعن شعوبها لنداء رسالة التوحيد دين الإسلام على يد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم).

لقد كشفت لنا التقنيات الأثرية في اليمن أن طائفة من اليمينيين ظلت تتوارث أجيالها بعد إبراهيم (عليه السلام) ملة التوحيد وتعبد إله السماء (ذو سماوى/ حسبما ورد في النقوش) وهي التي خلفوها في مدن اليمن القديمة ومحافدها التليدة الداوية. حيث تشير النصوص النقشية إلى مزايا وصفات أصحابها المحموضة بالنفس الإبراهيمي ورسالته الطاهرة. وها نحن نسوق لكم (نماذجاً) من هذه النقوش التي كرسها أصحابها للإله (ذي) سماوي كتبت بحروف المسند، ونقلها تسهيلاً للقارئ بأبجدية اللغة العربية -التي تكتب بها هذه الدراسة- عن مدونة أصدرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (بتونس/ ١٩٨٥) وذلك باسم: مختارات من النقوش اليمنية القديمة / د. محمد عبد القادر بافقيه وآخرون:

I. ٢٢ النقش : (ربرتوار/ ٣٩٥٨)

المصدر: غير معروف...

التاريخ: نهاية عصر ملوك سبأ

سمحت/ بنت/ بنا.

ل/ حنكيث/ تنخ.

يت/ وتندرن/ لال.

هه/ ذسموى/ يعل/

بنين/ هين/ سلحت/

ذاذنه/فجزم/سو

١/ذسموى/علي/ارش

ده/ف هضرعت/وعن

وت/وخطات/سمت .

١٢ النقش: (كوربوس/٥٢٣)

المصدر: مدينة هرم (هرم قديماً وخربه همدان حالياً)

التاريخ: عصر ملوك سبأ وذي ريدان.

حرم/بن/ثوبن/تنخي/وتد

ذرن/لذ سموى/هن/قرب/م

راقم/بحرمو/وفلت/حيض/

وهن/ها/علي/نفسم/وهن/ب

ها/غر/طهر/وياب/باكست/

هو/غرطهر/وهن/مس/انث

حيض/والم/يفتسل/وهن/ن

ضخ/اكسوتو/هرم/فهضرع

وعنو/ويحلن/وليثوبن

ويمكن قراءة النص ١ على هذا النحو:

سمنه بنت (بني آل) الحنكية تنخي (تبوح) وتنذر لإلاهاها ذي سماوى (رب السماء) بعلى بنين
(سيد بنين [معبد]). بما سلحت (نجست/من البراز)، ذي أذنه (الذي بإذنه) جزم (أحاط) السوء ذو
سماوى أعلى رشده (دعاً = تعالى رشده/شأنه) الذي تضرعت (له) وعنث (أنابت) بما أخطأت سمته.

ويحتمل قراءة بعض مفردات النص على هذا النحو:

ذا ذنه: بمعنى أن الضمير عائد عليها. فقد سلحت (تنجست) بالزناء (ذي أزنت/ بإبدال النذال
من الزاي فيزن = يذان في النقوش الحضرمية بالذات) وهذا يكون نذرهما وتضرعها لذي سماوى ليغفر
لها خطيئة الزناء.

عنو: عنوة أي بنية خالصة وفي لهجة (سرر حمير/ يافع) يقولون عاني بنيه = تفيد عدم التردد في
الأمر. وعن لي في الفصحى = خطر لي.

II. أما النص الثاني فيمكن قراءته على هذا النحو :

أحرم بن ثوبان تنحى وأندز لذي سماوى لما قرب (باش) امرأته (بجرمة/ الضمير عائد على ذي سماوى) وملثها (وطئها) وهي حائض. و(دخل) بها وهي نفساء غير طاهرة، ويأب (أصاب) اكسيتيه غير الطهر (النجاسة). وحين مس أنثاء الحائض ولم يغتسل. وحين نضخ (أدرس/نجس) كساه-كسوته (فله) المنه (أي يطلبه ليمن عليه بالمغفرة) ف(له) تضرع وعنت (تاب) و (ل) يحلان (يتوب) وليثسوب (هنا يقسم على التوبة والثواب إلى الرشاد).

هذا وأميل إلى قراءة المفردة (يأب) على هذا النحو:

يأب: من أب إلى الله عبده. أي أن صاحب النقش يشير إلى المواظب للعبادة بأثواب نجسة غير طاهرة.

وفي القرآن الكريم : ﴿ هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ ﴾ الآية ٣٢ ق

ملاحظات على النقشين:

كلا النقشين يرجعان إلى نصب قديمة من تاريخ اليمن غير أن النقش (ربرتوار / ٣٩٥٨) الغير معروف المصدر يعود إلى الحقبة التقليدية من الحكم السبئي (قبل الميلاد) وهذا يشير إلى قدم العقيدة التوحيد في اليمن. أما النقش (كوربوس / ٥٢٣) ومصدره مدينة هرم (هرم) فيعود إلى عصر ملوك سبأ وذي ريدان. أي منتهل الألف الأول للميلاد. وهذا بدوره يرشدنا إلى استمرار عبادة (ذي سماوى) في اليمن دون انقطاع منذ عهود ما قبل الميلاد، وحيث يشير إلى ذلك النقوش أخرى منها (كوربوس / ٥٤٧) ومصدره هو الآخر مدينة (هرم) ويرجع أصحاب (مختارات من النقوش...) عراقية هذا النقش إذ يعود إلى فترة قديمة من عصور ما قبل الميلاد (ربما إلى العهد الإبراهيمي نفسه).^{٦٧} أما النقش (ربرتوار / ٤١٤٦) العائد إلى فترة اللقب المزدوج (سباوذي ريدان) والمكرس (لذي سماوى) وصاحبه من سلالة آل (ذي سحر) العريقة فيدل على شيوع عبادة ذي سماوى في عليّة القوم. لأن سلالة (ذي سحر) هي من سلالة الأقيال أو الأذواء (الملوك).^{٦٨} وتستمر عبادة (ذي سماوى) في القرون الأولى للميلاد، فهذا نقش من فترة (شعرم أوتر) ملك سبأ وذي ريدان (المرحلة التبعية الهمدانية) وهو (ربرتوار / ٤١٤٣) وصاحبه من أسرة بني عبال (عيلم) ، و:

دعيلم هذه : أسرة من أعيان سبأ لعلها المقصودة بذي عبال أو عبل عند الأخباريين.^{٦٩} وهذا شاهد آخر يشير إلى شيوع عبادة التوحيد (ملة إبراهيم) لدى سادة القوم في اليمن. الأمر الذي يؤكد طرحنا القائل بقدرم الخليل (عليه السلام) وأنه قد تمكن من نشر دعوته بحرية في اليمن وبترحيب ممن

ملوكها الذين حاولوا غزو النمرود في عقر داره كموشر على حظوة الدعوة الخنيفية حينها في اليمين كما أسلفنا.

تشير النقوش المكرسة لذي سماوى إلى كثرة المعابد أو البيوت التي يعبد فيها فصاحبه النقش (ربرتوار/ ٣٩٥٨) ذكرت بيته (بعل بنين). وفي النقشين (ربرتوار/ ٤١٤٣/ ٤١٤٦) المجهولي المصدر ذكر لمعبد ذي سماوى (بعل وترم). ولعل بعض معابد (ذي سماوى) كانت من الأهمية بمكان بحيث كانت هذه الطائفة المؤمنة تحج إليها كما في النقش (كوربوس/ ٥٤٧) الذي زبر تقريباً من عشرينهما:

(أمرم/ وأهل عثر) حيث ذكروا من بين أشياء أخرى : أن حجهم لذي سماوى يثل (براقش) أحد مدن الجوف المعينة الشهيرة وفتنة الحضارم (ضر حضرمتم) أنستهم القيام بطقوس الصيد والطرائد : (نساو/ مطردن/ عد/ ذعثر/ وال). وإذا أخذنا بعين الاعتبار أهمية مدينة براقش (يثل) ، فإن هذه المدينة المسورة كانت تضم معبداً عظيماً إلى جانب بيت (ذي سماوى) للإله عثر (نجم الصباح) كما تخبرنا النقوش المكتشفة فيها.

مدينة هرم (هرمم) التليدة هذه التي تكشف صيغة اسمها - إلى جانب الطقوس التعبدية فيها - عن علاقة حميمة بني الله وخليله إبراهيم:

هرم = مرهم/ مراهم/ مراهيم.

بالقلب والتميم (أي بإدخال لاحقة التنوين العربية الجنوبية القديمة الميم) ثم بإبدال الباء من الميم الأولى فهي:

برهم = إبراهيم بالتصويت.

هذه المدينة تنبئ أهل الاختصاص من علماء النقوش إلى ظاهرة تدل أن الناس (فيها) كانوا يمارسون نوعاً من الاعتراف العلني بالذنوب.^{٧٠} وليس لدينا هنا أبلغ دليل من النقش الذي تركه لنا فيها (أحرم بن ثوبان [كوربوس/ ٥٢٣]) والذي يعد بمثابة صحيفة اعتراف كاملة بالآثام التي أنتهك بها نواميس الطهارة المفروضة من إله السماء (ذي سماوى) فهذا العبد الصالح يقر لذي سماوى بالذنوب التالية (ولربما أن صاحب النقش هذا قد تركه في فترة ما متأخرة من حياته أي بعد الأربعين) :

■ قرب امرأته في حرمة

■ ملشها (طمشها) وهي حائض

هم بها وهي نفساء

- نجس ثيابه ولهذا فقد
 - آبه (عبده/ياب) بأكسية غير طاهرة
 - مس أنثاه الخائض ولم يغتسل (ربما لم تغتسل هي بعد)
 - أدرس / نجس أكسيته (نضج) ربما بالإستمناء أو نحو ذلك.
- هذه الأمور التي اقترفها صاحب النقش خلافا لكتاب الطهارة. وهو نفس الذنب الذي اعترفت به (سمه بنت إل/ ربرتوار/ ٣٩٥٨).
- ترشدنا إلى أن أصحاب هذه الملة كانوا من المتطهرين. وقد أخبرنا سبحانه وتعالى في القرآن أن عباده هم (المتطهرون) :

﴿أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ الآية ٥٦ النمل

﴿أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ الآية ٨٢ الأعراف

وقد صورت هذه الآيات جواب قوم لوط (عليه السلام) ، فقد ظلوا متشبثين بالإثم بإصرارهم على الإنغماس في وحل النجاسة، وذلك بممارسة ما يعرف باللواط.

إن طائفة المتطهرين هذه قد بقيت حريصة على الملة الإبراهيمية المطهرة فيما يعرف بملة (الأحناف) الأمر الذي أكده القرآن وجاء به دين الحق:

﴿فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ الآية ٢٢٢ البقرة.

﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾ الآية ٦ المائدة

في فجر الإسلام وصف الله قوما من اليمن بالمتطهرين بقوله تعالى:

﴿المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه. فيه رجال يحبون أن يتطهروا. والله يحب المطهرين﴾ الآية ١٠٨ التوبة.

هؤلاء هم بني عمرو بن عوف أهل (قبا) ومسجدهم هذا هو أول مسجد في الإسلام. وفيهم قائل (لسان اليمن) الحمداني في قصيدته الدامغة:

وفينا مسجد التقوى وفينا إذا استنجيتم المتطهرونا^{٧١}

وينقل لنا الأخباريون العرب وجها آخر عن حمير فيه نفحات من أريج ملة المتطهرين الإبراهيمية:

● صلاة الجنابة:

كانت الصلاة في الجاهلية على الجنابة في السكاسك فكان مما انتهى إلى (الحمداني) من أخبارهم في ذلك : أن خطرة بن عمرو بن صعب السكسكي كان يصلي في الجاهلية على الموتى ولا تعلم أحدا

صلى على الموتى قبله وكان يكبر ثلاثاً ما بينهم:

لست بزور ولا زورية مكانك حتى ينجز الأمر متجزّة فما ينتظرنا الأول إلّا لحاق الآخر.

وقد أمر الله بالصلاة عليها بالإسلام.^{٧٢}

وعن نشوان ينقل لنا محقق الدامغة (الأكوع) أنّ السكسكي كان اسمه:

عطرة بن كثير بن خدّاش بن سكسك.... وكان ملك في الجاهلية يصلي على الجنائز قال فيه

الشاعر:

غلب الرقاب معاً برغم الحسد

ذاك المتوج عطره خضعت له

بأهالكين فياله من مشهد^{٧٣}

أشاهد الصلوات عند حضورها

الفصل الرابع

في الطريق إلى أرض الميعاد:

لأشع وبجر سوف. الصرفة وصيدون.

بلاد جلعاد بعص. بلاد مؤاب.

ويتطابق ما نقله (ابن الجاور) مع ما حددته (التوراة) تماماً من أن أقصى بلاد لوط يقع في تخوم الشحر وهذا هو النص:

وكانت تخوم كنعان من صيدون حينما تجى نحو جرار إلى عزة، وحينما تجى نحو سدوم وعمورة وأدمة وصوييم إلى لاشع. [تكوين ١٩/١٠-٢٠]

لاشع : هي الشحر نفسها وهي (أي الشحر) مدينة اسلامية قامت على أنقاض مدينة (أسعين) في النقوش المسندية (ينق ٤٧) وكانت تُعرف باسم الأسعى/ الأسعاء حتى أيام الهمداني^١. إذن :

لاشع (التوراتية) = لاسع ي (النون لاحقة التعريف في لغة النقوش اليمنية القديمة) والتبادل بين الشين (المعجمة) والسين (المهملية) في اللغات السامية معروف بحر سوف :

بعد تخاذل بني اسرائيل في دخول أرض الميعاد بقيادة موسى (عليه السلام) خوفاً من العمالقة (عمالقة حمير) وبالذات من بني (عناق) تبدأ رحلة التيه في البرية قريبا من تخوم كنعان (أرض الميعاد) بالتوجه عبر طريق تذكرها التوراة :

وإذ العمالقة والكنعانيون ساكنون في الوادي فانصرفوا غدا وارتحلوا إلى القفر في طريق بحر سوف. [سفر العدد/١٤/٢٥]

زوف: بلد ساحلية بأسفل حضرموت من مخلاف الأسعاء^٢....

ومخلاف الأسعاء هذا هو كما اسلفنا أسعين (في النقوش/ والنون فيه لاحقة التعريف في العربية الجنوبية) فهو:

الأسعى (الأسعاء كما ذكر الهمداني) وهو لاشع (التوراتية) أقصى تخوم كنعان. وهو اليوم الشحر الميناء الحضرمي المعروف (مدينة عاد عند ساكنيها).

إذن: فبحر الشحر كان يعرف حتى أيام الهمداني (في القرن العاشر للميلاد) باسم بحر زاف (بإبدال الزاي من السين المهملية) . وعلى طريقة الأخباريين العرب وشغفهم المشهور في تفسير أصول أسماء الأماكن، فقد ربط لسان اليمن (الهمداني) الأصل في تسمية الشطر من ساحل الأسعى (لاشع) والمعروف بزاف (سوف/ توراتيا) باسم أحد الأعلام من قبيلة الصريف الحضرمية وهو:

زاف بن ذخير بن غسان بن جذيم بن مالك (الصرف) بن عمرو بن حضرموت..... فغلب اسم زلف على بلد بأسفل حضرموت من مخلاف الأسعاء على الساحل^٣....

وقد لاحظ (د/ كمال الصليبي) أن الأحداثيات المذكورة (لجوار) في سفر التكوين (٢٠/ ٢٦) وأخبار الأيام الثاني (١٤) تختلف عن تلك لجوار في (سفر التكوين/ ١٠) حيث يرد ذكر (جوار) في مجال الكلام عن حدود أرض الكنعانيين (هـ - كنعن) الممتدة من (صيدن إلى عزة) ويضيف النص هنا أن الحد الآخر لأرض الكنعانيين يبدأ هو أيضا من صيدن فيمتد.... إلى لاشع^٤.

ومن المؤكد أن (صيدن) الواردة هنا ليست هي الميناء اللباني (صيدون) (التي هي اليوم صيدا).

ومن حيث وجهة بحثنا فإن في اليمن عدة (صيدونات) وقد ذكر لنا لسان اليمن (الهمداني) منها ثلاثا:

١. صيد: بفتح الصاد وسكون الياء المثناة من تحت (نقيل أسفل سمارة/ نقيل صيد) وفيها مسجد (معاذ بن حبل) الشهير وهو ما بين حقل يريم والمخادر ومنه تشرع طريق صنعاء تعز^٥.
 ٢. بلد الصيد: وبه أودية من ظاهر همدان مثل يناعه وذ بين وما يسقيهما من ظاهر الصيد.... بالتحريك قبيل وبلد من حاشد^٦.
 ٣. صيد: قرية من عزلة قيفه آل غنيم وذو كزان وأعمال رداع^٧.
- وأميل إلى أن الأخيرة هي المقصودة في النص (سفر التكوين / ١٠) فهي الأقرب في نظري إلى بلاد كنعن (كنعان) ومنها بلاد لوط التي حققناها.
- أما عزلة فلدينا مرقعين في حضرموت يذكران بها:
- العز (قارة) : بالعين والزاي معروفة جنوب تريم^٨.
- القزة: (بالقاف تصحيفا) : واد من الأودية الواقعة بين (ريدة الدين) و(المجرين) والطريق بينهما يمر في بطنه. وريدة الدين تقع في مرتفع (حول) يتوسط رؤوس وادي عمد ووادي دوعن الأيمن^٩.
- وفي أحد (الصيدونات) هذه ونظنها صيدا يريم. قال (عائد بن عبد الله الأزدي) وقد أوفده قومه لتحسس أحوال بلاد أحوهم حمير:

لقد ردت (صيда) و (السحوليين) بعده	وعنه والسيال بين الذنائب
وغورت حتى طفت (أبين) بعدما	خبرت لكم (لحج) الربا (والسباسب)
فلم أر فيما طفت من أرض حمير	لأربنا من مشبه أو مقارب ^{١٠}

صيدا والسحوليين وأبين ولحج ومأرب وعنه والسباسب كلها من غرر أودية اليمن،
وفي (سفر الملوك الأول) ذكرت (صيدون/صيدا) في قصة تروي سحق الرب على بني إسرائيل
ومعاقبتهم بقطع القطر عنهم لسنوات في أيام النبي (إيليا التشبي) الذي يأمره الله بالرحيل من (جلعاد)
شرقا:

.... اتجه نحو المشرق واختبى عند (نهر كريت) الذي هو مقابل الأردن وكان بعد
مدة من الزمان ، أن النهر ييس لأنه لم يكن مطر في الأرض.
وكان كلام الرب له قائلا: قم اذهب إلى (صرفة) التي (لصيدون) وأقم هناك.
[الملوك الأول/١٧-٨].

نهر كريت : بلد حددها الهمداني في أودية سرو مذبح :
كريش (بالشين المعجمة) للأورديين والأصبحيين،^{١١}
وقد حققها (الأكوع) : كريش : بفتح الكاف وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحت ثم شين
معجمة. بلدة عامرة من بلاد الرصاص،
أما في مراسلات المستشرق السويدي (الكونت لندبرج) مع عملائه اليمنيين، فقد ذكرت بالصيغة
التوراتية تماما كموقع أثري :

كريش: ذكرت بالتلازم مع حصى والظاهر.
وقد أسلفنا أن (جبل ريدان) في بيحان القصاب، حيث يطل على وادي نحر (آخر/ في النقوش).
وقد أثبتت نقوش المسند اليمنية القديمة أن بلاد واسعة تمتد من ردمان القديمة إلى الشرق من
رداع، حيث كانت حاضرة بني معاهر فيها وعلن (وعلان/ المعسال اليوم) ومضحا (البيضاء) الواقعة في
أنحاء مدينة حصى الأثرية مركز الأقيال من آل ذي أصبح (ذ ه ص ب ح) أقيال مضحا إلى حضرموت
عبر بلاد أوسان وقتبان (وقبلها بيحان وفيه العاصمة تمنع) كانوا يعرفون بتحالفهم المعروف بـ (ولند
عم) نسبة إلى الإله الوطني لهم، وقد تحالفوا في القرن الثاني للميلاد مع بلاد دهسم (يافع) وعرف هذا
التحالف بـ (التحالف المشرقي) كما ينص على ذلك النقش (جام / ٦٢٩) العائد إلى عهد:
سعد شمس أسرع وابنه مرثد محمد ملكي سبأ وذي ريدان إبن ييل شرح أيل يحضب (١)
(بالتبني)^{١٢}.

وأحد المدن القتبانية التي تعرضت لها القوات السبئية في هذا النقش عرفت باسم:
(مشریقتن = المشرقية).

فهذا هو المشرق المقصود في (سفر الملوك الأول/ ١٧ نص ١-٨) وهذا نهر كريت فأين (صرفت التي لصيدون) التي أمر النبي إيليا التشبي الإقامة فيها بعد جفاف (نهر كريت) :

◆ صرفة: الصرفة قرية وواد يسكنها السلاطين (آل بن هرهرة/ سلاطين يافع) في مخلاف الشعيب من سرور حمير الواقع شمال شرق الضالع^{١٣}.

◆ بنو صرف : قوم من سبأ ذكر (الهمداني) من مواطنهم الفرع والحجمة... والأخيرة ما زالت قرية عامرة في قائمة على مسافة صغيرة في الشمال الغربي من رداع^{١٤}.

وقد اجتهد الباحث التوراتي (د/ زياد ميني) في البحث عن (صرفت التوراتية هذه) وقال:

يرون أهل الاختصاص في قرية (الصرفند) الواقعة

إلى الجنوب اللبناني (صرفت المذكورة) في

(سفر الملوك / الأول / ١٧/٩) والتي أعتقد أنها

(الصردف) في القطر اليمني^{١٥}.

ولدينا من الشواهد والقرائن غير الآثار الأسمية ما نضعه بين أيدي الباحثين في هذا المجال ، فقد ذهب (النبي إيليا) هذا إلى (صرفت/ الصرفة) حسبما أمره الوحي الإلهي ليستقر هنالك في رعاية أرملة من أهل صرفة:

وجاء إلى المدينة وإذا بامرأة أرملة تقش عيادنا

فناداها وقال: هايت لي قليل ماء في إناء فأشرب.

وفيما هي ذاهبة لتأتي به ناداها وقال: هايت لي كسرة

خبز في يدك. فقالت : حي هو الرب إلهك أنه ليست

عندي كعكة ولكن ملئ كفي من الدقيق في الكوار وقليل

من الزيت في الكوز، وهالذا أقش عودين لأتي وأعمله

لي ولأبني لتأكله ثم نموت .

[سفر الملوك / الأول/ ١٧/١٠-١٢]

ف/ لتأخذ عبارة فاهت بها هذه الأرملة وهي:

(لتأكله ثم نموت).

يشير هذا النص إلى عادة يمنية قديمة تتحدث عنها كتب التراث العربي وهي:

الأعتقاد:

وتعني إغلاق الرجل عليه باب داره لا يخرج منها حتى يموت. كانوا يفعلون ذلك وقت انقطاع الحب من اليمن في سني يوسف (عليه السلام) تكبراً عن السؤال، حتى سن السلف امرأتان فيهم^{١٦}. وفي الاعتقاد أورد صاحب اللسان شعراً لأبي عمرو:

وقائله: ذا زمان اعتقاد	ومن ذاك يبقى على الاعتقاد
------------------------	---------------------------

وقال النظار بن هاشم الأسدي:

صاح بهم على اعتقاد زمان	معتقد قطاع بين الأقران ^{١٧}
-------------------------	--------------------------------------

ويخبرنا نفس الإصحاح عن البركة التي حلت دار الأرملة هذه بحلول (إيليا النبي) فيها. ولكن ابن هذه الأرملة يمرض فجأة ثم يموت ويبعث بإذن الله على يد (إيليا):
.....أخذه من حضنها وصعد به إلى (العلية) التي كان مقيماً بها وأضجعه على سريره.

[ملوك/الأول/١٧/١٩]

وما يهمننا هنا هو ذكر:

• العلية : غرفة تبني أعلى الدار في بيوت اليمنيين ذات النظام الرأسي. ومن تسمياتها الشائعة

حتى اليوم:

◊ المنطرة : لإطلالتها على منظر ما.

◊ المربعة : من التربع.

◊ الخلوة : للاختلاء بالزوجة مثلاً.

◊ العلية : (تماماً حسب النص) من اعتلاتها سقف البيت.

وهذا بلاشك يشير إلى البيئة الأصلية للنص وهي اليمن. أما البلدة التي انطلق منها (النبي إيليا)

فهي :

* جلعاد: (جلعد/ بدون تصويت) : والجلعد (عل - جعد ، وهو الصيغة العربية المعترف بها

للاسسم التوراتي جلعد).

(وهو جلعد/ جبل جلعد) وجبل جلعاد هذا في نظر الصليبي لا بد أن يكون جبل (فيفا) بمنطقة

جازان، حيث هناك قرية الجعدة (عل-جعد ، بقلب الأحرف). إلا إذا كانت الهضبة التي عليها

اليوم قرية الجعد (عل-جعد) في رجال الم^{١٨}.

ولكننا انطلاقاً من هذا المفهوم نرى بلدة جلعاد التي انتقل منها النبي (إيليا التشبي) من مواطن

جعهده، وهم حلال وأحلاف يافع سرور حمير ومواطنهم تقع في الأطراف الشمالية والغربية لسرور حمير

(يافع) وقد عدد الهمداني مواطنهم في (الصفة) :

* جبال جعده : من جبالهم العظمى جبل ردفان وأضرعه ومن حصونهم دون ذلك شكع والعلسم وجر^{١٩} . ومن الأودية (أودية جعده) :

الضباب ووادي حضر الذي فيه محجة عدن إلى صنعاء ووادي شرعة والحنكة والجعدية ووادي المقطن والمعتق ووادي شكع وأخله ووادي الثمري (الشمير) ووادي عمق ووادي سمح ووادي عتبة ووادي وحده ووادي ضرعه، تصب هذه الأودية إلى أبين.

هذا وقد أفاض (الهمداني) في تنسيب هذه لتفرعات قبيلة جعده ومنها:

الأعصود - بنو المهاجر - الأحروث - السكاسكة - الأصنعة - آل مرشد....

وبنو جعده فيما يقال إلى بطون رعين^{٢٠}.

وهم اليوم يعرفون بأسماء مواطنهم نحو الضالعي (نسبة إلى الضالع) وردفاني (نسبة إلى ردفان) وحالمي (نسبة إلى حالمين).

وهكذا ف/جلعد التوراتية يمكن أن تكون قد تخلفت في مواطن جعده (عل-جعد بالقلب) ولا غرابة أن أحد المواطن التوراتية الشهيرة باسم (صور/ صر بالعبرية) الواقعة في شمال فلسطين ، وهي من الأسماء التي جلبها الكنعانيون معهم من جزيرة العرب^{٢١}.

* صور : يذكرها (الهمداني) على محجة عدن على طريق صنعاء في نطاق بلاد الجعدة :

ثم أسفل الأردم وهو وادي الأجدود ، ثم صور^{٢٢}....

وقد عدّها في مخلاف جيشان الجحاور لبلاد جعده (من جهة الشمال) :

ويعد من مخلاف جيشان حجر وبدر وصور وحضر وثرید وبلد بني حيش وجانب بلد العدويين من حب وسخلان والعود ووراخ^{٢٣}.

* مواطن سبطي روايين وجاد :

يرى (د/ زياد مني) أن إقرار التوراة بتخلف كل من سبطي روايين (ابن ليث) وجاد (ابن زلفه) جارية ليثة عن الانضمام إلى بقية أسباط إسرائيل في العبور إلى كنعان (كنعان) من مواب (مءب)، بعد أربعين عاما من التيه بقيادة موسى ، كان السبب فيه حسب (سفر العدد ٣٢ / ١-٥) :

أنه كان لهم مواش كثيرة وافرة جدا. والأرض التي كانوا فيها هي (أرض مواش) ... ومواب هذه حسب المفهوم التقليدي هي الأرض الواقعة إلى شرق الأردن.... وبعض منها عرف باسم جلعاد (جلعد) بينما يطلق (ياقوت الحموي) على هذا الإقليم اسم البلقاء ، مضيفا أنها :

كورة من أعمال دمشق ووادي القرى قصبتها عمان^{٢٤}.

ويطلق (سفر العدد ٢٦ / ١٥) على الإبن الرابع لجاد (ابن يعقوب) (ء زن) بالعريسة (أزني).
بينما يسميه (سفر التكوين ١٦ / ٤٦) :

(ء صبن/أصبون) ، هذا الاختلاف يبين بين أمور أخرى، وجود اختلاط في نسب بعض الأسباط التي كانت تحمل اسما مشتركا أو أنها كانت تتنازع فيما بينها على أحقية الأنتساب لجده أعلى. وقد وردت هذه المفردة بعدة معاني في التوراة:

- ء زن = أذن أي عضو السمع.
- ء زن وردت في سفر التثنية (١٣ / ٢٣). بمعنى وتد - وهو معنى ترى فيه المعاجم المتخصصة أنه غير واضح.

• زين ء - وردت في (سفر أشعيا [٦ / ٦٢]) في النسخة الآرامية من العهد القديم (السترجوم) وقد فهم أنها تشير إلى سلاح.

الأمر الذي يتطابق مع ما تذهب إليه كتب التراث العربي، من أن جد السلالة اليزنية هو أول من ثقف الرماح وجعلها من الحديد بدلا من القرون. وحيث أن والدة سيف بن ذي يزن (ريحانة بنت علقمة) من النسل الجدي أي السلالة المعروفة ب (ذي جدن)، وعليه فإن : سيف بن ذي يزن وكافة الأزنيين، أو اليزنيين كانوا من بقايا أو استكمالا لسلط (جاد) في جزيرة العرب. لقد مهدت هذه السلالة العريقة جانبا من تاريخ جزيرة العرب القديم، يذهب لصالح فهم أعمق وأكثر استقامة لتاريخ العرب قبل الإسلام ولجلودور بني إسرائيل ضمن محيطهم الحضاري والطبيعي في جزيرة العرب... أما الإبن بصيغته الثانية (أصبون) فقد بقي في القبيلة الحجازية (بنو ظبيان) التي تقطن بلاد غامد وزهران^{٢٥}. هذا ملخص لرؤية (د/زياد مكي) لمواطن سبطي (جاد وروابين) في جزيرة العرب، ونحن نشبع هذا الطرح على ضوء إفادات نقوش المسند اليمنية القديمة :

ذو جدن ذوو يزن :

ذو جدن : هذه السلالة العريقة ذكرت في أقدم نقوش المساند العائدة إلى فترة مكاربة سبأ، وهي الحقبة العتيقة. فقد عثرت بعثة الآثار الإيطالية على عدة نقوش في منطقة (يلا) الواقعة في بني (ظبيان) من أراضي خولان الطيال (خولان العالية) الواقعة إلى الشرق من (صنعاء) في منطقة تتوسط المسافة بين صنعاء و مأرب حاضرة الدولة السبئية القديمة. وتعود هذه النقوش إلى عهد مكرين هما :

- كرب ايل وتر بن ذمار على (ذرنج ٢).

• يشع أمر بين بن سيمه على ينوف.

والأول من الأسرة الأولى وهو المكرب المشهور بحملاته الداخلية (ربرتوار/ ٣٩٤٥) التي أفضت إلى توحيد الممالك اليمنية القديمة تحت حكمه.... وقد أظهرت بعض النقوش منها (٥١/أ) أن أصحابها هم من السلالة الجدنية:

برهمو بن جدنم = براهمو الجدني (ذي جدن). وقد شارك المكرب السبئي (كرب ايل وتر) في عمليات للصيد والطرائد، وحيث أن هذا المكرب قد عاش في أواخر النصف الأول للألف الأولى (ق.م) ^{٢٦}. فهذا أقدم ذكر للسلالة الجدنية... التي استمرت أخبارها تتردد عبر العصور اللاحقة حتى اللحظة التي توحد فيها البيت اليزني والبيت الجدني تحت لقب واحد، فالنقش (ربرتوار/ ٤٠٦٩) العائد إلى (٤٨٠ للميلاد) يذكر بني لحية يرخم بأنهم أدواء : يزأن وجدن ويلغب ويصير ^{٢٧}. هذه الوحدة في البيتين (يزأن/ وجدن) تدل بلاشك على الأصول الإثنية الواحدة للسلالة اليزنية الجدنية.

بنو ظبيان : لقد ذكر (مئي) أن (ء صبون) هو الإبن الرابع لجاد اين إسرائيل (نسي الله يعقوب) عليهما السلام. كما ذكر في (سفر التكوين) قد تجمد هذا الاسم في (بني ظبيان) الحجازية (حسب طرح مئي) ونحن نقول : أن أقدم نقش (من نقوش الطرائد والصيد) يذكر (بني جدن) قد اكتشف في منطقة (يلا) من (بني ظبيان) في خولان.... وفي :

وادي حباب من أودية خولان العالية بالقرب من صرواح (الحاضرة السبئية الشهيرة) كان المقر الرئيسي لأذوائية بني جدن (ذو جدن) ^{٢٨}.

وبنو ظبيان -أيضا- في ناحية جبن من أعمال رداع. ^{٢٩}

الظبيتين : حصن في اليمانيتين من خولان العالية ساكنيه بنو بكير.

وإذا كنا قد اقتنعنا بهذه الآثار لسبطي (جاد وروابين) في جزيرة العرب وفي جنوبها بالذات... وقد ذكرنا مواطن قبيلة جعده فلنخرج على مواطن محاذية للصحراء (أرض التيه/توراتيا) علنا نفلح في اقتفاء آثار جلعده هذه وأوطانها على تخوم (غائط اليمن/ صيهده) .
بلاد كحد :

فند نقش النصر الكبير (ربرتوار/ ٣٩٤٥) المناطق التي تعرض لها (كرب ايل وتر يهنعم ١) مكرب سبأ من ملوك العصر العتيق (الأسرة الأولى من حكام سبأ) في أواخر النصف الأول للألف الأولى (ق.م) ومن هذه المناطق التي اجتاحتها جيوشه:

عومه (عرمو) التابعة لكحد (ذت كحد) (أسطر/٨/١٣)

واستولى على /كحد ذي حضنم/ (٨-١٣)

ويوم هاجم / كحد ذي سوطم/ (١٣-١٤)

ويعلق الأستاذ (د/بافقيه) :

كحد صاحبه سوط (ذ سوطم) هي غير كحد صاحبه حضن (ذت حضنم) ... وكان وصف
عومه (عرمو) بأنها تابعة لكحد (ذت كحد). والمعروف أن الهضبة التي تشقها أودية كثيرة منها وادي
عرمة تسمى السوط. ولعل كحد (ذ سوطم) كانت تسكن بتلك المنطقة كما أن لفظة
(حضن/حضنم) توحي بأن مساكن كحد الأخرى كانت بالمنخفضات التي في السهول إلى الغرب من
السوط. ٣٠

ومن معاني الجعد في اللغة:

جعد : متراكب مجتمع وذلك إذا صار بعضه فوق بعض

وجعلد : حمار جعلد : غليظ

والجعلد : الصلب الشديد.

والقحد : أصل السنام.

ابن الأعرابي : المحتد والمقحد والمخفد والمحكك كله الأصل ٣١

ومن الملاحظ أن :

القحد والكحد والجعد والجعلد بمعنى، وعليه فإن هذه القبيلة المذكورة في أقدم المساند تشير
إلى بلاد (جعلد التوراتية) ولنرى هل لمدن جلعاد في ذلك الحيز المخاذي (لرملة السبعين/بعض صيهاد)
من أثر في نقوش المساند على هذا النحو نجد وصف جلعاد في العهد القديم، والواقعة على أطراف
صحراء التيه وتخوم كنعان (كنعن) وفي سفر العدد الذي أشار إليه الباحث التوراتي (زياد مني) المطلوبة
من جاد وروابين:

عطاروت ودييون ويعزير وثمره وحشبون والعاله وشبام ونبو ويعون الأرض التي ضربها الرب
قدام بني إسرائيل هي أرض مواش ولعبيدك مواش. [سفر العدد/٣٢/٣-٥]

وفي الإصحاح (نفسه) :

فأعطى موسى لهم لبني جاد وبني روابين ونصف سبط منسي بن يوسف مملكة (سيحون) ملك
الأموريين ومملكة عوج ملك (باشان) الأرض مع مدنها بتخوم مدن الأرض حواليتها.

[سفر العدد/٣٢/٣٣]

وتستمر وقائع اقتسام بلاد (جلعاد) هذه :
فبنى بنو جاد ديبون وعطاروت وعرو غير وعطروت شوفان ويعزير ويجهه وبيت ثمرة وبيت
هاران مدنا محصنة مع صرغتم.
وبنى بنو روايين حشبون والعاللة وقرينام ونبو ويعل معون مغيري الاسم وسيمه ودعوا بأسماء
المدن التي بنوا. وذهب بنو ماكير بن منسي إلى جلعاد وأخذوها وطرّدوا الأموريين الذين فيها.
فأعطى موسى جلعاد لماكير بن منسي فسكن فيها. وذهب ياثير ابن منسي وأخذ مزارعها
ودعاهن حووث ياثير وذهب (نويح وأخذ قناة) وقرأها ودعاهن نويح باسمه.

[سفر العدد/٣٢/٣٤-٤٢]

وإذ وجدنا في السلالة الجذنية واليزنية بقية واستكمالا لسبط جاد، فإننا نجد سبط منسي الذي
تخلف مع سبطي جاد وروايين في جلعاد قد ترسبت سلالتهم في قبيلة :
*أل/ نسيين: (في صيغة جمع النسبة ل/نسي وبإدخال التميميم في أول الاسم تصريفا فهو منسي)
أحد قبائل بلاد الواحدي الواقعة إلى الغرب من المكلا. والنسيين ينتمون إلى تحالف قبلي يعرف
ببني هلال مواطنهم في وادي مرخة.^{٣٢}
إذن فقد استمرت سلالة سبط منسي بن يوسف بن يعقوب (عليهم السلام) في قبيلة النسيين
العربية الجنوبية هذه.

ومعظم أسماء المدن التي ذكرت في نصوص سفر العدد يمكننا تحقيقها :
* ديبون : دمون (بإبدال الميم من الباء الموحدة وبإدخال الصائت الياء للإشباع فهي دمون
[بدون تشديد الميم]).

مدينة تاريخية ذكرت في نقوش المساند فهي (دمن/دمون) أحد مدن حضرموت التي تعرضت لها
قوات ذمار على يهير ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وبنت والذي عاش في منتصف القرن الثاني
للميلاد (حسب كرونولوجيا ملوك سبأ وذي ريدان/بافقيه)^{٣٣} ؟ ومن مدن حضرموت التي ذكرت
في (أ-مسند ٣٢) :

صوران/ وشيم/ وظورن/ ورطغتم/ وسيتون/ ومريتم/ وحذب/ وعراهلن/ وترم/ ودمن/
ومشطت/ وعركليم.^{٣٤}

* ودمون : ودمون وعدون : فإلهما خراب الآن وكانتا في القدم تشكلا جزئين لمدينة واحدة

يقال لها المنظيرة (تصغير منظرة) وتقع بأسفل السفح الشرقي لجبل المحجرين في رأس مسيال وادي
دوعن.^{٣٥}

وقد ذكرها الشاعر الجاهلي امرؤ القيس :

كأني لم أله (بدمون) ليلة	ولم أشهد الغارات يوما بعندل
--------------------------	-----------------------------

وفيها أيضا قال:

تطاول الليل علينا دمون	دمون إنا معشر يمانون
واننا لأهلنا محبون ^{٣٦}	

* يعزير : من آثارها الإسمية:

١. الغريرة : (تصحيفا) : من مواطن قبائل العليا (نصاب) فهي لقبيلة آل ديان (دياني)
منهم.^{٣٧}

٢. غريير : (يغريير/ بالتصويت) : أحد مدن منطقة غيل حبان في الواحدي.^{٣٨}

* نمرة : نجد آثارها مترسبة في قبيلة النمارة: (نمرة بدون تصويت) من قبائل الراحدي، أهم
مواطنهم وادي جردان (جردان في النقوش).^{٣٩}

* شبام : شبام حضرموت، ذكرت في النقوش (أ. ٣٢) السابق والذي ذكرت فيه (دمن/ دمون)
وفي نقوش أخرى :

وهي من أمهات مدن حضرموت وبها مبان ضخمة ساحقة يرجع تاريخها إلى عهد موغل في
القدم.^{٤٠}

* نبو : إما أن تكون :

هجر الثاب (أم ناب)، وهو من المواقع الأثرية في وادي مرخة، والذي يرى أنه قد تكون فيه
خرابة لعاصمة مملكة أوسان الضائعة.^{٤١}

نبو = نب (بدون تصويت)

وناب = نب (بدون تصويت) أيضا.

أما الاحتمال الآخر فمدينة (نبو التوراتية) هي :

* النبوة : (مؤنث نبو) : من مدن منطقة غير حبان. وهي لبعض من أهل حبان يعرفون بآل
(باغسيل) ومن مواطنهم أيضا:

صفة والنبوة ومرير و(دبون) والكرب.^{٤٢}

* ودبون : ديون (بالتصريت) : هي احتمال آخر ل/ ديون التوراتية [عدد/٣٢/٥-٣]
سيحون : ذكر في النصوص التوراتية (عدد/٣٢/٣٣) : سيجون ملك الأموريين ، وفي (سفر
التكوين/ ١٤/ ٧) الساكنين في حصون ثمارا. وقد حققنا مواقعهم في (خور روري) في ساحل ظفار
(ساكن) في النقوش. (أنظر/ وقائع سفر المعارك) في كتابنا هذا. ومن الملاحظ أن اسم هذا الملك
تختلف في.

* سيجوت : مدينة على ساحل المشقاص شرق الشحر سكانها من قبائل المهرة... وإلى الجوار
منها كانت مدينة (حيريح) التي ذكرها (الهمداني) في (الصفة) و(ابن الجاور) في (تاريخ المستبصر) وفي
الغرب من (سيحوت) يصب وادي المسيلة^{٤٣}. أي أن الأموريين كانوا فعلا في ذلك الإقليم الشرقي
المعروف في النقوش باسم (ساكن/ الساكن) وفي التوراة (ميشا/ وسفار).
هذا وقد ذكرت في نفس النص (عدد/٣٢/٣٣) مملكة أخرى سلمها موسى (عليه السلام) لبني
جاد وبني روايين ونصف سبط منسي بن يوسف:

ومملكة عوج ملك باشان.... [سفر العدد/٣٢/٣٣]

* باشان : هذا الاسم شائع في اليمن :
يقال أن أول من نزل بيجان (برم/ في النقوش) من قبيلة بلحارث هو محمد بن حفير الحارثي...
تزوج من قبيلة الصقور أنجبت له خمسة أولاد ذكور:

I. معيص.

II. ذبوب.

III. باشان.

IV. كعدان.

V. جसार^{٤٤}.

لاحظ أن الولد الثالث هو باشان. وعلى كل حال فقد ذكرت النقوش شعبا عظيما ذا شأن
جلل، بحيث كان يظهر مقترنا بشعب سبأ الغني عن التعريف (والمذكور في التوراة) :
* فيشان : ذكر (فيشن) في النقش ل(بربرتوار/ ٣٩١٣) العائد لى عصور ملوك سبأ (العهد
العتيق) وصاحبه:

لحي عثت/ سطرن/ كبر/ فيشن.

يتحدث في النقش عن توثير وتشقير حراره التي خرمهن المطر كلهن... وتمهر بعثتر والمقه.

ومعنى النص: أن لحي عشت كبير فيشان قد أصلح حراته (سواقيه) الزراعية كلها التي خربتھا السورل (المطر).

وهذا بعد ذاته يثبت استيطان (فيشان) في مأرب قبل انتقالها إلى المرتفعات في صنعاء وشبام كركبان وما حواليتها^{٤٥}. وله ذكر واسع في النقوش منها:

جام / ٥٥٨ / ٦٣٩ و (أ-٢٤)

وفي الأول (جام/ ٥٥٨) في عهد (كرب ايل بين) العصر السبئي الثاني. وأصحابه من قبيلة : عبال وشعبيهم (فيشن).

والثاني (جام/ ٦٣٩) من عهد سعد شمس اسرع وابنه مرثدم يحمده (يهمحمد) ملكسي سبأ وذوي ريدان وصاحبه من قبيلة يهب عل (قيل من ذي جراف) ومقولته (شعب فيشن). أما (أ. ٢٤) فيعبود إلى عهد نشا كرب يها من يهرحب ملك سبأ وذوي ريدان وصاحبه:

رب عشت/ يغنم/ بن/ صعقن/ وتزاد

ونهمن/ وشعبيهو/ سبأ/ وفيشن^{٤٦}. أما عوج ملك باشان (بشن/ فشن بدون تصويت). فقد ذكرنا في أبحاثنا هذه أن من الألقاب الشائعة في سلالة ملوك حمير/ العرنجج والأعقف = عوج

ومن آثار مملكة بشان (الثوراتية) هذه الأسمية:

* نشن : (نشن/ بشن/ بدون تصويت) :

من مدن الجوف المعنية الشهيرة المذكورة في النقوش ومنها: (ربرتوار/ ٣٩٤٥) : حيث كانت من المدن المعنية التي اجتاحتها قوات المكرب السبئي الشهير (كرب ايل وتر) في أواخر النصف الأول للألف الأول (ق.م).

وقد أعفاها من الحريق مما يدل على أهميتها الدينية آنذاك / ١٧/ ١٤. ^{٤٧}

ومن المدن (الجلعادية) التي لم تدرس آثارها الأسمية عبر القرون:

* سبمه : من المدن التي أخذها بنو رواين [عدد/ ٣٢-٣٤-٤٢] نجدها في :

* نسمة : (بإبدال الباء الموحدة من النون) ثم (بالقلب) : من المدن الآوسانية التي اجتاحتها قوات المكرب السبئي (كرب ايل وتر) [ربرتوار/ ٣٩٤٥] في الألف الأول (ق.م) :

ونهب (نسمة) ذهب (أرض مروية) ورثاى وجردان^{٤٨}. ولم يتم التعرف على انقاضها حتى الآن.

ف/ سبمه = سنمه (بالقلب) / سبمه (بالبدال).

ومن المدن التي اقتطعها لنوبح بن منسي بن يوسف (عليهم السلام) :

وذهب نوبح وأخذ قناة وقراها ودعاها باسمه..... [عدد/٣٢/٣٤-٤٢]

* قناة : هي ميناء حضرموت المعروف عند اليونان وموقعه بجذاء صخرة حصن الغراب^{٤٩}...
وقد ذكرت في العهد القديم :

حوران، وقنه، وعدن، تجار شباو آشور وكلمد، هم تجارك. [سفر حزقيال/٢٧/٢٣]

وقد كانت (قنا) من المدن التي تعرضت لها حملات (شعرم أوتر) ملك سبأ وذي ريدان بن (عليهان لفهان) ملك سبأ. وهو أي (شعرم أوتر) كان معاصرا للملك الحضرمي (العزيط) في أوائل القرن الثالث للميلاد. ففي نقش (أ. ١٣) العائد إلى عهد هذا الملك وصاحب هذا النقش هو : القيل (فارح حصن الأقياني) من (شيام/ أقيان/ أي شيام كوكبان) أقيال قسم من (شعب بكلم/ بكيل) وهو من (مقتوى) (شعرم أوتر) حيث شن حملات على حضرموت ومنها :

..... وغنم/ بن/ هجرن/ شبت/ وقنا/ وعدوو/ ودهر/ عسم/ سفنم/ بحيقن/ قنا/ مكدح/ ملك حضرموت.

ومعنى النص: والغنائم من مدن شبوة وقنا وهاجم ودمر معظم السفن في حيقن قنا الذي هو مكدح^{٥٠}.

• والمكدح : موقف السفن على الشاطئ (في اللهجة الحضرمية)، جدح الحوت أو (الركب/ الزورق) إذا خرج إلى السيف (الساحل) وانحسر عنه الماء، فلم يستطع العودة إلى البحر.
• مجدحة : ويسمى ميناء (بئر علي) الجاور للميناء القديم (قنا) بمجدحة ولا بد أن هذا الاسم أثار باق من الاسم التاريخي للمكان^{٥١}.

ولعمري هذه ملاحظة ذكية من (د/ بافقيه) :

ف/ مجدحه تشير إلى مكدح في النقش (أ/ ١٣) وعليه :

ف/ قنا بمجدحه

تشير إلى اسمين لهذا الميناء الشهير. الأمر الذي يتطابق مع الرواية التوراتية :

* قناة نوبح (التوراتية).

حيث تعرضت في تاريخها العتيق إلى تحولات في الاسم الثاني لها فقط :

قناة نوبح = قنا مكدح = قنا مجدحة (وهذه ثلاث صيغ لتسمية واحدة).

وأحسب أن الأصل في مكدح ومجدح وموبح واحد. فكما تبين لنا أن مكدح ومجدح بنفس

المعنى :

وهي البقعة الرطبة على الساحل حيث تكدح القوارب، فمعنى موبح في لهجة (سرو حمير/ يافع) التي وصفها (الهمداني) :

سرو حمير وجعده ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير ويجرون في كلامهم فيقولون يابن معم في يابن العم وسمع في أسمع^{٥٢}.

وما يهمننا هنا هو التحمير... ففيها من الكلمات والألفاظ الكثيرة ما لا تجد له أثرا في معاجم اللغة العربية الفصحى، وأحيانا تجده في (المعجم السبني) وعلى الأغلب لا تجده لا في العربية الجنوبية القديمة ولا في الفصحى :

* موبح : بتشديد الباء الموحدة وكسرها، تعني في لهجة سرو حمير (يافع) : المنته مسن الأرض (الصافح) المتشعبة بالماء.

* والوجهة : مثل المكه وهي الجب الذي ينحت في عرض الجبل فيتر من جامش فيه ماء ليس بالكثير ولكنه لا يجف.

وفي لسان العرب قال :

وفي حديث خزيمه : تفرط اللحاء وتصبح الحياء أي اتسع الغيث وتمكن من الأرض^{٥٣}.

وهكذا فإننا نخلص إلى :

◊ نوبح : موبح (بإبدال الميم من النون) الموضع المشبع بالماء مكدح/ مجدحه : الموضع الذي تجدح فيه السفن (المشبع بماء البحر بكل تأكيد) وعليه :

◊ ف/ قناة نوبح (نوبح بن منسي بن يوسف) هي قنا لكدح (نقوش المسند) وهي مجدحه (اليوم) : ميناء (بئر علي) المجاور لقنا (الميناء الحضرمي العتيق).

هذا وقد احتفظت المناطق الشرقية والوسطى من اليمن بكثير من أسماء المواطن التوراتية. فالمدن الجلعادية التي كانت من نصيب سبط حاد بن يعقوب عليهما السلام نجد آثارها الأسمية باقية في حضرموت القديمة، وفي أراضي أوسان وقتبان وغيرهم من الممالك اليمنية في العهود العتيقة ومن هذه المواضع أيضا :

◊ عر وعير : نجد أثرها في :

عار : (عر / بدون تصويت) من قرى العوالق (العليا) ذكرها لقمان في القرى التابعة لنصاب : وعريب وعار وبئر علي (مكدحة)^{٥٤}....

والملاحظ هنا هذه الثنائية الواردة بين عر وعير (التوراتية) وعريب وعار (العولقية).

* يجهة : من مدن (جاد) وأثرها نجده في موضعين هما :

— لجاتم : لجأة (لجأت) من مدن أوسان التي تعرضت للنهب من قبل جيش المكرب السبعي (كرب ايل وتر) في أواخر النصف الأول للألف الأول (ق.م) كما نص عليه نقش النصر الكبير (بريتوار/٣٩٤٥) :

ونهب / وسم / بن / لجاتم / الي / هن.

• ف / لجاتم هذه قد تكون راد في مرخة :

• لجه : راد كثير النخل والعلوب^{٥٥}...

وحققها الأكوع :

◀ لجه : بفتح اللام وكسر الجيم وتشديد الياء المثناة من تحت آخرها هاء : بلدة عامرة إلا أن النخل كاد أن ينقرض^{٥٦}.

ف / لجاتم (النقوش) لجه (الهمداني) يجهة (التوراتية) لاحظ :

* لجأة لجه أو لجه (وبإبدال الياء من اللام) فهي يجه فإذا أقحمت الياء في يجه فهي (يجهة).

والاحتمال الآخر ل / يجهة (التوراتية) هذه هو في :

* جياة : راد من وديان العوالق العليا (نصاب) هو لقبيلة المرازيق^{٥٧}.

ف / جياة جيهة (وبإبدال الماء من الألف) وهو يجهة (بالتصويت).

هذا أما بقية المدن فيسهل العثور على الآثار الأسمية خاصة ما كان منها ذات صيغة عربية لمحو :

العاله (من مدن روايين) والتي نجد أثرها باق في :

* علة : يطلق هذا الاسم على القبائل (كثيرة) التي تتوسط أراضي العوالق العليا والعراذل

ودثينة^{٥٨}.

وينسبون إلى علة بن جلد بن مذحج^{٥٩}.

ف / عاللة علة (بدون تصويت).

* قرياتيم : أنظر تحقيقنا السابق : لشوى قرياتيم وسكانها الأيميين (الواردة في سفر

التكوين/١٤).

شوى تعني ضواحي قرياتيم.

وهي قريتم (في النقوش) : الواقعة على طريق التجارة القديم بين اليمن وشرق الجزيرة وتعرف

اليوم (قرية الفار) الأثرية في وادي الدواسر سفح جبل طويق. وقد كانت حاضرة قبيلة كنده^{٦٠} التي

كانت أراضيها ممتدة من أواسط جزيرة العرب إلى أواسط وشرق حضرموت. ولعمري ف(المواطنون التوراتية) تنتشر آثارها في عموم جزيرة العرب وبالذات عبر الإقليم الذي تناوله (د/كمال الصليبي) في دراسته (النادرة): التوراة جاءت من جزيرة العرب. وهو إقليم السراة حتى معظم بلاد اليمن التي تصدينا لها في دراستنا هذه.

✠ بلاد مؤآب :

يرى (د/الصليبي) أن بلاد (مءب) التوراتية ليست اسما قديما لمرتفعات الكرك شرق البحر الميت (أي ما سماه العرب بلاد الشراة) فالحجر المآبي المعروف (بنقش ميشع) ملك مؤآب... والذي يتحدث عن حروبه مع عمري ملك إسرائيل (عمري ملك يسرعل) وابنه من بعده (وهو آحاب بن عمري الذي لا يذكره النقش بالاسم). هذا النقش لا يذكر مؤآب على أنها المنطقة الواقعة في ذلك الحيز. وعليه فلن (د/الصليبي) يرى أنه وبسبب هذه الحروب اضطر (ميشع) إلى الجلاء عنها. فانتقل مع أتباعه من (مؤآب) إلى قرحة (لعلها اليوم جحراء، من قرى الكرك في المملكة الأردنية). حيث أقام لنفسه عاصمة جديدة. وبهذا المناسبة أقام (ميشع) الحجر الذي كتب عليه النقش. ولهذا فإن (الحجر مؤآبي) هو (حجر قرحة) أو (حجر جحراء) ، إذ أن (ميشع) لم يكن يقيم في مؤآب عندما أقامه^{٦١}.

هذه الأمور إلى جانب إعادة قراءة النقش قراءة أكثر استقامة من قبل (الصليبي) فالنقش يشير إلى مؤآب بأنها :

(يمن ربن).

التي تعني أن مؤآب تقع إلى يمين ربن (جنوب ربن) حسب قراءة (الصليبي).

وأن ميشع يصف نفسه أنه ديني أي أنه من (ديبن) .

وأن عمري احتل كل الأرض من هذبء (كل هـ — عـ ر ص م — هذبء) أي جميع أرض

مؤآب ابتداء من هذبء.

وتظهر في النقش لفظتان هما :

قر وكمس — والأخيرة تفهم على أنها كموش ، اسم إله مؤآب^{٦٢}.

وحيث أن جلعاد (جلعد / توراتيا) هي بعض بلاد مؤآب (مءب) فهل ترسب منها شاهد في

مشرق اليمن الذي هو موضع بحثنا.

I مؤآب : تخلف هذا الاسم في:

* منوم : الميم لاحقة التنوين العربية الجنوبية : فهي منوب : من مدن مملكة أوسان ذكرت في

النقش (جام/ ٦٢٩) العائد إلى القرن الثاني الميلادي (عهد سعد شمس اسرع وابنه مرثد يهحمد ملكي سبأ وذو ريدان ابني ايل شرح يحضب ١) : وهي أي (منوب) من المدن الأوسانية التي هاجمها أصحاب النقش :

ووضع/ هجرن/ منوبم/ وكل/ هجر/ ومصنع/ شعبن/ أوسن.

ويشير أصحاب (مختارات من النقوش اليمنية القديمة) أن : منوب قد اختفت من الوجود ولم يعثر بعد على موقعها. أما مصانع الشعب أوسان فهي مثاويهم وقراهم المنبعة^{٦٣}...

• ف/ منوب : هي صيغة أخرى ل(مءب) لاحظ : مءب = موآب = موب = منوب (بإبدال النون من الواو فهما حرفي شفه).

وحسب قراءة (الصليبي) لنقش ميشع المعروف (بنقش موآب) تقع (منوب جنوب ربن) وربن هذه ربما كانت :

• مريون : مري (الميم حرف زائد) : أحد المواقع الأثرية التي ذكرت في مراسلات المستشرق السويدي (الكونت لندبرج) وهو من بلاد العوالق العليا(نصاب) أكبر الشعاب في رأس وادي يشبم^{٦٤}.
II منوب : من أودية كسر حضرموت يفيض في الباطنة بين شبام وهينن. ذكره (الهمداني) في الصفة^{٦٥}.

ومنوب هذه هي الاحتمال الآخر ل/ موآب التوراتية. وكما أسلفنا أن (ميشع) ملك موآب يصف نفسه أنه من (دين) وقد تخلف هذا الاسم في :

• دبون : (دين/ من دون الصائت الواو) فهي إذن:
• (دين) : من قرى آل (سعد/ حبان) في منطقة غيل حبان لقبيلة ذيبسب سعد في بلاد الواحدي الواقعة إلى الغرب من المكلا... وتتداخل مع بلاد العوالق إذ يعتمد سكان حبان على مياه وادي (يشبم)^{٦٦} التي تقع (مريون) في أعلاه.

وإذ يحدد النقش حدود موآب ابتداء من (هدبء) ف/ أثر هذا الحد بحدده في:

* هدون : (هدن/ بلا تصويت) وبإبدال الباء من النون فهي هدب : مدينة ذكرها (الهمداني) في (الصفة) على أنها في منطقة الهجرين من حضرموت وهي اليوم ما زالت عامرة غير أنها في جنوب مدينة (رحاب) في وادي دوعن الأيمن^{٦٧}.

أو أن (هدبء/ التوراتية) هذه هي :

* دبا : ذكرها (الهمداني) في (الصفة) على أنها أقصى بلاد اليمن التي يحيط بها البحر من الشرق

وهي : بلدة على ساحل ظفار أول بلاد عمان فيه. قال (الأكوع) : أنها كانت أحد أسواق العرب^{٦٨}.
 أما لفظي (قر وكمس/في نقش مواب) فقد ترسبت في هذا الإقليم آثارها في :
 • الأقموش : من قمش (كمس/بالإبدال المعروف بين اللغات السامية) : قبيلة كبيرة هي نصف
 (ذيب حمير) في منطقة الواحدي لها تفرعات كثيرة ومواطن كثيرة في ذلك الحيز أو في :
 • القرامس : (قرمس) : فخذ من آل باروح من قبيلة (آل تميم) وهم فرع من قبيلة ضنه
 الحضرمية^{٦٩}.

وفي موضع آخر نجد ربحا من (قر وكمس) :
 • موقس : مركز وادي خر (آخر في النقوش) من أعمال بيحان^{٧٠}.
 وبعد هذه الآثار الأسمية للمواطن التوراتية في جزيرة العرب على العموم وفي بلاد اليمن على وجه
 الخصوص تذهب بنا إلى القول بأن المواطن الأصلية للشعوب والأقوام والقبائل التوراتية هي بالفعل في
 جزيرة العرب. ولعله من المفيد هنا أن ننوه إلى أن معظم الآثار الأسمية التي نأس بمقارنتها هنا مع ما
 ذكرته أسفار التوراة هي قديمة بل تعود في عمرها إلى ما قبل العهد العتيقة نفسها. فعلى سبيل المثال لا
 الحصر نجد أن المناطق التي نذكرها في مشرق اليمن ومنها القبائل أيضا التي تحمل أسماء مواطنها الأولى
 مازالت كما هي :

- ف/حبان اليوم هي (حب/في النقوش).
 - و/بيحان اليوم هي (بيح/في النقوش).
 - وسيان ===== (سين/=====).
 - وذيب (حبان) اليوم هي (ذيب/في النقوش).
 - جردان اليوم هي (جردن/في النقوش).
- وغيرها الكثير. أما الأمثلة التي ذكرناها فهي : من النقش العائد إلى أواخر النصف الأول للألف
 الأول (ق.م) والمعروف بنقش النصر (ربرتوار/٣٩٤٥) الذي كثير ما نستشهد به في مباحثنا هذه.
 وبكلمة أخرى فإننا لا نبالغ في شيء إذا قلنا أن كل التسميات التوراتية لها مقابلاتها وقرائنها
 وآثارها في جزيرة العرب خزان شعوب العالم بحق، ولنأخذ بعض المواطن التوراتية المذكورة في (سفر
 يشوع) والداخلية في البلاد الكنعانية الموعودة :

• لاخيش :
 ثم اختار يشوع وكل إسرائيل معه من لخيش إلى عجلون.... [يشوع/١٠/٢٤]

وقد تجمد هذا الاسم في موضع ذكره (الهمداني) في بلاد المهرة شرق حضرموت وهو :

• غب الخيس : (لخيس / بدون الصائت الألف).

فأطراف جبال اليعمد وما انقاد وانقاد منها إلى ناحية الشحر. فالشحر فغب الخيس فغب الغيث
بطن من مهرة^{٧١}....

ف لخيش هي إذن لخيس (بإبدال السين من الشين) في الساحل المهري غرب ظفار. وهي لخيش
(بدون الصائت الألف) في : [يشوع/١٠/٢٥]

وفي نفس السفر يردد ذكر مدينة هي :

• عقرون :

من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون.... [يشوع/١٣/٣]

عقرون وقراها وضياعها. من عقرون غربا كل ما بقرب أشدود وضياعها.

[يشوع/١٥/٤٥-٤٦]

هذا وتخبرنا نقوش المساند اليمنية القديمة عن (عقرون) هذه في بلاد حضرموت ، ففي نقش
(٣١/أ) الذي استشهدنا به (سابقا) والعائد إلى عهد الملك الحميري:

ذمار علي يهبر ملك سبأ وذوي ريدان وحضرموت ويمنت.

والذي يظهره (بافقيه) في (كرونولوجيا ملوك سبأ وذوي ريدان) ملكا في أواخر النصف الثاني
للقرن الثاني (بعد الميلاد) فمن مدن حضرموت التي تعرضت لغزوات (ذمار علي يهبر) :

صوآرن/ وعقرون/ وشبوت/ ورطغم/ ومريتم/ وترم.

وهي أي (عقرون) غير معروفة اليوم حسب ما ذكر (الإرياني/ محقق النقش)^{٧٢}. وهي عند
(بافقيه) : مدينة (عقران) جنوب شبام^{٧٣}.

وفي النص التوراتي (يشوع/١٣/٣) ذكرت : عقرون كحد. أما الحد الآخر فهي شيحور:

• والشحر : مدينة وميناء مشهور في حضرموت قامت على ساحل الأسعى (أسعين في النقوش)
وهي (لاشع/توراتيا).... و :*الشحير : مدينة حضرية أخرى فهي (تصغير الشحر) إلى الغرب من
الشحر ذكرها (ابن الجاور) فيما بين الشحر والمكلا :

وإلى الشحر خمس فراسخ ، وإلى مرسى طيب بأعمال حضرموت وإلى الشحير أربع فراسخ،
وإلى المكلا فرسخ^{٧٤}.

وفي النص التوراتي الثاني ذكرت عقرون متداخلة بمحدودها مع أشدود.

* أشدود : هذه ليست بمدينة. فقد ذكرت في نفس السفر من القبائل الفلسطينية :
أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزي والأشدودي والأشقلوني والجلي والعقروني والعوين.
والأمر لا يتعلق بفلسطين اليوم بل بقبيلة يمنية لها أصداء في التاريخ، فالنقوش المسندية تخبرنا عن
قبيلة الشدادي المتحالفة مع حمير في صراعهم مع التاج السبئي:
ففي عهد الملك السبئي (كرب إل/يهقم) بن ذمار علي ذرح وهو آخر حكام السلالة السبئية
التقليدية، والذي تصدى لثورة شعوب (قبائل) ذي ريدان الحميرية وحارهم حتى تقوم (يافع/سرو
حمير) كما يكشف نقش (رويان/برون/بني بكر)، وبالمقابل فإن (قبيلة شداد) الموالية أو التابعة لبني
ذي ريدان، استولت في أحد المراحل على القصر سلحين بمأرب فيما كان الملك موجودا
بصنعاء^{٧٥} (الإرياني) أن قبيلة شداد هذه من قبائل (شباب) التابعة لكبير (ذي أقيان) كما في نقش لذي
من (شباب/أقيان/كركبان)^{٧٦}.

أما الهمداني فيذكر قبيلة بهذا الاسم في وادي مرخة الواقع بين بيحان ونصاب :
البجاجة... واد كثير النخل (لبي شداد) من صداء... حزا لصداء (لبي شداد) منهم. لجمة
واد كثير العلوب (لبي شداد) والمشكان (لبي شداد)^{٧٧}.

وأرجح أن شداد هذه المذكورة في نقوش المساند (قبل الميلاد) هي هذه التي ذكرها (الهمداني)
في وادي (مرخة) أحد أودية المشرق. وكانت هذه واقعة في صميم التحالف المشرقي المعروف في
النقوش القديمة بين قبائل (ولدعم/معبود قتيان) وأوسان ومضحيم (البيضاء) وغولن ردمان بالإضافة
إلى حضرموت ودهسم (يافع).

وعليه :

ف/شداد جمعها أشدود هي :

أشدود / التوراتية المجاورة ل/عقرون التوراتية أيضا.

* حبرون : قرية أربع كبير العناقيين [يشوع/١٥/١٣]

هذه المدينة تخلف اسمها في أحد قرى قبيلة ذيب (ذيب/ ربرتوار/٣٩٤٥) وهي لفخذ منهم

يعرفون :

بآل العظم/عظمي^{٧٨}. وذيب اليوم هي واحدة من كبريات قبائل الواحدي كما أسلفنا. وآل

العظم هؤلاء يذكروننا برجل العناقين الأعظم :

واسم حبرون قبلا قرية أربع الرجل (الأعظم) في العناقيين. [يشوع/١٤/١٥]

والملاحظ هنا أنه بين صفة رجل العناقين هذه (أي/الأعظم) والتي أرجح أنها كانت بمثابة كنية لصاحب مدينة أربيع التي أصبحت تعرف بحبرون وبين آل العظم (آل/عظمي) : أصحاب أو أهل (حبرون) ذيب (ذيب/ في النقوش) في ولاية الواحدي الواقعة إلى الغرب من المكلا ميناء حضرموت الرئيسي اليوم... بينما يقع ميناء حضرموت العتيق (قنا) في بلاد الواحدي هذه أيضا.

• عراد : من ملوك الأرض الذين ضربت مواطنهم على يد [يشوع/١٢] عراد هذه. وقد احتفظ باسم هذه المدينة جبل في هذا الإقليم المعروف ببلاد المشرق (مشرق اليمن) ففي الفقرة التي عرضنا لها عن مواطن أشدود في نواحي مرخة حسبما ذكر (الهمداني) : والمشكان لبني شداد.

وقد حقق الأكوع (المشكان) هذه : بكسر الميم وسكون الشين المعجمة آخره نون : وهو جبل مستطيل فيه أودية وقرى . وفي كتاب (أبي علي الهجري) أورد قول الشاعر في المشكان وعراد وكلاهما جبلان في أعمال مرخة :

جعلن (عرادا) باليمين عواديا وعن يسر (مشكان) ذات الفدافد^{٧٩}

وإذا كان (مشكان) هذا جبل مأهول فإن (عراد) جبل فيه وديان وقرى أيضا.

وفي الفصل اللاحق نتناول (أرض الميعاد) بالدراسة والتحليل.

الفصل الخامس

أرض الميعاد

*** عمالقة حمير وفي طلبعتهم**

عناق يافع

يجبطون زحف القبائل الإسرائيلية

على أرض الميعاد

لا شك أن (أرض الميعاد) التي قصرها إله إسرائيل لشعبه المختار ما زالت حتى اليوم تورق الجميع من شعوب شرق المتوسط والبلاد العربية... فهي كما تخبرنا أسفار العهد القديم ليست بأرض يباب غير مسكونة بل عاجّة بالمدن المنسورة والمحافد المنيعّة والشعوب الجبارة. وفلسطين الحالية المفترض أنّها قلب أرض الميعاد التي (تفيض لبناً وعسلاً) قد منيت فيها وفي الأردن أيضاً وبلاد الشام عموماً الجهود المكرسة للكشف عن المواطن التوراتية بالفشل الذريع:

فالأبحاث الأثرية التي جرت لا تدل على وجود أي مخلفات كما هي العادة من المراحل المبكرة للإستيطان بفلسطين.

..... فالتسلسل الإسرائيلي كان تدريجياً وبشكل بطيء وفي معظمه كان سلمياً وفي كل مكان تقريباً من القرى الكنعانية. فلم تقع المدن الكنعانية في أيدي الإسرائيليين إلا في وقت متأخر جداً، وعليه فإنّ جزء من المستوطنات الإسرائيلية قد ظهر بشكل سلمى^١.

وتتفق الكتب السماوية على مسألة تخاذل بني إسرائيل وتفاعسهم عن مناصرة موسى المصطفى (عليه السلام) في الدخول عنوة إلى أرض الميعاد هذه. فما الذي منعهم ياترى؟

تروي التوراة أنّ موسى (عليه السلام) قد أنتبز من قبائل الأسباط اثني عشر نقيباً لتحسس أرض الميعاد والتعرف على قدرات شعوبها وامكانياتهم وذلك قبل الشروع في مداهمتهم والإستيطان في بلادهم وهكذا فقد عادوا بالأخبار:

فصعدوا وتحسسوا الأرض من برية حين إلى رحوب
في مدخل حماة. صعدوا إلى الجنوب وأتوا إلى حبرون.
وكان هناك أخيمان وشيشاي وتلماي بنو عناق... قالوا
قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقاً أنّها تفيض
لبناً وعسلاً وهذا ثمرها..... وجميع الشعب الذي رأينا
فيها أناس طوال القامة. وقد رأينا هناك الجبابرة بني
عناق من الجبابرة فكنا في أعيننا كالجراد وهكذا كنّا
في أعينهم.

[سفر العدد/١٣/٢١-٣٣]

والمردعيون باليمن، وكان بصنعاء ثم بالبيداء منهم بيت^٣.

ونعلم مما نقله (الهمداني) أن العمالة الأولى هم من حاربتهم جرهم (مكة) وأزاحتهم إلى (مصر)، أما عمالة حمير فقد ضعنوا إلى مكة اقتفاءً لحلفائهم بني (كركر) فأنزلتهم (جرهم) أسفل مكة: فلما حاربت بني قنطور جرهما، خرج العمالة تخرجاً من البغي في الحرم فلحقوا بالشام فتملكوا بها. فكانوا يغيرون على بني إسرائيل. فخرج لهم (يوشع بن نون) فحاربهم بعد موسى (عليه السلام) وعلى جميعهم يومئذ:

* السמידع بن هوثر بن عريب بن مازن بن لاي بن عميلة بن هوثر بن العماليق ملكاً فقتله يوشع وأفرى فيهم، فلما بلغ خبرهم إلى جرهم قال سعد بن عوف الجرهمي يرثي السמידع:

ألم ترى أن العمليقي بن هوثر	بأبيله أمسى شلوة قد تمزعا
تداعت عليه من يهود جحافل	ثمانون ألفاً حاسرين ودرا
فأضحت بعاديد العماليق بعده	على الأرض شقي مصعدين وفرعا
كان لم يكونوا بين أجيال مكة	ولم ير راء قبل ذلك السמידعا

هذا التفرد في تحديد هوية الجبابرة الذين كانوا سبب (تيه بني إسرائيل) لمدة أربعين عاماً في بريّة صين (ص/ن/ عبرياً) لا يشير إلا إلى حقيقة واحدة هي أن وارث خزائن حمير وهو هنا (أبو نصر البهري) قد نقل حقيقة وقائع خروج موسى المصطفى (عليه السلام) ببني إسرائيل من (مصر الجزيرة) إلى أرض الميعاد (كنعان/توراتياً) في جزيرة العرب: وأن من أحبط مسعاهم وأحيرهم على التيه في غلظ اليمن المعروف (بصيهيد) هم عمالة حمير وعلى رأسهم ال/عنقيم (العناق).... غير أن الحقيقة التي كلان يعرفها (أبو نصر) قد وصلت إلينا يشوبها الغموض أو قل غائمة بسبب التخريج الأخير لها والمداهن للمألوف، ونعني بذلك ما نسب من هجرة حمير إلى مكة ثم إلى الشام والذي لا ننكره البته. غير أن ما ننكره هنا هو تشويه الحقيقة بمسايرة الإسرائيليات التي عدلها الإسرائيليون عبر قرون طوال تبعدهم عن زمان ومكان القصص التوراتي مما جعلهم ينسبون هذه الوقائع إلى مستوطناتهم الجديدة في بلاد ما بين النهرين وبالذات في فلسطين. أما القصص القرآني فقد نزهه الله عن الخطأ بعدم وقوعه في تخريجات زمانية ومكانية متناقضة كما هو حاصل في التوراة المحرفة بكل تأكيد.

والآن من هم هؤلاء العمالة، وما هي آثارهم الحية في بلاد اليمن حتى اليوم؟

يذكر لنا (الأكوغ) محقق آثار الهمداني (الصفة + الإكليل) عن بطون عمالة حمير:

بلدة يناع لا زالت عامرة تحمل هذا الاسم إلى اليوم ويُنسب إليها اليناعيون، وتبعد عن صنعاء

جنوباً مسافة أربع ساعات. وأما بناه فبلد من حاشد في قاع شمس^٥.
 □ البيداء : هي ما يُعرف اليوم (بصافية صنعاء) والمردعيون اليوم غير معروفين. وقد وجدنا آثار
 المرادعة نسبة إلى (ذي المردع) :
 □ مردع : قرية عامرة بالجنوب من قعطبة تابعة لعزلة حجر ورد ذكرها فيالسلوك للجندي^٦.
 □ المردعي : صيغة النسبة إلى المردع: قبيلة في (سرو حمير/يافع) وهم فرع من قبيلة السليماني
 الساكنين في الجبل لعلي (الذراحن) مواطنهم في شعاب وادي بنا، ومن قراهم : حبل رمضان وشعنه
 وتيسه ولكمة النشف^٧.

□ المرادعة : فخذ في قبيلة أهل جبل جحاف في الضالع/سرو حمير.
 □ مردع : أهل مردع فخذ من قبيلة العلهي(علة) الواقعة في منطقة تتوسط مواطن قبائل عوذلة
 ودثينة في الجنوب منها والعوالق(العليا) في شمالها وشرقها والبيضاء(بيضاء حصي) إلى الغرب منها^٨.
 هذا بخصوص ما ذكر الحمداني عن عمالقة حمير. ويقوي طرحنا هذا بصدد ما ورد في (سفر
 العدد) من أن الوقائع والمواقع التوراتية التي عرضنا لآثارها في إقليم مشرق اليمن(حضر موت + قتبسان
 وأوسان قديماً) هي المذكورة في (سفر العدد/١٣). أن في حضر موت ما زالت آثار العمالقة (عمالقة
 حمير) باقية ومنها :

◀ الشناهر (قارة) : قرية اندثرت وبُنيت على انقاضها (كحلان) من قرى تريم^٩. وكانت من
 مواطن قبيلة :

◀ صنهاجه : وهي قبيلة حميرية لها بقية في وادي حضر موت ويشار إليها في بعض التواريخ
 باسم(شناهر). وقد استقرت صنهاجه في شمال أفريقية. واندجحت فيها قبائل بربرية منها زناتة والمصامدة
 والبربر حتى ظن أن صنهاجه قبيلة بربرية (كما ورد في دائرة المعارف البريطانية)^{١٠}. والواقع أن
 صاحب (طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب) قد جعل قبائل مغربية كثيرة من ذرية عمالقة حمير :

كتامة وعهامة وزناتة وصنهاجه ومزانة قبائل في المغرب من ذرية الصوار بن عبد شمس
 الملك^{١١}.

وينقل لنا كثير من الأخباريين العرب والبربر عن غزوات حميرية لبلاد المغرب في أواخر الألف
 الثالثة قبل الميلاد. وعندما كان مؤرخو البربر ونسابوهم يرجعون أنساب بعض قبائلهم الكبرى
 كصنهاجه وكتامة وزناتة لم يكونوا يفعلون ذلك لاعفائهم من المغارم وتجنّبها تكاليف السخرة.
 ولكنهم فعلوا ذلك استمسكاً بما سمعوه من آبائهم وأجدادهم عن انتمائهم إلى أصول حميرية أو

مضرية أو كنعانية^{١٢}.

يشير النص التوراتي (عدد/١٣/٢١-٣٣) إلى ضخامة أجساد الأقوام الأصليين في أرض الميعاد ، وتشهد بذلك تسميتهم ب/عمالقة والملاحظ في هذا السياق أن قبيلة صنهاجه الحميرية(من عمالقة حمير) تُعرف كما أسلفنا بتسمية أخرى في بعض كتب الأخباريين العرب وهي :

• **شناهز :** وبالنظر إلى خرائبهم وآثارهم الباقية في وادي حضرموت والمعروفة باسم(شناهز) فإننا نرجح أن تسميتهم القديمة هي بالفعل (شناهز) وفي لهجة (سرو حمير/يافع) المتخمة بغريب الألفاظ وعتيقها الموجود في لغة نقوش المساند وفي العبرية والآرامية والسريانية... إلخ، نجد لهذه التسمية (شناهز) معنى يؤكد ما ورد في هذا النص التوراتي بخصوص ضخامة أجساد القوم وطول أعوادهم :

• **الشنهوز :** هو الطويل الناصح العود(في لهجة يافع) جمعه شناهيز. وفيه يردد الناس حكمة شعبية ترشد إلى تفضيل اختيار الزوجات من ذوات القامة المديدة لكي يولدن بدورهن رجالاً طوال القامة (أي شناهيز) :

(تزوجوا هجاهيج النساء يدين شناهيز الرجال).

* **الهجهوج :** الطويل القوام يجمع على هجاهيج. ومن معانيها في :

(لسان العرب): **الهجع (بضمات) :** الغدران والهجع الخط في الأرض^{١٣}.

يدين : يعطين = ينجين.

إذن (فالشناهز) بكل تأكيد هم من عمالقة حمير من ذوي الأجساد الفارعة الطول (شناهيز) الذين تصدوا لرحف القبائل اليهودية (العربية) المتجولة على أراضيهم بقيادة موسى الكليم(عليه السلام). وقد استغرب (ابن الجاور) في تاريخه المعروف (بالمستبصر) من طوال قبور القوم في وادي حضرموت :

وإلى قبر النبي هود(عليه السلام) ثمان فراسخ، طوله سبعون ذراعاً. وفي هذه النواحي قبر (ذي نبال) (عليه السلام) ابن هود طوله أربعون ذراعاً. حدثني علي بن محمد السباعي قال : أن قبر (ذي نبال) بن هود(عليهما السلام) في قرية (هرون) بناء هود(عليه السلام) من أعمال دوعن (دوعان/ في الأصل)... وقبر ابن (ذي القرنين) طوله خمسة وثلاثون ذراعاً، وقبر العزيز(عليه السلام) طوله ثمانية وعشرون ذراعاً. قال (ابن الجاور) : وما أظن القوم كانوا بهذا الطول ولكن طوّلوا قبورهم^{١٤}.

وإذ تفيد التوراة أن العبور إلى الأرض الموعودة لم يتم بقيادة موسى، لأن يهوه أبلغه : (أنظر أرض

كنعان التي أنا اعطيها لبني إسرائيل مُلكاً، ومِت في الجبل).. (وأنضم إلى قومك كما مات هارون أخوك) ! ... (لأنكما ختمتاني).... (إذ لم تقدسانني في وسط بني إسرائيل) وفق رواية (سفر التثنية/ ٣٢/٤٨-٥٢).

هذه الأمور تشير إلى أكثر من (موسى) في العهد العتيقة.. مما أدى إلى خلط في الرواية التوراتية بين (موسى المصطفى) عليه السلام، وموسى الخائن^{١٥}. المهم هنا ادراك أن من قاد الفتح اليهودي لأرض الميعاد هو حسب الرواية التوراتية(يوشع بن نون) :

وجاء يشوع في ذلك الوقت وقرض العناقيين
من الجبل من حبرون ومن دبير ومن عتاب
ومن جميع جبل يهوذا ومن كل جبل إسرائيل
حرقهم يشوع مع مدغم. فلم يبق عناقيون في
أرض بني إسرائيل لكن بقوا في (غزة وجت وأشدود)
[سفر يشوع ١١/٢١-٢٢]

وفي إشارة من المؤرخ البريطاني (البروفيسور كار) في كتابه المعروف (ما هو التاريخ ؟) إلى الوقائع التوراتية المنسوبة لهذا الفاتح يشوع وتشكيكه في النص (يشوع/ ١٠/١٢-١٤) الذي يتحدث عن معجزات خارقة للغاية منها محاربة الرب (يهوه) للعمالقة مع جيش يشوع، وتوقف الزمن عن ديدنة نتيجة ل:

فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل. [يشوع/ ١٠/١٣]
ففي هذا السياق يقول(كار) :

رُبَّ مؤرخ جاد يؤمن بالله وقدرته المجددة لمسار التاريخ. ليس بوسعه (أي المؤرخ) أن يؤمن بضرب من ذات إله العهد القديم الذي يتدخل لإزالة دماء العمالقة، ويفسد الصيرورة التعاقبية للدهر. عبر تمديد ساعات النهار لمصلحة جيش يشوع^{١٦}.

ومع ذلك فليس بوسعنا انكار حدوث معارك في إقليم المشرق من بلاد اليمن القديم بين ممالك قديمة وقبائل يهودية متجولة بقيادة (يوشع بن نون) الأمر الذي يؤكد نقش قرطاجنة في المغرب والذي يؤكد أطروحتنا.

* نقش قرطاجنة : ضمن آثار (قرطاجنة) شمال أفريقيا عثر على حجرة في (نوميديا) وفيها نقش هذا النص :

أنا خرجنا من ديارنا لننجو بأنفسنا من
قاطع الطريق (يشوع بن نون) بعد أن قتل
مئاً في عشية واحدة عشرة آلاف إنسان.^{١٧}

هذا النص الذي نقله لنا (القمني) من موسوعة بريطانية معروفة باسم (Ch) يكشف أن صاحبه (أصحابه) هم بعض من عمالقة حمير (شناهز/صنهاجه) الذين ضعنوا إلى شمال أفريقية بعد معارك دامية مع جيش يشوع (قاطع الطريق) حسب نص النقش وذلك في مشرق اليمن (حضر موت/ قتيان/ أوسان) وقد زبروه استدراكاً لعطف إخوانهم من البطون الحميرية التي كانت قد استوطنت في تلك البقاع لقرون كثيرة خلعت (بالنسبة لوقائع يوشع هذه). وأظن أن القبائل الحميرية المستقرة حينها هناك كانت لا ترحب بمزيد من أفواج الهجرة من موطنهم الأول اليمن إلى عالمهم الجديد حينها بلاد المغرب العربي حيث (بحر الظلمات/ حسب تعبير الإخباريين العرب) مما دفع بالوافدين الجدد من صنهاجه (شناهز) الحميرية إلى نغر هذا النقش كصيغة تبريرية لمقدمهم. عند كبير على هذه البلاد التي لم تكن راغبة بمزيد من الهجرة المؤدية إلى إطعام الأفواه الوافدة على حساب رفاهية المستوطنين منذ زمن بعيد.

والآن فلنعرج على مواطن أشد سكان الأرض الموعودة سطوة وتجيراً وهم ما تصفهم التوراة (بال/عنقيم)، أي العناقيين الذين لم يتخلوا عن تسميتهم هذه ولا عن دورهم البارز عبر أدوار التاريخ المختلفة حتى اليوم، حيث يعيشون في القطاع الشرقي لسرو حمير (يافع) المجاور لبيضاء حصي وتُعرف منطقتهم باسمهم العتيق هذا وبنفس الصيغة التوراتية:

* آل /عناق : صيغة جمع النسبة إليها عناقيون تُعرف منطقتهم اليوم باسم (الحلد) وكانت تُسمى قديماً (العناق).^{١٨}

في تحقيقه لمواطن قبيلة رُها المذحجية الواردة في (الصفة/للهمداني) ذكر (الأكرع) العناق بقوله:
وجهر (بالتحريك) وقد يكسر الحرفان: بلدة ووادٍ دعوته اليوم في يافع ثم في (العناق) مجاور للبيضاء.^{١٩}

ذكر صاحب (شرق اليمن يافع) أن قبيلة العناق البافعية قد خاضت المعارك مع بقية قبائل يافع في حضر موت وذلك قبل ثلاثة قرون تقريباً، مناصرة لِسادة عينات ضد تدخل نظام الأئمة الزيدي في شؤون حضر موت حينها وكان قائد المعركة التي كان النصر فيها ليافع هو السلطان :
• عمر بن صالح بن هريرة.

- والموقعة تُعرف (موقعة بحران).
 - أما القبائل اليافاعية المشاركة في هذه الموقعة:
 - ١. (العناق) والضبي والحدي ويهر..... (فرقة).
 - ٢. المرسطة ولبعوس..... (فرقة).
 - ٣. الناحي واليزيدي..... (فرقة). ٢٠
- وهذا يعني أن العناق (عنقيم) قد قاتلت وهي تحمل اسمها هذا قبل ثلاثة قرون ليس إلا.
والعناقيون هؤلاء هم بعض حمير (عمالقة حمير).
وهير :

تزل في المكان المنسوب إليها وهو (سرو حمير) في جنوب شرق اليمن وهو ما يُسمى اليوم بـ(يافع) وما جاورها. ٢١

وهو يتاخم (سرو مذحج) بل هناك تداخل بين منازلهم وتصب أودية (سرو حمير) إلى منطقة (أبين) الساحلية. ولا نحتاج هنا إلى التعريف بيافع فهي حسب تعبير صاحب (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة) :

من أعظم قبائل شبه جزيرة العرب الجنوبية وأصعبها مراساً وتاريخهم مملؤ بالحوادث الجسام ٢٢....

ولا غرو أن جبايرة حمير هؤلاء ومنهم آل (عنقيم/توراتياً) عناق/يافع كانوا وما زالوا وفقاً لشواهد تاريخية عديدة جبايرة حتى النخاع. ويكفي أن نشير هنا إلى شاهد تاريخي آخر من (قبل الميلاد)، فقد سجلت نقوش المساند اليمنية القديمة أن الفترة العتيقة من حكم مكاربة سبأ تقوضت بفعل التحدي الريداني (الحميري) من مرتفعات يافع كما يخرنا نقش (روبان-برون-الحاد) الذي عثر عليه في خريسه (هلم ودتم) في قلب منطقة العناق والعائد إلى عهد :

كرب ال بين/ يهقم بن ذمار علي ذرح.

وفي منطقة المناقيين هذه يقع وادي (دان) وقد تعرضنا له في تحقيقنا لوقائع (سفر التكوين الإصحاح الرابع عشر) ومدينة (حوبه/التوراتية) تقع في لحف جبل (حبه) وإليه تنسب.

وحيث أن بعض النصوص التوراتية التي ذكرت العناقيين أشارت إلى ثلاثة بطون فيهم :
وطرد كالب من هناك بني عناق الثلاثة:

١. شيشاي..

٢. أخيمان.

٣. تلماي أولاد عناق.

[يشوع/١٥/١٣-١٥]

نرى ماذا تبقى من آثارهم في منطقة (العناق) بالذات؟

I. شيشاي : يمكن أن هذا البطن قد تخلف في اسم أحد قرى العناق وهي :

✠ بيشي (بيشاي/بالتصويت/وبدون تضعيف المقطع شي) : قرية لأحد تفرعات قبائل العناق ويُعرفون بآل فريد. ومن قراهم أيضاً : العواكب/ وقريضة/ وجعاير/ ومدينة خيلة^{٢٣}.

✠ مشوشي : (مشرشاي/ بالتصويت = مشيشاي/ وبإهمال التصريف الإسمي الميم فهو شيشاي).

قطاع في يهر وهو أحد أحماسها الثلاثة عشرة (الخميس = الجيش القبلي/ في النقوش) وأهم قرى المشوشي : القمعة/ وأهم/ ولس/ والحاجب/ والرضم/ وسبب^{٢٤}.

والملاحظ هنا أن (القمعة) هي تسمية يهودية صرفة وتعني الحصن أو القلعة.

II. أخيمان: يمكن تلمس هذا الاسم في عدة مواضع منها:

✠ خيلة : (أخيلة = أخيلاء والنسبة إليها مثل صنعاء صنعاني) والألف في تسميات الأماكن عددة ما قمل فوادي خير اليوم هو آخر في النقوش وأخله هي اليوم خلة.... إلخ.

وخيلة هذه : هي من كبريات قرى يافع وتُعرف باسم (مدينة خيلة) لمكانتها الدينية فهي مقدسة حرم فيها القتال وطلب الثأر. ومن دخلها كان آمناً. وتقع في منطقة (العناق) ومن سكانها آل عبد الرحمن بن عمر وآل عبد القادر بن عمر وآل فريد^{٢٥}. وتقع في قلب وادي (دان) الذي التقى فيه نبي الله إبراهيم (عليه السلام) مع الجبابرة الذين أسروا نبي الله لوط ابن أخ إبراهيم (عليهما السلام) أنظر وقائع اصحاب المعارك (تكوين/ ١٤).

✠ خيران: (أخيران/ أخيمان بإبدال الراء من الميم) : وادٍ في حمراء العليا في منطقة العناق^{٢٦}.

III. تلماي : (تلي تلمي/ تلماي بالتصويت)

✠ تلي (صيغة النسبة لوادي تلب) : أحد أشهر الأودية في إنتاج البن. ويتبع مكتب (اليزيدي) ومخارجه إلى وادي (ذي ناخب) الشهير ف/سُلب الذي تتدفق عبره سيول جبال سرو حمير/ يافع حتى سهل وادي أبين الشهير.

وفي وادي (تلب) قرى كثيرة منها: ناب/ والدقة/ والقرن/ وتلب^{٢٧}.

وهناك احتمالات أخرى تشير إلى تلماي ومنها:

❖ (تامي/صيغة النسبة إلى تام) أحد مواطن قبائل السعدي من يافع بني قاسد وأهم قراهم
(ظلمان^{٢٨} تلمان والنسبة إليها تلماني) ويظهر من هذا أن قانون النحت قد فعل فعله في تلماي (تلم)
فصارت بصيغة هي تام (تم) باهمال اللام.

❖ وأهل تام: قبيلة في مشالة : تتبع مكتب المفلحي من يافع العليا^{٢٩}.

ويمكن أن يكون هذا البطن قد ترسب في موضع أثري يُعرف ب:

❖ ذي الماء : (في الماء/في لجة سرو حمير، حيث تتبادل اللزمتان ذي(ذو) و تي في كثير من
أسماء الأماكن نحو :

(ذي الشارق = في الشارق) : في الماء (تلماء/تلماي) : هر في أسفل يريم من ناحية الجنوب وهو
فرع من فروع وادي(بناء)، ذكر الهمدان هذا الموضع في (الصفة) : أن فيه سد حميري تحرك عليه
آلات الطحن(طحن الحبوب)^{٣٠}.

وقد ظلت العناق تأوي في كتفها قبائلًا يافعية(حميرية) كثيرة يأتي في طبيعتها :

• قبائل البكري : وهم يقطنون أكبر القرى اليافعية وتُعرف باسمهم بني بكر وفيها الآلاف منهم
ويطلقون عليها اسم مدينة(قريش) فهم ينسبون أنفسهم إلى بكر بن وائل^{٣١}.

• الداودي : قبيلة كبيرة تفرعواهم كثيرة ومن قراهم :

الحمراء(وادي)/ ماحوح/ قطنان(وادي)/ النقعة/ الخلقة وهي من قرى يافع الأثرية.

• الصابري : صيغة النسبة إلى واديهم صبر.

• شيوحي : حلالهم في وادي قطنان والمختق .

• حصني : صيغة النسبة إلى واديهم المعروف بالحصن.

• جوهرى : في وادي ريشان وقرى لهم منها : الخربة/ الدرب/ المحاجي.

• أهل وادي دان.

• أهل حصاحص.

• (ذي) نعمان.

• آل عبد الله في ذي أم/كرش.

• صناع : يسكنها آل عبيد وآل عمر من قبيلة الفردي (نسبة إلى الفردة) وأهل الحرفوف.

• آل فريد : أهم قراهم الحيانة والعواكب والبشي وجعاير ومدينة (خيلة).

- **أهل أم حيد (حيدى) :** ينقسمون إلى الجابري والغالي والخلاقي.
- هذا وتعد قبيلة الخلاقي بعد البكري من حيث عددها وهي الأخرى تدعى بأنها من قبيلة خزاعة^{٣٢} التي حلت (مكة) في غابر الزمان وأهم قراها: خلاقة والخلاقي (صيغة النسبة إلى خلاقة) : من كبريات قرى يافع في الحد، تزدحم بالآلاف من السكان.
- **الريوي :** (نسبة إلى ريو) تضم قرى عديدة ووديان كثيرة في الحد.
- **القعيطي :** تضم قرى عديدة ووديان أهمها وادي (حطيب) الرافد الأول لبناء إذ الرافد الثاني لروادي بناء وادي يهر الشهير بانتاج البن. وإلى بلاد القعيطي هذه تنتمي الأسرة (القعيطية) أصحاب دولة القعدة (السلطنة القعيطية في حضرموت بحاضرتها المكلا).
- ومن الآثار الأسمية التي جمدت ذكرى العناق في (سرو حمير/يافع) مواضع منها :
- **جبل عمق :** (بإبدال الميم من النون/ وبدون تصويت) يقع إلى الغرب من جبل ثمر وهو صنو جبل حقة (وفيه قرية بنفس الاسم) وهو من أملاك قبيلة ال/علسي (ذي علسم/في النقوش)
- **عمق :** أحد قرى قبيلة الثلثي (نسبة إلى ثلث/ وبإضافة لاحقة التنوين العربية الجنوبية فهي ثلثم ثلمي/ لبتصويت تلمي (أحد بطون العنقيم/توراتياً) : والثلثي (تلمي) هذه هي أحد قبائل مكنب الحضرمي في يافع العليا. ومن قراهم : ضيان/ ذبيان/ النصباء/ حبه/ عمق/ ال/صمار^{٣٣}.
- والملاحظ أنه إلى جانب عمق (عناق/بالتصويت) فإن :
- **حبه :** (حوبة/بالتصويت/سفر التكوين/١٤)
- **ال/صحارة :** (صيغة النسبة إليها العماري/ أحد أبناء كنعان/١٥/١٠-٢٠)
- وقد حققنا موضوع حبه (حوبة التي في شمال دمشق- في دراستنا لجغرافية سفر التكوين /اصحاح المعارك/١٤). وأشارتنا هذه ترمي إلى لفت الانتباه إلى كثافة الحضور التوراتي في بلاد ال/عنقيم (العناق).
- **شعاب لعنوق :** (صيغة الجمع للعناق/عنوق) شعاب (وديان عميقة)، في مكتب المفلحي يافع العليا وقد ذكر (لعمان) من قراهم : حصن لعنوق (العنوق)^{٣٤}.
- وإننا لا نبالغ في القول بأن مواطن عناق حمير مسكونة بظلال أحداث ذلك الماضي التوراتي البعيد، فما زالت أسماء المواضع والقبائل تشير إلى قدماء من استوطنوها أو كانت لهم فيها وقعات خلدت اسمائهم فيها ومن هذه الأسماء:
- **كالب ابن يفته:** أحد النقيبين الذين لم يخذلوا نبي الله موسى (عليه السلام) في مسألة العبور إلى أرض الميعاد :

لكن كالب أنصت الشعب إلى موسى وقال أننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها.

[العدد/١٣/٣٠]

وفي القرآن الكريم :

«قال رجالان من الذين يخافون أنعم الله عليهما أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون. وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين». [المائدة/٢٣]

ويقال : أنهما (أي الرجلين) يوشع بن نون وكالب بن يوفنا^{٣٥}.

كالب هذا الذي كانت (حبرون) من نصيبه (عدد/١٤/١٣-١٥) يُحد اسمَه في أثريين في بلاد العناق من (سرو حمير/يافع) وهما :

• كلب : أحد قبائل سرو حمير كانت على عهد(الهمداني) باقية، وتنتزل في واحد من غرر أودية سرو حمير:

صدور لكلب من يافع^{٣٦}. وفيما أعلم لم يعد لهذا لقبيلة من ذكر. أما وادي صدور (صدر) فمعروف، في لبوس من يافع العليا^{٣٧}. ويُعرف أيضاً باسم وادي بُر^{٣٨}.

• ثفنه : قرية ل/بلحاي من قبائل مكتب الحضرمي يافع العلي^{٣٩}. وحيث تقع (ثفنه)..هذه في نطاق بلاد العناق يافع فلها تشير إلى (يفنه) :

يفنه = (ثفنه/بإبدال الثاء من الياء).

هذا فيما يخص العبد الصالح (حسب التعبير القرآني) (كالب بن ثفنه القتري) أحد نقباء إسرائيل الذين انتدبهم موسى المصطفى (عليه السلام) لتحسس الأرض الموعودة.... فهل من أثر في جنوب جزيرة العرب نلمع فيه ريح من قائد الخروج نفسه أي من منقذ شعب إسرائيل ونعني به موسى الكليم:

• موسى (عليه السلام) :

يرى (د/زياد مكي) أن الرديف العربي لموسى (بالعبرية مشه/خروج/٢/١٠) هو الاسم منقذ/المنقذ الشائع عند العرب قبل الإسلام وبعده (مثلاً منقذ بن نباتة/وأسامة بن المنقذ). وقد انطلق هذا الباحث التوراتي العربي من القرائن التوراتية التي تشير أن(مشه/موسى) صفة أو كنية وليست اسماً:

ففي العهد القديم يورد في الفعل(مشيتهو/خروج/٢/١٠). بمعنى انتشله (ويعثني/صمويل

الثاني/٢٢/١٧ والمزامير/١٨/١٧). بمعنى يخلصني، ينتشلي، ينقذني^{٤٠}.

وواقع الحال أن لهجة (سرو حمير/يافع) تشير إلى نفس المعنى:

- مشت : فعل ، هرب . فرّ مغافلة.
- ومشتها : أنقذ نفسه . بالهروب من أمر حُل . والمتمشوت : المتهرب والمشوته : الهروب/التهرب.

وفي لغة المعاجم ما يشير إلى نفس المعنى :

- الشْتُ : الإفتراق والتفريق.....
- مشته مشاً وامتشته... : مصه
- وأمتش الثوب : نزعته.....^{٤١}

وهذا الإستطراد اللغوي يثبت أن(مشه/موسى) هي كنية تعني المنقذ. ولكن هذه الصيغة العبرية قد تختلف في موضع وقبيلة من قبائل يافع (سرو حمير) :

- مشألة : (صيغة النسبة إلى مشألي. والجمع (تكسير) مشألة)، والملاحظ أن الاسم مركب من:

❖ مش (فعل) انتشل، أنقذ، خلص.

❖ إل : اسم جنس، كان يشار به إلى إحدى المعبودات، ليس في اليمن فقط، وإنما في معظم جزيرة العرب القديمة. وأقدم ذكر له وصلنا مدوناً في النقوش الأكادية يعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد في بلاد ما بين النهرين، عند أقدم هجرة عربية إلى هناك^{٤٢}.

وعليه فالاسم مشألة(مونث) : يعني : (أنقذ الإله/خلص الله) :

- مشألة : منطقة واحة تحتل الطرف الغربي من هضبة(ضهر سرو حمير/يافع). أهم القبائل فيها:

١. الطالبي.

٢. السالمي.

٣. السعدي.

٤. التامي^{٤٣}.

وفيهما وادي(ضول) الذي ذكره الهمداني من أودية سرو حمير :

وبنو أديد ومسكنهم صول^{٤٤}.

ذكره بالصاد المهملة (وهو بالصاد المعجمة)، وبنو أديد هم اليرم بعض من قبيلة الطالبي ويعرفون بالدييدي^{٤٥} (صيغة النسبة إلى أديد). والجدير بالذكر هنا أن الفعل مشش(مش) قد ورد في لغة النقوش اليمنية القديمة على هذا النحو :

هشوو : ساق.. أخذ معه (هدايا أو أضياعي) كما في النقوش (جام/١٥/٧٢٠) ^{٦٤} حيث ورد
الفعل في سياق ديني، والملاحظ أن الهدايا والأضياعي عادة ما تقدم للآلهة وفناء لنذور من أجل
السلامة(الإنقاذ) والرزق بالأبناء.....إلخ.
هذه الأمور مجتمعة تبرهن على أن الاسم موسى سواء أكان كنية أو اسماً ليس بغريب على جزيرة
العرب وقبائلها.

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥

الفصل السادس

أصول الدولة الكلدانية في سرو حمير

يا فم

الأموريون. بنو قاسد. كلد.

أسباب غزوة الملك البابلي بخت نصر

لجنوب جزيرة العرب

النبي الحضوري - نبي الله شعيب عليه السلام.

كنا في المدخل قد أفضنا في تفنيد المفاهيم السائدة والمفروضة في تناول التاريخ القديم للإقليم المعروف بـ(الشرق الأدنى/Near East) وإلى قضية تحركات الموجات السامية الأولى من داخل شبه جزيرة العرب في اتجاه تخومها الشمالية في بلاد ما بين النهرين والشام. وتصدينا لمسألة المفهوم التاريخي السائد لدى أهل الاختصاص في أوروبا والغرب ككل هذا المفهوم كرس القطيعة الإيستمولوجية (المعرفية) مع الماضي عبر عملية اجتثاث التراث السامي - ماعدا الكتاب المقدس - من أية عملية مسح شمولي للتراث الغربي وبالذات في العهود اليونانية الغابرة التي كانت الوريث التشريعي لسلفه (السامي) وهي الحقيقة التي كانت موضوع أطروحات (مارتن بيرنال) في كتابه الذي عرضنا له في (المدخل) حيث برهن على أن معطيات الحضارة اليونانية وقيمها المادية والروحية العظيمة، كانت في الأساس ثمرة الجهود السامية (الفينيقية/المصرية) المبذولة وفقاً لشهادات مؤرخي الإغريق من قبائل جحافل الجيوش الفينيقية والمصرية القديمة التي اجتاحت جزر الأرخبيل اليوناني أو مستوطنات الشعوب الأيجية المتخلفة حينها في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد. وهكذا فقد تشكلت نصف مفردات اللغة الإغريقية من مصادر سامية (كنعانية/وقبطية) واقرضت اليونان القديمة معظم آلهتها من مصر القديمة وفقاً لأطروحات (بيرنال) وذهبنا إلى أن (القطيعة المعرفية) هذه قد اعتمدها المفكرون الأوروبيون في القرنين (١٨-١٩) للميلاد كمبرر موضوعي فرضته ظروف تأسيس النموذج (الآري) كمرجعية تاريخية خرجت من أكمامها (اليونان) القديمة التي أنبثقت من اقتران العالم الأيجي في الألف الثالثة قبل الميلاد بزخم الإحتياح الآري الذي كانت القبائل الشمالية والشرقية المعروفة وفقاً لهذا النموذج (بالهندو أوروبية) أي الناطقة باللسان الهندي الأوروبي عمادة وهي صاحبة الفضل في نشو الحضارة اليونانية والإرتقاء العقلي عند الإغريق المتمثل في أنصع صورة ب:

• الفلسفة :

وهي العلم الإنساني الوحيد الذي لا يكاد يكون

معروفاً بحق في عالم ما قبل العصر اليوناني الروماني^١.

فالأساس الذي أنشأ عليه الأوروبيون نموذجهم الآري هذا وأدى إلى فصل الرأس اليوناني عن الجسد السامي هو الذي أنسلت منه اليد التي أخذت تمزق في الجسد السامي (العربي) وتنشئ من شتاتته التصنيف الثلاثي للغة العربية القديمة (أم) اللغات السامية. وقد أثبتنا تهافت هذا التصنيف في (المدخل)

فالتنوع الحاصل في مجموعة اللهجات العربية القديمة (السامية) لم يؤدي قطعاً إلى انشقاق لغات مستقلة ازدهرت ثم خبت نيرانها حسب المفهوم السائد لدى علم الألسنيات. فهذا التنوع اللهجوي كان بمثابة التسامي المتماهي لعدة أوجه في ذات وجه (السيمورغ) - وفقاً للمحمة فريد الدين العطار - وليست اللغة العربية اليوم بكل تنوع لهجاتها إلا وجه هذا السيمورغ. وما قدرة (اللغة العربية اليوم) على تفسير تراث منطقة الشرق الأدنى الكتابي كما حصل في قراءة نقش جيبيل اللباني - أنظر المدخل - والعناصر اللغوية المتشابهة بين اللغات السامية.

وفيما يخص ما نقله الإخباريون العرب عن موجة التجولات السكانية في شبه جزيرة العرب نحو شمالها فإنني أرغب في التعرض لهجرة بعض عمالقة حمير في العهود العتيقة إلى جنوب العراق والذين استوطنوا هنالك في فترة تعود بدايتها إلى الموجات الأولى لهجرة الشعوب السامية من الإقليم الداخلي للجزيرة ومن جنوبها بالذات إلى هذه المواطن الجديدة الخصبة في بلاد ما بين النهرين (في أواسط الألف الثالثة ق.م)، ومن هذه الهجرة تأسست في العراق القديم الدولة الأكديّة بين عامي (٢٣٤٠-٢١٨٠ ق.م) وأشهر ملوكها المؤسسين (شروكين) المعروف بسرجون الأول^٢. هذا المفهوم يتطابق بلاشك مع ما تطرق إليه لسان اليمن (الهمداني) من هجرة عمالقة حمير مع بني كركر إلى مكة ومن ثم إلى بلاد الشام.. وأقم سادوا فيها وهم من حارب بني إسرائيل وصدوهم عن الدخول إلى كنعان - أرض الميعاد - بقيادة موسى الكليم. الأمر الذي فندناه في (الصفحات السابقة) وأثبتنا صحته إنما ضمن جغرافية جنوب الجزيرة^٣... هذا وفيما يلي نعرض لهجرة عمالقة حمير وسيادتهم في البلاد الرافدية :

I. يذكر المؤرخون أنّ (دولة بابل الأولى) قد ظهرت على أنقاض العهد السومري الثاني وأنّ من أسسها حوالي (١٨٨٠ ق.م) هم شعب سامي يُعرف (بالأموريين). بعد أن تنازعوا الوادي مع (العميلانيين) الآريين) الرافدين من الشرق. واستمرت بابل الأولى هذه ما بين (١٨٨٠-١٥٩٥ ق.م). وأشهر ملوكها حمورابي.

II. تعرضت المنطقة لاحتلال من قبل الجوتيين ثم الكاسيين الذين أسسوا بابل الثالثة حوالي (١٥٨٠ ق.م)^٤.

• الدولة الكلدانية :

آخر ممالك العراق المستقل التي قامت ما بين عامي (٦٢٥-٥٣٨ ق.م) وأشهر ملوكها (نبوخذ نصر) أو بخت نصر الذي اشتهر بغزو (أورشليم القدس)، وأحرقها وأجلى أهلها إلى بابل. وانتهى دورهم على يد الفرس سنة (٥٣٩ ق.م)^٥. وقد عرفت بهم أحد حواضر العراق العتيقة والأثرية وهي (أور

الكلدانيين/أور الكسديم [سابقاً] الواقعة على الشاطئ الغربي لنهر الفرات^٦. وفيها يرى معظم الباحثين التوراتيين والإخباريين العرب الموطن الذي شهد ولادة نبي الله إبراهيم (عليه السلام). ويرجع أهل الاختصاص العهود التوراتية العتيقة (عهود الآباء) إلى تلك الفترة عندما تعرضت مراكز الحضارة الرافدية والمصرية إلى الاضطراب الناجم عن زحف الأموريين من المناطق الداخلية للجزيرة العربية نحو الشمال والغرب. لكن التجمعات الحضرية في سوريا وبلاد الرافدين سرعان ما تغلبت على (التدفق الأموري) وذلك عبر استيعاب الموجات الحضرية من الأموريين في المدن والضغط على غالبيتهم : بالإنجاء إلى أطراف الصحراء وإعادة تأسيس مجموعة الممالك الصغيرة والتي لكثير منها تاريخ قديم والتي أصبحت من المعالم السياسية للأعظم من الألف الثاني قبل الميلاد^٧.

وفي تلك الحقبة العائدة إلى النصف الأول من الألف الثانية (ق.م) كانت أهم المراكز الحضرية تتركز في :

الشمال والشرق مثل آشور في عهد (شمسي حدد/١) وبابل في عهد (هورايي) وقره الحوريين في ازدياد.... هذا بالإضافة إلى الممالك الصغيرة التي كانت تعيش في حماية أحد القري العظمى أو تتصارع فيما بينها مثل (mari/ماري = تل الحيري اليوم) و (مخاض) المعروفة باسم (حلب) و(قطنا) المعروفة اليوم باسم (مشرفة) والممالك الأصغر (كاوغاريت) = رأس شمرا^٨. هذه أبرز ملامح الوجود الحضري في تلك الأزمان وحولها كانت التخوم تروج بالتواجد البدوي مثل :

السوتيين والخاليين واليمانيين ومجموعات أخرى مثل الخابيرو (العبران)^٩. ويرجع الباحثون تأسيس الدولة البابلية الأولى إلى الأموريين.... فمن هم الأموريون هؤلاء؟ تطرقنا في مدخل الكتاب إلى الأموريين وقضية اللغات السامية، ورأينا أن الأموريين لم يخلفوا آثاراً كتابية ذات شأن وأن الكنعانية ينتمون إليهم وكذلك الأراميون والفينيقيون. أما المستشرق الإيطالي (أغناطيوس عويدي) فقد أطلق تسمية (الأموريين) على أعرق السلالات في جنوب جزيرة العرب وهم الحميريون^{١٠}. وما ذهب إليه (عويدي) يتطابق مع رواية (الهمداني) عن هجرة حمير الأولى إلى بلاد الشام وسيادتهم فيها. هذا وقد ذكر لسان اليمن (الهمداني) أن المؤرخ اليوناني (بطليموس) قد أطلق على جزيرة العرب تسمية هي :

* ماروي : (موروي = موري/أموري) : أفضل البلاد المعصورة من شق الأرض الشمالي إلى الجزيرة الكبرى وهي الجزيرة التي يسميها (بطليموس) [ماروي] فجوبيها : اليمن، وشاليها : الشام،

وغربها : شرم أيله، وما طردته من السواحل إلى القلزم وفسطاط مصر، وشرقيها : عمان والبحريسن وكاظمة والبصرة، وموسطها : الحجاز وأرض نجد والعروض وتسمى جزيرة العرب^{١١}.

إذا فشبّه جزيرة العرب هي موطن (الأموريين/الحميريين) ويترتب عليه قضية دراسة تاريخ وتراث منطقة الشرق الأدنى كتاريخ عربي بكل تنوع معطياته العمرانية واللغوية والثقافة واللاهوت.... الخ. وهو تاريخ متواصل غير منقطع عبر أدوار التاريخ وأن مراحل الركود والتخلف التي أعقبت فترات الرقي والإزدهار كانت لها أسبابها الداخلية والمؤثرات الخارجية ومهما تكن المعضلات التي كبحت عجلة التطور في تاريخ (الشرق الأدنى) ينبغي لنا إعادة الاعتبار للتاريخ ككل لا يتجزأ، وأنه ما من سبيل لتكوين قراءة معرفية (ايستمولوجية) لتاريخ هذا الإقليم وعلاقته بالآخر المتمثل في أوروبا ومعطيات الحضارة فيها. (نقول ما من سبيل) إلى هذا إلا عبر ربط تراث الإقليم اليوم بتراث وتاريخ (قدماء العرب) الذي يحلو لبعض أهل الاختصاص تناول تاريخهم بالتجزئة وترسيخ الموانع في مجرى تواصل شعوب المنطقة ببعضها البعض وتواصلها معاً بتاريخها وتراثها والركون للمفاهيم الشائعة اليوم عند المستشرقين تكرر (القطيعة المعرفية) لتاريخنا ولا تساعد على إعادة بناء الذاكرة التاريخية للأجيال العربية في العصر الراهن ويجنح بالعربي نحو فقدان الإثزان وبالتالي نسف (الهوية العربية) لصالح تزييف الوعي وتكريس الهوية السياسية هوية الشتات والتهيه. وحتى لا نبعد عن مساق هذا البحث الذي نتصدى به لوقائع تاريخنا القديم فلاني أعيد إلى الأذهان أن (الأموريين) الذين نبحت في شأنهم وجزيرتهم (ماروي) حسب تعبير (بطليموس) أي جزيرة العرب قد تخلفت تسميتهم هذه في آل:

هوري : (المورو) وهي تسمية شائعة في اسبانيا وأطلقت على جميع سكان الأندلس من المسلمين. وما زالت تستخدم في الأدب الإسباني اليوم إشارة إلى العرب. وقد ظن مترجم : (في الإستشواق الإسباني/الأستاذ كاظم جهاد) أن الأصل فيها يرجع إلى (الموريتاني) ذلك لأن أغلب المحاربين المسلمين أبان فتح الأندلس كانوا آتين من أفريقيا الشمالية^{١٢}....

والصواب أن العرب المورسيك/ المورو في إسبانيا هم بعض عرب شبه جزيرة العرب (الموريون/الحميريون).

إذن ف:

- الأموريون ساميون.
- الأموريون حميريون.
- الموريون العرب (في الأندلس).

• المارويون سكان جزيرة العرب.

وجل ما نريد قوله هنا أن (الأموريين) من عرب الجزيرة ومن اليمن بالذات وحميريون في أصلهم على وشائج من القري مع عمالقة حمير الذين أسسوا الدولة الكلدانية فيما بعد. وقد رأى الأستاذ (فوج الله صالح ديب) صاحب (اليمن هي الأصل) في عشائر :

• بني خالد : (رهط نبي الله هود)، الذي سماهم المستشرقون الكلدان، وظل هذا الاسم في كتبنا التاريخية بلفظة الأجنبي! أن الكلدان هم الخلدان وماركس كان السباق في الإشارة إلى ذلك^{١٣}.
وإذ لم يوفق الأستاذ (ديب) في تحديد هوية الكلدان بدقة فإننا نسوق كامل الحقيقة عنهم فيما يلي :

• الكلدان : الشبائع لدى المؤرخين أن أحداد الكلدانيين هؤلاء قد عرفوا بتسمية ارتبطت بها مدينة (أور الكلدانيين) والتي وردت في الترجمة السبعونية اليونانية (سبتواجنت) في معرض الإشارة لموطن إبراهيم (عليه السلام) على هذا النحو : (عور كسدليم)^{١٤}.
ويمكن قراءتها (عريباً) :

أور الكسديين / أور الكساديين / أور كسدي.

على اعتبار أن اللاحقة الميم في (كسدليم) بمثابة لام الجنس العربية، أو لجمع العاقل المذكور. أما في النقوش اليمنية القديمة فقد وردت التسمية بصيغة : كشدلي أي بالشين المعجمة. ففي النقش الموسوم (جام/٩٣١) من نقوش تل العقلة (أنودم/في النقوش) والعائد إلى بداية القرن الثالث للميلاد، عهد ملك حضرموت المعروف : (العذيلط) الذي كان معاصراً للملك السبيي (شعرم أوتر) / ١٣/١ :

خيرى / وعذدم / تدمري

يهن / ذمترن / وفلقث

كشد ييهن / دهرده / وم

نده / هند ييهن / شوعو

مراسم / العذ / يلط / م

لك / حضرمت.

وقد لاحظ أصحاب (مختارات من النقوش اليمنية القديمة) : أن أصحاب النقش هؤلاء وهم :

١/ ح خيرى وعذدم (العز) من تدمر بادية الشام

٢/ ٣ ذمترن (ذي المتر) وفلقث من : ال /

• كشدّي : هو الشكل الأصلي لاسم القوم الذين نسميهم الآن بكليدين، كانوا سكان جنوب العراق في الأعصر القديمة.

٤/ دهرده ومنده من الهند.....

أنظر النقش /١٠٩ في مختارات....

ولعله من المفيد ملاحظة :

وجود السابقة (اللازمة) الحميرية (ذو) في (ذي مثرن). الأمر الذي يؤكد أيضاً انتساب القوم المعروفون ب/كشدّي (كسديم/توراتياً) إلى حمير ثم إلى عمالقتها الذين هاجروا إلى جنوب العراق، وأقاموا فيها (دولة الكليدين) فهل لهم من باقية في مواطنهم الأصلية؟

I. آل/كسدي : آل/قاسدي(يافع بني قاسد) ورد هذا الاسم (قاسد) في نقوش المساند اليمنية القديمة على هذا النحو:

• قسد :

i) فئة لا تحمل السلاح / في كوربوس/٣٥٦/٤، وريرتوار/٣٩٥١/٢.

ii) حجاج ؟ / في ريرتوار/٤١٧٦/٢.

• قسدة : ثورة، عصيان/ في جام/٥٧٧/١٣....

• قسدم : ريكمانس / ٥١٠١٥. بمعنى أيضاً :

عصيان، ثورة، عاص، ثائر^{١٥}.

هذا والإبدال بين كسد وقسد شائع : وقد يكون الأصل في اللفظتين القاف اليمنية التي هي بين القاف والكاف والتي مثلوا لها بقولهم :

ولا أكول لكذر الكوم قد نصحت ولا أكول الباب الدار مكفول^{١٦}

وإبدال الكاف من القاف في هذا البيت حصل في :

أقول، قدر، قرم، مقفول.

• قاسد (القاسدي) : يُعرفون (بيافع/بني قاسد) تحالف قبلي كبير يضم فيه اليوم عشرات الآلاف من الحميريين، إذ تنضوي تحت هذا الاسم (قاسد) خمسة مكاتب (حسب آخر التقسيمات القبلية في يافع)، وحيث أن يافع (سرو حمير) يتشكل من عشرة مكاتب خمسة منها تُعرف ببني قاسد (القاسدي) والبقية تُعرف بيافع بني مالك. فيافع بني قاسد هو النصف من يافع/سرو حمير، ويتشكل من المكاتب القبلية التالية:

✱ آل سعدي (آل سعد) : وفيه القارة: حاضرة (سلطنة) يافع السفلى (بني قاسد) المعروفة مسبقاً بالعفيفية.

✱ آل/كلدي : نسبة إلى كلد جمع النسبة فيها كلديون أكلود كلدان.

✱ آل/يهر (ذو يهر) : نسبة إلى يهر.

✱ آل/ناخي (ذو ناخب) : نسبة إلى ذي ناخب : من أنصب وديان سرو حمير ومثله يهر (وادي يهر).

✱ اليزيدي (آل يزيد) : ويُعرفون بجبلهم جبل اليزيدي.

وقد ذكر لسان اليمن (الهمداني) هذه القبائل ومواطنها في سرو حمير :

حطيب لبني قاسد من يافع، يهر لبني شعيب من يافع، ذو ناخب لبني جبر منهم^{١٧}....

هذا فيما يخص قاسد (قاسدي كشدي/كسديم)

وفي يافع بني قاسد هذه نجد صيغة الاسم هذا (تماماً) كما وردت توراتياً (كسديم/عور كسديم) في منطقة تقع في يافع السفلى (بني قاسد) أيضاً وهي :

• كساد : كسد (بدون تصويت) : يُعرف ساكنوها ب آل/كسادي (نسبة إليها) : أحد مواطن قبيلة طرسة القاطنة في أسافل وادي (ذو ناخب) في وادي يدعى وادي شيوحة^{١٨}.

هذا فيما يخص الصيغة الأقدم لتسمية القوم الذين قطنوا جنوب العراق في العهد العتيقة وهي (كشدي كسدي قاسدي) أما الصيغة التي عرفوا بها إبان تسلمهم الحكم في أواسط الألف الأولى قبل الميلاد فهي (الكلدان) أو الكلدانيون.

وهم كما أسلفنا من عمالقة حمير بل من أعزها شأنًا وأبعدها صيتاً يافع (بني قاسد) وهم اليوم مازالوا يحملون نفس الصيغة التي اشتهروا بها في جنوب العراق أيام (نبوخذ نصر) أي الكلديين (صيغة النسبة من كلد) :

• كَلْد : (وزان بلد) : قبيلة عظيمة من قبائل (سرو حمير/يافع) من نصفه المعروف بيافع (بني

قاسد)، ذكرها الهمداني في عداد بطون حمير المنتشرة من يافع السرو (سرو حمير):

فأولد يافع بن قاول : بلدة وجحيملان أبني يافع ومنهما انتشرت بطون يافع وهم المنجد حمير باليمن، وفرسانهم قليل، وهم على ما قال محمد بن مسلم أخو بني قاسد : الأريوم وأدان والذراحن وبنو قاسد والأبقور وبنو شعيب وبنو جبر وكلد، والسيان وهم أهل الهجر وبنو سمي وبنو صائد وبنو أديد ومسكنهم صول، والأصوت وهم ثروة وهم من المنجد رجال اليمن وأخبارهم في عصرنا تكرر^{١٩}.

ولعله من المفيد هنا أن نشير إلى أمر له دلالاته التاريخية ويؤكد بوجه ما عراقه هذه الطن الحميرية (كلد) فهي إلى جانب ضخامتها وتشعبها اليوم تضم تحت جناحها عدة بطون عريقة ذكرها (الهمداني) في هذه الرواية المنسوبة إلى محمد بن مسلم- أخو بني قاسد- وهم :

❖ الأبقور : فرع من كلد يُعرفون ب/ الباقر قراهم كثيرة ولهم تفرعات عديدة.

❖ بنو سمي : فرع من كلد أيضاً يُعرفون باسم آل سميطي (تصحيفاً).

❖ بنو صائد : فرع كبير يُعرفون اليوم باسم الساعدي صيغة النسبة من ساعد = صائد/بإبدال السين والعين المهملتين من الصاد(مهملة) والهمز^{٢٠}.

ولكل بطن من هذه البطون تاريخية عريقة سنتصدى لها في دراسة أخرى- وما ينفعنا هنا هو الإشارة بتاريخ قبيلة(كلد) بوجه عام وحضورهم الكبير في مختلف الحقب التاريخية، حيث عدّهم صاحب(طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب)- السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول الذي عاش في القرن السابع للهجرة- في قائمة أنساب عمالقة حمير:

ومنهم يافع، ويقال لها الأيفوع، وهم قبيلة كبيرة،

وأكثرهم من المفاليس إلى عدن ومنهم الأكلود^{٢١}.

هذه وجهة نظر رسمية صاحبها كان ملكاً وقوله (وأكثرهم من المفاليس إلى عدن ومنهم الأكلود) يبرهن على سعة أرضهم الممتدة من :

(المفاليس : جبل وناحية في الحجرية^{٢٢}، إلى عدن وكل ما يشملها(سرو حمير) وقد خصص من بين القبائل الياقعية الأكلود- من كلد- للدلالة على مدى نفوذهم في ذلك العهد المتميز بسطوة بني رسول الغسانيين في اليمن.

وتضم اليوم كلد تفرعات كثيرة تتوزع أوديتهم وقراهم في منطقة شديدة الوعورة ذات أودية خصبة تحتل الجزء الجنوبي الغربي من (سرو حمير/يافع). فإلى جانب البطون التاريخية- الأبقور/ بنو سمي/ بنو صائد- يتشكل مكتب- ناحية- كلد من تفرعات كثيرة منها:

❖ آل جلادي : صيغة النسبة من جلاد/بالسيوف : تفرعاتهم كثيرة / أنظر لقمان/نفسه ص

١٨٦-١٨٨.

❖ منصري : لهم فروع وقرى كثيرة /لقمان ص ١٨٦-١٨٨.

❖ يوسفى : لهم فروع وقرى عديدة / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.

❖ جريري/الججورور : قراهم وأوديتهم كثيرة / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.

- ◇ جرهودومي : فروعهم كثيرة/لقمان ص ١٨٦-١٨٨.
 - ◇ سنيدي : لهم عدة قرى ووديان خصبة / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.
 - ◇ ساملي : فروعهم عديدة وكذلك قراهم وأوديتهم / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.
 - ◇ بن قماطة : لهم جبل شاهق يُعرف باسمهم / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.
 - ◇ علوي : لهم عدة فروع أيضاً / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.
 - ◇ حنشي : تفرعاتهم عديدة/ لقمان ص ١٨٦-١٨٨.
 - ◇ حاجي : عدة تفرعات ينقسمون إليها / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.
 - ◇ داؤودي : فروعهم عديدة أيضاً / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.
- ومن تفرعات كلد أيضاً :

ال صرحي / وآل شنيكي/ وآل رهوي.

وكلها أسهب (حمزة لقمان) في سرد تفرعاته.

وقد أتينا على ذكرها هنا للضرورة التي تجبرنا عليها حاجة الباحثين إلى المراجع في صلب مهامهم لدراسة الأواصر والجذور السلالية الواحدة للشعوب التي كانت تجوب البلاد العربية وبالذات شبه جزيرة العرب وبلاد الشام وما بين النهرين تلك الشعوب والأقوام المعروفة لدى المستشرقين باسم (الساميين). فالمطابقات الأسمية لا تأتي عرضاً أو كيفما اتفق، فأسماء المناطق والقبائل تختزل في صيغها آثار ولادتها الأولى بكل ما تسجله عن انبعاثها الأول من أحداث ووقائع مهما كانت موزعة في عرود الدهر وغواير القرون فعادة ما تعيش القبيلة ويعيش عادة اسمها (معها) منذ مئات عديدة من السنين.. ومن الاسم غالباً ما نستطيع أن نعرف أيضاً متى ظهرت ولماذا هي على هذا النحو^{٢٣}.

ولهذا قاصرنا على عرض تفرعات (كلد) هدفه بالمقام الأول توفير الجهد على الباحثين التوراتيين وغيرهم من المختصين في دراسة جذور الحضارة الآشورية والرافدية عبر المطابقات الأسمية بين أسماء هذه التفرعات العشائرية ومواطنها في (سرر حمير/يافع) مع ما هو في متناول أيديهم من قوائم السلالات الآشورية والبابلية الحاكمة. إذا كانت البيئة أو الوسط الجغرافي يمكن أن تقدم لنا تفسيرات كثيرة عن احتضنتهم في حوازا فإن المفهوم لدى علماء الدراسات الإنسانية عموماً أن :

في الجبال يضطر الناس عادة إلى العيش في مجموعات مغلقة صغيرة وأماكن الإختلاط فيما بينهم أقل^{٢٤}.

وهذا يجد ذاته يشير إلى أن عوامل التغيير الداخلية والخارجية لا تفسد كثيراً فيما يتعلق بتسميات

القبائل ومواطنها خاصة إذا كان وسطها الجغرافي نجد حمير المعروف (بسرو حمير/ يافع) الذي يمتاز بوعورة الأرض وصعوبة المسلك بين أوتارها الصحيرية الشاهقة وأوديتها السحيقة الأغوار.... ولعمري أنّ بيئة جغرافيتها هذا حالها كما يصفه ابن مقبل العامري :

من سرو حمير أبوال البغال به
أنى تسديت وهنا ذلك الينا^{٢٥}

جديرة بأن تأوي قبائل حمير المعروفة باسم يافع :

يافع قبيل ضخم مرهوب الجانب، شديد الشكيمة ذو إباء وشمم وعروية يعربية، وهم دائماً لقاح، لا يدينون لسلطان وإقليمهم فسيح ومخلاف واسع ولا نافلة فيهم. يقع في الجنوب الشرقي من اليمن^{٢٦}.

لاشك أنّ قبيلة هذا حالها كما وصفها الشاعر (ابن مقبل) والأكوع- محقق كتابات الهمداني- رغم مئات السنين التي تفصل بين الإثنين جديرة بأن يركن إلى آثارها الاسمية والتراثية فهي بيئة محافظة (تجمل التاريخ) وتقدم لنا شهود إثبات من أقدم العصور.

يأتي في طليعة الدولة الكلدانية ملكها المعروف وهو (نبوكد نصر) ويُعرف بالعربية باسم (نبوخذ نصر) ويرد في سفر أخبار الأيام الثاني ٣٦/٦ باسم (بخت نصر)، والتهجئة الصحيحة للاسم باللغة الأكادية (نبو- كردو رري- عو شور^{٢٧}). وعلى أية حال فإننا نجد الاسم بصيغته التوراتية (بخت نصر) قد تخلف بشقيه في أسماء قبائل كلدية، الأمر الذي نرى فيه شاهد إثبات آخر على صحة مذهبنا في البحث عن الأصول (الكلدانية/الكسدية) في (كلد/القاسدية/القسدية) :

بما أنّ الاسم يتكون من اسمين (بخت + نصر) فهو إذن من الأسماء المركبة وقد تخلف في أسماء بطون كلدية على النحو التالي :

- بخت : تخلفت هذه الصيغة في تسمية أحد تفرعات كلد وهي :
- بختي : صيغة النسبة من بخت (بخت/ بختصوت) : حلالهم وادي ضُبه وهم فرع من قبيلة الـ حنش الكلدية. أنظر لقمان ص ١٨٦-١٨٨.

- نصر : تريب في تسمية أحد قبائل كلد المعروفة باسم :
- منصري : صيغة النسبة من منصر/نصر : ولهذا القبيلة تفرعات عديدة هي :

◆ عيسى : في وادي خيرة.

◆ بركاني : في شعب الصلبة.

◆ عياشي : في وادي سنان.

◆ جدسي : في وادي كلسام. ٢٨

كما تخلف (نصر) بنفس الصيغة في أحد تفرعات قبيلة الجلادي الكلدية وهي :

نصري : صيغة النسبة من نصر : أهم فخردهم :

أهل عبد الهادي في شهد والحشاش في وادي سرار وبني الفقيه في مزابه.

طالبي في العلاء.

مخيري : أهم قراهم المعزية والحاجب. ٢٨

لاشك أن معرفتنا الأيستمولوجية بجذور العرب في شمال جزيرة العرب وجنوبها غير علم المطابقات اللغوية - الاسمية - بالاستناد إلى نتائج الحفريات الأثرية التي مازالت في جنوب الجزيرة - اليمن - تخطو متعثرة لأسباب عديدة ليس المجال لذكرها هنا... غير أن المئات من نقوش المساند اليمنية القديمة التي تم اكتشافها تتيح لنا الفرصة على مقارنة افرازاتها مع ما ذهبت إليه كتابات المؤرخين القدماء اليونان والرومان وكذا العرب مع نتائج الكشف الأثرية في بلاد الشام وما بين النهرين ومصر... إلخ. وبالتالي يمكن لنا مع عدم التفريط بدراسة التراث والآثار الحية والفنون الشعبية لشعوب المنطقة العربية، (يمكن لنا) دراسة العهود التوراتية العتيقة دراسة شاملة ودقيقة تصل معها إلى فهم أعمق لماضي وتاريخ شعوب شبه جزيرة العرب الذي ما زلنا في ريب مما نتلقاه من دوائر الإستشراق عن ذلك الماضي العريق... وفي الأسطر اللاحقة سنتصدى لدراسة بعض الوقائع التي شهدتها جزيرة العرب في عهد الملك البابلي الشهير ب(نبوخذ نصر/بخت نصر).

وفيما يتعلق بحادثة السبي هذه فإن (د/كمال الصليبي) يرى مخالفاً للمفهوم التقليدي أن وقائعها لا تمت إلى (أورشليم) فلسطين بصله فما أورشليم فلسطين إلا نسخة جديدة من (أورشليم) غرب شبه الجزيرة العربية التي شهدت موقعة السبي اليهودي على يد الملك البابلي (نبوخذ نصر) الذي قضى على مملكة (يهوذا) هنالك - في غرب شبه جزيرة العرب وفقاً للصليبي - واقتاد الألوف من رعاياها اليهود إلى بابل، حيث وضعوا قيد الأسر ٢٩.

ويعلل (د/الصليبي) هذه الحملة برغبة البابليين في إحكام السيطرة :

(على غرب شبه الجزيرة العربية، وإلى استباق أي

عودة مصرية إلى المنطقة لمنعها) كذلك المحاولة التي

قام بها [نكو الثاني] قبل ربع قرن)، إلى درجة أن

(نبو نعيد) الذي خلف (نبوخذ نصر) في ملك بابل نقل

عاصمته من بابل نفسها إلى تيماء، في شمال الحجاز،

وقضى معظم أيام ملكه هناك كما هو معروف^{٣٠}.

ولا بد أن الحملات الحربية التي كانت توجه من قبل الآشوريين والبابليين والمصريين إلى شبه جزيرة العرب كانت تهدف إلى إحكام السيطرة على الخطوط التجارية الشهيرة (بدرج اللبان).

(فمن بين أشياء أخرى، كان المصريون مهتمين أيضاً بتأمين خشب العرعر من عسير [وليس أرز لبنان] كمادة للبناء ولتعمير السفن)^{٣١}.

ويبدو أن حملات الملك البابلي (نبوخذ نصر) قد وصلت في توغلها داخل شبه جزيرة العسرب إلى التخوم الغربية للهضبة اليمنية متجاوزة تلك المواطن الشهيرة بإنتاج أخشاب العرعر المعروفة في نقوش المساند الحميرية باسم :

شامت = ال- شامية أي الشام-

أنظر في مطلع كتابنا هذا الشام اليمانية = الشام التنوراتية- وقد ذكر (ابن الجاور) بعضاً من أودية الشام اليمانية المنتجة للخشب :

(من معامله (ذؤال) وادي نبع ووادي ريمان ووادي

عرم ووادي جاييه والمدارة وفي وادي زبيد سخمل

والفتشي وغاية شجرة الأسحل والسيسان وبطحوات

واليمن وادي نخلة خلاف وادي مكة وواسط، وفي أودية

الشام وادي رماع ووادي الكدراء ووادي سرر وادي مور

وجميع هذه الأودية يقطع منها الخشب لأجل العمارة)^{٣٢}.

ويجمع كثير من المؤرخين العرب القدماء منهم الطبري^{٣٣} وهشام بن محمد الكلبي وابن اسحاق الثعلبي على أن (نبوخذ نصر) قد جرد بالفعل حملات عسكرية وصلت في مداها إلى أرفع جبال اليمن وأعزها وهو جبل النبي شعيب المعروف تاريخياً باسم :

* جبل حضور : نسبة إلى حضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة، حيث ينقل لنا لسان اليمن (الهمداني) عن شيخه أبو نصر اليهري قصة بني حمير وأولد المقدم ابن حضور ذا مهدم بن المقدم (غيره) وخولان بن المقدم. فأولد خولان النسيء والكبار والأجراد. وأولد ذو مهدم بن المقدم : مهدم بن ذي مهدم : شعيب النبي (صلى الله عليه وسلم) بن مهدم بن ذي مهدم، ومسجده اليوم في رأس حده حضور بن عدي، وجبل حضور يُعرف بهذا الاسم وهو جبل عظيم

البركة لا يزال متعصباً بالغمام ولم يزل الثلج باليمن إلا عليه وعند المسجد معين ماء ولا يزال الناس يزورونه ويصلّون فيه، ويُسمى رأس الجبل بيت خولان^{٣٤}. وبنه الأستاذ محمد بن علي الأكرع (المحقق) إلى صدق هذه الوصف واستمراريتها حتى اليوم^{٣٥}.

وتذهب رواية أبي نصر في شيء من التفصيل : فبعثه (أي شعيب) إلى قومه رسولاً فكذبوه وقتلوه، فأوحى الله إلى برحيا بن أخنيان بن زريابيل بن شالان من سبط يهوذا أن إلت بخت نصر، ويُسمى بخت ناصر وهو عند أهل الكتاب الملك الأعظم، والفرس تقول إنه مرزبان من مرزبه الفرس سرحه كيشناسب وأمره أن يغزو العرب الذين قتلوا نبهم، فيقتل مقاتليهم ويستبيح أموالهم، فأقبل برحيا من حرّان إلى بابل فأخبر بخت نصر، فتوجه لذلك من تلقاه مستأمناً من الأنبار وأتتهم جيوش بخت نصر، وهتف بهم هاتف :

سيغلب قوم غالبوا الله جهرة
وإن كايده كان أقوى وأكيدا
كذلك يضل الله من كان قلبه
مريضاً ومن والى النفاق وألحدا

فلما غشيتهم الجنود هربوا يركضون إلى قهامة فلقبهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، ويردوهم إلى حضور يقول الله عز وجل :

«وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين. فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون. لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ن». الأنبياء / ١١. ٣٦
وتتفق رواية (أبي نصر البهري) هذه مع ما ذكره صاحب (عرائس المجالس) ابن اسحاق الثعلبي من أن حضور المقصودة في هذه الواقعة ليست إلا (جبل حضور) المعروف اليوم باسم (النبى شعيب) عليه السلام :

أوحى إلى يوحنا بن برخياو خيا بن خيا
بن رؤبايل بن سنبسل..... كان من ولد يهوذا بن
يعقوب أن إلت (بخت نصر) وأمره أن يغزو العرب
الذين لا اغلاق لبيوتهم ولا أبواب ويطأ بلادهم
ويقتل مقاتليهم ويستبيح أموالهم لكفرهم بي واتخاذ
الآلهة دوي وتكذيبهم أنبيائي ورسلي وذلك بعد قتل
أهل حضور وهي بلدة باليمن^{٣٧}.

على الرغم من قناعة (الهمداني) وتصديقه بنوة النبي شعيب بن مهلم بن ذي مهلم الحضوري

الحميري. الأمر الذي تبرهن عليه الآثار الحية واللقى الأثرية التي تنسبه إلى ذالك الصقع اليماني حتى العصر الراهن وعبر مختلف الحقب بما فيها عهد الهمداني :

ف (هذا خبر العامة في شعيب عليه السلام وحضور) ^{٣٨}.

على الرغم من هذه الدلائل والآثار فإن (لسان اليمن) يسوق لنا بعض الحجج التي شذب فيها زيادات رأى فيها دسائساً من أعمال الشعوبية بقوله :

وقد زاد بعض الشعوبية في خبر برخيا، أن الله أوحى إليه أن يأمر بخت نصر أن يغزو العرب الذي لا اغلاق لبيوتهم. وهذا قول يكذبه كتاب الله إذ يقول : ﴿وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة﴾. فالقرى متعالة بكثرة السكن، ولا تحصن أمتعة بعض عن بعض إلا الإغلاق.

وأن قيل كان القوم محضون، فإن حضور لم يكن بها قرية. ولكن قصور مشيدة بالسقوف العجيبة، والأبواب الحريزة والأغلاق المحكمة ^{٣٩}.

وما دامت تخريجات الإخباريين وكتاب السيرة الأوائل عقدت بين الحملة البابلية وبين قصة نبي الله شعيب (عليه السلام) صلة، فالأمر في نظري لم يكن بمثابة غزوة قادها الملك البابلي (نبوخذ نصر) في عمق حدود العربية السعيدة استجابة لاستغاثة أحد أحفاد يهوذا سبط يعقوب عليه السلام أو بجده للنبي الشهيد شعيب عليه السلام الذي انتقم له المولى (عز وجل) من قومه (أهل حضور) بحصدهم بالسيف كما نصّت عليه الآية :

﴿قالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين. فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين﴾

[الأنبياء/١٤]

أي أن سيف (بخت نصر/نبوخذ نصر) قد فعلت فعلها بقوم شعيب في معركة أراد بها الملك البابلي السيطرة على الخطوط التجارية غرب البحر الأحمر، وربما أنه قد وجدها فرصة لقتال أبناء عمومته في اليمن تحت حجة قتلهم النبي الحضورى شعيب عليه السلام. بهذا نستطيع القول بأن طلائع جيش (نبوخذ نصر) قد وصلت في توغلها بالفعل إلى الأطراف الغربية لهضبة اليمن، وأن المعركة قد احتدمت في نواحي تمامة تماماً كما ورد في متن الرواية التي نقلناها عن (الهمداني) ونسبها للعامة وينسجم هذا الطرح مع الزيادة التي نسبها الهمداني - في إشارة منه لما أورد الثعلبي - إلى الشعوبية. فكيف أشكل الأمر على لسان اليمن الهمداني؟

المسألة في نظري تتعلق في معدل فهم النص الذي أورده الثعلبي بشأن نبي حضور - النبي شعيب (عليه السلام) - فهو أن بعثه الله بدرجة خاصة لهداية جبابرة حضور عمالقة حمير الذين كانوا يسكنون

أحد محافد اليمن الشهيرة وحصرها التي يصفها (الهمداني) في النص السابق :
.... فحضور لم يكن بها قرية. ولكن قصور مشيدة بالسقوف العجيبة والأبواب الخريزة
والأغلاق المحكمة.

فما لاشك فيه أن دعوات الأنبياء والرسل كانت موجهة بشكل شديد الخصوصية إلى الطغاة
والجبابرة والملوك ومن يتبعهم من سادة القوم وسوادهم.. ومن هذا المنطلق نفهم أن النبي شعيب قد
تركزت دعوته في حضور وما حولها من التجمعات الحضرية، حيث أثبتت الحفريات الأثرية التي
شهدتها منطقة (حضور همدان) :

في الفترة (١٩٩٣-١٩٩٥) أن المنطقة كانت تعج بتجمعات حضرية تعود إلى ثقافة الألف
الرابع والألف الثالث قبل الميلاد في اليمن^{٤٠}.

ومنطقة حضور الجبلية الشاهقة الواقعة إلى الغرب من صنعاء على بعد أكثر من (٣٠ كم)^{٤١}
قد أسهب (الهمداني) في (الصفة) في تبين مخلافها بأبعاده الجغرافية المعروفة اليوم في نطاق حضور
والحيمتين (الداخلية والخارجية). وغيرها مما على محجة طريق السيارات إلى الحديدية^{٤٢}. كما تعرض
لمآتي أودية تامة من جهة جبل حضور وما يصاقبه حيث ذكره في عداد مآتي وادي سهام برأسه الممتد:
من رأس نقيل السود من صنعاء على (بعد) بعض يوم إلى ما بين جنوبها ومغربها ويهريق في
جانبه الأيمن جنوبي حضور..... ويظهر بالكدراء وواقر فيسقي ذلك الصقع إلى البحر فيهرق
وادي العرب فيما بين الكدراء وزبيد بناحية المعقر والأخوات التي بينه وبين الكدراء ومساقبي
وادي العرب مما بين بُرع ومساقط جيلان ريمه وقعار^{٤٣}.

كما أشار (الهمداني) إلى مساقط حضور :

(من شم وما طخ وبلد الصيد) في عداد مآتي وادي (سردد) الذي يصب في المهجم التهامية
فيسقيها وما يليها إلى البحر^{٤٤}.

ومن هذه الإحداثيات والأبعاد الجغرافية التي عرضنا لها بإيجاز شديد يتبين لنا أن :
دعوة النبي الحضوري قد تجاوزت نطاق جبل النبي شعيب إلى مختلف الجهات بجبلها وسهلها. مما
فيها سهول تامة وغائطها الواقعة غرباً على شواطئ البحر الأحمر. أي أن النبي شعيب (عليه السلام) لم
يكن (نبي ضيعته) فحسب - وهي هنا حضور على وجه التحديد التي يليها من حيث الأهمية (عربايا)
وفقاً لرواية حبر الأمة ابن عباس (رضي الله عنهما) - بل كان نبياً ذاعت دعوته للإيمان بالله (جلّ
شأنه) في رقعة لها من الإثساع ما قد يشمل اليمن القديمة بأسرها أو على أقل تقدير أن دعوته قد

ترددت اصداؤها في الأرجاء المصاحبة لجبل حضور وفي السهول الغربية المعروفة باسم (قمامة) والمناطق المألوفة باسم (شام اليمن)، خاصة ونص رواية الهمداني التي نسبها للعامة تؤكد هذا الطرح بالقول :
(.... فلما غشيهم الجنود هربوا يركضون إلى قمامة....)

نعم فالمفهوم من هذه العبارة أنّ القوم قد أخذوا بالركض والهروب - وربما المقاومة- لجحافل الملك البابلي (نخت نصر) في قيعان قمامة وعبر أودية إنتاج الأخشاب التي كانت تطعم الدولة الكلدانية في إحكام السيطرة عليها في إطار التنافس على الخطوط التجارية وعوائدها مع قدماء المصريين.
ولعل أحد محميات الأخشاب كانت تتركز في أودية (شام اليمن) ومنها وفقاً لما ذكره (ابن الجاور) في الفقرة السابقة:

(وفي أودية الشام....رماح....والكدراء....وسررد ووادي مور....).

وقد تبين لنا ونحن نعرض (لمخلاف حضور) أنّ وادي (سهام) الذي يمر في الحواز الجنوبية لجبل حضور يطرح بعامة في البحر الأحمر بعد سقياه لعدة أودية تنتج الأخشاب ومنها الكدراء وواقر وزبيد وفقاً للوصف الدقيق الذي اتفقنا به لسان اليمن (الهمداني) في تعرضه لماّتي وادي سهام وبحراه/ صفة ص ١٣٣).

وما يهمننا في هذا النص بالذات هو ذكره (لواذي العرب) الواقع فيما بين برع ومساقط جُبلان ريمة وقعار^{٤٥}.

فالأمر هنا لا يحتاج إلى كبير من حذاقة في أن (وادي العرب) يشير إلى مجهول المعادلة التي نصّت عليها رواية ابن عباس (رضي الله عنهما) ونعني بذلك (عربايا/عرب بدون تصويت) وما زال أهالي هذا الوادي (العرب/عربايا) حتى اليوم يمتازون بصفات جسدية أقل ما يقال عنها أنها من شؤون الجبابرة، فهذه إحدى قرى وادي العرب المعروفة باسم (حمض) يصف أهلها الأكوع (محقق الصفة) بالقول :

لا يزال أهل حمض من احد العرب إلى اليوم وأنّ أحدهم ليضرب بسيفه الجذع العظيم فيبتره بضربة واحدة وهم الذين يضربون رؤوس القتلة بين يدي السلطان لإقامة الحدود^{٤٦}.

أما ما أنبرى لتفنيده لسان اليمن (الهمداني) وصفه في (أعمال الشعوبية) ونقصه بذلك قولهم في وصف قوم نبي الله شعيب (عليه السلام) :

... العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب....

والعبارة هنا مرسلّة غير مقيدة فالمقصود بهذا النعت العرب لا أمة العرب كلها. فسال (كلدان)

وملكهم (نبوخذ نصر) عرب أيضاً ولهذا فقد خص بالنعت قوماً من العرب نرجح أن الملك البابلي كان يعلم أحوالهم وذلك من خلال حملاته التي شنّها على غرب شبه جزيرة العرب ومن قام بتبليغه أو استشارته وترغيه، أمّا أراد عن نية مبيتة عدم تحويل الأمر في عين عظيم بابل الذي ربما كان حتى تلك اللحظة يجهل (حضور همدان) ولا ينوي بالضرورة الاصطدام بمكارية سباً مما قد يجر عليه وعلى انتصاراته التي حققها في مرتفعات عسير وما صاقبها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالمقصود (بالعرب الذين لا أغلاق لبيوهم....) كما أسلفنا عرب هامة ونواحي شام اليمن... فهل ينطبق عليهم هذا الوصف؟

• العرب الذين لا أغلاق لبيوهم^{٤٧}

كانت أقدم أعضاء بعثة الاستشراق الدنماركية قد وُطئت في نهاية سنة ١٧٦٢ للميلاد تراب اليمن، ومما سجله يراع الناجي الوحيد من هذه الرحلة، وهو كرستين نيبور، عن بيوت سكان هامة :
سجل نيبور ما لاحظته من اختلاف في المساكن بين منطقتي هامة والجبال.
ففي الجبال تبنى البيوت بالحجارة. أما في هامة فمعظم بيوتها عبارة عن أكواخ وبنائها لا يكلف كثيراً، فهي تبنى من أغصان الشجر والأعشاب، وتكسى جدرانها بالطين المخلوط ببراز الأبقار، وتدهن من الداخل بالكلس، وسقفها مبنية بأعشاب متوفرة بكثرة في هامة، ونادراً ما تكون هناك نوافذ، أما الأبواب فهي مجرد قطعة من الحصير. وفي هذه البيوت وحولها توضع سرر أشبه بكراس طويلة منسوجة سطحها بخيوط من القش، ويجلس المرء عليها وينام بارتياح. ومثل هذه السرر - الكراسي لا توجد في مناطق الجبال. ونادراً ما تكون الأكواخ مقسمة في الداخل إلى أجنحة أو حجرات، فإذا كان حجم الأسرة كبيراً، أو كانت هناك حيوانات فإنه يتم بناء أكثر من كوخ للأسرة الواحدة، ثم تحاط جميعها بسياج واحد مبني من أغصان الشجر^{٤٨}.

هؤلاء هم (العرب الذين لا أغلاق لبيوهم ولا أبواب) حسب تعبير (الثعلبي) الذي أنكره عليه (الهمداني) ما زالوا على عهدهم حتى اليوم يبنون أكواخهم المتواضعة من الطين وفروع الأشجار وضيع الأبقار فلا نوافذ ولا أبواب (حريزة) إلا ما فضل من حصيرة تسيل على مداخلها.... وإذا حلت هم السبوت - موسم حصاد التمر - فإنهم ينطلقون إلى (النخل) لا يلوون على شيء ولا يتخلف

منهم أحد، فهكذا يتركون بيوتهم هذه :

فإذا حمل النخل يتقبل كل واحد من الناس على قدره ويحيى إليه الناس من باب حرص إلى آخر أعمال أبيين ويترل أهل الجبال إلى قامة. وكم من امرأة تطلق من جهة النخل وكم تنكح امرأة من جهة النخل!..... وقيمون الناس في النخل مدة شهرين أو ثلاثة ويكون غالب أكلهم الحموضات والملوحات وهم في لعب وضحك وشرب^{٤٩}.

هؤلاء هم عرب قامة فيهم (عربايا/وادي العرب) وأودية أخشاب العمارة التي طمع فيها قدماء المصريين والآشوريين والبابليين.. وعبر هذا الصقع كان (درب العقيق) أيضاً، فيهم بحث نبي حضور فهم قوم شعيب (عليه السلام) كان سادتهم من أذواء حمير وفي طليعتهم أصحاب (جبل حضور) الذين قتلوا نبينهم فلما باغتهم سيوف (بخت نصر) لاذوا بتهامة تسوقهم حمية الدفاع عن الأوطان ولكنهم انهمزوا على أعقابهم تماماً حسب ما ذكرته رواية العامة التي نقلها لنا (الهمداني):

فلما غشيه الجنود هربوا يركضون إلى قامة فلقبهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ويردونهم إلى حضور...^{٥٠}

هكذا فقد توغلت جيوش الملك (الكلداني) / نبرخذ نصر في جزيرة العرب في إطار المنافسة على الخطوط التجارية وعلى مصادر إنتاج الأخشاب في أودية شام اليمن التهامية (همت/توراتياً) أما الإخباريون العرب فقد فسروا قدوم هذا الملك البابلي في إطار الثنائية التعليلية المألوفة: (الكفر/الإيمان) (العقاب/الثواب) (الطاعة والعصيان) فقد جعلوا من هذه الغزوة عقاباً أو نازلة سلطها الله (جل شأنه) على قوم النبي الحضورى (شعيب بن مهدم) (عليه السلام) وذلك لكفرهم بدعوته وقتلهم له. أما قضية التنافس على الخطوط التجارية في غرب شبه جزيرة العرب بين مختلف القوى الإقليمية من مصرية وآشورية وبابلية- وهلم جرا فقد احتدمت في مطلع الألف الأولى قبل الميلاد، وعبر النصف الأول منها أيضاً وهكذا يرى (د/كمال الصليبي) :

فحملة الملك المصري (شيشانق الأول) ضد يهوذا أواخر القرن العاشر قبل

الميلاد كانت غرب شبه جزيرة العرب وكذلك حملة (نكو الثاني) في القرن

السابع قبل الميلاد.^{٥١}

وفي مطلع القرن الثامن قبل الميلاد تعرضت هذه المنطقة الحيوية إلى حملة جردها الملك الآشورى (سنحاريب)، وكانت في سنة ٧٠١ (ق.م) في عهد (حزقيا) وفقاً للتاريخ التوراتي وكما نص عليه في:

(سفر الملوك الثاني/٢٦/١٨) و (أشعيا/١١/٣٦).^{٥٢}

وفي واقع الحال أن القوى الإقليمية كانت تصير إلى السيطرة على الخطوط التجارية في غرب شبه الجزيرة والمصادر الطبيعية فيها لإنتاج الأخشاب منذ أقدم العهود:

فعلى أحد تمائيل الملك السومري (نرام- سين) (حوالي ٢٤٠٠ ق.م) يقص الملك أنه أخضع بلاد (ماجان) وهزم زعيمها (ماينوم). ويرد ذكر (ماجان) في نص آخر عندما ذهب إليها (جوديا) كبير كهنة (لجش) وحكمها ليحضر منها ومن بلدة (ملوخا) خشباً وحجارة لبناء معبده.^{٥٣}

وانطلاقاً من المفهوم التوراتي المغلوط الذي يرى في فلسطين مسرحاً لوقائع الشعب الإسرائيلي البائد في حين أن جزيرة العرب كانت في تلك العهود العتيقة موطن (التوراة) والقبائل العربية المعروفة بالإسرائيلية (نسبة إلى الجلد الأعلى إسرائيل - نبي الله يعقوب).. وهم صاحب الفقرة السابقة (ثيورآو دامجن) (Thureau Dangen) فظن أن (ماجان) و(ملوخا) مستعمرتان :

من البلاد التي أسسها اليمينيون على الطريق التجاري في شمالي الجزيرة العربية في ذلك العهد البعيد.^{٥٤}

نعم لقد أثبت (د/كمال الصليبي) في كتابه الذائع الصيت (التوراة جاءت من جزيرة العرب)، أن (لاجيش) التوراتية لا علاقة لها في الموقع الأثري المعروف ب(تل الدور) في فلسطين وأنها كلنت في غرب جزيرة العرب...^{٥٥} ونحن بدورنا هنا نعرز هذا الطرح بالكشف عن (ملوخا) تلك البلدة التي شد إليها (جوديا) كبير كهنة (لجش/لاجيش) الرحال كي يحضر لبناء معبده خشباً وحجارة فهل لها من أثر اليوم؟

• بلدة ملوخا :

ذكرها لسان اليمن (الهمداني) في عداد نواحي (تهامة اليمن) حيث وردت عنده بصيغة (ملوكه/بالكاف آخره هاء) : وملوكه : (من حكم آل عبد الجدد) وفيه مدن مثل الهجر والخصوف والساعد والسقيفتين والشرجه ساحله.^{٥٦}

هذه (ملوكه/ملوخا) التي قصدها كبير كهنة لاجيش لإحضار الخشب والحجارة كي يقيم معبده(لاجيش) في بقعة ما من غرب جزيرة العرب لا في جنوب فلسطين. ولا شك أن وادي (ملوكه) الذي قامت على دلتاه مدن (الهجر) [هجرن بلغة نقوش المساند اليمنية]، والخصوف والساعد والسقيفتين) وفيوضه تخرج إلى ساحل مدينة (الشرجة) ومثله وادي (حرض) الذي تتسرب (الشرجه) منفذه إلى البحر.^{٥٧} ملوكه هذا موقعه في قلب المحميات الطبيعية التي كانت غاباتها المصدر الرئيسي لإنتاج أجود الأخشاب الذي كانت تنشده القوى الإقليمية الكبرى في العالم القديم (الشرق الأدنى)

السيطرة عليها... وتعرف اليوم في عين تلك البلاد التهامية على هذا النحو :

- الملقا : بفتح الميم والقاف وإسكان اللام بينهما، موضع بين خبت (ذؤآل) ووادي (رماع) في بلاد زبيد.^{٥٨}

ونكتفي هنا بلفت نظر الباحثين إلى ما أوردناه (آنفاً) عن أودية(شام اليمن/قمامت اليمن/كوش) التي ذكرها (ابن الجاور) على أنه (يقطع منها الأخشاب للعمارة) ومنها (ذؤآل/ورماع) اللذان يتوسطهما (ملقا/ملوكه/ملوخا). بهذا نكون قد فصلنا بشأن موقع طالما اختلف الباحثون في أمره ومن تخريجهم :

أن (ملوخا) هي (الحبشة) اليوم.^{٥٩}

ولا غرو أن فشل أهل الاختصاص في التعرف على (ملوخا) يرجع في الأساس إلى المفهوم المغلوط للجغرافيا التوراتية التي جعلت من (الحبشة) أرض (كوش) في حين حددوها(ابن الجاور) كلها أي (أرض كوش) ليست إلا تهامة اليمن المعروفة قديماً أيضاً (ب/شام اليمن)^{٦٠} وهي نفس الأرض التي عثرنا في نطاقها على (ملوخا) المنتجة للأخشاب. وتتكرر المشكلة مع (ماجان) وملكها (ماينوم) التي أعيت الباحثين عنها ورأى فيها(د/القمني) (ميكان) في (سلطنة عمان) حيث اعتمد في رأيه على ما نقله(المسعودي) في مروج الذهب من أن (ميكان هي محلة سيرا) وقد ربط (القمني) بين تسمية (سيرا) ومعناها (ثعبان) فكشف هذا عن اللبس الذي خلفه قدماء الرافدين بإطلاقهم هذه التسمية (ميكان) أولاً على(عمان) وفي فترة متأخرة على مصر. وبالنظر إلى مكانة الأفعى عند قدماء المصريين الذين كانوا يضعون مجسد الأفعى كتعويذة على رؤوسهم... هذه المقابلات بالإضافة إلى حقيقة أن (عمان) كانت جزءاً من اليمن وبالإستناد إلى روايات المؤرخين الأغريق عن مصر جزيرة العرب- أنظر المدخل في كتابنا هذا- خلص (د/القمني) إلى أن المقصود عند قدماء العراقيين ب(ميكان) سواء في أقدم العصور أو في عصورهم المتأخرة هو القطر العماني الذي هو وفقاً لهذا التخريج مصر جزيرة العرب.^{٦١}

وهناك احتمال آخر أن المقصود ب(ماجان/ميكان) نظراً للنائية التي يظهر بها في النصوص القديمة مع بلدة (ملوخا/ملوكه/ملقا) مما يعني تجاور الموضعين واشتغالهما بنفس الوظيفة (إنتاج الخشب) نظراً لهذا المعطيات يحتمل أن المقصود ب(ماجان) ملوكة في تهامة اليمن أو مرتفعات عسير، حيث وردت في صفة جزيرة العرب (للهمداني) :

- ملكان: من بلد حرام من كتانه
- ولحيان : من أرض السراة.^{٦٢}

نعم فالجزيرة العربية وبالذات غربيها الذي كانت تمر عبره أهم الخطوط التجارية من جنوب الجزيرة حتى (غزة) في شمالها وهو الدرب المعروف بدرب (الطيرب أو التوابل).... كانت هذه المنطقة هدفاً للحملات العسكرية بين القوى الإقليمية المتنافسة في الشرق الأدنى... وإلى جانب حملة (شيشانق) في أواخر القرن العاشر قبل الميلاد ضد (يهودا) في غرب الجزيرة العربية كانت الحملة التالية لا من مصر وإنما من آشور وهي حملة (سنحاريب) ف بمطلع القرن الثامن قبل الميلاد ثم :

في أواسط القرن الثامن قام (سرجون الثاني) بتصفية مملكة (إسرائيل) غرب شبه جزيرة العرب واحتل عاصمة المملكة وهي السامرة (شمرون) - وما زالت تدعى شمرون اليوم-^{٦٣}

وكانت حملة الملك المصري (نكر الثاني) في القرن السابع قبل الميلاد موجهة إلى نفس المنطقة، وكانت خاتمة الغزوات التي قصمت ظهر المملكة الجنوبية (يهودا) هي حملة :

(نبوخذ نصر) التي قضى بها على مملكة يهودا غرب الجزيرة واستاق أهلها إلى بابل.^{٦٤}

ملاحظات يافعية على قراءة ديب لنقش جبيل

تصدى الأستاذ (فرج الله صالح ديب) في كتابه الرائع (اليمن هي الأصل) لأمر شق ناقش فيها الجذور المشتركة لحضارة عرب الجنوب (اليمن) وحضارة عرب الشمال (سوريا وبلاد الرافدين) وخلص إلى نتائج مذهشة منها أن ما أخذناه كحقائق ومسلمات عن طريق دراسات المستشرقين لا يضمّد نفسه أمام البحث والتقصي العلمي الأنزه من المقاصد المبينة (سلفاً)، فالنصوص (الأمورية) واللغة (الكنعانية/شفة كنعان) وما عرّف باللغة (الأرامية) و(الفينيقية) ليست إلاّ تحليلات أخرى للغة (العربية/الفصحى) و(الجنوبية/ذات الخط المسند). فعلى ضوء المقارنة بين أشكال احرف تلك اللغات (السامية) بالإضافة إلى (اللاتينية) و(اليونانية) وجد كثير أن كثيراً من الأحرف الأبجدية تتماثل في الهيئة والشكل.

هذه الأمور وقضايا أخرى تناولها في متن كتابه هذا جعلته يعيد قراءة (نقش جبيل) المكتشف في العام ١٩٢٣ م والعائد إلى بداية الألف الأولى قبل الميلاد وفقاً لرأي المؤرخ العالمي (فليب حتي). على أن اقحام الاسم اليوناني (بيبلوس) في تفسير النقش فيه تعسف كبير لأن هذا الاسم الذي أطلقه اليونانيون على (جبيل) يعود إلى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ليس إلا^{٦٥}.

وهذه نص القراءة التقليدية لنقش (جبيل) كما وردت في مجلة (الجمعية الشرقية الأمريكية) -

: (١٩٥٧)

(التابوت الذي صنعه [أيتو بعل ابن أحيرام] ملك [بيبلوس]
لأبيه كمسكنه الأبدي. وإذا هاجم [بيبلوس] ملك أو حاكم أو
قائد وعرض هذا التابوت فليكسر صولجان حكمه وليسقط
عرشه الملكي وليهجر السلام (بيبلوس). أما هو فليمح انسان
مشرد (؟) كتابته).

وهذه قراءة (ديب) للنقش بالأعتماد على المماثلة الحرفية بين الأبجدية (الفينيقية/ التي زبر بها النص) والأبجدية العربية :

أرن (I) غير واضح المعنى وليس له ما يشبهه في الأبجدية الفينيقية ، فعله - بعل - بن أحرم - ملك - جبل - لأحرم - أبه - كشته [أو قسطه] - با - علم - والملكب (الملقب) - ملك - موسك (....) - نب - ني - صنم . وتم إبحانه - على جبل .

ويل (وأل) أرن (I) ن . (أرنان - أرنون) تحت سفح طرم؛ شفته - هاتفوك (أو هتفك) . كسا - ملكه ولحت (وناحه) - تبرح (تباريحه) على جبل . وها - بمح (وه - أي - مح) - سفد - (وبقية الأحرف لا تقدم معنى وهي : ف . ف . سن . ر . ل .) .

وبالرجوع إلى أهم معاجم اللغة العربية ونقصد به (لسان العرب / الأبن منظور) يمكن ديب من قراءة نص نقش (جبل) على النحو التالي :

غطاء فعله بعل بن أحرم ملك جبل لأحرم أباه: كشته با - علم والملقب ملك موشك ني صنم وتم تليينه وتوسيعه على جبل . وأجأ الغطاء تحت سفح ناتئ (أو قبة من خشب) ، شفته هاتفوك ، الذي كسا ملكه وناحه وجده وشوقه على جبل . واي يح ٦٦

ولعلنا بالملاحظات التالية نعرز (قراءة ديب) التي سماها : (قراءة عربية لنقش جبل) .. وقد رجعنا بصورة خاصة إلى لمحة (سرو حمير / يافع) لتفسير الغريب الألفاظ في نص (نقش جبل) :

✠ كشته : فعله : قشطه (بالإبدال) : ما زالت تستخدم هذه اللفظة في يافع حتى اليوم قشط البيت : أصلحه وزينه وطلاه إذاً مقشوط قشطاً أي مزين وجاهز للسكن .

✠ موسك : تنطق في يافع مخففة وبإبدال الألف المفخم من الواو كحرف (a) في (cart الإنكليزية) : ومعنى موسك هذه في اللهجة اليافعية : المغلاق ، المزلاج ، ومنها فعل الأمر (وسك) : أغلق : سك .

✠ الطرمة : الصخرة الكبيرة وتدعى (قبة) إذا كانت متجوفة من داخلها ويُسمى التجويف في الطرمة أو الصفا :

(الصملة) جمعها (صمال) - بكسر الصاد المهملة -

يقال : ذراع الصمال : حرف الجبل الصخري الذي تكثر فيه الصمال أي الكهوف . هذا المعنى في اللهجة (اليافعية) وتشير معاجم العربي إلى نفس المعنى تقريباً :

✠ صمل : صلب واشتد واكثر ، يوصف به الجمل والجبل والرجل .

وكناية عن خواء البطن من الجوع ورد في هذا الباب بيت شعر لأبي السوداء العجلي :

ويظل ضيفك ، يابن رملة صاملاً ما أن يذوق ، سوى الشراب علوساً

ويقال : أصمله الصيام . ٦٧

والناس في (سرو حمير/يافع) ما زالوا يستخدمون اللفظة أيضاً كناية عن الجوع كأن يقول : (علاد بطني صملة) أي (ما زالت بطني صملة/أي فارغة).

✦ تَهْتَفُك/تَهَاتِفُوك : التاء الثانية زائدة والكاف للمخاطب أو المتكلم كما في لغة المساند الحميرية واللهجة الياfacية) وعليه : تَهَف = طَهَف (بالإبدال) بمعنى خطف أو تمالك للحصول على الشيء أو خوفاً من فقدانه.. أو تفاني في إخلاصه.

طهيف (بالتصغير) : اسم عائلة في (يافع) يعرفون بـ(بن طهيف).

وفي لسان العرب :

✦ الطهف : الحرز، والطهاف : السحاب المرتفع والطهاف بالضم : الذؤابة. والطهف وطهف وطهف : أسماء.^{٦٨}

✦ أحرم : جبل في وسط (سرو حمير/يافع) يعرف أيضاً بـ(المصانع) لانتشار خرائب حمير فيه. وقد لاحظ الأستاذ (ديب) ذبوع هذا الاسم في عموم اليمن.

وبهذه الإضاءة يمكن أن تنجلي غوامض الألفاظ في نص (نقش جبيل) وفقاً لقراءة (ديب) التي نراها على صوابها فيكون نص الملاحظات (الياfacية) هذه :

غطاء فعله بعل بن أحرم ملك لأحرم أباه : قشطه يا- علم والملقب ملك المواسك(المغاليق) وتم تليينه وتوسيعه على جبيل. والجأ الغطاء تحت سفح الطرمة (داخل الصملة) قارن نب- صنم /بالقلب والإبدال)، وأحرزه طيب النفس، الذي كسا ملكه وناحه وجدده وشوقه على جبيل. وليهون (عليك) ياأحرمه (ياأحرم).

وهذه العبارة (وه- أي- أحرم) هي صيغة انتحاب على فقدان عزيز ما والبت تردد في النياحة عليه في (يافع) حيث يقول الأحياء :

(ياهوين عليك يافلان) تصغير (هون) ومن معاني (ال هون : الهوان والشدة).^{٦٩}
أي معناه :

ياللشدة التي نزلت بنا (نحن الأحياء) بفقدانك يا محرم/أحرم.

فهكذا ما زالت النواحة في (يافع) تلهج بنص العبارة (أنفا).

وهذا النص بلا شك قد أصبح بقراءته العربية (قراءة ديب) المطعمة بإفادات اللهجة الحميرية (الياfacية) أقوى حجة وأكمل برهان على صدق ما ذهب إليه صاحب (اليمن هي الأصل) من أن اللهجات السامية المعروفة (تقليدياً) باللغات السامية ما هي إلا تجليات لهجوية للغة واحدة هي (اللغة العربية) السائدة اليوم في الجنوب والشمال من جزيرة العرب الموطن الأصلي لكل الشعوب السامية التي

كانت تجوب أقاليم جزيرة العرب المختلفة منذ أقدم الحقب التاريخية قبل الميلاد... ومن هذه الوشائج المشتركة أضحى بالإمكان إعادة الاعتبار لتاريخنا القديم وفقاً لرؤى ومفاهيم تاريخية وأدوات معرفية أكثر حساسية وإحاطة بمعطيات تراث العرب الحصب الذي وصا إلينا كشاهد حي لا على البيئة التي تولد فيها بل أيضاً وعلى الشعوب العربية (السامية) التي انتجته عبر القرون الخوالي... هذه الأواصر نفسها هي التي جعلت بوسعنا قراءة نقش (جبيل) الشمالي قراءة عربية (لا نقول شمالية كما يذهب إلى ذلك المفهوم التقليدي للتطور اللغوي) فكما لاحظنا التكامل الحاصل بين اللغة العربية (الفصحى) واللهجات الجنوبية (اليافعية هنا)، وعليه يمكن لنا أن نلخص فهمنا لنقش (جبيل) على هذا النحو :

هذا الملك (بعل بن أحرم) قد صنع لأبيه (تابوتا) هو عبارة عن (صملة)
في قلب صخرة (طرمة) حيث تولى توسيعها ومهيدها وقشطها (باعلم)
الملقب ملك (المواسك/وتفيد هنا المواضع - القيود - المنبعة المغلقة) ومنها
هذا القبر الذي وسكه (سكه) بحضور (شفطه/ صاحب القلب الطيب = كناية
عن الكاهن) الذي قام باحرازه (تتفك) - (احرز - ربما تشير إلى إحاطته
بتعريذة لحرسته) - وهو الذي كسا ملكه (ألبسه الأكفان) وناحه حتى كاد
يبرح من شدة الحزن - وقد ختم النقش بما أسلفنا أنه تخريجه نياحة (نواحة)
ما زالت معروفة حتى اليوم في (سرو حمير/ يافع) أي ما نصه :
(يا هوين عليك يافلان).

الفصل السابع

**النبي الضالعي
أيوب الصابر (عليه السلام)
من أنبياء سرو حمير.**

يرجع الكثير من الباحثين في الدراسات التوراتية يمانية (سفر أيوب) :
(فقد كتب في بلاد العرب اليمنيين في القرن العشرين قبل الميلاد
وكان منظوماً شعراً كما نظمت الإلياذة. ثم ترجمه اليهود إلى العبرية
نثراً وأدخلوه ضمن أشعارهم المقدسة، ثم ضاع الأصل العربي كما
ضاع أصل كليلة ودمنة (الفارسي)، ويستدلون على ذلك بكثرة الاسماء

التي كانت مألوفة في أيام الجاهليين والتي نلمس فيها رهبة الصحراء وجلالها^١. في حين أن
المستشرق (مرجليوت) يرى أن لغة هذا السفر تحتوي على تأثيرات أرامية وعربية لا تخطئها العين.
وكذلك موقف (أسبينوزا) الفيلسوف الذي يعتقد أنه مترجم عن أصل عربي مفقود^٢. ويذهب في هذا
الاتجاه أيضاً عالم يهودي من رجال القرن الثامن عشر يُعرف بـ (ابن آزارا Benzra)، ومن سبقوه
إلى القول بالأصولية العربية لسفر أيوب باحث يُدعى (مونتيجري)^٣.

فياترى هل تصدى أحد من الباحثين العرب واليمنيين منهم على وجه التحديد لهذه المقولة : السّي
يمكن فيها أصحابها من كشف الإقليم الذي تنجسد في (سفر أيوب) بيئته وأحواله.... وحددوا تخوم
هذا الإقليم في الجزيرة العربية بشكل عام وجنوبها وبالذات على وجه التحديد ؟

لا أظن أن أحداً من اليمانية المعنيين بالإجابة على هذا السؤال قد قام بهذا الدور، فليس بوسع
أحدهم أن يجشم نفسه الصعاب بحثاً في الأصقاع التوراتية عن مثنوى نبي الله (أيوب).... في الرقعت
الذي يفقه فيه حتى أحدهم ثقافة وأعرشاهم رؤية أن الهدف الرئيس للرحلة العربية... التي وجهها ملك
الدممارك (فريدريك الخامس) إلى اليمن في نهاية الربع الثالث من القرن الثامن عشر، وحشد لها نخبة من
ألمع العلماء حينها وفي حقول علمية عديدة منها : الدراسات اللهجية واللغوية، والجغرافيا، وعلم
النبات.... الخ. يعرف الجميع أن هدفها الرئيسي هو اكتشاف البيئة التوراتية والتعرف على ما تزخر
به اليمن من ثروات طبيعية لا تزال (كما وصفها ميشائيلس) :

(مجهولة عندنا (أي عند الأوروبيون)، وتصل جذوره التاريخية إلى قديم الأزل. كما تختلف
لهجته عن اللهجة العربية لسكان المناطق الغربية. أليس من المتوقع إذن أن تساعدنا لهجة العرب
الشرقية على زيادة معرفتنا بأهم كتب العالم القديم ألا وهو الإنجيل.^٤
لقد شدد عالم اللاهوت الألماني (ميشائيلس) على الرحلة وخطط لأهدافها : التعرف على

الأشجار والحيوانات في البلاد العربية واختبارها ومطابقتها مع ما جاء في التوراة من أشجار وحيوانات، ودراسة جغرافية شبه الجزيرة العربية (خاصة حركة المد والجزر في البحر الأحمر) كدليل في محاولة فهم موضوع (الهروب من مصر).... ودراسة عادات العرب اليومية وملابسهم، وفن البناء لديهم.

أما في البلاد العربية ككل فقد اجتذبت الدراسات التوراتية عدداً من الباحثين وأخص بالذكر :

i) د/كمال الصليبي، صاحب كتاب (التوراة جاءت من جزيرة العرب)، ولسنا في حاجة إلى التنويه بهذا الأثر الذي أثار ضجة هائلة في العالم، لتحديه للمفهوم التقليدي لجغرافية التوراة.

ii) الأستاذ/ فرج الله صالح ديب، صاحب كتاب (اليمن هي الأصل) وحول أطروحات كمال الصليبي، وهو كاتب يذهب أبعد من (كمال الصليبي) إذ يرى في جنوب الجزيرة العربية (اليمن) أصل كل الحضارات الشمالية السامية في بناها التحتية والفوقية وفي أصول قواها الفاعلة (من عشائر، وقبائل..... إلخ).

iii) د/سيد القمني. صاحب الدراسات الأسطورية والميثولوجية المتعددة وكتاب كرسه لرحلة نبي الله إبراهيم من موطنه الأولى حتى (مصر) الجزيرة العربية (مصر الأقصى) وهي عنده اليمن... هذا وقد سمي كتابه هذا (نبي الله إبراهيم/ التاريخ المجهول).

iv) د/ زياد مكي.... الذي دافع عن أطروحة دكتوراة في جامعة برلين ونال عن موضوعها جغرافية التوراة: مصر وإسرائيل في جزيرة العرب الدكتوراة بدرجة امتياز جيدة.

هذه هي حالة الدراسات التوراتية بشقها العربي واسهاماته المتزايدة في علم نقد التوراة. وعلينا معشر اليمنية أن نرد هذه المناهل بلا تهيّب فلدينا الكثير من الطاقات والمدد الذي يفوق ما لدى الغير، ومن هذه الظروف المساعدة لنا :

- ١) الشعور السائد في دوائر البحث العلمي تجاه اليمن القاتل بأنها (خزان الحضارات).
- ٢) زخم اللهجة اليمنية وتعددتها وراثتها المشجع للباحثين في مجال الدراسات اللهجية والصوتية.
- ٣) تأثرنا بالحياة اليومية الزاخرة بالمروروث الشعبي الثري والغني بشق صورته وألوانه، التي يصعب على الباحثين الوافدين على اليمن من خارجها الإحاطة بها مهما كانت قدراتهم ودوافعهم لدراساتها.... فقد يظهر لهم بعض وجوهها وتخفى عنهم التوافه العظيمة الشأن فيها.
- ٤) ترفدنا الكشوف الأثرية ونقوش المساند بالكثير من المعطيات ذات الفائدة العظيمة في دراسة العهود القديمة وآثارها الميثولوجية وفي مقدمتها التوراة.

وفيما يخص نبي الله أيوب (عليه السلام) المشهور (بالصابر) وقصته المحفوظة في (سفر أيوب) في العهد القديم.

فإن اليمن تدخر لنا الكثير مما نتعرض له في بحثنا هذا :

• الآثار الاسمية:

لنبي الله أيوب آثار اسمية عديدة في اليمن يأتي في طليعتها جبلان الأول منهما يقع إلى الشمال من صنعاء وهو :

❖ جبل أيوب : يقع هذا الجبل في بني الحارث إلى الشرق من شبام الغراس (سخيم تاريخياً) ويقع في ذلك الحيز إلى الجوار منه جبل ظلمة.^٦

والثاني يقع في الضالع :

وهي بلدة تبعد عن عدن ب (٩٦ ميلاً) شمالاً. قال (الأكوع) : كانت تسمى (بلاد الأعـضـود والأجـعود) ثم صارت مركز إمارة الضالع مع بداية القرن الرابع عشر الميلادي ومن قبائلها: الأزارق وزبيد والشاعري والأجعود وغيرهم.^٧ ويُعرف هذا الأثر الطبيعي :

❖ جبل النبي أيوب : في الحد الجنوبي لجبل جحاف في الضالع يقع جبل أيوب يبلغ ارتفاعه (٥٢٨٠ قدماً)، وفي أعلى قمة فيه يوجد مقام النبي أيوب وصهاريج أثرية. وهو لأهل حمادة من قبائل الضالع، ويشتهر جبل أيوب بفضله (شجرة) القصب (جمع قبة) وتحوي سماً خطيراً قاتلاً.^٨

❖ أرض عوص : هكذا نعرف على بلاد نبي الله (أيوب) في مستهل سفر أيوب : كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب.

وفي قصص الأنبياء (لأبن كثير) بحده يشدد على قول (ابن اسحاق) في نسب أيوب فهو : أيوب بن موص بن رزاح بن العيص بن اسحاق بن إبراهيم. لما نص عليه قول الله تعالى : ﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون﴾.

من أن الصحيح أن الضمير عائد على إبراهيم دون نوح عليه السلام.^٩

تري هل لأرض عوص (بالعين والصاد المهملتين بينهما واو) بقية من أثر في منطقة الضالع؟

نعم ففي منطقة الضالع يوجد جبل إلى الجوار من جبل أيوب يُعرف ب :

❖ جبل عواس : بزيادة ألف بين الواو والصاد وإبدال الأخيرة بالسين المهملة.

يقع جبل (عواس = عوس = عوص) في هذا الحيز على مقربة من جبل ال (تد) المطل على واديين

هما تبن (وهو وادٍ ورد ذكره في نقوش المساند بالتلازم مع دهسم (يافع). وتبنو = تبن) وطبقين. وجبل عواس (عوص) هذا فيه قرى وروديان هي لآل أحمد أحد قبائل الضالع ومنها :

❖ حول عويس : (تصغير عوس = عوص)

قرية لبني عويس من آل أحمد في جبل عواس = عواص (عوص) ويحمل هذا الاسم ذكرى أرض عوص التي انتسب إليها نبي الله (أيوب) في الثوراة... ولقبيلة الأحمدى قرى كثيرة سستطرق لذكرهم تبعاً.

احتفظ لنا سفر أيوب في طياته بأسماء أربعة من صحابة (أيوب) أو غلاته وهم : فلما سمع أصحاب أيوب الثلاثة بكل الشر الذي أتى عليه جاءوا كل واحد إلى مكانه. أليفاز التيماني وبلدد الشوحي وصوفر النعماني وتواعدوا أن يأتوا ليرثوا له ويعزوه.

[أيوب ١١/٢]

وأما رابعهم فيأتي ذكره في آخر السفر ويدعى كما نص عليه في السفر :

حي غضب أليهو بن برخيل البوزي من عشيرة رام. على أيوب

لأنه حسب نفسه أبر من الله. [أيوب ٢/٣٢]

ويصف (ال يهو) نفسه بأنه أصغر منهم ولهذا عزف عن الحديث احتراماً واكباراً لهم أي أيوب وصحابه :

(فأجاب آل يهو بن برخيل البوزي وقال : أنا صغير في الأيام وأنتم شيوخ لأجل ذلك خفت وخشيت أن أبدي لكم رأيي).

[أيوب ٦/٣٢]

ترى هل تخلفت (بتشديد اللام) اسمائهم في أرض عوص هذه وهم بلا شك أصحاب أيوب (عليه السلام) وصحابه.

❖ وادي تيم :

وادي خصب ذكره (الهمداني) في أودية سرو حمير. وهو أحد أودية بلاد (الأعصود والأجعود) إذ يسقي المنحدرات الجنوبية في حالمين والمنحدرات الشرقية لجبال ردفان وشرقاً إلى بناء^١. وجبل حالمين هذا يقع إلى الشرق من الضالع وجبال ردفان في الجنوب الشرقي للضالع.

ولهذا فيمكن لنا القول أن أحد أصحابه ومريديه أي :

آل يفاز آل تيماني قد خف لرؤية ما حل بني الله أيوب من وادي تيم فالنسبة إليه تيمي (حيث أن الألف والتون زائدان في الاسم تيمان مثل عمران) فإن الأصل فيها تيم وعليه فصاحب النبي أيوب

(اليفاز التيماني) هو آل يفاز (يفوز) آل تيمي.

❖ جبل أم حُشا : أم سابقة التعريف الحميرية ذكره الهمداني في الصفة في الإقليم الواقع بين بلد بني مجيد وأبين المنتهية ذات الجنوب إلى حيز عدن، فأول وادٍ منهما من تلقاء شرق وادي الرُّغادة قوم من حمير، فجبل صرر من أرض السكاسك (فجبل ال حشا) من بلد السكاسك وقد حققه الأكوع بقوله : ال حشا : بضم الحاء المهملة ثم شين معجمة وألف مقصورة آخره. ويقال له جبل أم حُشا وهو جبل عظيم يشكل أعمال ناحية واشتهر بنسبة العسل الأبيض الناصع^{١١}.... ففي سفح جبل أم حُشا هذا يمر وادي تبن الذي يشكل الحدود الغربية لمنطقة الضالع ويعبر (أي الضالع) من الشمال إلى الجنوب... ولا يبعد جبل ال حشا عن جبل جحاف (أشهر جبال الضالع) إذ يمر تبن بينهما وفيه قبر الولي وجيه الدين عبد الرحمن.^{١٢}

والنسبة إلى حُشا هي : حُشوي نحو عَصَى (عصوي) ، ولهذا السبب فإننا نجد أثر الصاحب الثلثي لئبي الله أيوب المعروف :

• (بلدد الشوحي) في جبل ال حُشا وهكذا، بلدد الشوحي هو بلدد آل حشوي (بالقلب).

• نعمان :

قرية في ذلك الحيز من الضالع وهي لأحد قبائله المعروفة بالحراي، وهي ذات أصول يافعية، وتسكن في جبل حجلان وامتداداته فيما بين جبل مشورة وجبل الند في الضالع... وجبالهم واعرة وأوديتهم خصبة ولهم قرى كثيرة غير نعمان هذه.^{١٣}

وحيث أن الثالث من صحابة نبي الله أيوب يُعرف :

(صوفر النعماني :

النعماني نسبة إلى نعمات (جمع مؤنث نعم) وهو الأصل في الاسم ف صوفر النعماني = النعماني.

• وادي رانه (رونة) :

واد مغبول فيه جداول ماء لا تنقطع طوال السنة... يمتد عبر أرض النشفي جنوب غرب الضالع وفي أراضي الأزارق ويُسمى هنا وادي الرونة وفوق أراضي الأحدي وتحت المضيق.^{١٤} وفي هذا الوادي قرى باسمه هي :

• ال رونة السفلى. وآل رونة : قريتان في جبل عواس (عوص) لقبيلة الأحدي الضالعية.^{١٥}

• لكمة (أكمة) الرونة : قرية في وادي الرونة (رانة) للأزارق القبيلة ذات الأصول اليافعية.^{١٥}

وحيث أن رابع صحابة لئبي أيوب وأصغرهم يُعرف ب: (إل يهو بن برخيل ال بوزي) من عشيرة (رام).

فإذا تحاشينا هنا الخوض في قصة أرم ذات العماد وقبيلة عاد من العرب البائدة فلإن (وادي ران) الضالعي هذا يذكرنا بموطن (عشيرة رام) التي نسب إليها (اليهر بن برخميل البوزي)، مع العلم أن الأ • بوس (ال بوسي = البوزي) قد تخلف اسمهم في أحد بطون ألمان (أخو همدان) بن مالك بن زيد بن أوسلة بن الربيع بن الحيار بن مالك بن زيد بن كهلان.... حسبما ذكر (الهمداني) في الإكليل.

وقد انقضى هذا البطن كما يبدو، حيث لم يعد يعرف اليوم كما ذكر محقق كتب الهمداني الأستاذ (محمد علي الأكوع).^{١٦} ولا نعلم في ذلك الحيز من الضالع أن نجد في أسماء الأماكن ما نطابقه مع أسماء وردت في سفر أيوب التوراتي فقد ذكر في آخره :

وكان له (أيوب) سبعة بنين وثلاث بنات. وسمى اسم الأولى يميمه واسم الثانية قصيعة واسم الثالثة قرن هفوك. ولم توجد نساء جميلات كنات أيوب في كل الأرض وأعطاهن أبوهن ميراثاً بين أخواتهن.

[أيوب ٤٢/١٣-١٦]

وقد بقي اسم الأولى من بنات أيوب في :

- جيمية : أحد قرى الحراي اليابعية التي تسكن جبال حجلان والتي من قراها نعمان الأنفة الذكر.^{١٧}
- وفي لسان العرب : الجميمُ الثبت الكثير.... والجيمية : آل نصية إذا بلغت نصف شهر فسلأت الفم. واستجمت الأرض خرج نبتها.^{١٨}
- يُيم الساحل يما : غطاء اليم وطما عليه فغلب عليه.^{١٩}
- وتغطية الأرض بماء البحر أو بالعشب يحمل نفس المعنى : والإبدال بين حرف الجيم والياء كثير فهما من مخرج واحد كما ذكر سيبويه وابن جني :
- والجيم إذا كانت بدلاً فإما من الياء لا غير (سر الصناعة لأبن جني).^{٢٠}
- أما (قصيعة/ وقرن هفوك) بنتي نبي الله أيوب فاسميهما من الأسماء العربية الشائعة لا يحتاجان إلى مزيد من البحث:

• قصيعة : معروفة .. وقد أتت بمعنى الإمتلاء ولزوم البيت:

قصع الرجل بيته إذا لزمه ولم يبرحه.^{٢١}

• هفوك : من التهفك : لإضطراب والإسترخاء في المشي.^{٢٢}

وعليه ف: قصيعة : تعني المثلثة (الخفرة من الحياء) وقرن هفوك : الخرعوبة الهيفاء.
وهذا يكفي للدلالة على حسن الإسم والمسمى.
وبعد فبلاد نبي الله أيوب المعروفة ب عوص هي جزء من إقليم المشرق أي مشرق اليمن.
فقد نص في بداية (سفر أيوب) :
فكان (أي أيوب) هذا الرجل أعظم كل بني المشرق.

[أيوب ١/٣]

وقد ظلت هذه التسمية جية عبر القرون وتوارثتها الأجيال : ففي أواخر القرن الثاني للميلاد
ظهر تحالف بقيادة حضرموت والقييل الردماي (وهب أيل يحوز بن معاهر وذو خولان وكل ولدعم
وأوسان) كما كشفت لنا هذا نقوش المساند السبئية ومنها النقش الموسوم ب(جام/٦٢٩) وهو
أحد نقوش محرم بلقيس.. وحيث أن هذا التحالف قد شمل :

حضرموت وقتبان وردمان ومضحي(البضاء) فقد عرف المؤرخون هذا التحالف بالشرقي (أو
المشرقي)^{٢٣} . واستمرت هذه التسمية حتى بعد الإسلام إلى فترة الدولة القاسمية في القرن الحادي عشر
للهجرة وكانت تنزع قيادة المشرق يافع:^{٢٤}

[أنظر في كتابنا هذا التحالف المشرقي]

وحتى أقدم المصادر المكتوبة وهو العهد القديم قد جعل من سفار(سفرم) جبل المشرق في
ذكره لمواطن بني يقطان (قحطان).

[أنظر سفر التكوين - الإصحاح العاشر نص ٢٠]

ونتعرف في الإصحاح الأول من سفر أيوب على الكيفية التي تواردت فيها التكببات والأزواء على
عبده المؤمن أيوب فأنت على ماله وولده بتدبير من الشيطان الذي أراد أن يفسد على نبي الله أيوب
إيمانه فيدفعه تحت هول النوازل الجسام التي ذهبت بالمال والولد إلى حافة النكوص عن العقيدة
والتجديف على الله فيثبت بذلك الشيطان لله أن:

[أنظر سفار اليافعية في المدخل]

• استقامة أيوب وكماله وبعده عن الشر ليست منه بلا مقابل فقد أجاب الشيطان على الله مشككاً
في إيمان عبده أيوب بالقول :

• هل مجاناً يتقي أيوب الله. [أيوب ١/٩]

وإذ يجتحن الله عبده لصالح أيوب بإطلاق يد الشيطان عليه، فيسلط الشيطان على نبي الله قوتين بشريتين هما :

فقد أتى الصائح على أيوب ذات يوم ينعي عليه فقدان بعض ماله وقال :
البقر كانت تحرث والأتن ترعى بجانبها فسقط عليها السبيون
وأخذوها وضربوا الغلمان بحمد السيف ونجوت وحدي لأخبرك.
[أيوب ١/١٥]

وجاء آخر يقول :
الكلدان يون عينا ثلاث فرق فهجموا على الجمال وأخذوها وضربوا
الغلمان بحمد السيف ونجوت وحدي لأخبرك.

[أيوب ١/١٧]

ويرسل الشيطان على أغنام (النبي أيوب) ورعائه النار ولم ينجو إلا من بلغه النبا. ولم يرحم
الشيطان أبناء وبنات نبي الله أيوب فقد هذ السقف بيت أخيهم الأكبر على رؤوسهم وأهلكهم
الريح تحت الأنقاض ولم يبق إلّ واحد من الغلمان وهو الذي نعى لنيه أيوب (فقدان الأبناء) بعد
(ضياع المال).

فمنهم السبيون الذين تولوا إتلاف بعض ماله ١٩

ومنهم الكلدان الذين سحقوا الشق الآخر من ماله ١٩

I السبيون : أقدم ذكر لهم ورد في التوراة من أبناء يقطان (قحطان) بن عابر بن سام :

ويقطان ولد الموداد وشالف وحضرموت ويارح وهودورام وأوزال ودقلة وعوبال وأيمائيل

(وشبا) وأوفير وحويله ويوباب. [تكوين ١٠/٢٦-٣١]

ويرى الإخباريون العرب في شبا (سبا) أباً لكهلان وحمير. ونحن اليوم لم تعد حل اعتمادنا على
هذه المصادر أو على مصادر التاريخ الكلاسيكية اليونانية والرومانية، فقد تزايدت الكشوف الأثرية في
اليمن.

حيث أسفرت التنقيبات التي قام قسم الآثار في جامعة صنعاء بها منذ مطلع التسعينات وحتى اليوم

في مناطق عديدة منها :

• بدبدة.

• حضور همدان.

إلى الشمال الغربي من صنعاء في حواز جبل النبي شعيب، أدت هذه التنقيبات إلى اكتشاف
العديد من المستوطنات الحضرية العائدة إلى ثقافة الألف الرابع والثالث قبل الميلاد، حيث كانت

تعتمد على الزراعة بناءً على ما تم اكتشافه من المحاصيل الزراعية العائدة إلى تلك الفترة في مستوطنة (يناعم) في منطقة خولان المجاورة لمنطقة بدبدة.^{٢٥}

أما نقوش المساند التي عثرت عليها البعثة الأثرية الإيطالية بقيادة البروفيسور (اليسندر دي مجريت) في منطقة يلا التي تقع في بني طبيان من أراضي خولان الطيال (العالية) الواقعة إلى الشرق من صنعاء، وعلى بعد خمسة وثلاثين كيلومتراً من حاضرة سبأ الرئيسة (مأرب).. هذه النقوش المكرسة للصيد والطرائد تعود إلى الفترة المعروفة :

الفترة الأولى للدولة السبئية في عهد حكامها المكربين، حيث ذكرت نقوش (يلا) هذه اثنين منهم هما:

(كرب أيل وتر) مكرب سبأ بن ذمار على (ذرنج؟) وهو في نظر (الأستاذ مطهر الإرياني) من مكربين : (الأسرة الأولى). ويضع امر بين مكرب سبأ بن سمه على (ينوف) ويضعه في مكربين (الأسرة الثانية).^{٢٦}

هذه الاكتشاف الأثرية للمستوطنات السبئية المرغلة في القدم تجعلنا نرجح القول بأن من أغاروا ونهبوا بعض أملاك نبي الله أيوب الصابر لم يكونوا سوى بعض القبائل السبئية الساكنة إلى الشمال من أرض عوص (الضالع).

II الكلدانيون :

قبيلة كبيرة من (سرو حمير/ يافع)، تقطن اليوم في الجنوب الغربي من يافع بني قاسد وتُعرف بهذا الاسم : كلد ، وقد ذكرها (الهمداني) في الإكليل كأحد بطون حمير^{٢٧} الساكنين في (سرو حمير/ يافع) وهم في الأساس أحد القبائل القاسدية اليافعية العريقة.. وما الكلدان الذين أرسلوا قواعد دولتهم في جنوب العراق إلا بعض من كلد هذه التي صنعت من مواطنها هذه شمالاً، ضمن موجات من هجرة عرب الجنوب نحو بلاد الرافدين في الألف الثالث والأول قبل الميلاد. فقد نزلت (كلد) البطن الحميري القاسدي (قسديم توراتياً) وعناق (عنقيم توراتياً) أعظم تفرعات عماليق حمير ابن السמידع بن الصوار.. من (سرو حمير/ يافع) الذين ضعنوا إلى (مكة) اقتفاء لحلفائهم بني (كركر).. ومنها إلى الشام فتملكوا بها. فكانوا يغيرون على بني إسرائيل، فخرج لهم يوشع بن نون فحاربهم بعد موسى عليه السلام..^{٢٨}

وقد اشتهر من الكلدانيين نبوخذ نصر (بخت نصر عربياً) الذي ظهر سنة ٦٠٤-٥٦١ قبل الميلاد.... وأغار بحملاته على مصر وفتح أورشليم بيت المقدس وأحرقها وأجلى أهلها إلى بابل.^{٢٩}

(أنظر تفصيلات هذا الموضوع في كتابنا هذا أي في الفصل السادس).

ثم ماذا أبقت لنا الأيام من ذكرى هذا النبي العظيم في صبره واستسلامه لمشئته الخالق. في ذاكرة الأجيال أو ما يطلق عليها عند أهل الاختصاص قناة التحدار. التي تنساب عبرها أحداث الدهر فتترسب في حواشيتها بعض من آثارها ونفحات من ريحها. ولذا فقناة التحدار هي بالنسبة لنا مصدر يأتي على نفس المستوى من الأهمية بالنسبة إلى الآثار الإسمية وبقيّة التفرعات ما يعرف بالآثار الحية التي لا تقل في أهميتها عن اللقى الأثرية والنقشية القديمة.

II لا أظن أن أحداً في اليمن ممن ولد مثلي في مستهل ستينات القرن الحالي لم تفتح ذاكرته وتنهش قلبه آثار الفاجعة التي حاقت ببيت أيوب الصابر فهذه الملحمة التي كانت الأحداث يُحسنّ سرد أحداثها على مسامع الصغار في ليالي الشتاء، فتحقق لها القلوب الغضة وتبتل لها الأهداًب وكألمها من أحداث الأمس القريب. وإلى جانب هذه الحميمة المتواترة المرافقة لقصة (أيوب) عبر العصور، الأمر الذي يؤكد بمانيته، تقف شواهد أخرى تعطينا مزيداً من الأدلة التي تؤكد ما ذهب إليه بعض الباحثين في نقد التوراة من أن بركة (لالعنة) الروح اليمانية ما زالت تنفخ في حسد السفر الأيوبي نسمة الحياة، ولعل في أسطرنا هذه لجُبُّ من عطاس الطلق الواعد برؤية جديدة لأحداث التاريخ وتحليلاته التي ما أنفكت تغير مواطن الرغبة للمعرفة فينا نحو تأسيس معرفي صادق للماضي وأحداثه وبعبارة أدق: (إعسلدة عقلنة التاريخ). وإذا كانت لأيوب ذكرى يحرص اللبنانيون، على إحيائها :

على شاطئ الرملة البيضاء في بيروت، في يوم الأربعاء من شهر نيسان والذي من طقوسه

الإستحمام لغفر الذنوب.^{٣٠}

فإن في بلاد اليمن وبلاد العرب قاطبة مازال الناس يحيون ذكرى خلاص نبي الله أيوب وشفائه في

يوم : أول خميس من رجب :

حيث ما برح الناس في (سرو حمير/ يافع) يذبجون فيه الأضاحي اكراماً لأسرهم ويلبسون الجديد

من اللباس، بعد الإغتسال الواجب والذي كنا نردد فيه دعاءً (مسجوع) وهو :

واكرامة خميس أول رجب

نجني من الحصبة والمجعر والجرب

• الراو والألف في أول البيت للنداء، بمعنى ياء المنادى.

• الكرامة : هكذا يسمون هذا اليوم (بكرامة خميس أول رجب) لأن الله في هذا اليوم أظهر كرامة نبيه وحظوته عنده إذ أزال عنه هذا البلاء الكبير. كما يقولون أيضاً ليوم عرفة - كرامة - لأن الله

أكرم أبونا (آدم وحواء) بالالتقاء والصفح عنهما بعد الخطيئة.

الخصبة والجرب : مرضان جلديان معروفان.

والجحر : مرض جلدي أيضاً يترك ندباً على جلد الإنسان المصاب.

وفي لسان العرب :

الجُعرَة : الأثر الذي يكون في وسط الرجل من الجِعار : وهو الحبل الذي يشده المستقي وسطه إذا نزل البئر لئلا يقع.^{٣١}

وأرى أن الاختلاف بين اليمينيين واللبنانيين في إحياء ذكرى نبي الله أيوب يعود لعهد بعيد يرجع إلى ما بعد الإسلام مباشرة فقبلها كان شهر رجب الأصم معظماً عند العرب ولهذا فقد سموه برجب لتعظيمهم إياه في الجاهلية عن القتال فيه، ولا يستحلون القتال فيه.

وقد كان يؤخر من شهر إلى شهر، فيتحول عن موضعه الذي يختص به.... تقول : هذا رجب ، فإذا ضموا له شعبان، قالوا : رجبان.

وفي الحديث : رجب مضر الذي بين جمادي وشعبان، تأكيداً للبيان وايضاحاً له.^{٣٢}

ولهذا السبب اختار اللبنايون التحول للتقويم الميلادي القائم على ذروة النظام الشمسي وتعاقب الفصول الأربعة.

وأبقى اليمينيون الاحتفاء بذكرى أيوب في (رجب مضر) : الذي بين جمادي وشعبان كما نص عليه الحديث الشريف.

وفي نهاية السفر (سفر أيوب) نجد وصفاً في الإصحاحين آل (٤٠/٤١) لوحش بري :

فهو بهيموت.... ويأكل العشب مثل البقرة..... والجبال تخرج له مرعى..... وتحت

السدرات يضطجع في ستر القصب والغمقة. [أيوب ٤٤/١٥-٢١]

هذا البهيموت (بهيمة) في وصفه هذه لا يختلف عن أي ثور (بقرة) يرعى في الجبال ويربض، تحت السدرات : وهي العلوب، في اليمن حيث يعمد المزارعون في المناطق التي تكثر فيها العلوب ومنها (الضالع) إلى عمل تعاريف من قصب الذرة بين أشجان وتفرعات اشجار العلب. فتستظل تحتها الأنعام ومنها الإبل والبقر والأغنام من حر الهاجرة (الشمس) وبلل المطر... وما زلات الأبقار في مناطق اليمن الجبلية تشاهد اليوم وهي ترعى طليقة في المراعي.

أما الضالع : وهي هنا البيئة التي عاش فيها نبي الله أيوب : فهي كثيرة الأشجار في أغلب أودية الضالع خصوصاً في وادي حردبة ووادي قعطبة ووادي الحازة ووادي الأزرقى وستعملها الأهالي

حطبا. وتوجد بكثرة أشجار العلب (السدر) : الذي يخرج الشمر المعروف (بالدوم) أما أغصانها فتقطع لتأكلها الغنم والجمال و يصنع منها حواجز البساتين... وإلى شمال مدينة الضالع يقع في بلاد أم شراف إلى الشرق من جبل جحاف واد يعرف : بوادي العلوب (أي وادي السدرات).^{٢٣} ونتعرف في مستهل (الإصحاح الحادي والأربعين) على اسم هذا البهيمة : أتصطاد لويثان بشص أو تضغط لسانه بحبل.... [أيوب ١/٤١]

والملاحظ في هذا النص أننا أمام أحد النصوص التراثية المحرفة، فالثور الوحشي ذات البيئة الجبلية : وهي بالفعل البيئة التي عاش فيها النبي الصابر.... هذا الثور أصبح فجأة حوتا بحريا لا يصاد بشص ونظن أن مصدر هذا الخلط عائد إلى :

- لويثان : يعرف باللغات الأجنبية ب(Leviathan) حيوان بحري أسطوري ضخم، وهو رمز للمياة المتردة التي يحاربها (يهوه) إلى جانب قوى الشر الأخرى. والاسم مأخوذ من أساطير الكنعانيين في أوغاريت (رأس شمرا).^{٢٤}

- لويثان أيوب : هو ثور بري كما لاحظنا ومن مفردات الثور من البقرة :

- اللأى ، والألثى : لآه مثل فتاة والفتى .

وقال الطرماح :

كظهر اللأى لو يبتغي رية بها لها لعنت في بطون الشواجن^{٢٥}

وهذا التحريف يعود في الأصل لحرر السفر الذي أشكل عليه (لأى أيوب) ولويثان/ان (حيوان الأساطير الكنعانية الخرافي) فإذا اعتبرنا الألف والنون زائدين في (لويثان). هذا إلى جانب ما يجمع بينهما من مزايا خارقة أخرى.

- المزايا الخارقة للويثان أيوب :

نقرأ في نهاية (سفر أيوب) امارات خارقة ل :

بهيوت (بهمت = بهيمة)، وهو لويثان (لأى) ومنها إذا تجنبن مزاياه الجسدية المحضة كقوة متنه وشده عضل بطنه وحلافة عنقه.... إلخ. وهي أمور نعرفها في (الثور) التي تدعونا الحكمة الشعبية تجنب مراجعته بخلاف الكلب :

الشار (الثور) فر منه.

والكلب أحتشه له.

لاحظ : الألف المبدلة من الواو في (سرر حمير / يافع) تنطق مفخمة وهي : الألف التي مالت نحو

الواو، كما حددها ابن جني في سر الصناعة ج ١/ ص ٥٦ . ٣٦

وأحتشه : أحتش : فعل أمر بمعنى وأجه . (واجه = تصد) وقيل : حشش القوم وتحرشوا إذا احتشدوا . ٣٧

أما مزايا هذا الحيوان البري الخارق فهي :

عطاسه يبعث نوراً وعيناه كهذب الصبح . من فيه تخرج مصابيح شرار
النار تتطاير منه . من منخرية يخرج دخان كأنه من قدر متفوخ أو من مرجل .
نفسه يشعل جهاً ولهب يخرج من فيه يحسب الحديد كالتبن لا يستفزه
لبل القوس ججاجة المقلاع ترجع عنه كالقش يحسب المقمعة كقش .

[أيوب ١٨/٤١-٢٩]

ترى هذا الثور المشبوب بالغضب الالهي المتوقد . هل بالإمكان للإنسان أن يؤنسه ويدجنه ثم يضع
النير على كاهله فتحضل الأرض تحت ظلفه نباتاً مختلف ألوانه يجيب (الإصحاح الحادي
والأربعون من سفر أيوب) بالنفي :

اتضع أسله في خطمه أم تثقب فكاه بخزامة هل يقطع معك عهداً فتتخذهُ عبداً مؤبداً .

[أيوب ٤١/٢-٤]

لقد أشرنا في بداية هذا المبحث إلى أن اليمنيين قد انتقلوا إلى طور الزراعة وتنمية المحاصيل
الزراعية إلى فترة قد تكون سابقة على (الألف الرابع قبل الميلاد) بقرون كثيرة خاصة إذا ما أخذنا
بقول قدماء المصريين في العصر المتأخر لبعض الرحالة اليونانيين الوافدين علموا المصريين الحضارة
واخضعوا البلاد لسلطانهم . ٣٨ ومن ملامح هذه الحضارة تطور الثقافة الزراعية في اليمن من خلال بناء
قنوات تصريف المياه الري، وبناء السدود واستخدام الحيوانات في حراثة الأرض إلخ . وقد حفظت
لنا كتب المعاجم العربية أن الخزومة : البقرة في لغة بعض أهل اليمن والجميع الخزائم . ٣٩

وفي هذا دليل أن شعب نبي الله أيوب (وهم اليمنيون هنا) كانوا يضعون الخزائم في مذاود البقر
ولهذا تدعى خزائم .

ثم ماذا بعد هل خانت ذاكرة الأجيال القدرة على اختزان ذرات من آثار رتكات لأي
أيوب (لويثان أيوب توراتيا) عبر الدهور؟ لا فمن الحكايات الشائعة في (سرو حمير) وما جاورها
أن الناس يصادفون من حين إلى آخر في الليل وعلى وجه الدقة في ساعات متأخرة من الليل ثورا
وحشيا له وثبات وعديات تثير الأرض سحابة بعده، ويعرف باسم (تبيع الليل) وأن له عينان متقدمتان

كالحمر وينفث شرارا من منخريه ومن الحكايات الشائعة في منطقة كاتب الأسطر والمتعلقة (تبيع الليل) ما نصه في لهجة الدارحن من يافع :

قالوا : ماذه وحده من قرية الشرفة هده بالليل، جعله أنه قهو صبح، وعادة ليل ياليلوه... وتطلع لا رأس الجبا، وانذا شهر يلقط البقشة. وتسمع حفيزونفيت. ماذه وتخاليل لا نحو الماحل، وتبصر (ثان) عند (الحاض) بيخايل أيشرب قاله:

ويي ولك وذا تبيعنا أقونه قدق لعمره وخرج لا عند الماحل بيدور ماء أيشرب... أقونه ضمئان... أسير -أرف له ماء.

ما هي وتشل الا أرب وتطلق العتبة وتجري لا على الماحل. ما هي وصله و(التبيع) فز بيفرس نحو الحج. قاله: وزيد عليه معايرجع لا ق ملئك له(الحاض).... ما هي وتملئ (الحاض) وتبس بتعينه.. هزه الا وقهو راجع يبطير مع العجاج... ما هي لقسها قلبها(يام) عاده ليل وما بع شي شمعه الاذان. ما هو وصل حمل لاعل(الحاض) قاله: ياسين عليك واحنيش ويش ذا الحفيز كله، عاده ما بع كمله كلمتها.... ما هي قطرة عيونه حمر قل حمر لكن جعله من العكيش. أيش أتخايل الا وذا ق زرد الماء كله ذي (بالحاض)، وهو ما قط كمله حتى ولا قهو ضمئان أيموت من الضماء.... عا كانه مده رجلها أتزل للماحل أتزيد أترف له أرب الا وذا نفت ويصفي الدنيا شرار... وانذا بيتنافت شرار لكن ق رصه لا قبه الماحل ت قهي ماهرة... وهو جلس على ماحل هزه بيوفر نخصه نار ياساتر وانذا أقفي يبييع نحو نقد الجرو... ما هي كرها خرج بهتذف نفسها هذاف.... عاده وصله أتخطي مردم العتبة.... الا وقهو عل الماحل وكرها علجة العتبة.... وبعد زحفه من الهريجة ذي وقعة لها وكرها سلمه وبعد ما فدرا عليها أهل بيتها بخنيش التبيع حقهم.

قالوا : ما هذه واحدة من قرية الشرفة هدت(حدث) بالليل، جعلت أن قده صبحا، وعاده ليلا (وياليله) ... وطلعت إلى رأس الجبا، وأن هذا إلا شهر(قمر) يلقط البقشة. وسمعت حفيزا ونفيشا. أما هذه فحايلت إلى نحو الماحل، وأبصرت ثارا(ثورا) عند الحاض(الحوض) بيخايل أء يشرب(ليشرب) قالت : وآيي ولك! : وهذ تبيعنا، أقونه (أقول أنه) قد دق لعمره وخرج إلى عند الماحل بيدور ماء أيشرب (ليشرب).... أقونه (أقول أنه) ضمئان : أسير (قال أسير) أأرف (لأعرف) له ماء.

أما هي ف شلت أل أرب (الغرب مؤنثة غربه) و(ثم) أطلقت العتبة و(ف) جرت إلى علي (فوق) الماحل.... أما هي فقد وصلت و التبيع فز بيفرس(ليفرس) نحو (الحج).... قالت : وزيد عليه معا(ما) (أن) يرجع الا وقد ملئك(ملئت) له الحاض(الحوض).... أما هي فملئت الحاض (الحوض) ثم (تجس/تجلس) جلست بتعينه (لتعينه).... هزه الا وقد هو راجع يبطير(ييطير) مع العجاج.... أما

هي فلقدسها قلبها يام(يوم)عاده ليلا (ومابع شي) وما سمعت الأذان. أما هو (فقد) وصل حميلا :

(متحاملا) (إلى) على الخاض (الحوض)، فقالت : ياسين عليك يا حنيش إيش (ما) هذا الحفنين
كله عاده مابع (ما) اكملت كلمتها... ما هي قد أبصرت عيوننه(عينيه) حمراوين قل (مثل) الجمر،
لكن جعلت(ظنت) من العكيش- إيش (أي شيء) تخايل (تري) الا وهذا قد زرد الماء كله الذي
بالخاض (بالحوض) وهو ما قط أكمله حتى ولا (لو) قد هو ضمئان أيمرت (يكاد) من الظلما... عا
كانه(عاده) كانت) مدت رجلها لتزل إلى الماحل، فتزيد أثارف (لتغرف) له غربا(غربه) الا وهذا
نفت (نفت) ليصفي الدنيا شرارا . وأن هذا يتنافت شرارا... لكنها قد رصت (قفزت) إلى قبه
الماجل، فقد هي ماهرة... وهو جلس (أما هو فقد جلس) على الماحل هزة يفر نخصه (نفسه)
نارا... يا سائر ! وان هذا أقفى(قل) ليهيغ نحو (نقد الجرو) ما هي (أما هي) فكرها خرجت
لتهدف (لتحذف) نفسها هذاف (حذافا/حذفا) ... وعادها وصلت لتخطي مردم العتبة الا وقد هو
على الماحل وكرها علجت العتبة... وبعدها زحفت من المريجة الذي وقعت لها وكرها سلمت
وبعدا فدرا عليها أهل بيتها بحنيش التبيع حقهم (تبعهم) !

معاني بعض المفردات:

مرضت	زحفت
الرعب	المريجة
الغبار المتطاير من الريح أو تحت أقدام الخيل	العجاج
أغلقت بالمزلاج (المعلج) : وتد خشبي يثبت أفقيا خلف العتبة من الداخل فلا تنفتح إلا إذا أبعد.	علجت
صرفت نفسها عن النوم (والهاء مبدلة من الحاء)	هدت/حدث
ظنت وحسبت هكذا تعني في اللهجة البافعية.	جعلت
سطح البيت رأسه، سقفه	الجبا
مفخمة تميل نحو الواو وهي مبدلة من الواو. والألف تبدل من الغين المعجمة في : غرب(أرب) أم(غنم) يأرف : يغرف.... إلخ.	الألف في (ثار/وحاض)
في بيخيل وبيشرب وبيطسر.... إلخ. باء المضارعة وردت في النقوش(القتبانية) ومازالت باقية في لهجة يافع.	الباء
يشاهد/ يرى/ ينظر.	يتخايل
أخذت	شلت

أطلقت	فتحت فردتي العتبة : باب البيت الرئيسي
دق لعمرة	فتح الحاجز لنفسه ولأن الحاجز من أحجار يقولون دقه بمعنى هذه
يدور	يبحث
يفرس	فعل مضارع من فرس (أنثى الحصان)
هزة	برهة
هبع	وحفز وقفر وفرس وطار كلها أفعال تفيد الجسري وكذلك عكش وحذف ويفيد بأقصى السرعة.
مردم العتبة	حاجز خشبي أو حجر يرتفع بين أسفل قائمي العتبة، يفصل بين داخل البيت وخارجه وهو بارتفاع نصف قدم من الأرض.
الحج ونقد الجرو	موضعان في جبل الذراحن.
زرد الماء	شربه بسرعة
قبة الماحل	أعمق نقطة في سد الماء
يلقط البقشة	من جلاء نوره أي القمر (البدر) يمكن أن ترى فيه البقشة: درهم صغير عملة فضية قديمة
حنيش	تصغير حنش وهو هنا اسم التبيع
عبارات غريبة:	
ياي ولك	وأي ولك تنطق للاستغراب والأسف : يا لإهمالي ويا لشقاوتك (تقريباً).
وزيد عليه	لابأس عليه
ياسين عليك	لابأس عليك (وسين أحد آلهة اليمن القلم)
التبيع	الفحل من البقر يسمى تبعاً حين يستكمل الحمول.... وإذا استكمل حولين فهو جذع. ^{٤٠}
	هذه الآثار التي استعرضناها في بحثنا تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن (سفر أيوب) وصاحبه (عليه السلام) من اليمن ومن (سرر حمير) وفيه ومن (الضالع) على وجه التحديد.

الفصل الثامن

أهل الكهف من صلحاء سرو حمير - يافع

* دحض كهف الرجيب في الأردن.

* استبعاد كهف صبر في نعر.

* اثبات كهف ال / سبعة في

جبل سنم ال / سعدي من يافع بني قاسد.

مصدرنا في التعرف على (أهل الكهف) وهم الذين كانت قصتهم بمثابة أحجية أراد بها بعض أحبار اليهود ذات الأصول اليمينية الوقوف على حقيقة نبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، فترلت في هذا الشأن إحدى سور القرآن المعروفة بسورة الكهف.... ولهذا السبب (فمصدرنا) الوحيد هو القرآن الكريم وما كتبه المفسرون الأوائل في شأنهم وما اختلفوا فيه في أمور كثيرة نحو : عددهم وبلدهم وحالهم وهيتهم واسمائهم.... الخ.

وعن التباين هذا نصت الآية الكريمة:

«سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم، قل ربي أعلم بعدكم ما يعلمهم إلا قليل. فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً». الكهف الآية ٢٢

• اختلاف الإخباريين فيه :

بين لنا (ابن كثير) ^١ في تفسيره مسألة مهمة وهي عدم اتفاق أوائل المفسرين والإخباريين عن الكهف وموضعه محاولة منهم لتفسير الآية:

«أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا»

ونجمل أهم تخريجاتهم في التالي :

• اسم الجبل الذي فيه الكهف هو :

بنجلوس :* في قول ابن اسحاق. I

II * في قول بن جريح.

• اسم الكهف :

حيزم في II

• الرقيم :

III ١. واد قريب من أيلة/ العوفي + قتادة

٢. كتاب بنياتهم (بجاهد).

٣. القرية / ابن عباس عن كعب (قول عبد الرزاق).

هذه أهم الأقوال في الكهف والرقيم ونستشف من هذه التخريجات أن الأوائل قد اجتهدوا

ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً وفي إطار قوله تعالى مرشداً نبيه الأمين :
«.... فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً» أي سهلاً هيناً، فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه
كبير فائدة.^٢

وحيث أن الشيء بالشيء يذكر. الأمر الذي نلمحه وراء قول العوفي عن ابن عباس أن (الرقيم
وادي قريب من أيلة) / ابن كثير / ٧٩/.
فما أغراهم بهذا القول هو أن (أيلة) وكل بلاد البلقاء جنوب الأردن (حالياً) هي في واقع الحال
بلاد أقل ما يقال عنها أنها كثيرة الكهوف، فالأقوام الذين سكنوها كانوا ينحتون بيوتهم وقبورهم في
جبالها وتبقى (البتراء) أكبر الشواهد على ذلك. فكثرة البيوت (الكهفية) لا غير هو ما جعل العوفي وقتلدة
يذهبون هذا المذهب ويسندونه لخير الأمة (ابن عباس) القائل في رواية عبد الرزاق :

" القرآن اعلمة الا حنانا والاواه والرقيم"

وفي رواية ابن جريح قال ابن العباس :

ما أدري ما الرقيم كتاب أم بيان؟^٣

ونحن نرى أن عدم اليقين فيما عرضنا له من التخريجات يرجع في المقام الأول إلى وجود
(الكهف) في منطقة نائية انقطعت عنها السبل وكلت دولها أقدام الرحالة والعلماء عبر العصور
وأنتصبت موانع عديدة أرجحت كشف موضع (الكهف) فيها كل هذه القرون الطوال، وسنعرض لبعض
هذه الموانع والعوائق لاحقاً. وقد ارتجت البركة الراكدة المحيطة (بالكهف) في أواخر ١٩٦٣م إذ هوت
فيها هذه المرة حجر من معاول الحفريات الأثرية الحديثة في (الأردن) الشقيقة بقيادة اختصاصي
الآثار (رفيق وفاء الدجاني) الذي عرض قصة الإكتشاف في كتاب له بعنوان : (اكتشاف كهف أهل
الكهف).

أما الكهف الذي خص بهذه الحفريات فيُعرف (بكهف الرجيب)، والرجيب هذه منطقة على
مسيرة حوالي (١٣ كم) جنوب شرقي عمان في خربة السوق تسمى (الجويفر)..... وهو في ربوة
منحوت في الصخر وعلى مدخله لوحة كتب عليها (كهف أهل الكهف قبور بيزنطة).

وتعرض اليوم في جدار فجوته الخلفي اللقى الأثرية التي عثر عليها فيه منها :

• الفلك العلوي لكلب أهل الكهف.

• قطع نقد رومانية.

• جدران الكهف مليئة بالخطوط والنقوش الثمودية واليونانية القديمة والكوفية.

- في ساحة الكهف نحتت في الصخر ثمانية قبور. أما قبر الكلب ففي (الرصيد) أي عتبة الكهف.
- في باحة الكهف كانت صومعة مسيحية حول المسلمون جدرانها في عهد عبد الملك بن مروان إلى مسجد تماماً دون تغيير سوى إضافة المحراب إليها.
- علامات الصليب ما زالت واضحة على الحجارة وكذلك على الحجارة التي كانت تغطي المدفن.^٤
- ليس فيما لدي من أبحاث (تدحض) هذا الاكتشاف غير أنني لا أجد مناصاً من طرح هذه الاعتراضات على كهف الأردن وهي :

١. أن اللقى الأثرية التي وجدت في الكهف : المسكوكات الرومانية وبقايا الأواني الفخارية والخطوط النقشية المختلفة تشير بلاشك إلى الهويات والجنسيات المختلفة للناس الذين اتخذوا من (كهف الرجيب) بيتاً يأويهم ... ومن غير المستبعد أن مثل هذا الكهف المطروق بهذه الكثافة - إن كان له علاقة ما (بأصحاب الكهف) - أن لا ينكشف سره ولا يذاع خبره لبعض ممن سكنوه وللناس كافة خاصة وباحته تجن في صخورها رفات الفتية المؤمن ومزدانة أغطيتها بالصلبان ... إلخ. فكيف طوي خبره كل هذه القرون الخوالي حتى أتى (الدجاني) في أواخر ١٩٦٣ م ليذيع أمره؟

٢. إذا كان المسلمون قد بنوا هنالك المسجد وأعادوا ترميم (الفجوة) في عهد الأمويين وبنوها بشكل أقواس إسلامية - بعد إذ كانت جدرانها من الحجارة - وشكلوا مكان سقوط أشعة الشمس ... نقول إذا كانوا قد فعلوا هذا (وهم يدركون) أنهم في (كهف الفتية) ... فكيف غاب هذا عن ذهن شيخ المفسرين (ابن كثير) الدمشقي؟ الذي لم يشر إلى هذا في تفسيره ... كما غاب هذا الأمر عن بال شيخ دمشقي آخر يعرف بقوة ملاحظته واهتمامه في أمور أقل أهمية بكثير من خبر (أهل الكهف) ونعني به (ابن الجاوزي/صاحب تاريخ المستبصر). خاصة وقد عرض في كتابه هذا أن (كهف أهل الكهف) في (جبل صبر من أعمال الجند باليمن)^٥ ولم ينوّه بوجود الكهف بأي بقعة في بلاد الشام لا (كهف الرجيب) ولا حتى أكثر الكهوف احتمالاً التي نسب إليها أهل الكهف وأهمها:

• طوروس.

• أفسوس.

اللدان قام الأستاذ (الدجاني) بدراستهما فاستبعدها لأنها ذات فتحات لا تنفق في (سقوط الشمس) على ما جاء في الآيات الكريمة.^٦ وبعد احفاء البحث عثر (الدجاني) على ظالته في (كهف الرجيب) الواقع في منطقة جبلية في الأردن (كثيرة الكهوف)^٧ - التقويس هنا لنا.

٣. لعمر الله أن كثرة الكهوف (تفسد) على الباحث الحصيف أكثر مما تفيده.. فمن البديهي بل

ومن اليسر على منطقة ذات كهوف (بالعشرات) أن تتفضل بكهف يحمل مواصفات (كهف الفتية) من حيث شروع بوابته نحو الجنوب (أو الجنوبي الغربي) [بالتحديد] حسب تعبير الدجاني). وكما تشابه البقر فإن الكهوف تتشابه أيضاً!

٤. أما القول بأن أصحاب الكهف كانوا (مسيحيين) أي من أتباع عيسى (عليه السلام) كما ورد لدى (ابن اسحاق) في (عرائس المجالس) فأمر قد اعترض عليه شيخ المفسرين (ابن كثير) عما أورده ابن اسحاق نفسه :

(ذكر محمد بن اسحاق سبب نزول هذه السورة الكريمة فقال حدثني شيخ من اهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعثت قريش النصر بن الحارث وعقبه بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة..... ليستفتوهم في أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالوا (الأحبار) : سلوه عن ثلاث... فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقول.... : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول....^٩

والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فأهم لو كانوا على دين النصرانية لما أعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم لمباينتهم لهم..... فدل هذا أنه محفوظ في كتبهم قبل النصرانية. ٩ هذا من ناحية (ونزید) أنه فيما نعلم ليس (لأصحاب الكهف) أي ذكر لدى المسيحيين في (العهد الجديد) ولا في الآثار الكتابية والأدبية للمسيحية ولا في الثقافة اليونانية والرومانية القديمة. مما ينفي أي علاقة لهم بالعالم الروماني ثم المسيحي (على الإطلاق) وأتذكر أنني في مستهل الثمانينات - أيام الدراسة في بريطانيا - قد تعرفت على (مبشر) مسيحي نشط يُعرف بالسيد (يونس) قد مكنته إقامته الطويلة هو وزوجته في لبنان ودول الخليج من إحادة اللغة العربية والإلمام بالقرآن الكريم، حيث كان يشير إلى قصة أهل الكهف في القرآن الكريم أنها مما ليس له أثر في التراث المسيحي واليهودي - وهو هذا كان يحاول استمالة الطلبة المسلمين في بريطانيا إلى المسيحية من خلال التشكيك في نزاهة وصدق القرآن الكريم. ولا أظن أنه أصاب شيئاً مما في نفسه لدى أحد من المسلمين هناك.

ولهذا فإننا نشك أن مدافن (كهف الرجيب) ذات الطابع المسيحي - على الرغم من عددها - تأوي رفات (فتية الكهف) وعليه فهي قبور من كانوا ذات يوم رهباناً يلجأون إلى هذه الصومعة وهذا الكهف انقطاعاً لعبادة الله فشكّلوا قبورهم على النحو المذكور (حسب استطلاع العربي) الموافق لما ذكره علماء المسلمين في صدر الإسلام حيث ينقل لنا (ابن كثير) عن ثلاثة من أساطينهم. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : (تقرضهم) وتركهم وقد أخبرنا الله تعالى بذلك وأراد منا فهمه

وتدبره ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف بأي البلاد من الأرض^{١١}.... ومما يذكر عن مجاهد أنه كان (يميل إلى تتبع التصورات الشعبية بالدرس والفحص، والانتقال بنفسه إلى الأماكن التي يتصل بها شيء من الخوارق الخرافية، ليجد لنفسه تفسيراً لها عن عيان وشهادة.^{١١}

ولا شك أن (الكهف) إذا كان موضعه في بقعة ما ببلاد الشام (لا في اليمن) فإن مجاهد كان بوسعه زيارته والتحقق من أمره خاصة وأن بلاد الشام كانت محط أنظار المسلمين في عهود الفتوحات الأولى. وعليه فلا تثريب علينا إذا توقفنا عند هذا الحد وضررنا صفحاً عن (كهف الرجيب) وبلاد الشام والعراق. فلنأخذ الاحتمالات الأخرى لموضع الكهف ولكن هذه المرة في جنوب الجزيرة وبالتحديد في العربية السعيدة/ الأرض الطيبة بلاد اليمن.

• أهل الكهف عند الهمداني:

كان لسان اليمن صاحب / صفة جزيرة العرب والإكليل قد ذكر في (قصيدته الدامغة) أهل الكهف أنهم من اليمن :

ونحن بصالح والجدُّ هودُ
وذي القرنين و(المتكهفينا)

ويعلق الأستاذ (الأكوع) محقق آثار الهمداني على المتكهفينا- التقويس لنا للإبانة- :

كثير من أهل اليمن مخلاف الجند وما صاحبه المعافر وغيره يقولون أن أهل الكهف في جبل صبر (المطل على مدينة تعز) ثم في قرية (المعقاب) في قمة الجبل المذكور... وفي الكهف كما يزعمون أوصاف ما جاء في القرآن الكريم.^{١٢}

هذا وقد أشرنا فيما سلف أن صاحب (تاريخ المستنصر) قد ذكر أهل الكهف بقوله :

ظهر دقيانوس... وبني في فضاء الجند بلداً عظيماً سماه (الأفيوس) وبه كانت وقعة أهل الكهف مع دقالوس الملك والله أعلم. وصورته على هذا الوضع (مخطط لموضع الكهف/ ابن الجبلور) ويقال أن القوم في كهف من كهوف جبل صبر أيام حتى الآن^{١٣}. وهذا فلدينا دليلاً يشهدان أهل الكهف (يمانية) الأول ما ذكره (الهمداني) في (الدامغة) ولم يحدد موضعه لأسباب سنعرض لها... والثاني ما قاله (ابن الجاور) بعد انقضاء ما يقارب ثلاثة قرون من قول (الهمداني)... هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه من أمر اهتمام أحبار يهود يثرب ذوي الأصول اليمانية (بأصحاب الكهف) وفي هذا دلالة بالغة على ما تواتر لدى الطوائف اليهودية من خير أهل الكهف في بقعة ما من جنوب شبه الجزيرة. وعلى الرغم من أن الكهف قد يكون في (جبل صبر) إلا أنني أنصرف عن البحث في تلك الناحية لأسباب منها :

١) سكوت (الهمداني) عن ذكر الكهف في ذلك الموضع المشهور الذي أسهب في ذكره في مواضع شتى في (الصفة) فقد عده (أي صبر) في :

- مخلاف المعافر.
- جبال السكاسك.
- جبال الجزيرة العربية المشهورة.
- الحصون منها المشهورة.
- الشوامخ من الجبال التي في رؤوسها المساجد الشريفة ومواضع المساجد.
- الجبال المستمة.

والأهم من ذلك كله أن في عرض جبل صبر هذا محجة مشهورة ذكرها الهمداني باسم :
محجة عدن العليا على الجند ثم محجة الجند معها إلى صنعاء.^{١٤}
وعبر هذه المحجة تسمى (لأبن المحاور) المورخ العالم التاجر من زيارة صبر، وما أتى عليه من ذكر الكهف فيه:

وعلى باب الغار مسجد وعلى باب المسجد عين تسمى (عين الكوثر)
وهو موضع فاضل مزار في العاشر من رجب.^{١٥}

وحيث أن الهمداني قد سكت عنه كما لم يذكره من بعده (نشوان بن سعيد الحميري) المتوفي عام ٥٧٣ للهجرة) وهر أي (نشوان) قد عاش فيه وفي ذلك يقول ياقوت في معجم الأدباء:
استولى نشوان على عدة قلاع وحصون، وقدمه أهل (جبل صبر) حتى صار ملكاً.^{١٦}
وأكد أجزم أن المانع لعدم تعرض كل من (الهمداني) و(نشوان الحميري) (لكهف جبل صبر) يرجع في الأساس لعدم قطعهما في أمره وشكهما في أنه ليس (بكهف سورة الكهف)، لما بلغهما أن الكهف باليمن ولكن ليس في (جبل صبر) الذي كانا يعرفانه تماماً ويعرفان قدره ومكانته الأثرية إذ يقع في سفح غربية مدينة جباً الأثرية وهو من الجبال المباركة كثير الخيرات... حتى قيل أن فيه من العيون عدد أيام السنة^{١٧}. لكن كل من المؤرخين الكبار لم يريد أن ينسب إلى (صبر) ما ليس فيه أي (فتية الكهف) وأن (كهف السورة) في بقعة ما من (سرو حمير/ يافع) دون الوصول إليها خرط القتاد... فسكتوا عن المعلوم (أي كهف صبر) تطلعاً للإحاطة (بالمجهول) الذي يقبع في حواز (سرو حمير) الغير مطروقة (فيما أعلم) إلا من خائف يتعقبه الناس فينشد الأمان بين أهلها أو ممن غضب أو فلت عليه السلطان فيعتصم بمحصولها ويستقوي برجالها... هذا الصقع الملقع بالأسرار قال فيه (ابن

مقبل العامري ثميم ابن أبي) :

من سرو حمير أبوال البغال به أي تسديت وهنا ذلك البينا^{١٨}

فكم تدل عبارة (أبوال البغال) في صدر بيت (ابن مقبل) على وعورة (سرو حمير) وصعوبة مسالكه على السابلة والمطايا التي تطرح أبوابها في عقاب سرو حمير وبجوده كشهادة أبلغ من أن يجسأر بها ظاعن أرهقه الوصب. ولهذا السبب وحده نجد سرو حمير (يافع) كحيز جغرافي نادر الوجود في كتب المؤرخين والإخباريين والرحالة... حتى أشد الرقائع التي خاضها اليافعيون إنما تعسفوها بعيداً عن سروهم أو على أطرافه ليس إلا عبر أذوار التاريخ.

(٢) كما أسلفنا فإن سرو حمير ككل ظلت مجهولة برمتها إلى جانب هذا العامل الجغرافي تبرز عدة عوامل منها:

- كانت أسواقها على أطرافها تاريخياً في جيشان العود- وأدماث، عدن.
 - لم تقام فيها مراكز للعلم (تاريخياً) تستقطب طلابه فيعرفونها على حقيقتها ويخبرون عنها.
 - كانت بالمفهوم (القبلي) بلاد (حبر)/ بفتحات. أي لا تخضع لدولة مركزية... حتى في عصر الاستعمار البريطاني فهي المنطقة الوحيدة في جنوب اليمن التي لم تطأها أقدام الاحتلال.
- (٣) ليس لأهل الوادي الذي يقع فيه (كهف الفتية) أي مصلحة في الإدعاء باطلاً أن الكهف في واديهم منذ أقدم العصور... فلا أسواق هنالك ولا طرقات للقوافل التجارية ولا أي فائدة ترجى أو منفعة تجنى غير ما حفظته الذاكرة الجماعية لأهالي (منطقة الكهف) المعروفة (بيافع بني قاسد) وتشكل الجناح الجنوبي (لسرو حمير) يعرف ذلك الموضع عند أبناء يافع جميعاً ب :
- (قبور السبعة أهل الكهف).

في مكتب (حسب التقسيم القبلي = مديرية) السعدي الذي كان يُعرف (بقاع الفلاح) على عهد الدولة الرسولية (ففي طرفه الأصحاب) ومعوذه بن فلاح وعزلته السرو (سرو حمير) إلى نحو المشرق وهو الأسفل^{١٩} (يعني يافع السفلى/ يافع بني قاسد)، ومعوذه بن فلاح هو جد (السلالة العفيفية) حيث عرفت بهم السلطنة العفيفية وقصبتها (القارة) إلى الجنوب من الوادي الذي يأوي (قبور السبعة) لا يفصله عنها إلا امتداد جبل (جار بمعنى ظلم).

وقيل أن ندلف لزيارة ذلك الموضع الأثري لتفحصه واختباره، علينا أن نستذكر قوله تعالى :

﴿وما يعلمهم إلا قليل﴾.

أي القليل من الناس. قال قتادة : قال ابن عباس : (أنا من القليل الذي استثنى الله عز وجل

كانوا سبعة). وكذا روى ابن جرير عن عطاء الخرساني عنه أنه كان يقول : أنا ممن استثنى الله عز وجل ويقول عدنهم سبعة)

وقال ابن جرير حدثنا بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس : «ما يعلمهم إلا قليل» قال :

أنا من القليل كانوا سبعة.... هذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس أنهم كانوا سبعة.^{٢٠} وحيث أن (قبور السبعة) في مكتب السعدي تؤكد قول المفسرين بشأن عددهم.. فلا ريب أن الذاكرة الجماعية الأهالي (منطقة الفلاح) عموماً وما جاور الكهف من القرى على وجه التحديد هذه الذاكرة التي جمدت لنا وقائع أصحاب الكهف والرقيم وحديث أجيالها على هذا الأثر الديني الكريم من حيث عمارة المسجد والحفاظ على قبور الفتية السبعة وكلبهم.... وإحياء ذكراهم في أيام (عيد الأضحى المبارك).... هذه الذاكرة تدخل بلا مواربة في نطاق الاستثناء المحدد بالآية الكريمة والمخصور (بالقليل) الذي شمل حبر الأمة ابن عباس (رضي الله عنهما).

وبعد فما هي الشواهد والآثار التي تسند وتدعم طرحنا هذا؟
الإجابة نسوقها في الفقرة التالية :

• قبور السبعة وكهف سئم:

يقع الكهف في الحاز الجنوبي لجبل (سئم) : وزان نقم (جبل صنعاء المعروف) يقف إلى الجنوب منه جبل (جار) بمعنى ظلم/ وزان حار- يفصل بينهما وادٍ ضيق يُعرف بوادي (الرغد) الذي ينحدر شرقاً بين تسنمات جبلية تذهب به إلى وادي (الخضراء) فوادي (سُلب) الشهير المذكور في (صفة جزيرة العرب) الذي تتدفق فيه معظم السيول المتحدرة من جبال سرو همير/ الجناح الجنوبي المعروف (بيافع بني قاسد) فتروي به أودية يافع الساحل المعروف (بسهل أبين) - ومن محافظة أبين هذه يمكن الوصول إلى آثار أهل الكهف عبر الطريقتين:

▪ طريق السيلة البيضاء : وتبدأ من (ام صرة) ثم الماغل (العوذليتين) فالسيلة البيضاء فوادي (سُلب) فالخضراء فوادي الرغد حيث آثار أهل الكهف على يمين الوافد من أبين.

• طريق حطاط : ويمر في (جعار) حاضرة يافع الساحل (والحصن) عبر سيلة حطاط حتى (رُصد) وهو وادٍ يقع في سفح نائف (القارة) حاضرة السلطنة الغيفية (سابقاً) الواقعة إلى الجنوب بالنسبة لآثار الكهف- يفصلها كما أسلفنا جبل (جار) ومنطقة الكهف عموماً محاطة بأخصب أودية يافع المنتجة للبن إذ يعتبر وادي الرغد امتداداً لوادي (ذي عسيم) المخضل بمقول البن وفي الجوار

يقع وادي (حمومة) ووادي (ذي ناخب) وواديان لا تقل شهرة ليس بحال ذكرهم هنا.

ويمكن الوصول إلى محيط الكهف من عدن مباشرة عبر الطريق :

لحج ← الحيلين ← حيل الجبر. ومنه عبر سيلة وطن (أسافل وادي يهر) حيث يتحول
الوافد من عدن من هناك عبر (دخلة معربان) فوادي (معربان) حتى موقع الكهف عبر (العطف)
وهو وادٍ (فذي عسيم) (فالرفد). وهذه بلا شك أيسر السبل إلى (كهف سنم/وقبور السبعة)

في ١٦ يناير ١٩٩٦م قمت بزيارة لآثار السبعة (أهل الكهف) فعثرت على الشواهد التالية :

١. الكهف عبارة عن (شدة طبعي) ليس بالمغارة المظلمة يتسع بلا شك لإيواء الفتية الفارين
بدينهم من الملك الظالم (دقيانوس) وهو هيئة (الفم المفتوحة) نحو الجنوب الغربي بحيث يتسم في وضعه
مع قوله تعالى :

﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال
وهم في فجوة منه....﴾. الكهف الآية /١٧

فهذا فيه دليل على أن باب الكهف كان من نحو الشمال لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا
دخلته عند طلوعها تزاور عنه (ذات اليمين) أي يتقلص الفم يمنة كما قال ابن عباس وسعيد ابن
جبير وقتادة : (تزاور) أي قميل وذلك أنها كلما أرتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا
يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان، ولهذا قال الله تعالى :

﴿وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾

أي تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق فدل على صحة ما قلنا وهذا بسين
لن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب. وبيانه أنه لو كان باب الغار
من المشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شيء عند
الطلوع ولا عند الغروب ولا تزاول الفم يمناً ولا شمالاً ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت
الطلوع بل بعد الزوال ولم تنزل فيه إلى الغروب فتعين ما ذكرناه والله الحمد.^{٢١}

٢. ليس أمام الكهف اليوم من الأشجار المثمرة والعين الغزيرة حسب زعم (ابن اسحاق) غير
شجرة (السدر) الواسعة الانتشار في محيط الكهف وتعرف (محلياً) باسم (العلب) وثمرها يعرف ب
(الدوم) وهو (ثمرة النبق) وورقه غسول يشبه شجر العناب له سلاء كسلاته وورقه كورقة غير أن
ثمر العناب أحمر حلو وثمر السدر أصفر مُر يُتفكه به.

وفي الحديث: (من قطع سدره صوّب الله رأسه في النار).^{٢٢}

وعلى كل حال فهذه الشجرة لها منافع كثيرة إلى جانب ما ذكر صاحب اللسان حيث تستخدم أوراقها كغذاء للأغنام والإبل، وأخشائها من أعمال البناء.... إلخ. وأفقر الناس في (سرو حبر/يافع) هو من ليس بحوزته حسب المفهوم الشعبي :

(لا جريه ولا عليه)

والجريه (بكسرات) : القطعة من الأرض للزراعة.

والعليه (بكسرات) : سدة مونث (مجازاً).

وهذا القول يكفي لمعرفة أهميتها للناس.. وقد ثبت أن بعض الأهالي كانوا يوزنون (ثمرها) تحسباً للقطط والمجاعة.... إلخ.

٣. كما أخبرنا جلّ شأنه بقوله :

﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً ﴾

نعم هناك مسجد يُعرف لدى الأهالي بمسجد السبعة يبعد عن الكهف بأكثر من خمسين متراً وسقفه مقبب إذ يتكون من تسع قبات الكل في ثلاثة خطوط متوازيات. أما قبور السبعة فليس تحت سقف المسجد كما توهم المفسرون للآية إذ يقول شيخ المفسرين (ابن كثير) :

الظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ ولكن هل هم محمودون أم لا فيه نظر، لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال :

{لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد} ٢٢

فقبور السبعة (أهل الكهف) تقع خارج المسجد تماماً قد رصفت خلف المسجد من جهة ركنه الجنوبي الشرقي كل قبر اتصل بالآخر على طوله وكلهم باتجاه القبلة (الكعبة)، ولكلهم قبر منفصل وكلها مخصصة ويرتفع فوقها سقف بثلاث قباب... ولا توجد في (ضريح السبعة) هذا أي نقوش أو خطوط قديمة ربما قد ذهبت بفعل تعاقب العمران. وخارج المسجد أيضاً بركة ماء للوضوء.

وعليه فالقرم (الذين غلبوا على أمرهم). هم ممن كانوا على ملة إبراهيم (عليه السلام) ملة المتطهرين التي عرضنا لها فيما سبق من البحث. هذا ولعله من المناسب هنا أن نشير أن (أصحاب الكهف) قد وصفوا في كتب الإخباريين بأمر تؤكد بمانيتهم منها ما نقله لنا (ابن اسحاق) بشأن هيئتهم من قول (عيد بن عمير) :

(كان أصحاب الكهف فتیاناً مطوقين مسورين ذوي ذوالب). وقال مجاهد : بلغني أنه كان في آذان بعضهم القرطة (ابن كثير ص ٧٥).

ولعمرك الله أن في هذا الوصف ما يدل على أنهم من اليمنية فقد اشتهر الملك الحميري المعروف
(بذي الشناتر) وهو (خليفة تنوف) أنه كان يضع أقراطاً على أذنيه فأطلق عليه اليمنيون هذا اللقب
(ذو الشناتر) أي لابس الأقراط.^{٢٤}

وكان بين أمراء بني حمير شاب اشتهر بجمال الوجه وطول الشعر ونعومته اسمه (زرعه) مسن
أسرة أسعد الكامل (أبكرب أسعد) المالكة. وكان لقبه (ذو نواس) أي صاحب الشعر المتطاير.^{٢٥}
وبعد ما شأن تلك التخريجات التي أوردها المفسرون والإخباريون بخصوص أسماء أهل الكهف
وتسمية كهفهم وبلدهم وملكهم وكتبهم، هل هي محض اختلاق أم لها نصيب من الصحة؟
وهل لهذه الأسماء آثار باقية في (سرو حمير/ يافع)؟

ثم في محيط (الكهف) على وجه التحديد؟
الإجابة هي موضوع الفقرة الرابعة.

• الآثار الاسمية لأهل الكهف:

الواقع أننا قد استأنسنا في مطلع (الفقرة ٢) بما ذهب إليه لسان اليمن (الهمداني) في قصيدته الدامغة
المجابهة على (الكهف) بن زيد الأسدي بشأن هوية أهل الكهف... والتي قطع فيها بأنهم يمانية غير
أن (شارح الدامغة) - الذي يرى فيه البعض أنه ليس (الهمداني) نفسه وإنما ولده محمد - قد ارتتاب في
هويتهم بقوله :

وأهل اليمن يدعون أهل الكهف وهم عندي من الروم على ما سمعنا في الحديث وأسمائهم تدل
على أنهم كذلك...^{٢٦}

وحيث أننا قد طعنا على (رومانية أهل الكهف) وأرجعنا أعراض الهمداني ونشوان عن
كهف (صبر) لما نقل إليهم من أن الكهف في (سرو حمير) والتي تعذر عليهم الوصول إليها مما دفعهم إلى
اقفال ملف أهل الكهف. أما قول الشارح فيدل على معرفة بما يدعي أهل اليمن غير أنه تعلل بالمنقول
عن هويتهم. أما أسمائهم فلا تدل (عقال بعير) من أمر رومانيتهم بل على العكس فهي تؤكد هويتهم
الحميرية اليمنية... فهذه الآثار ما زالت اليوم تطلق على أسماء مواضع وقبائل يافعية حتى اليوم.

أ) مدينة أهل الكهف :

ورد اسم مدينة (أهل الكهف) عند المفسرين والإخباريين بصيغ مختلفة نحو :

دفسوس طرطوس أفسوس.

وقد كفانا الأستاذ (الدجاني) صاحب اكتشاف كهف الرحيب هم كهوف طرطوس وأفسوس

فس بلاد الشام حيث أسقط هذه الكهوف من دائرة بحثه بعد أن تبين له مخالفة تلك الكهوف للوصف القرآني.

أما في محيط كهف سنم (كهف السبعة) في (سرر حمير) فقد وجدنا ما يشير إلى هذا الاسم :
• أم سوسة : أم سابقة التعريف الحميرية : شيعب (بكسرات) يقع في أسافل وادي (الرغد) وهنالك مقبرة كبيرة تُعرف لدى الأهالي بـ (محنة الجريب/ مقبرة الجريب).

هذا أم سوسة = أفسوس هـ/ بإبدال الفاء من الميم.

• فلسان : من كبريات قرى (قاع الفلاح) (السعدي)، تقع في سفح جبل أم سود في وادي (فلسان) من أنحصب أودية (سرر حمير) تخرج فيوضه إلى وادي الرغد- حيث كهف وضريح السبعة- وهي لقبيلة أهل عمر حلال أهل بن سليمان منهم^{٢٧}. وأكاد أجزم أن (فلسان) هي التي كانت حاضرة الملك (دقيانوس) بالإستناد إلى هذين الشاهدين:

١. أفلوس : جمع تكسير من صيغة النسبة إلى فلسان.... أفلوس صيغة أخرى لأفسوس.

٢. فلسان = فلسن (بدون تصويت) = فلسين (بالتصويت).

ينقل لنا (ابن اسحاق) أن الملك العادل الذي بعثوا (الفتية) في عهده.. قد أرسل بصحبة أكبر الفتية وهو هنا (تمليخا) جماعة للتعرف على داره:

(فبعث معه الملك جماعة حتى أتى بهم دار- أرفع دار في المدينة-

وقال : هذه داري ثم قرع الباب. فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى

حاجباه من الكبر على عينيه وهو فرع مرعوب مذعور، فقال : أيها

الناس ما بالكم. فقال له رسول الملك : أن هذا الغلام يزعم أن هذه الدار

داره. فغضب الشيخ والتفت إلى (تمليخا) وتبينه وقال له: ما اسمك؟ قال :

تمليخا بن فلسين!! فقال له الشيخ : أعد عليّ، فأعاد عليه فالكب الشيخ على

يديه ورجليه يقبلهما وقال : هذا جدي ورب الكعبة وهو أحد الفتية الذين هربوا

من دقيانوس الجبار...^{٢٨}

نعم إن أسماء الأماكن تعد بمثابة شواهد ناطقة بلسان حال من أطلقوها لأول مرة مخبره عن وقائعهم وأحداثهم وتقدم الأسماء عن الماضي البعيد ما تقدمه اللقى الأثرية والنقوش أحياناً.

• ف/فلسان : هذه القرية العامرة قد أخذت اسمها من الجذ الأعلى لأحد فتية الكهف وهو تملبخا بن فلسين أي // تملبخا بن فلسان.

(ب) الرقيم : ذكرنا في (فقرة ١) أقوال القدماء فيه فهو وادٍ عند (العوفي + قتادة) وهو قرية عند (كعب) وهو كتاب بنياهم عند (جهاهد).

فهل للرقيم من أثر هنالك :

♦ بنو رقيم : فرع من قبيلة كَلَد، أحد مكاتب (يافع بني قاسد) هاجروا إلى حضرموت وأستقروا هناك^{٢٦}. أما واديههم اليوم فيُعرف في كلد ب:

♦ رحمة : وزان عرفة- رعيم : بالتصويت وإهمال التأنيث وعليه (فالرقيم) هو (الرحيم) بإبدال الخاء من القاف- قرية هي اليوم خلال قبيلة أهل حنش الكلدية يمكن الوصول إليها في أقل من سلتين مشياً من الكهف^{٢٧}.

(٣) بنجلوس : اسم جبل الكهف (فقرة ١) بن (حملوس) - أحد تفرعات قبيلة يهر حلالهم يُعرف باسمهم (جبل بن حملوس) لا يفصله عن الكهف إلا جبل (جار) وادي (رُصد) وفي هذه المواطن أحد أعيان يافع بني قاسد الشيخ (راجح هيثم بن سبعة) يقول :

وأسند جبل (جار) والمرحل طريق (أشول)

وادي (رُصد) حيث به من يكرم المثنى،

وتنشد الحيد ذي كانت به النقول

ومروحك بيت (بن حملوس) لا تغوي

في معاني المفردات :

أصعد	أسند
الذي	ذي
أنشد بمعنى أقصد	تنشد
الطريق المعروفة بطريق (أشول)	المرحل
جمع نقيط : الطريق في الجبل مرصوفة بالحجارة	النقول

وبعد ف/بنجلوس = بن جلوس = بن حملوس.

(٤) حيزم : اسم الكهف في قول (ابن جريح) [فقرة ١] وقد تخلف هذا الاسم في تسمية قرية

هنالك في أعالي وادي (الرغد) المعروف (بالعطف/أي وادي عطف). وهي

أجرم : قرية وجبل في محيط الكهف لقبيلة السرحي (آل سعد/السعدي).^{٢٨}

حيزم = حزم (بدون تصويت).

أجرم = جرم (بدون تصويت).

حزم = جرم (تصحيفاً).

٥) كلب أهل الكهف: روى الحافظ بن عساكر في ترجمة همام بن الوليد الدمشقي حدثنا صدقة بن عمر الغساني، حدثنا عباد المنقري سمعت الحسن البصري يقول كان اسم كبش إبراهيم (عليه السلام) (جرير) واسم هدهد سليمان (عليه السلام) (عنقز) واسم كلب أصحاب الكهف (قطمير) واسم عجل بني إسرائيل الذي عبده (بهموت).^{٢٢}

ومع أنه يمكننا ببساطة العثور على مقابلات هذه الأسماء في المواضع والقبائل في (سرو حمير) فعلى

سبيل المثال :

• جرير : تخلف في اسم أحد قبائل (كلد) والمعروفة بجريري (صيغة النسبة إلى جرير).^{٢٣}

لكنني أحس تخليطاً في رواية الحسن البصري هذه وأرى في اسم الكلب (عنقز) واسم الهدهد (قطمير)، فقد وجدنا أثر هذا الاسم على مقربة من كهف السبعة وهو :

• في عمرز : تي = ذات في (سرو حمير/ يافع)

• عنقز = عمرز (بإبدال حرفي الشفه الميم والراء من حرفي الشفه النون والفاء).

• في عمرز : تبة صغيرة أو أكمة تقع مقابل الكهف تماماً يفصلها عنه قاع الوادي ليس إلا.

٦) دقيانوس : ما زالت ذكرى هذا الملك الجبار حية في الذاكرة الجماعية لأبناء (سرو حمير) حيث ينسبون ما تقادم من الأشياء والمعاملات إلى عهد (دقيانوس) ويذكرونه في قصائدهم الشعبية مما يدل على انتمائه فعلاً إلى (سرو حمير / يافع بني قاسد) وأنه ليس بغريب على المنطقة وإلا لما ذكروه لمجرد ورود اسمه في كتب المفسرين والإخباريين القدماء... وفي ذلك يقول الشيخ راجح بن هيثم مفاخرأ بأصالة انتماؤه وطيب جرثومته :

يقول ابن سبعة ذرو (تبع) وحمير

وسلطان بن سلطان من عصر (أبوسنان)

ومن زام (دقيانوس) (لمسود) إلى (يري)

وسلطان حيث (أشيب) وسلطان (معرهان).

معاني المفردات :

ابن سبعة	بيت الشاعر وفيه رئاسة مكتب يهر (أحد مكاتب يافع بني قاسد وهي خمسة مكاتب).
ذرو	نسل
تبع	سلالة التبابعة المعروفة وكذلك حمير.
أبو سنان	سنان أي سنان باشا آخر الولاة الأتراك على يافع.
زام دقيانوس	عهده.
الزام	الثلة من الجنود يقومون بالحراسة ليلاً (في لهجة سرر حمير/يافع).

ومن معانيها في (لسان العرب):

زام : زئم الرجل زاماً، فهو زَئِم،

وازدأَم : فَرِع واشتد ذعره؛ وزأمه هو : ذعره.^{٣٤}

وعلى كل حال فعهد (دقيانوس) كان عهد رعب وخوف وترقب (حراسة).

- لمسود: إلى أم سود : أم/سابقة التعريف الحميرية : سود جبل في سفحه تقع قرية فلسان.
- يري : أحد أودية (كلد) الخصبة في منطقة لا تبعد عن الكهف... له فرعان يعرف أحدهما ك (يري يله) على قرب من جبل بن حلموس = بنجلوس. مما يدل أن جبل بنجلوس (بن حلموس) لا ينتمي إلى (أيلة) في الأردن بل إلى (يري يلة).
- أشيب : أسافل وادي (فلسان) يُعرف برادي (أشيب/صبيغة التفضيل من شيبه)
- معربان : من عزز وديان يافع بني قاسد تزرع فيه (البن) والذرة...والطريق إلى آثار الكهف تمر عبره للوافدين عن طريق يهر(عدن-الحج-الحيلين-حبييل حير).
- وبعد فقد قرن أصالة جذوره النابعة من أكرم سلالات حمير بالمواضع التي يشملها بنفوذ في إطلار مشيخة مكتب يهر ومنذ غابر الأزمان بما فيها عهد (زام) (دقيانوس).
- ذو يهر : لا غرابة في تحير (دقيانوس) في سرر حمير فهو ليس الوحيد في سلالته الموسسوم بهذه الصفة فكتب الإخباريين تشير إلى تحير عمر ذي الأذعار وذي الشناتر وذي نواس وغيرهم كثير. غير أن أحد الأقبال الملوك كان ينتمي إلى سرر حمير ويُعرف (بذي يهر/أي صاحب يهر) : وهو من أكرم أودية سرر حمير (ذكره الهمداني في الصفة/ ص ١٧٣) والرافد الثاني لوادي (بنا) بعد وادي حطيب (أحد أودية يافع الحضبة العليا). فمما ينقل الإخباريون عن ذي يهر هذا الآتي :

• ذو يهر : ملك من ملوك حمير قال فيه أسعد ثعب :

وقد كان ذو يهر في الأمور يأمر من شاء لا يؤمر

ويروي أنه أجبر أهل ناحيته على عمل كان له وكان فيمن أجبره ابن لعجوز كبيره من حمير فتهياً ولدها للمسير بالليل إلى عمل الملك فلزمتته أمه إلى أن ارتفع النهار وسارت معه إلى (ذو يهر) فأظـهر الغضب على ولدها لإبطائه فقالت العجوز :

ترفق بنفسك ياذا يهر فاليوم لك وغداً لآخر

فأعظ يقول العجوز وأطلق الناس عن ذلك وتركه. ٣٥

• الآثار الاسمية ل(دقيانوس) :

١. دقة يانوس : الدقة : الخرابة. وعليه ف/دقة يانوس = دقيانوس بحذف تاء التأنيث لفظاً.

✠ دقة يانوس : خرابة على تل يانوس المطل على الكهف وقبور السبعة من جهة الشرق.

٢. ذو يانوس : يُعرف بحيد (يانوس) مشرف على قرية (سورق) بسوادي العرقة أسافل (ذي ناعب) وفيه أحد (مهاجل) - أزجال - البناء :

يا حيد يانوس المقابل مثلك تراجع بالمليحة

ما هل شورك شور عاطل حارثك بين أهل المدينة

معاني المفردات :

تراجع بالمليحة : ارتد عن الحسن.

ماهل : غير أن.

حارث : أفتن.

المدينة المقصود بها قرية (سورق).

(٧) أسماء الفتية :

تضاربت الروايات في اسمائهم وظهرت في كتب الرواة والمفسرين بصيغ مختلفة بعض الشيء ونجملها في أربع روايات :

(I) رواية علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) كما وردت عند ابن اسحاق هم :

١. تليخا.

٢. مكسلمينا.

٣. محسلمينا.

۴. مرطلیوس.

۵. کشطوش.

۶. سانوس.^{۳۶}

II) رواية ابن عباس كما أوردها ابن اسحاق :

۱. مکلمینا.

۲. تملیخا.

۳. مرطلیوس.

۴. بینوس.

۵. سانوس.

۶. أوتوس.

۷. کشطوش.^{۳۷}

III) رواية ابن اسحاق كما أوردها ابن كثير :

۱. مکسلمینا.

۲. یملیخا.

۳. مرطونس.

۴. کسطونس.

۵. بیرونس.

۶. دنیموس.

۷. یطونس.

۸. قالوش.^{۳۸}

IV) اسمائهم في اللوح كما وردت عند ابن اسحاق :

(۱) مکسلینا.

(۲) تملیخا.

(۳) مرطونس.

(۴) کشطونش.

(۵) داسیوس.

٦) تكربوس.

٧) بطيونس. ٣٩

ويمكننا إظهار التباين في صيغ الأسماء على هذا النحو :

✧ تمليخا : في ثلاث روايات (مليخا/٣).

✧ مكسلمينا : في ٣/١ (مكسلينا/٤).

(مكلمينا/٢).

✧ مرطليوس : في ١/٢ (مرطنوس في/٤)

(مرطونوس في/٣)

✧ كشطوش : في ١/١ كشطوس : في ٢/١

كسطونس : في ٣/١ كشطونش : في ٤/١

✧ ساليوس : في ١/١ سانوس : في ٢/١

✧ يينوس : في ٢/١ بيروس : في ٣/١

✧ يطبونس : في ٣/١ بطينوس : في ٤/١

✧ محسلمينا : في ١/١

✧ آتوس : في ٢/١

✧ دليموس : في ٣/١

✧ قالوس / وتكربوس / وداسيوس : في ٤/١.

الملاحظ من هذا التصريف الذي عاملنا به أسماء الفتية أن الأربعة منهم فقط قد ظهرت أسمائهم في الروايات الأربع بصيغ متشابهة مما يوشح إلى شيء من الصحة والصدق أو التناغم بين ما هو منقول وبين أسماء الفتية بواقع الحال مما يجعلها أقرب أو أجدر بطريقة المقابلات الاسمية في بيئة الواقعة فإذا أخذنا أول الأسماء أو أكبر الفتية نجد الآتي :

❖ مليخا : ملح (بلا تصويت) نجد أثره في : ملح : واد في كلد لقبيلة اليوسفي.

والثلاثة الأسماء الأخرى الأكثر تردداً في الروايات هي :

❖ مكسلمينا : مكسلم (بدون تصويت)، وأثره في :

❖ كلسام : كلسم (بدون تصويت) وبإدخال التميم في أول الاسم فهو مكلسم = مكسلم

(بالقلب).

- ❖ كلسام : وادٍ خصب في كلد هو حلال الحدوس - فرع من قبيلة (المناصرة) الكلدية.^{٤٠}
- ❖ مثره - عبوس : مثيروس [تحت قانون النحت] = مرتبوس [بالقلب] = مرتبوس .
- ❖ مرطوس : مرتبوس (بالإبدال) بجده في :
- ❖ مثره-عبوس : مثره : قرية للعبوس - فرع من قبيلة (بن لخم) السعدية في نطاق الكهف.^{٤١}
- ❖ كسطوس : كسطوس بجده في باب الإضافة أيضاً :
- ❖ كساد-طوس = كسطوس (بالإدغام)
- ❖ كساد : قرية في منطقة طسه أسافل ذي ناخب يُعرف أهلها بالكسادي.^{٤٢}
- ❖ فهم أكسود طسة = كسد طس (بلا صوائت وبلا تاء التانيث) = كسطس (بالإدغام) = كسطوس (بالتصويت).

أما بقية الأسماء الواردة في رواية أو روايتين فيمكن أن نأخذ منها بعض الصيغ للمقابلة :

- ❖ دينموس : ذيموس (بالنحت والإبدال) بجده في :
 - ❖ ذي يموس : وادٍ وجبل في مشالة على مقربة من وادي يهر.
 - ❖ قالوش : قلش (بدون تصويت) بجده في :
 - ❖ قرمش : قلمش (بالإبدال) = قالوش (بالتصويت).
 - ❖ قرمش : قرية في الجوار من الكهف لأهل بن سعيد الرأس من قبيلة (القبيلة) السعدية.^{٤٣}
- ذكرت في أهزوجة بناء (مهجل) :
- وأنت اسمعه يابن سعيد الرأس الجار والخربة و(ياقرمش).
- لاحظ :

الجار : جبل جار ، الخربة : قرية لهم. نكتفي بهذا القدر من المطابقات الاسمية..... فمقاصدنا ترتفع عن القول أن ما ذكرناه هي أسماء الفتية (أصحاب الكهف) بالضرورة وإنما هدفنا إبطال قول من يدعي رومانيتهم من خلال اسمائهم.... هذا ومن ناحية أخرى فهذا يجد ذاته يثبت عروبية هذه الأسماء بل وحميريتها. وفيما يلي نورد نموذجاً من أسماء المواضع والقبائل الياقعية الغربية في بنيتها :

❖ ذي أمشعوش : جبل في قاع الفلاح (السعدي) ذكره الشيخ راجح بن هيثم في قصيدة أرسلها لطاهر بن عثمان السلیماني :

سلم عدة ما الليالي عسعست مقدار (طاهر) زنة حيد (أمشعوش)

❖ دُخلص : من اليزيدي : وادٍ خصب إلى الجوار من وادي الخضراء تتدفق فيه السيول في

انحدارها إلى وادي (سُلب).

◇ دلعوس : فرع من قبيلة العمري اليهرية يُعرفون بالدلا عيس (أهل دلعوس).^{٤٤}

◇ تعواس : موضع وفخذ من أهل (محرم) من خميس العمري.^{٤٥}

◇ ال مشوشى : أحد خمس اليهري- مواطنهم كثيرة منها القسعة-أهم-لمس-الحاجب.^{٤٦}

◇ قادس : رهرة (قادس) لذي طرق في تي كبايه اليزيدية.

◇ سثان : قرية ووادٍ لمناصرة (كلد).^{٤٧}

◇ تي الشرافس : أحد قرى المفلحي من خمس النعماني.^{٤٨}

١

٢

٣

٤

٥

٦

٧

٨

٩

١٠

١١

١٢

١٣

١٤

١٥

١٦

١٧

١٨

١٩

الفصل التاسع

دراسة

**جذور الميثولوجيا الرافدية والسورية
في مرتفعات سرو حمير/ يافم (اليمن)**

تर्फدنا الذاكرة الجماعية لشعبنا بلقى وآثار لا نجهد أنفسنا بالإلتفات إليها... وإذا أشار إليها أحد مثقفينا فعلى استحياء يضعها في (باب الخرافة) التي لا تستحق العناية في البحث على جذورها أو تفكيك رموزها ودراسة أبعادها التي قد تهدينا إلى الكشف عن الغامض من تاريخنا وترميم ما تقدم من بنيانه ونسقه واتساقه. فإذا أحطنا بها وأوليناها عنايتنا باستيعابها واستنطاقها، قد نجد فيها جوهره نفيسة يليق بها أن تزين محياء حسناء الحضارات البهي (اليمين) ونكون بهذا العمل قد أسهمنا في خدمة الحضارة الإنسانية ككل حيث أنه ما من عطاءات جديدة إلا وأسهمت في إرساء قاعدة أيبستمولوجية- معرفية- للوشائج والجذور المشتركة بين شعوب وأمم المعمورة. وبإهمالنا لما يكون حالها لا يختلف عن الأحجار الكريمة الملقاة بمعانيها (الجاحظية) بين أكوام من الزجاج المتشتم والنفايات على قارعة الطريق.

وكما ذكرنا- غير لاثمين لأحد- أن اهتمام بعض رجال الثقافة في بلادنا العربية عموماً واليمن على وجه الخصوص بالمخلفات التراثية لا يتعدى (للأسف) لوازم (الأتيكيت) التي يحرص هؤلاء البعض أن يحيط بها اسمه في مجتمعه يدافع بحارات الآخرين ليس إلا، والنتيجة التي ترجى من هؤلاء تكون غير ذات نفع بل شائئة أشبه ما تكون بدون دوافع البحث العلمي الأصيلة ومناهجه الفاعلة- قلنا أشبه ما تكون- بمشيام (كوم) جمعته حاطبة بليل.

إن أهمية التراث بالمحافظة عليها ورعايته وتعهده بالدراسة لكبيرة بالنسبة لحاضرنا ولعرب اليوم وذلك عبر استدرار قدراته المحفزة وجرعته الإنعاشية لذاتنا المصابة بالجذب تحت وطأة الشعور بالإحباط بواقعنا المتخلف وتأخرنا عن بقية الأمم... هذه الروح الإنعاشية والتواكبية يأتي في طليعة بواعثها عزوفنا عن ورد مناهل تراثنا الثرة والتي لا يمكننا بدولها التعافي مما أصاب نفوسنا من اليأس والخواء الروحي المؤدي في نهاية المطاف إلى حالة من فقدان الذاكرة الجماعية (لخير أمة أخرجت للناس). هذه الحلولية المرعبة التي تعيث بنا اليوم وتفقدنا روح المبادرة الناجمة من قطيعتنا المعرفية بتراثنا تدفع بنا إلى هاوية (الذهان) والبله وتكريس واقعنا الذي لا يرضي صديقاً... أما العدو فكما تقول الحكمة : (جثة العدو تفوح بريح طيبة). هذه القرحة الروحية والتقرمد الفكري لا يشفيها إلا إعادة التواصل مع تراثنا والتطهر في حسية وبنابيعه العلية. فوظيفة التراث أكبر من أن تقدر في كلمات نفيز بها عنه، فهي حسب تعبير الأديب الإسباني المعاصر (خوان غويتسولر) :

(لا يخلق التراث المعرفة بالوقائع فحسب، وإنما الوقائع نفسها أيضاً).^١

لقد بين لنا هذا الأديب الذائع الصيت عالمياً، وهو ينافح ويفند الروح العدائية العتيقة في (الغروب نحو المورين) (العرب) وحضارتهم الإسلامية، بين لنا عبر تناوله للآثار الأسطورية ذي المزايا الفخاخية (الحربانية) بقدرتها المتوقدة القادرة على تشكيل الحاضر عبر بعث الماضي وإذكاء أحقادها الداوية... نعم فعين فهمه العميق للوعي الأسطوري الأوروبي استطاع هذا الكاتب الرفيع المقام من تسليط الأضواء على البواعث العدائية لدى الأوروبيين ضد الإسلام وأتباعه وبالذات العرب منهم على وجه التحديد.

فكما (تخلص) الأفاعي من جلدها تتجدد النصوص الأسطورية وتتقمص أشكالاً جديدة في الحياة... فأسطورة (الخطيئة الأولى) تأخذ لها دوراً جديداً، يدين الفتح العربي للأندلس في القصص والآثار الأخبارية الإسبانية التي ترجع (سقوط الأندلس) بأيدي المورين (العرب) كعقاب إلهي تستحقه على فجورها المحتزل في شخص صاحب الخطيئة الملك القوطي (لذريق) وذلك بغوايته وشبقيته الجنسية التي ذهبت إلى حد الزواج من ابنه (دون جوليان) وآلية على المغرب العربي رمز الخيانة في التوظيف الجديد لأسطورة أو واقعة (الخطيئة الأولى) التي أوردت بآدم ونسله من رياض الجنة إلى جعر الأرض ونكدها.^٢

هذا المسخ المسيحي لواقعة (الخطيئة الأولى) ما زال يوظف حتى اللحظة الراهنة في الحياة الإسبانية لمصالح الكتل الداخلية المتنافسة. فسوط النقمة الإلهية المتجسدة في الإحتياح الموري/العربي لإسبانيا وهو هنا عنصر الشر في (أسطورة سقوط إسبانيا) ما زال قادراً على النكاية والإيذاء حتى اللحظة في حياة الإسبانين.

فكل عمل في السلم أو الحرب يثير حنق كتلة ما في الحياة المعاصرة لشبه الجزيرة الإسبانية ويمكن أن تكون عرضةً للتشهير والإدانة على أنه: شر مورية مستطير.

وهذا يكفي لإصابته بلعنة الفرعون المورية تمهيداً لإسقاطه. هذا الوعي بالأسطورة يشكل نافذة نطل بها على ذاتنا، فالأساطير طاقات عجيبة وقدرات لا تحدد مصير أبطالها الأوائل فحسب بل وتشكل واقع أجيال تفصلها حقب زمنية شاسعة عن الوقائع الأصلية للأسطورة.

من هذه الرؤية الراحية نجد أن :

(كل خطوة نخطوها، يقول بيدال : يضعنا نحو الأسطورة أمام) (عماء جديد) . فكل صيغة مبتكرة مهما بدأ عليها من الأصالة تتمتع بسابقة لها، وبشكل جنيني تندس فيه قبل أن تفتح

كزهرة مضیعة، وليس من شك في أن كل تجديد فردي، مهما كانت جراته، إنما يمثل من جهة فعل قطیعة مع الماضي، ومن جهة ثانية استثناءً لفعل تقليدي وجماعي^٣.

ترى هل بوسعنا التواصل مع ماضينا من خلال الإحاطة بآثاره التي تنمو فينا وتدمغ تصرفاتنا ومواقفنا الحاضرة ونظرتنا نحو المستقبل. في هذا البحث سنتناول نمو الأسطورة وبقاياها الحية فينا... أو بكلمة أخرى ما تبقى من مفاهيم وتصورات قدماء اليمينيين عن الخلق والغواية والموت. ولعل أول المواضيع التي نفضل أن نعرض لها هنا، هي مزيج من الخلق والغواية أو قل من النمط الأخير فهي في نظري ليست إلا امتداداً لواقعة الخطيئة الأولى، ونعرضها هنا تحت العنوان التالي :

• التصور الشعبي للإنس والجن في (سرو حمير/يافع) :

يتلخص المفهوم الشعبي لدى أهالي (سرو حمير/يافع) عن الثقليين والوشائج القائمة بينهما من ما يتوارثه الناس من أقوال عن أخوة آدمية الأصل بين الإنس والجن. فالأب هو آدم عليه السلام، والأم هي أمنا (حواء) المعروفة في الآثار السومرية باسم :

(نن تي/ Nin Ti) أي سيدة الضلع. ففي الجنة (دلمون) جاء الإبن الإلهي (آنكي) ويعني اسمه (إله الأرض) وبالتحديد (اليابس المزرع)، ممثلاً لبداية البشرية على الأرض، لكنه أصيب بمرض في ضلعه، بعد أن أكل ثمار حرمتها عليه الآلهة (نهور ساج) فخلعت الآلهة إلهة أنثى تحمل اسم (لسن تي) وحيث أن (نن) قد عنيت بتمريض (آنكي) وتعني (تي) بالسومرية (الضلع) فهي (سيدة الضلع)^٤. هذا ما أورده على سبيل الإستطراد الذي سنعود إليه لاحقاً، والأهم هنا أن نتعرف على مسألة أخوة الإنس والجن في التصور الشعبي لأبناء سرو حمير ومناطق أخرى من اليمن أيضاً.... وقد كثف هذه العلاقة المثل السائد ونصه :

(تي أمنا حواء أظهره الشتات وأخفه الحسان).

وبصيغة أفصح يمكن إخراجه على هذا النحو :

(مثل أمنا حواء أظهرت الشتات وأخفت الحسان).

ترى من هم الشتات (الشمات) أي الخياب (من الخيبة) ؟

وهم من تباعدوا عن الحسن والجمال، هؤلاء هم من كانت حواء تظهرهم من أبنائها (صبيان وبنات) لأبينا المغلوب على أمره (آدم عليه السلام)، وهم من يُعرفون اليوم ببني آدم أي البشر (الإنس). أما الحسان (من البنين والبنات) فكانت أمنا (حواء) تخفيهم عن أبيهم آدم، فقد كانت ضانة بهم عليه فلم يكن لبراهم لهذا السبب ووفقاً لهذا التصور فهم المخفأون أي من نعرفهم اليوم

باسم (الجن)... فيبدو أن جمالهم وحسن صورهم قد جر عليهم فلم ولن يظهروا إلى أبد الدهر على أخوتهم (الإنس) بجمال صورهم ولطف أجسامهم ورشاقة جوارحهم.. وإذا كان لهم أن يتعرضون لأحد من الإنس فليس إلا بصور شائبة مبدلة عيوف... على صورة الكلاب السوداء والقطط والنعابين وكل مكروه مرعب أو موحش لا يأنس إليه الإنسان، فقد جعل الله حجاباً بيننا وبينهم يرونه ولا تراههم، فيهم الأشرار وفيهم الأخيار تماماً مثلنا... هذه قصة الأخوة الأعداء الإنس والجن.

فهكذا احتفظت الذاكرة الشعبية بلغز المخلوقات التي يحسد الإنسان لوجودها وتأثيرها عليه غير أنه لا يراها فهي مخلوقات لطيفة يصعب إدراكها. وفي المعاجم العربية يأتي الاسم ليفسر عدم تحلي الجن للرؤية الإنسانية، فقد أورد ابن منظور أقوالاً عديدة فيهم منها :

(... الجن : ولد الجنان. ابن سيده : الجن نوع من العالم سمو بذلك لاجتنابهم عن الأبصار ولأنهم استجنوا من الناس فلا يرون) [لسان العرب/١٣/مادة جنن]

ولا تشك أن عنصر الغواية في هذا المفهوم أمر لا يحتاج إلى برهان، فيبدو أن الأم حواء (وفقاً لهذا التصور) قد حنت إلى أيام زمان، حيث وسوس لها الشيطان في أهمية تناول ثمرة الشجرة المحرمة وكانت هذه المخالفة كافية لإخراجها من الجنة إلى أرض الشقاء.. التي ما أن مهد الخالق لهم فيها معاشهم ورزقهم من الطيبات والأبناء... حتى أتى الشيطان مرة أخرى ليحفزها على الغواية من خلال إيشار النفس بحسان الأبناء الذين أصبحوا يشكلون عالماً لأنفسهم هو عالم الجن.. غير أن جرثومة الإنس والجن هذه... تعود بنا القهقري إلى أبعد التصورات الميثولوجية عنا. أما في القرآن الكريم فهناك تلازماً عجيباً في مخاطبة الثقلين (الإنس والجن) في كثير من الآيات :

﴿فَإِنَّ قَاصِرَاتِ الطُّرَفِ لَمْ يَكُنَّ لَهُنَّ مِن قَبْلُ نَاقِرٌ يُظَاهِيَهُنَّ﴾ [الرحمن / الآية ٥٦]

﴿وَكَذَلِكَ لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوٌّ شَاطِئٌ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام / الآية ١١٢]

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ [الأنعام / الآية ١١٨]

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي...﴾ [الأنعام / الآية ١٣٠]

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ...﴾ [الأعراف /

الآية ٣٨]

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ...﴾ [الأعراف / الآية ١٧٩]

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ...﴾

[الإسراء / الآية ٨٨]

نكتفي بما أوردنا من الآيات القرآنية عن التلازم في ذكر الجن والإنس، والآيات أكثر من هذا بكثير. وإنما أردنا لفت نظر أهل الاختصاص، خاصة ونحن نتناول هنا أحد النصوص التراثية التي لا نشك في أقدميته؟! ... ليس هذا فحسب بل أننا نرى في هذا الأثر الحي أصلا مرجعيا لكل ما تحاكيه كتب التراث وما تناقله الاخباريون العرب عن علاقات حميمة بين الثقلين مثل الزواج. ونخص بالذكر ما رواه (وهب ابن منبه) في كتابه الشهير ب(التيحان) عن نكاح الملك اليماني (أبرهة ذي المنار بن الصعب ذي القرنين) من جنية :

(فسار أبرهة حتى نزل بالمشلل، وكان أجمل الناس وجها فرأته امرأة من الجن فعشقتة فهجمت عليه ليلا إلى فراشه. قالت له : أيها الملك إني عشقتك وليس لي منك بد وأنا حنيفة على دين إبراهيم وأنا لا أرضى بالزنا ولا أدين به فاختر من أربع خصال واحدة إن شئت قتلتك وإن شئت أعميتك وإن شئت أبرصتك وإلا فتزوجني. قال لها : العاقل إذا خير اختار. أنا أختار منك العافية يا عيوف، فذهبت مثلاً فأتته بنفر من الجن فيهم الرابع (أبوها) فزوجه إياها قال له الرابع : منزلي وادي الجن في المشلل من أرض (جو) - وهي أرض اليمامة اليوم - وأن الإنس يتزلون وادي الجن من (أرض الجوف) فتعري نساءهم إلى رجالنا ويتعري رجالهم إلى نساءنا. قال له أبرهة : أنا أبدر إليهم وأمنعهم من أن يتزلوا بوادي الجن، وهم لا يتزلونه ما عشت فمن نزله أحرقوه بالنار، فكان حرما عند العرب حتى أتى رهط من بني حلوان بن الحاف بن قضاة بن مالك بن حمير فزلوه، فبينما هم نائمون في جوف الليل إذ سمعوا دويًا وهيمنة وناداهم مناد : إنما هذا محرم الرابع وحي أبرهة وأنتهم نار عظيمة فأكلت أموالهم وأكلت أناسا وولوا هاربين. ويسمى ذلك الموضع (الحرقانة) فهو اسمه إلى اليوم. °

قال أبو محمد : وأن العيوف ابنه الرابع ولدت لإبرهة ولدين (العبد ذا الأشرار وعمرا ذا الأذعار)، وفي العيوف يقول (طرفة بن العبد) بعد ذلك الزمان ويقال أنه للرابع الجني حيث يقول :

لإبنة الجني بالجو طلل	حلة الرابع حيناً وارتحل
حرم الجن على الإنس فمن	شاء بعد الملك والرابع حل
حل منه ذو منار أهله	فتولى الجمع عنه واحتمل
كل ما حل عليه رائد	أوقدت نار عليه فاشتعل
كم به من ذات دل حسن	وقوام ووسام ومقل
وجواد وهمام حازم	عاقه عنهم زمانا ونزل ^٦

كذلك تنقل لنا كتب الإخباريين عن زواج الملك (الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو من سلالة آل الصوار الشهيرة) وهو الهدهاد أبو بلقيس الملكة (زواجه) من ابنة أحد ملوك الجن وهي رواحسة بنت سكن (ريحانة بنت السكن/ في تفسير الألوسي).^٧

ولا يشذ عن ذلك الملك الحميري الشهير (سيف بن ذي يزن) الذي أرضعته (عند الإخباريين) وتعهده بالرعاية جنية (غوله) وأخته من الرضاعة (عاقصة) التي كانت متأهية على الدوام لنجدته كلما تطلب الأمر إلى تدخلها في الوقائع (الخرافية) التي ينسبها لسيرته القصاصون.

هذا وتاريخ العرب والأدب العربي زاحر بهذه الأمثلة التي تصور علاقات من هذا الضرب بين بني الإنس والجن (في الشرق كقصة [تأبط شراً] وقصة [عمرو بن يربوع] ورزق منها بنين، وكثير مثلها من حكايا زواج الإنسان من الجنيات).^٨

نعم فقصة (عمرو بن يربوع بن تميم) تزخر بها كتب التراث العربي الذي تزوج من (سعلعة) أو (غول) ويروي :

(إن السعلعة إذا رأت برقاً أو سمعت صوت رعد حنت إلى وطنها أين كانت. قال : وتزوج عمرو بن تميم (معن) سعلعة ، فقال له أبوها : إنما إذا رأت لمع بارقة، أو سمعت صوت راعدة لم تنتفع بها. قال : فمكثت عنده حتى أصاب منها إبتا. فبينما هي ذات يوم إذ رأت برقاً فأجهشت، ثم قالت :

أضمم إليك إني آبق برق على أرض السعالي آلق
ثم لمعت، فذهبت، فكان آخر عهده بها. وروي لعمرو في ذلك شعر منه قوله :
فطالبتها بضعها فالتسوت بوجه تغول فاستغولاً
فمن قال أين ثوت جاري فإن لها باللبوى مثلاً^٩

ومن هذا النبع العتيق الموحد لنسل الجن والإنس يأتي كثير مما يتصوره الناس حول الجسدات الجنيات لكثير من البيوت اليافاعية وأكثرها شهرة اليوم قصة (عيال قارش) :

• قصة عيال قارش :

تقع (رهوة وادي ضول) أي (قريتهم) في فجعة (رهوة) بين جبليْن في الطرف الغربي لهضبة (ضهر يافع) في منطقة (مشألة) التي تعد من أشد مواضع (سرو حمير) وعورة وأروعها انحداراً، إذا تعف بها الضياح من نواحي كثيرة... وrehوة بن قارش هذه هي : إحدى قرى قبائل (المشألي) التابعة لمكتب (ناحية) المفلحي من يافع العليا خلال فرع منهم يعرفون بالسعدي.^{١٠}

ولكن ما هي قصة (عيال قادش) هؤلاء؟

قادش هذا هو الجد الأعلى لعيال قادش، أمه ساحرة (جنية)، حيث يتناقل الناس توارثا أن أباه قد تزوج أمه الجنية على عهد منه ألا يدخل عليها يوما فجأة. وعاشت معه هنالك عيشة بنات حواء الآدميات فأنجبت له ولده البكر (قادش) ثم أعقبته بولد ذكر آخر يقال أن اسمه (فدعق). فساورت أبيا قادش ذات يوم نفسه أن يباغت صاحبتة الساحرة التي كانت تعيش فترة رضاعة وليدها (فدعق) فاقتحم عليها خلوتها على غرة منها إذا كانت آنعد منشغلة برضاعة صغيرها الذي كانت تحتاه على ظهرها فتلقمه ثدييها الكبيرين في موضعه على ظهرها، فحين رآها زوجها بهذه الصورة الموحشة قفل خارجا دون أن تشعر بفعلته. ثم كر داخلا بيته وهو يزمل منبها لزوجته على عادته... غير أن صاحبتة لم يكن بوسعها هذه المرة مقابلته بمينة بشرية فعلمت أنه قد هتك سرها فكانت نهاية عقد النكاح بينهما فآثرت أن تأخذ معها (فدعق) وتركت له البكر (قادش)... ويروى أن نسل فدعق من الجن وحلاطم إحدى الضياع النيفة المجاورة لقرية (عيال قادش) رأس (وادي ضول) ما زالوا حتى اليوم على وداد بيبي عمومته (عيال قادش) فيفرحون بأفراحهم ويحزنون لأفراحهم إذ يزعم (بنو قادش) أنهم يحسرون بالنائحة تعوي من جهة الضاحة إذا حلت وفاة واحد منهم.

هذا هو التصور الشعبي عن آدمية الإنس والجن وواقعة استتار الجن واحتجاجهم عن الأنظار تعود بنا إلى زمن الانبعاث الثاني للقواية أو الامتداد الأرضي لها وذلك حين آثرت أمنا الحكيمة والخليفة (حواء) نفسها بحسان الولدان فأخذت تخفيهم عن عيون أبيهم (آدم) تحت دباب - واحدها دبة - نبات اليقطين وأواني المدر المثلومة وهكذا أقامت (حواء) بفعلها هذا حجابا ساترا بين بنيتها لطاف الطبيعة حسان الصور أي الجن من جهة وبنيتها ثقال الظل المخلوقات المرئية المعروفة بالإنس من جهة أخرى... وما زالت أفياء هذه الواقعة تغذي مساحة ندية من مفاهيمنا التقليدية إذ كان نبوغ البعض في الشعر أو قص الأثر أو القدرة على كشف المياه الجوفية في بساتن الأرض يعزى لدى أهالي (سروحمير/يافع) إلى لحظة ولادة الموهوب التي لم يعطس خلالها بعد فهو في تلك اللحظة يكون قد خرج من بطن أمه غير أن عزوفه عن العطسة الأولى وما يترتب إثرها من صراخ يدفع أمه للنظر فيه فإذا ألفته في كيس من الصفاة فإنها تعمد إلى قطع الحبل السري وتنهض لتخفيه كأمها (حواء) تحت (دبة) من ثمار القرع أو شقفة من مدر قبل أن تقع عليه عين من الإنس فإذا نجحت بنت (حواء) في ستر وليدها المصنف لحظة ولادته على النحو الذي وصفناه كان مرجوا فيه واحدة من المواهب اللطيفة التي يفتقد إليه معظم بني جلدته أي أنه يكون ذا موهبة فطرية لا يمكن اكتسابها بالجهد والمكابدة وإنعام الفكر.

ومن هذا النبع الأسطوري يتشكل عالم الإنس والجن في عقلنا أو ثقافتنا الشعبية. فالجن يشلوكونا حياتنا ويزاحموننا على مصادر العيش في دنيانا فإذا ظهرت على كف (الطفل) في الصباح (لطخة حناء) فإن أمه تفسر هذه الواقعة بقولها :

(تا هي الجارية حنتك بالليل !).

أي (فهي الجارية التي حنتك بالليل).

والجارية وفقا لهذا المفهوم (جنية) من خيار الجن تعتمد ليلا إلى بيوتنا وتأخذ حاجتها من (دقيق/طحين) أو قيس من نار أو بعض مساحيق زينة النساء وهي تقبل الصغار في نومهم وتعتمد أكفهم بالحناء كعلامة على حبها لهم. والجن عموما لا يقربون الأطعمة المملوحة - فهم لا يأكلون إلا الطعام (المسح) أي الغير مملوح. وفي لسان العرب :

• ابن سيده : السمج والسميج : الذي لا ملاحه له (هذلية)؛ قال أبو ذؤيب :

فإن تصرمي حيلي، وإن تبدلي خليلا ومنهم صالح وسميج^{١١}

إن هذا التصور الذي يؤمن بأصل واحد للثقلين، أي بآدمية الجن والإنس، ويرجع بنا القهقري إلى اللحظات الأولى لولادة الإنسان على الأرض من أبونا (آدم وحواء) التي أي حواء ما انفكت تعيش في أجواء (الخطيئة الأولى)، حيث يغريها الشيطان بأكل الثمرة المحرمة، وتكون النتيجة خروجهما من الجنة، وهو ما تصوره الكشوف الآثارية:

(ففي الختم السومري الذي عثر عليه مؤخرا، يظهر فيه ذكر وأنثى يجلسان متقابلين بينهما نخلة، وخلف الأنثى تدلت حية، رأسها بجوار رأس الأنثى، بينما تمد هذه الأنثى يدها في شكل دعوة للذكر الجالس قبالتها، ليتناول من ثمار النخلة...)^{١٢}

نص الغواية الأول المتجسد في الخطيئة الأولى، يندس بشكل جنيني في آثار أسطورية كثيرة يتوارثها الناس شفاها دون أن يحدسوا إلى أبعادها ورموزها الميثولوجية الموغلة في القدم... وسنرى في النصوص الآثارية الآتية تأثير عنصر الغواية فيها واتخاذها وفقا للظروف الزمانية والمكانية أوجهها متعددة لكن في سيماتها نلمح إشارات تدل على نفس المنبع.

• الحية (الأفعى) بين المفهوم الشعبي وميثولوجيا الشعوب السامية:

لدينا في (سرو حمير) العديد من الأقوال الشعبية التي تبين مواقف الإنسان الثابتة من الحية ونسلها وتعود في جذورها إلى البدايات الأولى للفكر الأسطوري لدى الشعوب المنطقة. ومن هذه الأقوال التي

تجعل من (الحية) عدواً وخصم الإنسان الأبدي ما نصها :

(رغمهم في الحنش وابن آدم).

(كل صغير رحيم لا خطأ بن الحنش).

والقول الأول يمكن قراءته على هذا النحر :

(أنظر إثم مثل الحنش وابن آدم).

يصور هذا القول أي نوع من العداوة والتنافر بين (بني البشر) يمكن استفحالها إلى الحد الذي يتعذر معه أي مصالحة.... فالعداوة بين الحنش (الأفعى) وبني آدم لا تحتاج إلى دليل فهي من الرسوخ والأقدمية والديمومة ما يرجع إلى عهد أبونا (آدم وحواء).... وإذا كان بإمكان الإنسان استئناس أي مخلوق مهما كانت درجة وحشيته في عالم الحيوان، فإنه ما زال يستنكف عن هذا الفعل مع عدوه اللدود والتلبد (الحية) فلم يخرج من نطاق الرحمة التي شملت كل حدث من نسل كل ذي روح إلا سليل الحيات حسبما صرح بذلك النص الثاني :

(كل صغير رحيم لا خطأ بن الحنش).

فكل صغير يستدر منا الرحمة ونمنحه إياها إلا ابن الأفعى الذي لم يخرج القول الشعبي هذا من دائرة الرحمة والشفقة بأحد أدوات الاستثناء الشائعة في (سرو حمير) نحو (إلا وغير ودون... إلخ). وإنما بأداة النفي القاطعة (لا) التي أجهزت أولاً على العبارة :

(كل صغير رحيم).

وذلك يدمغها بالخطأ (بجانبه الصواب) الذي لم يستدرك (بالاستثناء) وإنما بالنفي الذي لا مجال فيه للريبة... وكأن هذا القول قد أتى على شكل محادثة نصها:

— كل صغير رحيم (مرحوم).

— لا (هذا) خطأ !.

— ما وجه الخطأ ؟!

— بن الحنش !

وإذا كان لحاوي الثعابين أن يألف مصاحبة هذا المخلوق اكتساباً للرزق فإن النهاية المحتومة بنجدها

في القول الشعبي الشائع في (سرو حمير) الذي ينص على :

(خاتمة الحنش للحنش).

الحنش : جامع الحناشة (الحاوي).

نعم فمن يسكن إلى مقدرته على تدجين الأفاعي ومدارقتها فليحذر من حتفه المترص به بين أنيائها.

غير أن أشد أصناف الحناشة ضراوة حسب المفهوم الشعبي هي (الحية) بالذات وفيها يقولون :
(لا تأمن الحية ولا هي هامة ياويل من لم عليه أنيائها).

أي ما نصه بالفصحى :

(لا تأمن الحية ولو هي هامة ياويل من لم عليه أنيائها).

ترى ما السر في هذا التخصيص ؟

الإجابة نسوقها من (سرو حمير) بالقول الشائع :

(جرح الخنش للذر جرح الحية واحذر)

هذا النص من الفصاحة ما لا يحتاج إلى تقويم، وقبل أن نعرض إلى مراميه وأبعاده، نشير إلى أن معنى (الذر) في النص هو نفسه الوارد في معاجم اللغة :
الذر : النمل الأحمر الصغير واحدها ذرة.

[ابن منظور/ لسان العرب/ ٤/ مادة: ذرة]

المفهوم من هذا النص (اليافعي) أنك أن جرحت أي نوع من الحناشة ولم تصبه في مقتل فلا بأس عليك فإنّ الذر لا ثلبث يجتمع على جرحه وتنهش فيه حتى تملكه فهي مسلطة على الخنشان المجروحة لا تدعها حتى تموت . وأما (الحية) فإن النص يحذر من جرحها.. فالظاهر أن الذر لا يجتمع على جرحها، وهي لا بد آتية إليك لتنتقم لنفسها فإذا ظفرت بها قتلتها ولا تتركها ملقاة حيث أجهزت عليها فلأنها حسب المفهوم عنها لدى أبناء (سرو حمير) لا بد ستعود لها الحياة وستأخذ بثأرها منك وهذا ما يرمي إليه القول السابق :

(لا تأمن الحية ولو هي هامة ياويل من لم عليه أنيائها)

فموت الحية لا يتم إلا إذا قتلتها ثم تقيدت بالوصفة الشعبية التالية :

- أن تحرقها حتى تصير رماداً تذرره الرياح أو
- تثبتها في الأرض بثلاث رزات (أذلاق) من الخشب تحترق رأسها ووسطها وذنبها.. وإلاّ فلتحذر انتقام (الحية الماكرة) فقد أحسن في وصفها النابغة الذبياني :

صل صفا لا تنطوي من القصر طويلا الأطراق من غير خفر

داهية قد صغرت من الكبير كأنما قد ذهبت بها الفكر

مهرودة الشدقين حولاء النظر تفتر عن عوج حداد كالإبر^{١٣}
نعم فهذه الداهية التي ينبغي الاحتراس حتى في قتلها! يصفها العهد الجديد بالحكمة أيضاً:
(كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمائم).
(إنجيل متى/١٠/١٦).

فأني لهذه الهاتمة كل هذا؟

تطرقنا آنفاً إلى دور الحية في الخطيئة الأولى كما يظهر ذلك جلياً من موقعها في (الختن السومري)
خلف الأنتى توسوس في أذلها :

(ولنتذكر الارتباط اللغوي بين الحيّة والحياة، وبين الحيّة وحياة الأنثى أو فرجها كمفرز
للمواليد والحياة، وبين التسمية حواء (التي تحيي)، أما مالا يغيب على فطن فهو الحيّة المصرية
المقدسة على تيجان الفراعنة تمتعهم الحياة وطول العمر).^{١٤}

وتشير الميثولوجيا التوراتية إلى دور الحيّة في وقعة (الخطيئة الأولى) حيث أغرت حواء أن تأكل
هي وأبو البشر آدم (عليه السلام) من الشجرة المحرمة التي تصفها التوراة بأنها (شجرة معرفة الخير
والشر).. حيث تمخض عن خروج أبونا من الجنة إلى أرض المتاعب والشقاء. وكان للحيّة نصيب من
العقوبة الإلهية نصت عليها التوراة:

(لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين
وترباً تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها، هو يسحق
رأسك وأنت تسحقين عقبه).
[سفر التكوين/٣/١٤-١٥]

وفي ملحمة (جلجامش) البابلية تنمو الأسطورة وفي رحمتها لم تبرح بذرة الخطيئة الأولى تتفتق عن
ثمار تخرج من نفس الأكمام وأغصان تشرب من نفس المعين... فمما يتناهى إلى سمع سليل الآلهة
الملك جلجامش تواجد بطل الفلاة المتوحش (انكيكو) يرعى قطعان الغزلان قريباً من مجرى النهر. فيتوق
هذا الملك الجبار لنده العتيد (انكيكو) الذي لا تجدي القوة معه نفعاً، غير أنه يقع في فخ الغواية السذي
نصبه له الملك (جلجامش) :

حيث أرسل له (أحد البغايا المهنكات بفنون العشق والغرام، فكمنت له عند نبع الماء، وعندما
أتى انكيكو مع قطع الغزلان لشرب الماء برزت له المرأة كاشفة مفاتها. ترك انكيكو قطيعه ولبث
مع المرأة أياماً وليالي يطارحها الغرام، مما كان له كبير الأثر في تحويله عن حياته الوحشية السابقة،
فيصف النص البابلي انكيكو بعد الفعل الجنسي مع المرأة بأنه قد صار واسع الفهم والمعرفة:
تعثر انكيكو في جريه، لم يعد كما كان ولكنه صار ذكياً واسع الفهم والمعرفة...^{١٥}

وكما في النصوص السومرية والتوراتية تطالعنا ملحمة جلجامش بخلفية العداوة الأزلية بين أنبساء حواء ونسل (الحية) فقد تمكن جلجامش بعد وفاة رفيق حياته (انكيذور) من الحصول على نبتة الحياة من (أوتنا بشتيم) المختار من قبل الآلهة لإنقاذ بني البشر من جائحة الطوفان البابلي، حيث كانت الآلهة قد منّت عليه بالخلود (الألفي) لقاء انقاذه لبذرة كل حي. وإذا كان جلجامش قد خف عائداً بنبتة الخلود التي تسلمها للثر من (أوتنا بشتيم) فقد كانت (الحية) له بالمرصاد:

(رأى جلجامش بركة ماء بارد نزل فيها واستحم بمائها فتشمت الحية رائحة النبتة تسلمت صاعدة من الماء وخطفتها وفيما هي عائدة، تجدد جلدها وهنا جلس جلجامش وبكى).^{١٦}

ويبدو أن الحية استمرت هنا وهي تسحو على أديم الأرض وتأكل من تراها تمارس فعل الغواية الذي كان سبباً لخروجها نفسها من الجنة... ففي الآثار الحية في (سرو حمير/ يافع) التي نعرض لها هنا نجد بعض التفصيلات التي غابت عن الميثولوجيا القديمة السورية والرافدية في حين أن لها بعض الحضور في الميثولوجيا التوراتية، ونعني بذلك ما يتناقله أهالي (سرو حمير) عن ضحية وقعت في شرك غواية الحية... هذه المرة لم تكن الضحية من صنف البشر وإنما من أقرب المخلوقات شبيهاً بالحية ألا وهو (الخلزون) الذي يعتمد في غذائه على تراب الأرض. فماذا تنقل لنا الذاكرة الجماعية لأهالي سرو حمير عن هذه الواقعة؟

الإجابة نعرض لها تحت العنوان التالي:

• قصة الحنش والخلبوب:

أما الحنش فهو سليل الحية كما علمنا وأما الخلوب فهو في لهجة (سرو حمير) ما يعرف في غيرها (بالخلزون) تلك الهائمة الصغيرة التي تنتمي إلى (فصيلة الرخويات البرية يعيش في صدفة ويتغذى بالنباتات. منه أنواع عديدة يؤكل بعضها). (المنجد في اللغة/ مادة : خلزون).

ويوجد في نافع منها النوع الأسود الذي يتجاوز طوله (ثلثي قدم) ويظهر أن تسميته (بالخلبوب) عند أهالي السرو قد أتت من سواد لون.. وفي لسان العرب:

(ابن الأعرابي: احلب السود من كل حيوان.

الأزهري: الخلوب اللون الأسود، قال روبة:

واللون في حوته خلوب... [ابن منظور/ لسان العرب/ ١/ مادة حلب].

بعد هذا الاستطراد اللغوي فما هي قصة (وقعة) الحنش مع الخلوب (الخلزون) :

الوقعة هذه نجدها في (يافع) يقولين ذائعين لدى القبائل اليافعية ونصهما :

(ندمك ندم الحلوب على عيونه)
أي (لدمت ندم الحلوب على عينيهِ).
(صلحت بي قصة الحلوب هو والخنش نقدف عيونه ومن بعده يعم الجرش)
من معاني المفردات:
صلحت: بمعنى فعلت.

نقدف: فقي، وفي (لسان العرب) :
وتنقفت الخنظل أي شققته عن الهبيد؛
ومنه قول امرئ القيس :
كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وانتقفت الشيء: استخرجته. ولقف البيضة : نقبها).
[ابن منظور/لسان العرب/٩/مادة نقف].

يعم الجرش: يتوه على وجه الأرض .
جرشها : قشرتها.

أما القصة المأثورة عن الحلوب لدى اليافيين.. أنه ذات يوم في بداية الخليقة عندما كانت الأحجار والأشجار والحيوان تنطق.. كان الحلوب (الخلزون) يتتره على أديم الأرض وبين أعشائها يستمتع بمناظرها الخلابة إذ كانت له حينها عينان منهما يفيض النور ولم تكن له أطراف ولكنه كان يتزلق على الأرض بمرونة وسرعة يساعده على ذلك طبيعة جسمه الخلزونية النظام... في ذلك اليوم رأى الحلوب هائمة ترحف على وجه الأرض بخطى وثيدة إذ كانت لهذه الحائرة أطراف كثيرة غير أنها كانت حاسرة واهنة ولا تكاد تبين لصغرها... لم تكن هذه الحائرة سوى الحية ! (الخنش في النص) تائهة دمية عمياء. أما الخلزون فكان يزهو بجسمه المتناسق وعينيهِ الأسرتين. في ذلك اليوم المشؤم أذعن الحية أنها بأطرافها الذهبية الراهنة أجمل مخلوقات الكون وأن لا مسحة من جمال لدى مخاطبها أي الحلوب الذي أراد أن يثبت عكس تصورهما. وحيث لم يجدا يومها من يحكم بينهما فقد اقترحت الحية (الحكيمة) أن لا سبيل لفض هذا التراع والتثبت من مفاضلات كل منهما إلا برؤية الحية لنفسها ولخصيمها فقالت للحلوب:

— أعطني عينيك لأنظر من الأحسن فينا.
— وماذا تعطيني من ضمانة كي ترد عليّ عيني بعد الحكم.

— أعطيك أطرافى الذهبية.

أثر هذه المقابلة وجد (الحلوب) نفسه يسعى بلا اتجاه بحثاً عن عينيه المفقودتين وما زال على هذا النحو فلا هو بمدرك ظالته ولا يقاظر أن يختاط لنفسه أن تهرسه الأقدام، يأكل من أديم الأرض فيما لها من ندامة تلك التي سكنت جوف (الحلوب) منذ ذلك اليوم المشؤوم. ولا نشك مطلقاً أن لأحد من الأسف والندامة قدر ما للحلوب فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وهناك تناغم ما بين هذا النص التراثي المدهش وبين النص التوراتي المثلث ويشير إلى استتفحال العداوة وأزليتها بين أبناء حواء ونسل الحية ألم ينص على:

(... هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه) [سفر التكوين/النص السابق]

أفليس العقب في هذا النص هو :

(عقب القدم أي مؤخر القدم) [لسان العرب/١/مادة عقب]

ألا يشير النص التوراتي بكل وضوح إلى عماء الحية بحيث يتسنى لبني آدم سحقها بعقب قدمه أن ظفر بها، وأن تنهش هي قدمه أن زلت أو ضعفت عن سحق رأسها الخشاش.

هذا الطرح يفيدنا في مسألة تحديد واقعة استلاب عيني الحلوب في حقبة ما بُعيد حلول أبويند آدم وحواء على الأرض عقاباً لهما بسبب الخطيئة الأولى.

هذه الحية الداهية التي سلبت حلجامش نبتة الحياة وآثرت نفسها بالخلود كما روت ذلك ملحمة حلجامش الراقية وتركته ينتحب نادياً حظه العاثر، كيف لا ونبتة الخلود كانت حقاً قيد يده ومتناول فمه وهو بعد ذلك أحق بها من هذه الداهية المحيطة بفنون المخاتلة وانعام العقل... ألم يركب حلجامش من أحلها الصعاب والأهوال فوا ندماء جأر بها حلجامش الملك الجبار سليل الآلهة كما أنت بها جوارح المخلوق اللطيف المسالم حلوب سرو حمير (يافع) نعم فواحسرتاه على جارحة الأبصار والنور المخطوفة وبفس الخاطف المترصد في درب كل من ينشد الخلود والنور... غير أن الخاطف هذا ينشد لنفسه الخلود والنور والحكمة هذه الصفات الربانية التي ما أن يطلبها حتى يجدها متحفرة للتألق فيه وكأنها بعضه الذي غوى ثم تاب ليعود إليه. هذه الرؤية تدعونا للبحث عن الوجه الآخر للحية فيمل تحزنه الذاكرة الجماعية لأهالي (سرو حمير).

• بركة الأفعى في الآثار التراثية:

فيما يتداوله الناس في سرو حمير حكاية مفادها أن فتاة كانت تنحرق شوقاً للحظة التي يفارق فيها والدها الشيخ الطاعن في السن دنيا الأحياء لكي تنعم وصاحبها بما ترثه من والدها من ضيعات

ومبائل زراعية (مساني وأعتار) أي المروية بمياه الآبار والمروية بمياه الأمطار الموسمية، وما في الزرائب من أغنام وأبقار في المداير (الخطائر تبني بالأحجار لتعكم بها الأبقار) ... وعندما طالت المدة بوالدها الذي أخذ يتشكى من ضعف بصره وقلة حيلته أي من أمراض الشيخوخة أخذت البنت العاقبة تدير الفكر مع عشيقها للتخلص من والدها.. وفي ذات يوم قدم الصاحب وهو يجبر خلفه أفعى شنيعة الهيئة قد لفظت الأنفاس للتو بعد معركة نشبت بينهما وبين أحد السابلة الفاتكين حيث مكته الله منها بالتصدي لها بالمشمش (السيف ذي الحد الواحد) التي كانت شائعة الانتشار بين أهالي (سرو حمير/يلفع). فهبت الفتاة العاصية وقطعتها ثم أودعتها قصيصاً (قادر ترابية كبيرة) وأذكت نيران (القرظ) لتسلفها بعد أن أضافت قليلاً من الماء، وعندما نضجت اللحمية أنزلتها وهي تفوح بمرقعة شهية فقد تعهدتها بالبهارات والبصل والثوم التي تلقي بها في (القصيص) حسب نظام التوقيت الذي اكتسبته من جدتها وأمها. أتى أبوها الشيخ على اللحمية والمرقة بشهية ظاناً كما أخبرته ابنته أنها لحمية (الطلي)، ذبحته من أجل والدها مشفوعاً بالدعاء له بالهناء والصحة والعافية. وبدلاً من أن تفتك به حمة (سمم الأفعى) تفتقت في ذلك الجسد الداوي براعم الحياة وشبت في جوارحه دماء الشباب من جديد.

هذه القصة العجيبة لا يجهلها كل من عاش أو يعيش على تراب اليمن كلها. وفي كتب التراث العربي نقرأ ما يشير إلى مثلها، فهذا (السليك بن السليكة) ينعي في أبيات شعرية رفيقه الشاعر الصعلوك الفحل الشهير ب/تأبط شرأ، واصفاً الراحل بمزايا وقدرات جسدية مذهلة :

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي	بأخرى المنايا من خلال المسالك
إذا خاط عينه كرى النوم لم يزل	له كاليء من قلب شيخان فاتك
ويجعل عينيه ربيعة قلبه	إلى سله من حد أخضر باتك
يهب هبوب الريح عند انخراقها	ويسري على نهج النجوم الشوايك
تكلم متون الصافنات إذا جرت	تباريه أو تدمي نسور السنايك

نعم فجابير بن ثابت هذا عندما هوى مضرجاً بدمائه عافت أن تأكل من جثته جوارح الطير وكواسر الوحش، فقد وجد أهله (أن ما أكل من لحمه من سباع الوحش وسباع الطير وهوام الأرض موتى حوله)

قال أبو محمد : (قال الأصمعي : وزعمت العرب أن لحمه سم، قال : وكان غذاؤه (العلهن) وشحوم الحيات وهبيد الحنظل ويخذ قومة الحيات).^{١٧}

وتنتشر في (سرو حمير) بين الذكور تسمية حنش وتعريف بيوت عريقة بهذا الاسم نحو (بن حنش)

في مدينة (عثارة) ناحية المفلحي من هضبة ظهر يافع (وبن حنش) في وادي يهر الشهير في يسافع بني قاسد فتعرف قبيلة كاملة بهذا الاسم :

أهل حنش (حنشي) ويتفرعون إلى :

١. عطافي في شعب موري

٢. دياي في وادي خردام

٣. بخيتي في ضبه^{١٨}

هذه الأمور إلى جانب عدم تعرض أهالي سرو حمير لحنش البيت والنهي عن قتله كعادة توارثتها الأجيال عبر العصور بل والشعور بحضوره في مخازن البيت كعلامة لحلول البركة والخير فهو حسب المفهوم الشعبي ما (يلقس إلا مؤمر).

أي (ما يلدغ إلا بقضاء الله وقدره). كما يتناقل الناس حكايات عن (تبارك العسل) أي (تكاثره) فإذا وضع (العسل) في إناء وتبين أن العسل قد أخذ ينضج عنه.. فإن الأمر يرجع في المقلم الأول إلى حلول بركة (الحنش) حيث تكون (النوب) النحل قد جنت (لحلت) فيه من دماء أفعى عظيمة قتلها السيل أو نحو ذلك.. ويعتقد الكثير من أهل اليمن أن السر إذا احتفظ به طي الكتمان فإن الإناء سيبقى يفيض عسلًا إلى ما شاء الله. هذه الأمور إلى جانب ما تعج به كتب الإخباريين العرب عن (الأفعى الحريس) الذي يتولى حراسة دفائن الأرض وكنوز الأقدمين تشير إلى آثار من عبادة الأفعى كانت واسعة الانتشار عبر بلاد الساميين قاطبة. وكان اليافعيون حتى وقت قريب يلفون خصر (حقو) الطفل الذي يتبول أثناء النوم بحنش قتل للتو ويعتقد بشفائه من الحالة. وأعظم الحناشة وأكرمها في نظر أبناء (سرو حمير/ يافع) هو:

• الحنش ذو الجوهرة:

هو ثعبان ذو قرنين أقرع الرأس كبير الحجم لا يشك أحد من (سرو يافع) بتواجده وأنه يخفي تحت لسانه جوهرة مضيئة تحيط رأسه بهالة من النور يزعم الكثيرون بأنهم رأوها وهو يتجول بها في بهيم الليالي (ومنهم كاتب هذه السطور). ويقال أن هذه الجوهرة النفيسة صغيرة بحجم (صافية البنية) (أي نواة ثمرة البن إذ تحمل ثمرة البن بداخلها نواتين)، هذا يعني أن (جوهرة الحنش) المضيئة ليست إلا بحجم ظفر الطفل الرضيع - لمن لا يعلم بثمره (البن) - والشائع في (سرو حمير) أن هذه الأفعى يتركها في أحوال نادرة كأن يضعها بحافة البئر (البئر) أثناء هبوطها إليها فإذا ظفرت به على هذه الحال فما عليك إلا أن تفعل فعل الأقدمين وذلك بأن تغشاها (بضفة) من روث البقر (الضفعة) هي الدفعة

بالإبدال) فهو يعمت أن يلتهمها. ويقال من حصل على جوهرة الخنش في سالف الدهر كانوا يحدون الشعبان قد نفق بجانبها كمداً. غير أن قيمة هذه الجوهرة النفيسة المشعة بمالة من نور لا تحدد حسب المفهوم الشعبي في (سوق الجواهرجية) وإنما ببركتها ! فهي إن وضعت تحت اللسان تفتق لدى حاملها قوى خارقة نحو رؤية المياه في جوف الأرض (هندسة مياه)... إلخ. وللخنش ذي الجوهرة صدى في الشعر الشعبي اليافعي وفيما يلي شواهد منه :

• قال الشيخ راجح هيثم بن سبعة اليهري مفاخرأ:

دعسنا على الشعبان مولى أم جواهر وذا الحين با ندعس على رأس يعزفان
ونقرأه بلغة فصيحة هكذا:

دهسنا على الشعبان مولى أم جواهر وذا الحين بالدهس على رأس يعزفان
أم: سابقة التعريف الحميرية.

يعزفان: خنش رفيع وطويل فضي اللون خاطف الحركة بينما الشعبان الأسود اللون بطيء الحركة من غلاظته.

وفي موضع آخر يقول:

وطرح من ذهب صافي وجواهر تقع بطن الخنش وألا براسه
طرح (بتشديد الراء) : نظم
عجز البيت يعني :

فلتقع (هذه الجواهر/أبيات الشعر) ببطن الخنش أو فلتكن برأسه.

هذا وقد ذكر صاحب لسان العرب ما يشير إلى تعظيم نوع من الحيات عند العرب:
(الجان : ضرب من الحيات أكحل العينين يضرب إلى الصفرة لا يؤدي، وهو كثير في يسوت الناس).

وفي الحديث : أنه لم يمت عن قتل الجنان، قال : هي الحيات التي تكون في البيوت، واحدها جلن، وهو الدقيق الخفيف. التهذيب في قوله تعالى: ﴿تَمْتَرُ كَأَنَّهُمَا جَانٌ...﴾، قال :
(الجان حية بيضاء... قال الزجاج : المعنى أن العصا صارت تتحرك كما يتحرك الجان حركة خفيفة، قال : وكانت في صورة ثعبان، وهو العظيم من الحيات).

[ابن منظور/لسان العرب/١٣/مادة جنن]

وإذا كانت مسألة الاستئناس (بخنش البيت) عادة ما انفكت تراعى في مناطق واسعة من بلادنا

العربية، فقد ثبت تقديس وعبادة الأفعى في العهود العتيقة، ففي رواية (سفر الملوك) عن الملك حزقيا الذي :

(أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشان)^{١٩} [سفر الملوك الثاني/١٨/٤]
ولا نشك أن (نحشان) هذا ليس إلا ما يعرف لدى العرب بالحنش (وبالذات في صيغة الجمع حنشان) ف/نحشان = حنشان (بالقلب) كما لاحظ الأستاذ فرج الله صالح ديب. والأفعى لدى قدماء المصريين المتخذة من بيوت الناس مسكناً لها هي الإله (أجانو ديمون) الذي يحرص على طرد الفئران من المنزل منعاً لانتشار الطاعون. وكانوا يحرصون على رعاية الثعبان إلى حد عبادته، تماماً كما تظهر آثار أوغاريت في رأس شمرا- شمال اللاذقية- آلهة الحصب وقد أمسكت بكل يد ثعباناً.^{٢٠}

هذا وقد حظيت بلاد العرب في العالم القديم باهتمامات اليونان ومن بعدهم الرومان (فهذا هيرودوتس في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد يصف بلاد العرب والمراد بها هنا بالدرجة الأولى أرض اليمن بكثير من الخيال:

(أن بلاد العرب هي الموطن الوحيد للبخور والمر وخيار سنبر والقرفة) (الدارصين) والبلادن. والحصول على هذه الأشياء دون مصاعب وأخطار جسيمة، فالثعابين الطائرة تهاجم من يقترب من أشجار البخور وهذه الثعابين، وهي من نفس الصنف الذي طار من بلاد العرب وهاجم مصر صغيرة الحجم متعددة الألوان. ويقوم بحراسة أشجار البخور عدد كبير منها. والطريقة الوحيدة لإبعادها هي حرق صمغ (المبعة) الذي يجلبه الفينيقيون إلى اليونان فتهرب من دخانه وعندما يذهب العرب لجمع خيار سنبر يغطون أجسامهم ووجوههم عدا العيون بجلود الثيران وغيرها ونبات خيلر شنبر ينمو في بحيرة قريبة الغور تحوم فوقها والأرض المحيطة بها حيوانات تشبه الخفافيش تصرخ صراخاً حاداً مخيفاً. وينبغي إبعادها عن مهاجمة عيون الرجال أثناء قيامهم بقطع خيار شنبر. وطريقة جمع عيدان القرفة أكثر غرابة من غيرها، فالعرب أنفسهم لا يعرفون من أين تأتي القرفة ولا المكان الذي تنمو فيه).^{٢١}

ويرى في هذه الأخبار صاحب كتاب (جغرافية التوراة: مصر وإسرائيل في جزيرة العرب) وبالذات ما يتعلق بالحناشة الطائرة:

(إن التجار العرب، ويهدف استباق أي مزاحمة ممكنة أو لدفع أي عملية عسكرية محتملة من

القوى الخارجية، وهم الذين نشرُوا ما سجله هيرودوت.. عن طائر الفينيقيا والأفاعي المنجحة التي تحمي شجرة البخور في بلادهم).^{٢٢}

فيأتري هل ما نقل هيرودوت عن بلاد اللبان وبالذات حكاية الأفاعي الطائرة ليس إلا محض إشاعة أراد بها التجار العرب إطالة أمد احتكارهم لتجارة اللبان والمر وغيره من أنواع الطيوب النادرة والأعشاب الطبية التي كانت محط أنظار العالم القديم وغاية ينشدها أتباع الثقافة الأيجية كي ينسزعوا بإحراقها في معابد آلهتهم بركة ورضوان معبوديهم، كما تاقَت إلى ذلك نفس الإسكندر المقدوني في صباه، إذ أراد تقديم أكبر كمية منه لآلهته، وأمام تلك الرغبة (التبذرية والطفولية تقول الرواية، بأن مربيه أبلغه أن إرضاء الآلهة بمثل هذه الكمية الكبيرة من البخور يكون ممكناً فقط عندما يخضع الإقليم لسلطته).^{٢٣}

على هذا النحو ينظر الباحثون المعاصرون إلى كتابات الإغريق والرومان التاريخية عن جزيرة العرب وبالذات إقليمها الجنوبي الذي اشتهر لديهم بـ(العربية السعيدة) من هذا المنظور المشوب بالريبة التي لا تهدي لليقين ومن ترسبات عهود طويلة عمها الجهل والخرافة فيها صروح معرفية تحت وطأة الغزو والاحتلال التي كانت البلاد العربية مرتعاً طبيعياً لها، نجد علماء اليوم من أنباء البلاد العربية سرعان ما يرفعون أيديهم عن بعض الأمور المتعلقة بتاريخ البلاد العربية العتيق وذلك بدلاً من بذل الجهد للتحقق منها وإخراجها إلى النور بدلاً من هذا فإنهم يميلون إلى إلقاء نظرة الوداع الأخير (ويادار ما دخلك شر).

أما أنا فأميل إلى تأكيد ما ذهب إليه(هيرودوت) فالجزيرة العربية ما زالت حتى اليوم تخفي في أقاليمها المختلفة الكثير مما ذكره الأقدمون في أسفارهم التاريخية ولم تكن نصوصهم مجرد التشويق والسرد الروائي المطعم بالخيال فلعل الحقيقة ما زالت قابعة بين أسطرهم. وإذا كان من رجال الفكر الرومان الكبار من يقول مثل الفيلسوف (ثيوفراستوس) (٣٧٢-٢٨٨)، والعالم(بليسنيوس) :

(أن المرء يدرك اقترابه من جزيرة العرب عبر الروائح العطرة التي تحملها الرياح الهابطة عبرها).^{٢٤}

وكما كانت (جزيرة العرب) تلوي أعناق الأقدمين إعجاباً فلها ما زالت تفعل هذا حتى اليوم.. ففي أبريل من عام ١٧٦٣ كتب عالم الأحياء النباتية الشهير(بيتر فورسكال) عضو أول بعثة استكشافية علمية بعثتها أوروبا إلى البلاد العربية السعيدة وذلك تحت رعاية (فريدريك الخامس) ملك الدنمارك.. كتب هذا العالم السويدي يزف إلى أوروبا اكتشافه في منطقة من (أعمال إب) لأعظم

اكتشاف نباتي كانا يأملان (هو ولينوس) الحصول عليه في كل رحلتهم، ألما شجرة البلسم المكلوي الأصلية. ٢٥

وإذا كان عالم النبات ما زال حتى اليوم يسجل مكتشفات لأصناف نباتية جديدة على قاموس النبات مصدرها اليمن وغيرها من أقاليم جزيرة العرب، فإن طبيعة الموضوع يجبرني للعودة إلى صلبه المتعلق بالأفعى وما ذكره (هيروdot) عن الأفعى الصغيرة الطائرة المتواجدة في محميات اللبان وفي طبيعتها إقليم (ساكن) (في النقوش) وهو ما يعرف اليوم بإقليم ظفار غربي سلطنة عمان. فهل كان لهذا وجود حقيقي أو مجرد إشاعة بثها العرب كما ذهب إلى ذلك زياد مني؟
الإجابة نسوقها في ثلاثة شواهد كما يلي:

• الحية الزمردية:

في رواية وهب بن منبه المعروفة (بالتيجان في ملوك حمير) نجد أن (الحية الزمردية) كانت السبب في اشتها الملك الحميري (أبرهة بن الصعب ذي القرنين) بلقبه:
(ذو المنار)، قال أبو محمد:

(كان أبرهة أبيض وسيقاً جميلاً، فلما دفن أبرهة أباه ذا القرنين الصعب بن مرثد بالحنو حنوا قراقر في رمل العراق ورجع بعساكره، ظهرت لهم (الزمردية) بعد موت (ذي القرنين) وهي: صنف من الحيات قصيرة لها رأسان في طرفيها وما أكلت بهذا الرأس القته برأسها الآخر وهي لا تظهر إلا في النهار وتعمى في الليل لأن جميع حيوان الأرض لا يستطيعها يسري سمها في الأبدان كسير البرق في الهواء تفر منها الثعابين والشجعان والأفاعي، فلما كثرت على عساكره الزمردية ذات الرأسين أضرت بعساكره ضراً شديداً، فكان يعرس فحاراً ويسير ليلاً، فكانت تضل العساكر في الليل بعضها عن بعض فأمرهم أن يوقدوا النيران على رؤوس الجبال ليهتدوا بها وهو أول منار جعل في الدنيا فسمي بذلك (أبرهة ذا المنار). ٢٦

هذه الرواية نجد فيها اسناداً لرواية (هيروdot) حيث تؤكد حقيقة انتشار الأفاعي القاتلة في الجزيرة وألما تهاجم الإنسان والحيوان تلقائياً وتشكل بالنسبة له مصدر رعب دائم، والزمردية قصيرة تماماً مثل الأفعى الطائرة التي كانت في محميات اللبان في جزيرة العرب. وإذا لم يجانبني الصواب فما زالت منطقة جنوب العراق تأوي أشد الأفاعي خطورة على الحياة وقد ترددت أثناء (حرب الخليج الثانية) أخبار فحواها يشير إلى هلاك بعض (جنود قوات التحالف) في نفس الموضع (حنو قراقر) بفعل لدغات الأفاعي!.

• جحيم الأفاعي في وادي السرحان:

(مع صبري وحشولتي فقد كان لها (مشاق السفر) القليل من الأثر. وبسبب (لعنة الأفاعي) التي أخذت تساورنا منذ أول ما دخلنا إلى (وادي السرحان) وقد بلغت اليوم حداً مشهوداً وغدت الرعب بعينه. ووفقاً لما يقول العرب فإن الأفاعي في سائر الأوقات تكون هنا أشد وطأة بسبب الماء في الصحراء من أي موضع آخر: غير أن الوادي هذا العام يبدو هالماً بالأصلال القراء والأفاعي الرداء والكوبرا والنعابين السوداء. لهذا فالتجوال ليلاً يكون من الخطورة بمكان، وقد وجدنا في الأخير أنه من الضروري ألا نسير إلا والعصي في أيدينا نخطب بها على الجانين ونحن نخطو بحذر عبر الأحراش حفاة الأقدام.

وبحلول الظلام لم يعد بوسعنا أن نترج الماء بيسر، لأن الأفاعي إما تكون في الحسبي (واحد) حسرة) عائمة أو على حوافها مظفورة على بعضها عصبا. وإلى حلقة نقاشنا المخبوشة (الحاذرة من الحناشة) حيث نجلس لإحتساء القهوة قدمت الأفعى النافخة مرتين. وقد ماتوا بلدغات الأفاعي ثلاثة من رجالنا؛ وبعد هلع شديد وآلام مرعبة وتورمات حارقة في الأطراف المسمومة تعافى أربعة من رجالنا الملدوغين....

والشيء الغريب في طبع الأفاعي يكمن في زوراقها الليلية للاضطجاع معنا، فهي كيفما شاء ربما تشد بذلك الدفء تحت الفراش أو فوقه. وحالما أدركنا ذلك فإن نهوضنا من النوم كان لا حصل إلا بغاية الحيلة والحذر. بحيث يتعين على أول الناهضين أن يفتش بين رفاقه ومن حولهم بعصاة حتى تسكن نفسه بأنهم غير محاطين فيعلمهم بهذا.

لقد كانت مجموعتنا المتكونة من خمسين رجلاً تقتل معدل عشرين حشياً يومياً؛ وفي نهاية المطاف فقد كان لها (الأفاعي) الغلبة على أعصابنا بحيث صار أشدنا بأساً يخشى أن يمس الأرض، ناهيك عن يرتعدون على شاكليتي هلعاً من كافة هوام الأرض فقد باتوا يتهلون بحسن الختام ما دهمنا في وادي السرحان).^{٢٧}

صاحب هذا النص هو الداهية البريطاني المعروف ب(لورنس العرب) الذي سجل تجاربه ومعارفه عن العرب وحزيرتهم وقصة الثورة العربية الكبرى بقيادة (الشريف حسين بن علي) ضد السيطرة العثمانية في كتابه الشهير (أعمدة الحكمة السبعة) الذي كتبه من الذاكرة بعد أن تعرض النص الأصلي للسرقة ولم يعثر عليه حتى اللحظة. هذا النص الفريد ترجمناه عن طبعة إنكليزية قديمة (١٩٤٠) صدرت في مدينة أوكسفورد البريطانية وهو (أي النص) خالٍ من أي شطحة خيال بل هو الحقيقة

عارية من أي لباس. فإذا كان ما كتبه (هيرودوت) عن الأفاعي الطائفة في مناطق اللبان جنوب شبه جزيرة العرب وبالتحديد المطلة على (صحراء صينهد والربع الخالي) ليس إلا محض خيال أو حيلة أراد بها التجار العرب جلب المنفعة ودرء المضرة، ونقلها المورخ الأغريقي دون تمحيص أو تعليل من قبل أولئك الذين كانوا ينفقون أموالهم ويبددون ثرواتهم للحصول على اللبان والمر والتوابل... إلخ. ألم يكن بوسعهم التحسس لكشف أكذوبة الأفاعي الطائفة. ثم إذا كان البعض من الباحثين ينظرون من أعالي أبراجهم العاجية باستخفاف بروايات الإخباريين العرب وبالذات مرويات (وهب بن منبه) خصوصاً واقعة (الحية الزمردة) مع جيوش أبرهة ذي المنار في جنوب العراق (حنو قراقر) المطلة على (صحراء النفود الكبرى) ويرون فيها مجرد عناصر تشويق وظفها الإخباريون من أجل تنفيق بضائعهم!... إذا كان هذا الموقف هو السائد اليوم بالنسبة لثرائنا القديم، فماذا يقول الباحثون المعاصرون في المصرخات المكتومة والابتهالات والتضرعات التي ذكرها (لورنس العرب) بشأن وادي الأفاعي المهوسسة في مهاجمة الإنسان الوادي المعروف بوادي ال(سرحان) الممتد من منطقة الجوف غرب سكاكة الواقعة في (صحراء النفود الكبرى) شمالي المملكة العربية السعودية حتى حساو عمان في الأردن. هذه الأمور تؤكد صحة ما ذهب إليه هيرودوت بخصوص طقوس جني محاصيل اللبان والمر وغيرها بسبب الحضور الكبير والمرعب للأفاعي في محميات اللبان.. والشاهد الثالث في مرافعة دفاعنا عن نص (هيرودوت) قد خف لنجدة طرحنا هذا من الذاكرة الجماعية الحية لأبناء (سرو حمير/يافع) فهم أحفاد حمير :

(فمن كان ساكنا باليمن فإنه أعلم أخبار الأمم جميعا لأنه كان في دار مملكة حمير وفي ظل الملوك السيادة إلى الشرق والغرب والجنوب والشمال. ولم يكن الملك منهم يفرز إلا عرف البلاد وأهلها).^{٢٨}

الأفعى الطائرة في سرو حمير/ يافع

عرفت يافع قديماً باسم (أرض دهسم)، وكانت المصدر الوحيد (للمر الأبيض) تصدره عبر ميناء (عصلة) الواقع على ساحل أبين. وقد ذكرها (يافع) المؤرخ (بلايني) كممر للقوافل التجارية.^{٢٩} هذه الأرض البكر ما زال أهلها يتحدثون في مجالسهم عن (الحنش الطائر) ويعرف لدى اليافعيين بتسميتين هما :

- الزتر : بفتح الزين ثم تاء مثناة علوية آخره راء.
- الوجس: بكسر الواو ثم جيم آخره سين مهملة.

والمأثور عن (الزتر/ الوجس) أنه من أصغر الحنشان وهو ليس (بذي جناح) كما قد يتبادر إلى ذهن البعض ولا يقول أحد من أبناء (سرو حمير) عنه أنه من الحنشان السامة فما السر في خطورته؟ السر في خطورة هذا الحنش تكمن في قدرته الخارقة على الطيران فعندما يريد مهاجمة ضحيته يجمع نفسه حتى لا يكاد يرى ثم ينطلق بسرعة مذهلة فإن أصاب ضحيته اخترق جسمها فقتلها وإن أخطأ فإنه يلقي حشفه مزقاً. ويزعم البعض أنه انطلق ذات يوم صوب ضمد (الثوران يضمندان للحرثة) فأصابه في مقتل إذ اخترق جسدي الثورين. وهذه لعمرى قصة شائعة في (سرو حمير) لا ينكرها أحد. وهذا الشاهد يدل دلالة قاطعة على أصالة ما ذكره (هيرودوت) فالأمر لم يكن بمثابة خدعة أو كذبة أراد بها اليمينيون شيئاً في نفس يعقوب (عليه السلام) بل كما بينا هنا فاستمرارية هذا الأثر وتوارثه في سرو حمير عبر القرون كحقيقة لا تقبل الجدل يؤكد صدق ما أورد المؤرخ اليوناني من خبر الأفاعي الطائرة (لا المنجحة) التي تمر بها محميات اللبان والمر الأبيض والقرفة والقرظ والورس والمهندس (الأس) وغيرها من أشجار منتجات الزينة ومساحيق التجميل وتقدمات النذور بدرجة أساسية. إن إنسان اليوم على امتداد المعمورة ما زال يخامر الحنين إلى بدايات الإنسان الأولى وينشده في رموزها ما أراده الإنسان الأول تماماً. فما أشبه الليلة بالبارحة، فأمام ما يتلي الإنسان من الأمراض وبالذات متاعب الشيخوخة والضعف الجنسي والطفولة الكسيحة الحاسرة بجده أي الإنسان المعاصر يتطلع بلهفة طفولية إلى استخلاص (ترياق الحياة) من سارقة لبنة الخلود (الحية) التي تبشر كثير من

الإصدارات العلمية الرصينة في الولايات المتحدة على وجه التحديد الصادرة في مطلع العام الفائت (١٩٩٦) والتي تؤكد حسب تحقيق أوردته مجلة التايم العلمية (Time International) الأسبوعية الأمريكية (٥ فبراير ١٩٩٦) أن الهيئات العلمية الطبية قد أصبحت على وشك استخلاص عقار (ترياق الشباب) وقاهر الشيخوخة من (شحوم الحيات) وأنه سترتب على إنتاجه زيادة معدل حياة الإنسان وأنه سيضرم الحيوية والشباب في أجساد الشيخ الواهنة ويخلص الطفولة الكسيدة الحاسرة من لعنتها وسيغمر الإنسان بحياة سعيدة مشوبة بقدرات جنسية أكثر توفداً وشيقاً. وبكلمة أخرى الحصول على وميض العافية والخلود من (شحوم) سيدة الحكمة (الحية) التي علل بها الإخباريون العرب القدرات الجسدية المرعبة لأمير الصعاليك ويصتفهم تأبط شراً ١٩.

نكتفي هنا بهذا القدر من دراسة النصوص الشعبية المتعلقة (بالحية) والتصورات التراثية عنها وعن دورها في أساطير الغواية وأصدائها في الحياة الشعبية لأهالي (سرو حمير/يافع) تحديداً. وللتفت لدراسة تحليلات أخرى تظهر في الأفق ذاته لبذرة الغواية الأولى التي تفتقت عن براعم جديدة متكيفة مع ظروف ومعطيات تاريخية وتصورات اختلفت عن البيئة الأصلية والتربة التي شهدت في جوفها انفلاق النشوة الأولى والإنشاق الأول للفكر الأسطوري. هذا النمو الجديد للأسطورة بطلته حياة أو حواء الوجه الآخر للحية فما انفك الأهالي في (يافع) يصفون المرأة الداهية التي تظهر عكس ما تخفي بأها (حية ما لها قبر يبخش).

أي (فلانة حية ليس لها قبر يحفر).

معنى أن لها من الصفات ما يجعلها صنوا للحية التي لا تموت. ومن دورها في واقعة الخطيئة الأولى اقتبس الرواة المداحون ما يناسبهم بعد الإسلام لتبرير تكسيهم بالمدح والإنشاد الذي كرسه آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما اسقطوه من وقائع ملحمية عتيقة على آل البيت النبوي لا تمت إلى سيرتهم في واقع الحال بصلة ويأتي في طليعة هذه التخريجات المخورة أسطورة جعلوا مسرح أحداثها (المدينة المنورة) وأبطالها بدرجة أساسية الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وزوجه فاطمة الزهراء (رضوان الله عليهما). هذا الأثر الأسطوري نعرض له في الآتي:

• أسطورة الكواهن :

مفتاح هذه القصة الأسطورية يكمن في قول شائع لدى كافة أهالي (سرو حمير) نصه :
(تاهي من ذي اختيأين على (علي) بأغوال الشعيب).
وبلغة فصيحة :

(فهى من الذى (اللوات) أختيان من على باغوال الشعيب).

أغوال جمع غيل. والغيل هنا كما ذكره صاحب اللسان:

(الغيل: كل موضع فيه ماء من وادٍ ونحوه.

والغيل: الشجر الكثير الملتف الذى ليس بشوك،.. وفلاة تقول أى ليس بينه الطريق فهى

تضلل أهلها، وتغولها أشباهها وتلوها). [ابن منظور/لسان العرب/١١/مادة غول وغيل]

وأغوال الشعيب: هى وديان الشعيب البعيدة الغور، إذ يخلاف الشعيب هو أحد أن لم يكن أكثر

مناطق (سرو حمير) وعورة حيث يشغل حيزه فى الأطراف الشمالية الغربية (لسرو حمير/يافع) فما قصة

أولئك الكواهن اللائي اختيان من (الإمام على) فى أغوال (أغوار) الشعيب هذه؟

فحوى القصة المأثورة أن كواهن المدينة (عجائزها المحربات) أضمرن فى أنفسهن أمراً جليلاً نشدن

فيه الكيد للإمام على وفاطمة الزهراء (رضوان الله عليهما) فأنخذن يترددن على (بيت الإمام على) أثناء

غيابه فى وقائع محاربة أعداء الله من الكفرة.. وقد اعتادت فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وسلم)

الخروج إلى عتبة الدار وفى يدها إناء الماء تغسل به يدي وأقدام زوجها العائد من أتون المعارك.. وقد

حاولن مراراً إفساد ذات البين واستمالة فاطمة إلى الطلاق ومن ثم الزواج من أحد الصحابة، وعندما

أعيتهن الحيلة اقترحن على فاطمة (الحنق) أى أن تترك بيت الزوجية وتذهب إلى بيت أبيها (صلى الله

عليه وسلم)، وحالما يعود الصحابة من وقعات الجهاد وصولاته.. تدعوهم للإحتشاد بساحة بيت

رسول الله فإذا اكتمل الجمع ألقت من جبال (شرفة) الدار إليهم سبع سفرجات (واحدة واحدة) فمن

حصد أكثر السفرجات يكون أصلحهم لها بعلاً فوافقت على هذا. وعندما عاد الإمام على اغتم غماً

شديداً، إذ لم يجد الزهراء فى انتظاره على عتبة الدار فصاح شاكية بقوله الشهير: (خرجنا من الجهاد

الأصغر إلى الجهاد الأكبر).

وقد راهنت الكواهن على ثلاثة عوامل ليست فى صالح الإمام على كرم الله وجهه هى:

❖ لأن الإمام أكثرهم بلاء فى المعركة فقد راهن على الهلاكه وفرسه فى المعركة، بالإضافة إلى الهم

الناجم من (حنق) زوجه فاطمة (رضي الله عنها).

❖ أن فى الساحة من الصحابة من هو أطول قامة وأرهف عوداً.

❖ حنهن لفاطمة بالرمي فى تجاه فرسان غير على.

وتحدث المباراة غير أن (عليها) كان الفائز الوحيد فقد خطف جميع السفرجات. وعندما يعلم أنه

من كيدهن (الغواية) يتمخض فصل جديد من المواجهة هو فصل (العقاب) فى الأسطورة:

• عقاب الكواهن:

عند هذا المستوى يستأذن الإمام علي (كرم الله وجهه) عمه النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يطلق يده ليأخذ بئاره من كواهن المدينة، فيأذن له على شرط واحد وهو :
(أن يرفع سيفه عن رقابهن عند سماعه الأذان (أذان الفجر)).

وينطلق الإمام الهمام ليفري في الكواهن ذبحاً بسيفه الباتر الشهير بذي الفقار. رؤوس الفتنة تهوي وعلي ماضياً في انتقامه لا يلوي على شيء غير إزهاق النفوس الأثوية فيصاب المجمع النسائي بالذعر والملع فتلوذ من استطاعت أن تعطي سيقانها للريح ب:
أغوار الشعيب هرباً من سيف علي الذي لا يرحم. وأمام هذه الجائحة المهددة لبني البشر تأتي النجدة فيتوقف حمام الدم المرعب:

• إنقاذ البذرة المختفية:

انطلق البطل يتعقب أثر النسوة الهاربات المتواريات في (أغوار الشعيب) ممتشقاً حسامه النازب دماً ليكمل الحساب مع من جنتها أغوار الشعيب وخباثته... وهنالك يبهت فجأة على صوت الأذان يأتيه بحلجلاً من فم (بلال) له لجب يترد في شعف (جبال السرو) وفجاجة كأنه هزيم الرعد. فيقفل الإمام علي (كرم الله وجهه) يطوي البطاح لأداء (صلاة الفجر) وهنالك يكتشف أن الفجر لم يحن بعد، وما فعل (بلال) (رضوان الله عليه) لم يكن دعوة للصلاة وإنما تلبية لأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) ونصه المعروف شعبياً :

(قم يا بلال علي كما أمات الرجال).

أي (قم [للأذان] يا بلال علي أكمل [أفنى] أمهات الرجال).

أمام هذا التدخل النبوي الذي لم يكن لبطلنا من حيل (حول) للتمرد عليه خاصة من الوضوح في كشفه السبب الذي أوجب هذا التدخل وهو انقاذ الأم (أمهات) مصدر الخصب وحاملة أجنة الحيلة في رحمها.

ووفقاً لنص الحكاية المتوارثة شفاها في (سرو حمير/ يافع) :

يعمد الإمام علي (كرم الله وجهه) إلى أشجار العلب، فيقبض عليها بشدة حتى تسيل مسن بين فرعائها ويقول :

(يا عم لا انعدمه النسوان كنك بأعصر العلوب تدي الرجال)

أي (يا عم لو انعدمت النسوان (أمهات الرجال) كنت سأعصر العلوب تؤدي الرجال)

أما العلوب فهي لغة (سرو حمير) : السدر.

وفي لسان العرب : (وقال أبو زيد : العلوب منابت السدر، والواحد علب).

[ابن منظور/لسان العرب/١/مادة علب]

والنص يفيد أنه لو انعدمت (هلكت) النساء فإنه أي البطل (علي) سيجعل العرب تلد الرجال عوضا عن النساء.

والحكاية هنا لا تخفي أبعادها الميثولوجية على لبیب (فعلي وفاطمة) ليسا إلا نسخة معدلة من أبطال الميثولوجيا القديمة لهما بلا شك نفس الدور في أساطير الخلق والغواية السومرية والرافدية، فعملية الإبادة بالسيف هنا ليست إلا صورة للجائحة البابلية المعروفة (بالطوفان) الذي أراد به الإله (أنليل) إبادة عالم البشر وكل ذي روح. وإذا كانت العلة في حكاياتنا الشعبية تكمن في مكائد النسوة الموجهة لأرباك النواميس الثابتة للزواج من خلال الدفع بهذه المؤسسة (النظام) للتغيير عبر الطلاق (الإنفصال) هذه المكائد النسوية التي شكلت خلفية (الإبادة بالسيف) إعادة تمثيل علة (الطوفان) التي خلدها الملحمة البابلية في نص العقاب الموجه إلى (أنليل) إله العواصف من قبل رب الأرباب (أيا) :

(أيها المخارب، أيها الحكيم بين الآلهة آه كيف، آه كيف دوئنا تفكر جلبت هذا الطوفان حمل المذنب ذنبه والآثم إثمه أمهله حتى لا يفنى، ولا تهمله حتى لا يفسد).^{٣٠}

وفي (أغوال الشعيب) نجد وجه آخر لسفينة النجاة التي صنعها أوتنا بثشيم بأمر إلهي وعندما رأه (أنليل) اتابه الغيظ الشديد).^{٣١}

كذلك فقد استشاط بطل حكايتنا (أسطورة الكواهن) غيظا عندما علم بأن (الأذان) الذي بلغه ليس بنداء صلاة الفجر فعمد إلى إبراز قدرته على خلق الإنسان من جذوع الأشجار كبديل عن نسل المرأة الذي ما أنفك يحيل إلى التعرض للنواميس الساكنة بزيادة الضوضاء (المكائد) المزعجة لبعض الآلهة. وإذا كان النص البابلي لم يقدم بديلا محتملا في حالة اتیان الطوفان على بني البشر فإن نصنا هذا النابض بالحياة قدم البديل في (شجرة العلب) (فالسلاء) الذي تنزله أشجار السدر (العلب) سنويا يرى فيه أهالي (سرو حمير) بشاره (دماء) الطلق التي تنزل قبل الولادة وتستمر لمدة أربعين يوما بعدها وتكرر في دماء الطمث المبشرة دائما بالخصب والإنجاب. ويرجعون (سلاء) الأشجار وبالذات (العلب) لهذه الواقعة التي كما ذكرنا آنفا لا تمت لآل بيت رسول الله بصله بل هي صورة من (تناسخ الأساطير) وفقا لما تقتضيه متغيرات الزمان والمكان. وهناك في (سرو حمير/يافع) ما زال الناس يستعملون مفردات مشتركة بين المرأة والشجرة مصدري الخصب في عالم الحيوان (الإنسان) والنبات؛ فالفتاة إذا

أعصرت أي بلغت مبلغ النساء يقولون عنها : (بتخشب).
الباء(باء المضارعة عرفت في النقوش القتبانية) وما زال أهالي (سرو حمير) يستخدمونها مع أفعال
المضارعة حتى اليوم نحو :

ياكل(ياكل) يشرب(يشرب) إلخ....
وتخشب : تحيض، والخشاب هو في لهجة اليافيين: الإغتسال (غسل الملابس المدروسة).
والخشب: أعواد الأشجار. وبالإيجاز :
(الخشب = الخصب) ومنها نخلص إلى معادلة تكتنف الرؤية التراثية قوامها :
الخشب = الخصب (حيض الشجرة).
المرأة = الشجرة.

نعم فهذا المفهوم الآتي عبر قناة التحدار (التراث) يعود بنا إلى عهود الإنسان الأولى حين كانت
رؤيته تنطلق من وحدة الطبيعة الخصبة وعالم البشر الخصب وتؤكد هذه الرؤية التي راحت في حدود
العالم القديم وبالذات بين شعوب شرق المتوسط فأسطورة فارسية تقول :
(أن الذكر والأنثى إنبثقا عن شجرة وكانا متحدين في جسد واحد، ثم جاء إليهما الإله
(آهور) مزدا وفصل كل منهما عن صاحبه وأرسلها إلى الأرض).^{٢٢}

وتجد فكرة الشجرة البديلة للمرأة المنجبة للرجال سبيلا لها إلى اليونان القديمة التي قيض لها من
أسباب الرقي والتمدن والمعرفة ما لم تكن لتحلم به قبل أن يبدأ المشروع الحضاري فيها على أيدي
موجة الاستعمار القادمة من أرض الكنعانة والفينيقيين وقدماء المصريين الذين شرعوا وفقا لروايات
المؤرخين الأغريق عند منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، في تمدن العالم الأيبي ونقل معارفهم ونظمهم
في الزراعة وهندسة العمران والثقافة والأخلاق والمعتقدات اللاهوتية والميثولوجية التي أفضنا في عرضها
في مدخل الكتاب. وإلى بلاد الإغريق ينتقل الإله (الأوغاريتي) بعل العلي إله الخصب والمطر غير أنه
هنالك في بيئته الجديدة يغلب عليه أحد نعوته التي اشتهر بها عند قدماء السوريين وهو (آدون) - أي
السيد الرب - لهذا فقد أصبح يعرف عند الإغريق ب(أدونيس) حيث تظهر في آخره لاحقة التصريف
الاسمية اليونانية (س) :

لقد حمل الكنعانيون (الفينيقيون) في ترحالهم معهم آلهتهم، وكان (آدوني) من أشهر الآلهة
المرتبطة. وصل إلى اليونان حيث أغرم الناس به هناك وزوجوه (أفروديت) آلهة الحياة والجمال،
والنسخة اليونانية عن (آنانا) أو (عشتار).^{٢٣}

ولكن ما الذي أقحم الشجرة في انتقال (آدونيس) إلى اليونان:

تحكي الأسطورة اليونانية قصة (آدونيس) السوري مع بعض التحوير في التفاصيل. فشجرة المر كانت في الماضي آلهة شابة أغرمت بأبيها وثاقت إلى وصاله جنسيا مدفوعة إلى ذلك بعاطفة جارفة زرعتها فيها الآلهة (أفروديت) انتقاما لاساءة سابقة. وقد استطاعت بحيلة ما أن تشبع رغبتها من أبيها دون معرفته بمساعدة وصيفة لها.^{٣٤}

وما كان للسر أن يقبع طي الكتمان خاصة وقد حملت العذراء من أبيها الذي يكتشف الخدعة ويأخذ في ملاحقة أبنته بغرض قتلها وتطهيرها بدمها:

ولكن الفتاة صلت للآلهة وتضرعت إليهم بحرارة لإنقاذها فاستجيب لها وأخفيت عن أنظار الأب بتحويلها إلى شجرة. وبعد عشرة أشهر انفتحت شجرة المر ليخرج منها (آدونيس) الشاب الذي حملت به من أبيها، فلما وقع عليه بصر (أفروديت) بهرما جماله الأخاذ وهامت به حبا فأودعته في صندوق حديدي وسلمته إلى (برسيفوني) آلهة العالم الأسفل لتخفيه عن أنظار الآلهة.^{٣٥} وفي سجنه تعشقه (برسيفوني) وتنضن به على (أفروديت) فلا ترجعه إليها ولا يفك أسره من قيود (برسيفوني) إلا حكم كبير آلهة الأوليمب (زوس) :

الذي قضى بأن يقسم (آدونيس) وقتشه في السنة إلى ثلاثة أجزاء. فواحد لنفسه وآخر (لبرسيفوني) وثالث (لأفروديت). وبذلك كان (آدونيس) يهبط مدة أربعة أشهر في كل سنة إلى العالم الأسفل ليعيش مع إلهته، ثم يغادر صاعدا إلى الحياة ثمانية أشهر أخرى وهكذا دواليك.^{٣٦} هكذا كانت ولادة (آدونيس) في الميثولوجيا الأغريقية التي استلهمت فكرة ولادته من الشرق السامي العربي الذي لم يفث القدماء فيه إدراك أوجه التشابه زالتشاكل بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها وبالذات أوجه الخصب والجذب عند المرأة والطبيعة وعدم استحالة أن تقوم الواحدة بدور الأخرى في عهده من الظروف الخارقة والاستثنائية التي تعمل متفينة في ظلال الحضور والإشراق الإلهي المبارك لهذا العمل الخارق.

وقد ركزنا في المدخل على عدة من المورثات اليمانية في الميثولوجيا الأغريقية ومكانة الفاتح (ذي يقدم) في الصرح المعرفي اليوناني وتحوله عندهم بعد أن لقنهم طرائق الكتابة بالحروف الأبجدية التي كانوا يجهلونها إلى إله للعلم عرف عندهم منذ القرن الخامس قبل الميلاد (باكاديموس/أقاديموس).

• ولادة الذكور في (سرو حمير إياض) :

لعل أكثر الأسئلة إلحاحا على الأمهات في أي بقعة من قريننا الصغيرة تكمن في السؤال الذي

يطرحه كل صبي لا محالة وهو السؤال الذي لا ينفك يساور المرء طوال حياته في دار البوار وفحواه هي:

— من أين أتيت؟

— من أين ولدت يا أمي؟

— من أين خرجت لكم؟

لا ريب أن عمر هذا السؤال يقترب بعمر البشرية منذ فجر تاريخها ومغامرات عقلها الأولي ويتحير العقل البشري فيه وتختصم عنده مدارس الفكر ومناحله العقلية والنقلية... بيد أننا نتوقف هنا مع الإجابة التي يتلقاها الصغير في ميعه صباه إذ تلقنه أمه وبقية أقاربه أنه قد:

— اتى من ركبة أبيه !

— ولد من ركبة أبيه !

— خرج من ركبة أبيه !

ويقتنع الصبي في (سرو حمير/يافع) بهذه الإجابة حتى يحيط فيما بعد بحقيقة وكنة هذا السؤال والإجابة التي يقوم عليها مشروع اكتشاف الذات الإنسانية وموقعها من هذا الكون ولغز وجودها فيه ومسئوليتها لإزاءه وقضية التكليف والتخيير... إلخ. بيد أن الإجابة التي حصل عليها عند صباه تبقى قلادة في ذمته حتى يحين تسليمها لطالبها من خلفه الذين يرومونها. لا غرو أن (حكاية الصغير) الرافد على أبويه من (ركبة أبيه) هذه التي ما برحت تلقى على مسمع الصبية في (سرو حمير/يافع) قد أخذت طريقها إلى العالم الأيحي ذات يرم فكانت حميرة أسطورة الإله (ديونيسوس) الهيليني فما قصته يا ترى؟ تروي أسطورة الإله (ديونيسوس) أنه ابن كبير الآلهة (جبل الأوليمب) إذ حملت به ربه العالم الأسفل (بيرسفوني) من (زوس) الذي غشاها بهيمة أفعى، وكانت ولادته في مغارة تحت رعاية الجملدة (ديتمر)... وقد شق الصغير طريقه إلى عرش أبيه (زوس) وعرف آئله باسم (ديونيسوس/وزاغروس). لكن الصغير لا يلبث أن يلقي حتفه على أيدي (التيان) بتحريض من (هيرا) زوجة (زوس) التي لم يكن لها أن ترتضي لابن إحدى سراري (زوس) أن يتسلم عرش أبيه. هكذا فقد أغرت (هيرا) بعض خصوم (زوس) وهم التيتان الذين ينتمون إلى طبقة الآلهة من الدرجة الثانية حيث أخذوا بملاحقة الطفل (ديونيسوس) الذي كان يراوغهم في تخفيه عنهم بهيمة (أسد ثم حصان فأفعى) :

ولكن دون جدوى لأن (التيان) قد نالوا منه أخيرا وهو في صورة الثور. فقتلوه وقطعوا

جسده سبع قطع أكلوها جميعا. ولم تجد محاولة (زوس) لإنقاذ ابنه لأن الشيطان كانوا قد أتوا عليه قبل أن يصلهم برق كبير الآلهة ويحيلهم إلى رماد.^{٣٧}

لكن ربة الحكمة (أثينا) كانت قد شهدت الوليمة الوحشية فامتدت يدها الرحيمة إلى قلب (زاغروس) أو بالأحرى إلى أشلائه فتتخذ هذه (المضغة) وتسلمها إلى الأب المدعور (زوس) الذي يقوم بتحضير شرابا من مضغة (قلب) ابنه الضحية (ديونيسيوس) فيسلمه ل(سميلي) : التي كان يزورها بهيئة عادية وينام معها تاركا وراءه البرق والصواعق وكل رموز سلطته وجبروته.^{٣٨}

هكذا فتنبض الحياة في قلب (ديونيسيوس) وهو مضغة في بطن (سميلي) هذه المرة. بيد أن (هيرا) تحتال هذه المرة على قتل الجنين في بطن أمه إذ تزورها في هيئة وصيفة فتغري (سليمي) : على أن تطلب من (زوس) أن يتجلى أمامها على صورته الحقيقية كما يفعل أمام زوجته (هيرا).^{٣٩}

ودعما ترو يتجلى (زوس) ل(سميلي) على صورته الحقيقية : فصعقها البرق وهبطت إلى العالم الأسفل ولكن (زوس) تمكن أن ينقل من بطنها الطفل الذي لم يصل بعد مرحلة النمو الكامل. ثم قام بشق فخذه وزرعه فيه وخاط عليه تاركا إياه يستكمل نموه. وعندما آن أوان ولادته فتح ساقه واستخرجه طفلا تاما كاملا.^{٤٠}

ولم تكن فكرة ولادة الإله (ديونيسيوس/زاغروس) من ركبة أبيه أو ساقه في هذه الأسطورة مجرد واقعة أقتنصها الهيلينيون من التراث الشرقي عموما ومن مرتفعات (سرو حمير/يافع) تحديدا أي من هضبة اليمن الكبرى بل وعلاوة على هذا نجد أن الإله (ديونيسيوس/زاغروس) قد جاء بلحمه ودمه من بلاد العرب الأولى ومن جنوب جزيرة العرب على وجه اليقين وأول الشواهد على ذلك تسميته وصفته العربية الواردة من اليمن القديمة :

*موسم الخصب (الدثا) : أظهرت النقوش المساند اليمنية القديمة العائدة إلى أقدم الحقب أن قدماء اليمنيين كانوا يطلقون على فصل الصيف المطير (الدثا) وهذه تسميات الفصول الأربعة كما وردت في نقوش المساند الحميرية :

حسب ترتيبها من الصيف حتى الربيع :

(دثا، خريف، سمسع، ملي).^{٤١}

كما أظهرت النقوش أيضا أن أحد أشهر الصيف (دثا) يعرف ب(ذي دثان) ويرجح بعض أهل الاختصاص أنه شهر حزيران.^{٤٢} كما عرفت غله ذلك الفصل بـ (الدثا). وقد حبذ بعض أهل

الاختصاص التفسير القائل بأن :

الدثأ : فصل الربيع. ثمار الربيع وغلالة مطر الربيع الموسمي.^{٤٣}

غير أننا نميل إلى تفسير (الإرياني) خاصة وأن أهالي (سرر حمير/ يافع) ما زالوا يطلقون على الصيف هذه التسمية (الدأ / بإبدال اللام من الثاء). ولهذا فإنني أرجح أن (ذا/ دثان) هو الأصل في تسمية الإله الهيلي (ديونيسوس) أي بإبدال السين الأولى من الثاء المثلثة (دثن/ دسن = دنس) بالتصويت وإدخال لاحقة التصريف الاسمية اليونانية (س) يظهر لنا اسم الإله الهيلي هذا [د-يو] ن [ي] س [ي] + وس) (ديونيسوس) فهو رب الخصب أو موسم الرخاء والخير والديونة - بمعناها العامي / أي الخير - ويؤكد طرحنا هذا أيضا الصيغة العربية التي عرف بها هذا الإله كتسمية ثانية ونقص (زاغروس) فهو بدون اللاحقة اليونانية (س) (زغر/ بدون تصويت) فما زال الناس في (سرر حمير/ يافع) يستخدمون هذا الفعل بمعنى (حمل/ فعل) فإذا سألك أحدهم عن زوجتك :

شي زغرة معك المرأة؟

من هنا فقد أخذ (ديونيسوس) تسميته الثانية من مادة (زغر/ بمعنى حمل) فهو المحمول أو (الزغور) حرصا على حياته في فتحذ أبيه (زوس) وهذا يكون نعتة ب (زاغروس) له ما يبرره وثبت ما ذهبنا إليه أن فكرة الأسطورة قد استمدت من التراث اليميني الذي ما برحت آثاره الحية تشهد على ولادة الصبي من (ركبة = ساق أبيه).

وكما دل موسم (الدثأ) على الخصب والرخاء والنعمة دلت تسمية الرجل (الديوث) على ليونته وتراخيه في مسألة الغيرة على أهله وفي الحديث :

(تحرم الجنة على الديوث؛ هو الذي لا يغار على أهله).^{٤٤}

وحيث أن الصبي في اليمن لا تنطلي عليه كلما اقترب من لحظة نضوجه واقعة (خروجه من ركبة أبيه) وهو لا محالة سيكتشف دونما مساعدة من أحد أنه خرج من فرج أمه فإن السنوات التي تفصله عن لحظة الفطنة هي فترة يمكن إعتبارها فترة إخبات وحنين من الذكر (الصبي) يتوق فيها لإكتشاف النصف الرخو أو الضعيف من كيانه الذي لم يورثه من أبيه بل من أمه التي يمثل الإهتداء إلى سرها عند الصبي حدا فاصلا تبدأ عنده قضية اكتمال شخصيته وعلو قدره.

وهكذا كان على (ديونيسوس) كما تروي الأسطورة الأغريقية أن يبحث عن أمه (سميلي) وأنسى له ذلك دون التنازل عن بعض من خشونته أو رجولته كئمن لا يحيص من تقديمه لقاء حصوله على الدليل المرشد إلى العالم السفلي:

فالمساعدة لم تقدم له إلا بشرط واحد، وهو أن يخضع لفعل جنسي خضوعاً أنثوياً كاملاً:
فقام(ديونيسيوس) يصنع قضيب من غصن شجر التين وأولجه في إسته.
وقد اعتبر هذا الفعل رمزاً للخضوع المطلوب قدمت على إثره له المعونة المطلوبة وعاد بألمه
من العالم السفلي وأصعدها إلى السماء.^{٤٥}

وهكذا ف(ديونيسيوس/زاغروس) لم يشذ عن القاعدة فهو مثل جل آلهة العالم الأيحيي قد قدم
باسمه ورسمه لا من الشرق الأدنى فحسب، بل الإقليم الجنوبي لشبه جزيرة العرب فهو(رب الدثأ) أي
رب الخصب(ديونيسيوس) وهو الإله (الزغور) أو (الزاغر) أي (المحمول) في فخذ أبيه كما بينا اعتماداً
على لوحة(سرو حمير) الأمر الذي يعرزه معنى المفردة (زغر) في المعاجم العربية:
زغر الشيء يزغره زغراً : اقتضبه وفي القاموس اغتصبه.^{٤٦}

والمعنى الأخير (اغتصب) يشير إلى مسألة تخليص(ديونيسيوس) المتكررة من شرق الموت الرهيب
الذي كان يترصده فهو إذا المغصوب في إعادة سيرة حمله ثلاثاً، أي هو(زاغروس) المحمول هرباً من
الموت الذي يترصده في بطن فخذ أبيه والخارج من ركبتة وفقاً للموروث الشعبي اليمني.

وهذه قرينة أردنا بإظهارها رصد فضائل الشرق الأدنى على حضارة (الأغريق والرومان) وبالتالي
إبراز دور العرب في التاريخ العالمي واسقاط الحواجز المصطنعة بين الغرب(المتقدم) والشرق(المتعثر)
وفضح الخرافة(الآرية) المحبوكية في القرنين(١٨-١٩) للميلاد والتي أراد بها المفكرون الأوروبيون تهميش
الوعي التاريخي بحقيقة ما ذهب إليه قدماء الإغريق من أن الفينيقيين والمصريين هم أصحاب الفضل في
تمدين العالم الأيحيي منذ أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد، وهو ما يؤكد اليوم عدد من رجال الفكر
الأوروبي الإنساني التزعة ومنهم (د/مارتن بيرنال) صاحب كتاب(أثينا السوداء) الذي ذكرناه في
مدخل الكتاب.

٢٩

٣٠

٣١

٣٢

٣٣

٣٤

الفصل العاشر

البديعة وأبعادها الميثولوجية

لعل فيما تحتزنه الذاكرة الشعبية عن (البديدة) وفعل (البدة) القدرة على مسخ نفسها من إنسية فاتنة! إلى (أتان) بعد مسخها لمن تهوى ممارسة الجنس معه من الرجال إلى حمار، ومن ثم عودتها إلى سيرتها الأولى بعد نيل وطرها... إذ تعمد :

(إلى موقع رماد أوقدت ناره قبل أيام من حطب (القرظ) فتمرغ في ذلك الرماد حتى تسترجع صورتها البشرية).^١

لعل في هذا الأثر تجلي لما لدى الإنسان من رغبات دفينة مشحونة لممارسة الإنسان التملك والسيطرة على نصفه الآخر حيث أخذت الشقة تتسع بين نصفي الكيان الواحد في الأصل. ولكن كيف يتسنى لأنسة حسناء فعل هذا المسخ (الرهيب) كما يتصوره العقل الشعبي وينقله لنا شاعرنا الكبير عبد الله البردوني :

(أول ما تحتاج الشابة إليه هو الكيان القوي لكي تتحمل صعود الجبل مرة قبل الصبح ومرة بعد الغروب مدة سبعة أيام، بعد هذا تنهض الشابة قبل شروق الشمس لكي تكشف سؤرها لأول بزوغ شمسي مدة أربعين يوماً، بعد هذا تفتسل الشابة أربعين ليلة تحت النجوم ثم تدلك جسمها بورق شجر اسمه (الضرو) وهذه آخر الطقوس).^٢

فماذا نستطيع أن ندركه من قراءة عميقة لهذه الشعائر الغريبة؟ التي نرى فيها ترسبات متواضعة للمحنة أسطورية عظيمة تكشف لنا بعضاً من أسرار النسيج الإيماني لقدماء اليمنيين قبل الإسلام. فمن خلال معطيات (البديدة) التي عرض لها البردوني وبالمقارنة مع ميل الإنسان اليمني إلى المحافظة على علاقات تقليدية منظمة ليس فيها حرية جنسية مفرطة أو هتك في نسيج هذه العلاقة حيث أثبتت النقوش القديمة العائدة إلى عهود ما قبل الميلاد كنقوش منطقة يلا- بني ظبيان حولان الطيال العائدة إلى عهود مكاربة سبأ مكانة المرأة الرفيعة في المجتمع اليمني القديم كزوجة مثل صاحبة (بيت يثع آمر) المعروفة في (٤٣/أ) مجموعة نقوش (يلا) ب/ حجمه... ويثع آمر هو أحد مكاربة سبأ المعروفين.. ولذلك فهذه السيدة (جحمه) من النساء ذوات الشأن الكبير في ذلك المجتمع).^٣

وهذه الشعائر (البديدية) تنم عن فنون ذات أسرار متواترة النقل تتوارثها البسات عن طريق التدريب ومجاهدة النفس... وذلك عن طريق التلقي والاختبار فالبدات حسب المفهوم الشعبي من علية القوم:

(من بنات الأغنياء أو أنّ لهنّ جدات يعرفن أسرار البديدة!) [بردوني/نفسه/ص ٣٨]

هذا التخصيص للبديدة عبر التوارث أو الاقتراض بالمال! (بنات الأغنياء) يعد بمثابة مؤشر إلى حنين المرأة (الأم) الجارف إلى تبو مكانتها السابقة كحاكمة مطلقة في العهود العتيقة وأنها فقدت سلطتها لهذا للرجل وأصبحت تابعة له مما يعني أن هذه المتغيرات قد دفعت إلى تحالف الشريحة العليا من المجتمع النسوي وهي الشريحة الأكثر وعياً بالمتغيرات والأرھف حساً ولوعة بحجم الخسارة الناجمة من فقدان سلطتها للرجل الذي ينبغي أن يبقى رهينة حبوسها المشبوبة بالحب وأغلاله المتعددة الوجوه. فمن محبسه في بطن أمه إلى محبسه على صدرها أثناء الرضاعة والتنشئة إلى محبس الزوجية... وإذا كان من المتعذر بقاءه في محبسي الأمومة بحكم الضرورة فإن ولعه في ممارسة السلطة والتناحر في توسيع دائرة نفوذه يجعل قلب المرأة يخفق بقوة كلما خطر لها أن صاحب النفوذ يمكن أن يتخلص من شرك الحبس الثالث وهو الزواج فينطلق في ممارسة أهوائه وسلطاته بطرا ودون قيود... فتصنع له المرأة في داخلها محبسا شيطاني الفكرة وذلك عبر المسخ المقيت الذي لا تسلم هي منه لتمارس سلطاتها القهرية عليه. هذه باختصار الأجواء التي شهدت مولد أسطورة البديدة. أما أدواقها فيمكن قراءتها على النحو :

• المرحلة الأولى:

بالقاء نظرة على النسق التصاعدي للطقوس المطلوبة لإجادة (البديدة)، نجد أنه إلى جانب قاعدة (الاصطفاء) في اختيار (البدايات) من حسان (بنات الأغنياء) أو من جميلات (حفيدات البدايات) تأخذ الطقوس مساراً تطوريا ذا نفس تصاعدي يبدأ في طوره الأول بتمرينات جسدية تشتمل على صعود الجبل وهبوطه مرتين قبل شروق الشمس وبعد غروبها في (برنامج) تنشيطي يومي قوامه الأسبوع الأول من مدة فترة الاختبار الثلاثية الأطوار.. وعند نهاية الأسبوع الأول تكون الحسنة المرشحة قد اجتازت الطور الأدنى باكتساب لياقة بدنية كبيرة مقترنة بمستوى من الصفاء الذهني والإنعاش الروحي من خلال الخضوع لقيود هذه المرحلة السبعية ذات النفس المحاكي لما يعرف اليوم عالمياً بـ (اليوغا) الروحية الهندية الأصول وقد ذكرها الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة في كتابه : (تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار).

وسماهم بالجواكيه (والظاهر من حالهم أنهم عودوا أنفسهم الرياضة. ولا حاجة لهم في الدنيا وزينتها. ومنهم من ينظر إلى الإنسان فيقع ميتاً من نظرته، وتقول العامة: أنه إذا قتل بالنظر، وشق عن صدر الميت، وجد دون قلب، ويقولون أكل قلبه. وأكثر ما يكون هذا في النساء. والمرأة التي تفعل ذلك تسمى [كفتار] > .^٤

• المرحلة الثانية:

بعدما اكتسبته المتحرنة بفعل المرحلة الأولى من المرونة البدنية واللياقة النفسية، تنهض المتدربة لتواجه مرحلة أخرى أربعينية العدة مع إشراقة كل يوم تنهض لتعرض مواضع العفة فيها لأول شعاع تفيض به الشمس ما انطوت عنه أستار الليل وانقشعت عنه أحناده. ومع توالي اليوم الأربعين، ومن الطور الثاني تكون الفتاة قد دلفت عبر بوابة المرحلة الأخيرة ذات الأربعين ليلة المنشودة.

• المرحلة الثالثة:

ثالثة الأثافي هذه لا تبلغ المتدربة أرمها إلا بانعقادها وانقضاء آخر ليلة من لياليها الأربعين... ففي كل ليلة تنسل المرشحة خارجة من مخدعها لتتضح قدها المتهتك الأستار إلا ما جنته أو شحه الظلام بالماء، مستهدية في جلسات التطهر بوهج النجوم الشوابك ثم تعمد إلى تدليك جسدها بورق شجر اسمه (الضرر) إمعاناً في التطهر... وبحلول تلك الليلة تبلغ شعائر البديدة ذروتها وذلك باكتساب العروب القلمة قدره (المسخ المقيتة) التي غيرها يمكن أن تنال وطرها من فحول الرجال... في الهواء الطلق بمهية أتان وحمار فإن رغبت العودة إلى سيرتها الأولى ما عليها إلا التمرغ في رماد نار حطب القرظ (الإكاسيا).

(أما الرجل المسوخ فلا يستعيد صورته البشرية إلا بيد المرأة التي مسخته أو يبسد (المبدبد) الذي يكتب له تيممة ويمسح رأسه (بالزباد) وهو دهان معجون من فضلات الغزلان والظباء).

[بردوي/نفسه/ص ٣٨]

ولا شك أن الإنسان قد عرف منذ أقدم العصور أن المرأة تمر في أحوال وتغيرات كالدورة الشهرية المنتظمة في ثمانية أو تسعة وعشرين يوماً تتبع فيها دورة القمر وقد رسم الإنسان (الأم الأولى) مقترنة بالقمر هلالاً أو بدرأ في معظم الأثریات المكتشفة. بينما المدون من الأساطير والديانات الأولى بعد اكتشاف الكتابة يربط عبادة الآلهة الذكور بالشمس.

ومن رموز (إله القمر) عم عند القتبانيين، المكتشفة في معبده (لبخ) الهلال وبداخله دائرة صغيرة ورؤوس الثيران ومن شكل حرف (Y/ الهاء المسندية)... ورمز الهلال والدائرة الصغيرة يشير على وجه التقريب إلى معتقد التزاوج المقدس بين القمر والشمس عند قدماء اليمنيين، أما شكل حرف الهاء مسنداً فيشير إلى البرق المبشر بالمطر كدلالة واضحة لارتباط المعبود (عم) بالري. كما ترمز قرون الثيران إلى القوة والتناسل.

وعليه فإننا نرى في شعيرة تعريض الفتاة المتدربة في (أسطورة البديدة) (حرحها) لأشعة بزة

(بتشديد الزين) الشمس ولمدة أربعين يوماً دليلاً على معتقد قدماء اليمنيين (بأن خصب المرأة (الأم) وما تفيض به على أطفالها هو خصب الطبيعة التي تهب العشب معاشاً لقطعان الصيد وثمار الشجر غذاءً للبشر، وعندما تعلم الإنسان الزراعة وجد في الأرض صنواً للمرأة فهي تحبل البذور وتطلق من رحمها الزرع الجديد...^٧).

ونحن نرى في شعيرة طواف الحجاج عراة (بالببيت العتيق) مكة قبل الإسلام كان لنفس الغرض فهذه إعرابية ترتجز وقد نضت عند الكعبة ثيابها قائلة:

(اليوم يبدو بعضه أو كله

وما بدا منه فلا أحله

أجثم مثل القعب بادٍ ظله).^٨

وقد نهي الإسلام عن الطواف بالببيت عراة كما نهي عن التبول في اتجاه الشمس حيطة مما قد يعلق بالمسلمين من آثار الشرك وعبادات الأقدمين. ومن الشواهد الحية التي وصلتنا عبر قناة (التحذار) وتدل على شعائر عبادة الشمس عند قدماء اليمنيين، أن الناس في (سرو حمير/ يافع) كانوا يلغون بالشهادة عندما تلفح وجوههم شمس الصباح الباكر، أي أنهم بنطق الشهادتين يؤكدون انتمائهم للملة الإسلام بعدما كانوا يعظمون الشمس قبل الإسلام، وقد ذكر لنا (لسان اليمن) بعضاً من طقوس أو مناسك (رثام) :

(وقدام باب قصر مملكته حائط فيه بلاطة فيها صورة والشمس والهلل، فإذا خرج الملك لم يقع بصره إلا على (أول منها) فإذا رآها كفر لها بأن يضع راحته تحت ذقنه عن وجهه يستره ثم يحس بذقنه عليها. وهو في معنى قول الله عز وجل في بعض التفسير:

﴿وَيَحْزَنُونَ لَلْأَذْقَانِ يَكُونُ وَيُرِيدُهُمْ خَشِيعًا﴾. [الإسراء/ الآية ١٠٩]^٩

ومن آثار عبادة الشمس في (سرو حمير/ يافع) :

• مشاهد الشمس:

كانت تنتشر عبر نقول (جمع نقيل) وطرقات (سرو حمير/ يافع) ودروها (مشاهد) تبني على قارعة الطريق وذلك برص الأحجار فوق بعضها البعض اعتباطاً من قبل السابلة وكل من طرق هذا الموضع في الصباح الباكر بحيث تلتقي عيناه بأول شعاع شمسي فيلزمه أن يلغي بالشهادتين ثم يضع حجره في الكوم (المشهد) من إظهار شهادة الإسلام) وبعض أغصان عضة (العضرب) فإن تعذر فيكتفي بإظهار التشهيد وضع الحجر. والظاهر أن هذه الشعيرة العائدة إلى عهود عبادة الشمس كانت واسعة الانتشار

عبر بلاد الساميين جنوبها وشمالها... فهذا صاحب (أعمدة الحكمة السبعة) الشهير ب/لورنس العرب ينقل لنا ما شاهدته على درب الحجاج بين (رأبغ) في السعودية وبلدة (مستورة) على الطريق إلى (ينبع البحر) :

(هنا على قارعة الطريق بنى الحجيج أكواما (حجرية)، وهي في بعض الأحيان مجرد (دعامات) من ثلاثة أحجار رصت فوق بعضها، وأحيانا أكوام عادية يمكن لأي عابر سبيل أن يتصرف بحرية بأن يضع حجرته عليها - هكذا لا لعلة معقولة ولا بدون قصد، ولكن مجازاة للآخرين الذين فعلوها (من قبل) ربما لسبب كانوا يعرفونه).^{١١}

نعم فعندما ترجع العادة إلى حقب مرغلة في القدم فإن الناس يفعلونها تلقائيا ودون أدنى معرفة بأصلها ولهذا فإننا نرققها لآثارنا الحية التي أخذت تختفي بفعل متغيرات كثيرة قد آلينا على أنفسنا قيافة أثرها حتى مراتعها الأولى وعهود صباها الندية.

فهذا هو السبب الذي جهله شيطان الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك في مطلع القرن. أما شعيرة وضع أغصان عضنة (شجيرة) العضرب ذي الرائحة الفيحاء رأس هذه المشاهد مع إشراقة الشمس فطقس من طقوس عبادتها عرفته معظم بلاد الساميين العتيقة. فهذا (سفر حزقيال) يخبرنا عن ارتداد بني إسرائيل عن عبادة (الله) إلى عبادة (الشمس) :

(فجاء بي إلى دار بيت الرب الداخلية وإذا عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلا ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو المشرق... وها هم يقربون الغصن إلى أنفهم...).

[حزقيال/١٦/٨-١٧]

ولهذا فالعلة واحدة في تصلية مرشحة البدة سوتها لأول بزوغ شمسي وفيما ذكرها (الهمداني) ممن صورة الشمس واللال (معبد ريام) بحيث تكون أول ما يقع عليه بصر الملك.. وفيما تساءل عنه لورنس العرب... ألا ترى أن (غصن العضرب) الذي يشتم مشفوعا بإظهار شهادة الإسلام (تجنباً للشبهة) قبل وضع الغصن على مشهد الشمس) في سرو حمير هو نفس الغصن في (سفر حزقيال) الذي يقرب من الأنوف تقرباً من إله (الشمس)... وكل غصن فواح نحو الشقر (الريحان)، والخزام، والنرجس، والعبثران (بعبثران) في مناطق أخرى من اليمن).... وغيرها تشمه أنوف اليافاعيين يشفع بالجهنم بالشهادة.

أما في الطور الأخير من اختبار المرشحة الذي تقضي فيه الفتاة ليالها الأربعين تكرر شعيرة الطهارة عبر الاستحمام بالماء البارد على مرئى من كل هذا الوهج الكوني العظيم المتمثل فيما لا يحصى

من نجوم السماء وأجرامها ونيازكها وشهبها الكثير مما عبده قدماء اليمنيين وبالدات (القمر) الذي عبده بأسماء شتى فهو معبود سباً المعروف في نقوش المساند ب(أل مقّة/ ثهوان بعمل أوام) وهو(عم) عند القتبانيين و(سين) عند الحضارمة...

ومن بين هذه الأجرام السماوية المعبودة في اليمن القديمة (نجم الصباح/ الزهرة) المعروف لدى ممالك اليمن القديمة بالإله (عشر/عتر) وله من النعوت ما نتعرض له في الدراسة اللاحقة. وليس في شعيرة التطهر هذه إلا شاهد على تقديسها وما زال اليوم من يتجنب زف ابنته في أشهر معلومة تجنباً للألبحم النحسة. وفي كل الأحوال فقد كانت ديانة العرب وبخاصة عرب الجنوب (تقوم على أساس تقديس النجوم) كما ذهب إلى هذا القول د/جواد علي.^{١١}

أما شعيرة (الطهارة) فلا حاجة لنا بإظهار فحواها فقد أثبت نقوش المساند أنها كانت ركيزة أساسية في عبادة الإله (ذ/سماوي) أي ذي سماوي = إله السماء، وقد تصدينا لهذه القضية في (الجزء الأول من كتابنا) في موضوع (ملة المتطهرين)، وتناولنا فيه بعض النقوش المكتشفة في خربة همدان (هرمم/قديما) وبالدات نقش (كوربوس/٥٢٣) و(ربرتوار/٣٩٥٨) المكرسين لنذور الطهارة. ولا شك أن تطهر العذراء المرشحة (للبدبة) لمدة أربعين ليلة هي قوام المرحلة الأخيرة أمام هذا الخضوع الكوني الهائل وفي طليعته يأتي الإله (ذو سماوي) أي رب السماوات بكل ما فيها من الأفلاك والنجوم والكواكب لجديرة بوضعها (المرحلة) آخر أطوار الاختبار لمن تنشأ هذا الامتحان المرعب. وإذا كانت هذه دلالة التطهر فماذا تعني عملية التذليك لجسم العذراء المرشحة بـورق شجرة (الضرو) عقب الانتهاء من حمام الطهارة؟

قبل أن يجيب على هذا السؤال، دعونا نتعرف على هذه الشجرة من خلال ما ورد في (لسان العرب) بشأنها:

***الضرو، والضرو :**

شجر طيب الرائحة يستاك به ويجعل ورقه في العطر؛ قال النابغة الجعدي :

تستن بالضرو من براقش، أو

هيلان، أو ناضر من العتم.

ويروي : أو ضامر من العتم، براقش وهيلان موضعان، وقيل : هما واديان كانا للأهم السدلفة

والضرو : الخلب، ويقال : حبة الخضراء؛ وأنشد:

هنيئا لعود الضروشهد يناله
على خضرات، ماؤهن رفيف

أي له بريق، أراد عود سواك من شجر الضرو إذا استاكت به الجارية. قال أبو حنيفة: وأكثر منابت الضرو باليمن، وقيل: الضرو البطم نفسه. ابن الأعرابي: الضرو والبطم الحبة الخضراء؛ قال جارية بن بدر:

وكان ماء الضرو في أنيابها والزنجبيل على سلاف سلسل

قال أبو حنيفة: الضرو، من شجر الجبال، وهي مثل شجر البلوط العظيم، له عناقيد كعناقيد البطم غير أنه أكبر حبا ويطحخ ورقه حتى ينضج، فإذا نضج صفى ورقه ورد الماء إلى النار فيعقد ويصير كالقيطي، يتداوى به من خشونة الصدر ووجع الحلق. الجوهري: الضرو، بالكسر، صمغ شجرة تدعى الكمنكام تجلب من اليمن.^{١٢}

المفهوم شعبيا أن في الريح العطرة الزكية إذا وضعها المرء على ثيابه أو مسح بها بشرته أو شغره خطورة كبيرة على حاملها فيما إذا دعت الضرورة للخروج من البيت ليلا فالروائح العطرة تجلب الأرواح الشريرة والجنة... ومن هذا المفهوم نرى أن تطيب الحسنة الشابة بأوراق الضرو يعد كل حمام يهدف إلى استحضار الأرواح واستطلاع النجوم عبر ما يشبه الإشراق عند المتصوفة، ويشير إلى ازدواجية في جلسات التطهر (البديدية) أريد بها تطهير ثنائية الإنسان العجيبة وهي الروح والجسد نحو اكتساب قدرة المسخ الدميمة كتعويض عن عجز الإنسان وقصوره دون البلوغ إلى صنو المسخ المتألق وهو القدرة على الخلق المباركة... هذا العجز في من أنيط بها حمل بذرة سيد المخلوقات وهو الإنسان في جوفها هو في الواقع صورة من رغبته في السيطرة الشاملة أو المطلقة على بعضها المتمرد وهو هنا كما تجسده أسطورة (البديدة) الرجل (الفحل) الذي يتعرض لعبث المسخ الدميم كما تصوره الأسطورة هذه... وهو نفس الأمر الذي يحدث في الأسطورة البابلية في صراع الإله الذكر (مردوخ) مع الأم الأولى (تعامه)، حيث يسلبها جبروتها المتمثل في (ألواح الأقدار) ويحد تجليات هذا الصراع أيضا في شعيرة دخول العروس بيت زوجها في (سرو حمير/ يافع) حيث تمنع (الحريرة/ العروس) من الدخول إلا بمباركة أم (الحريرة/ العريس) التي تتلأ حتى يطرق سمعها زجل صفى (المهدنات/ المستقبلات) على عتبة الدار يرتجزن:

ألا يأم (الحريرة) إيدي (تردد مرات)

بنش تافا وصل مهدي (== ==)

على سبعة جمال إدي (== ==)

وروح مركب الهندي (== ==)

ألا يأم الحريو أبدي (== ==)

سلم وقآ إكتسر ضلعي (== ==)

ويمكن توضيح نص الدان هذا على النحو التالي :

ألا يأم الحريو(العريس) إبدى(اظهري).

بنش(ابنك) تاقا(فقد) وصل مهدي

على سبعة جمال إدي (أدى)

وروح مركب الهندي

سلم(أسلم) وقآ (أوقد) إكتسر ضلعي)

هذا النص يخاطب أم العريس بما لابد منه من خروجها لإستقبال الزاهدة الجديدة مهما كان شعورها بفقد الابن، فالمقطع الأخير من الدان فيه تساؤل أهل في(الرقعة) هذه سلامة أم أن ما حدث قد هشم للأم ضلعا فيها ؟!

هذا هو التراث الشعبي زاهر بالآثار العتيقة التي تعتمد التاريخ وتفسر وقائع العائدة إلى آلاف السنين. وتحدثنا التوراة عن خلق حواء:

(فقال آدم: هذا الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا)

[التكوين/٢/٢٣-٢٤]

ثم ماذا تعني شعيرة تمرغ البدة في رماد نار حطب (القرظ) لتستعيد صبرها الآدمية ؟ يشير هذا الطقس إلى تقديس النار، كما ذهب إلى ذلك (وهب بن منبه) : (فقد كانت تعبد لها حمير... وكانت فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم شيئا).^{١٣}

وبعث البدة من قاع المسخ الدميم هذا إلى رحاب الحياة لا يمثل في نظرنا إلا وجه آخر لانبعاث العنقاء (طائر الفينيق العربي) من رماد انحرأقه وتفحمه. فعبر الرماد تعود البدة إلى سبيلها الأول.... ومن الرماد تنطلق العنقاء خافقة أجنحتها بالحياة.

والمأثور في(سرو حمير) أن (الرمادات/مواضع جمع الرماد) تعد من أنسب المواضع التي تعشعش فيها الجن والأرواح الخبيثة... وبها تخلص إلى أن شعيرة التمرغ في رماد نار القرظ وهي الشجرة العظيمة الكثيرة المنافع كأعمال الدباغة وبناء البيوت وحطب المنازل.

وقد ذكره (ابن منظور) في (اللسان) وحدد بلاده بالقول:

(... وقرظي: منسوب إلى بلاد القرظ، وهي اليمن لأنها منابت القرظ).

[ابن منظور/لسان العرب/٧/مادة قرظ]

نعم فهذه الأسطورة الحية بكل أبعادها وأحوالها تشير إلى أصالة انتمائها إلى اليمن ومن ثم أصالة الأبعاد الميثولوجية التي عرضنا لها في هذه الدراسة.

وليس بنا حاجة للقول بأهمية توظيف الأرقام المقدسة في بناء الأسطورة هذه ونقصد بذلك :

• الثلاثة: حيث قسمت فترة تدريب البداة إلى ثلاثة أطوار، بحيث أن

١. السبعة : يشكل رقم السبعة المقدس قوام أو عدة المرحلة الأولى (الطور الأول) من فترة الترشيح،

٢. الأربعون : عدة كل واحدة من المراحل الثانية والثالثة أربعين يوما/ليلة.

وقد تصدى كثير من أهل الاختصاص للبحث عن قدسية هذه الأرقام في الميثولوجيا والتراث الشعبي.

فهذا الأستاذ/ فرج الله صالح ديب قد خصص فصلا كاملا من كتابه- ذي الأربعة فصول-

(حول أطروحات كمال الصليبي) لهذا الشأن، حيث جعل الفصل الثالث يناقش فيه:

(تقديس أرقام الثلاثة والسبعة والأربعين في النصوص والثقافة الشعبية).

فالتقديس لهذه الأرقام يرجع بشكل رئيسي إلى مكانة الأم الأولى القمرية الطابع:

إذ القمر يشابه المرأة في دورها الشهرية وما يحيط به من نجوم، فإنه يمر بمراحل ثلاث:

هلال يتزايد، بدر في كبد السماء، تناقص وغياب. ثلاثة أطوار، وغياب عن العين المجردة

لثلاثة أيام، يطلع بعدها مجددا. وهذا القمر كانت التقاويم الأولى التي ما زالت حتى اليوم عند

العرب والعبران وشعوب أخرى... وإذا كانت طقوس بعث القمر وتجده بعد أيام ثلاثة من

الغياب عن النظر، فإن اقتران رسم الأم مع القمر هلالا يمتد في معظم الأثریات المكتشفة، في نفس

الوقت الذي يرتبط فيه الهلال مع نجوم سبعة. ولجد الأم الأولى سيدة المعارك معتلة عربية تجرهما

سبعة أسود.

أما الأربعون فهو رقم مقدس واضح الارتباط بالخصب والمرأة... فانقطاع الطمث يبدأ عادة

بسبب الأربعين، وبعد عملية الخلق والولادة تتمدد فترة الطمث لأربعين يوما.

ويروي لنا سفر التكوين عن مدة الطوفان : (وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض).

[سفر التكوين/٧/١٧]

غير أنه ونحن نشارف على إقفال دراسة هذا الأثر الأسطوري بأبعاده الميثولوجية الموغلة في القدم نجد من اللازم علينا الأجابة عن الأصل في تسمية هذا الأثر الحي (بالبددة) حيث لم نجد لدى شاعرنا الكبير (أمد الله في عمره) البردوني جوابا لهذه المسألة... وقد عثرنا على ظالتنا في الآثار التي خلفها لنا علامة اليمن ومؤرخها الشهير في القرن السادس للهجرة (نشان بن سعيد الحميري) :

(البدا: الصنم بلغة الهند، وجمعه بددة، وهي أصنام ينحتونها بأيديهم ، ثم يعبدونها ويجعلون لها بيوتا كمساجد المسلمين، وفيها بنات رؤسائهم موهوبة لتلك البددة على وجه التقرب بها، والنذور والكفارات، وتلك النساء واقفة للفساد والفجور، يأمرها أهلها بذلك، ويرون أن لهم فيه أجرا عظيما، ولهم عباد ورهبان في تلك البيوت، متجردون من اللباس، يدعون الزهد في الدنيا، لا يسون الماء، يتبركون بأوساخهم، ويختبرونهم بتلك النساء وملاعبتها، فمن اشتاق من أولئك العباد إلى تلك النساء وأنعظ، فقد كفر كفرا عظيما عندهم، وأتى بأعظم منكر، وألحقوه أنواع العذاب والنكال وقتلوه).^{١٥}

بهذا نكون قد انتفعنا بما فيه الكفاية من دراسة الأبعاد الميثولوجية لأسطورة (البددة) وبالذات فيما يتعلق بعبادة الشمس في اليمن على العموم وفي (سرو حمير/يافع) تحديدا، خاصة في ضوء ما ترسب في (سرو حمير) نقصد بذلك ما وصلنا منذ آلاف السنوات عبر قناة التحدار أي التراث الشعبي عن شعائر عبادة الشمس وبالذات في لحظة طلوعها. وفيما يلي نتناول عادة أخرى واسعة الانتشار في الجزيرة وبلاد الرافدين وسوريا فيما أعلم وهي عادة لها ذكرى في نفس كل واحد عاشها في طفولته، فما هي هذه العادة وما علاقتها بالشمس ؟

• عين الشمس وأسنان الأطفال:

من العادات السارية المفعول حتى اليوم، ما علمناه عن والدينا (أبويننا)، وقد آتاهم توارثا عن آبائهم عادة تعرف في (سرو حمير/يافع) ب: (تخسير الأسنان) والتخسير في معاجم اللغة هو : الهلاك.

[لسان العرب/٤/ مادة خسر]

فإذا بدأ الطفل بتخسير أسنانه (اللبنية) وظهرت في موضعها فلجات التخسير، فإنه يثير الضحك عند أقرانه فيدعونه ب(الخشري) : من خشرة (بالشين المعجمة/ وزان خشرة) وهي الفلجة بين الأسنان. وعند ابن منظور نجد: خشر (بفتحات) يخشر خشرا: نقى الرديء منه، ومخاشر المنجل: أسنانه، أنشد ثعلب: ترى لها، بعد إهار الآبر، صفر وجه كبرود التاجر مآزر، وأثر المخلب ذي المخاشر يعني الحمل).

[اللسان/٤/ مادة خشر]

فإذا خرج الصبي أو الصبية ذات يوم وفي يده أحد أسنانه في الصباح الباكر، فإنه ينظر شرقاً نحو
قرص الشمس الفاتق ويقول مغتبطاً ما تعلمه من أهله:

(واعين الشمس هاليش ضرسي لسود وأديني ضرس بنتش لبيض)

وبالفصحى يمكن قراءة النص على هذا النحو:

(يا عين الشمس هآ ليك (هآ اليك) ضرسي الأسود، وأديني (أعطيني) ضرس إبتك الأبيض)

هذه الشعيرة كانت من الانتشار بسعة بلاد الساميين كلها، فقد كانت موجودة عند العرب قبل
الإسلام وفي ذلك ينقل لنا صاحب (فحج البلاغة) الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، ما يقوله
الغلام عند قذف سنه تجاه الشمس ونصه :

(يا شمس ابدليني بأحسن منها ولتجر في ظلمتها أياتك).

أشار إلى ذلك (طرفة بن العبد)، بقوله:

عن أقاح كأكاح الرمل غر

شادن يحلو إذا ما ابتسمت

بردا ابيض مصقول الأثر^{١٦}

بدلته الشمس من منبته

هذه العادة الراسخة الجذور الواسعة الأثر كما رأينا لها علاقة أكيدة بشعائر عبادة الشمس، فلماذا
الشمس لا غيرها معنية بتعويض الطفل عما يحسره (بتشديد الراء) من أسنانه اللبنية بمعنى أن تأخذ ما
يرمى إليها من تالف الأسنان (لسود/المتسوس) وأن تبدله عنها في الثغر ذي الخشرات (الأخثر) من
أضرار إبتها البيض... كما يذهب إلى ذلك النص اليافعي الحي. ولا نرى حتى في نص فحج البلاغة
ما يدل على توسل واستعطاف للشمس فالبدل وإن لم يكن من أسنان بنتها، ينبغي في كل الأحوال أن
يكون أحسن مما حذف لحوها. فغياب روح الاسترحام من هذه النصوص، وخلوها من صيغة التوسل
والاستدراج للمعطي، واشتراط النص اليافعي (الحميري) أن ينتزع البديل من ثغر (بنت الشمس) السقي
لجعلها... هذه المعطيات تدل مجتمعة على أن في الأمر حق أو دين يطلبه صاحبه، وأن الشمس لا
تستطيع فكاًكاً من مطلب (بني آدم) هذا الذي تؤديه غير مشفوع بالقرابين والابتهالات. وعليه فلإن في
الأمر سرا تكشفه لنا تعويذة كتبت على لوح عثر عليها في خرائب مدينة (أشور) وفيما يلي نص
التعويذة كما وردت في كتاب : (مغامر العقل الأول/د. فراس السواح)

• السوس ووجع الأسنان:

بعد أن خلق آنو السماء

وبعد أن خلقت السماء الأرض

وبعد أن خلقت الأرض الأنهار
والأنهار خلقت القنوات
والقنوات خلقت المستنقعات
والمستنقعات خلقت السوس
مضى السوس باكيا إلى (شمش) [إله الشمس/سواح]
وذرف الدموع في حضرة أيا
— ماذا تعطيني لطعامي ؟
— ماذا تعطيني لشراي
— سأعطيك شجر التين
— أو أعطيك الشمس
بماذا يفيدني شجر التين
بما يفيدني الشمس
دعني أصعد واتخذ لي مسكنا
بين الأستان وعظام الفك
حيث أمتص دماء الأستان
وأثخر فيها
عند جذور وعظام الفك
(أدخل الأبرة وأمسك بالسوس) [الكلام هنا موجه للطبيب المعالج/سواح]
لأنك نطقت بهذا أيها السوس
فليسحقك أيا بجبروت
(وعزم) يديه
(تعويذة ضد وجع الأستان)

(الطريقة: أحضر بيرة وزيتا وامزجهما معا وأتل التعويذة ثلاث مرات وضع المزيج على
الأستان)^{١٧}

هذا النص البابلي يرجع لنا سبب هذه الشعيرة التي ما زالت تنبض بالحياة في (سرو حمير/يافع) إلى
تقاعس الإله (شمش) مع السوس، حيث ما زالت الشمس حتى اليوم تدفع من تهاونها مع (السوس)

بانتزاع أسنان ابنتها لتعويض الإنسان عما حل به من داء تسوس الأسنان... ولم تغني عنه فطنة (أيا) وحكمته شيئاً.. غير أن ما يهمنا هنا هو قيافة الأثر حتى منابعه المدرارة الأولى. وتبقى لدينا أحداث ما زالت مجهولة بخصوص هذه الواقعة يلخصها سؤال مصدره النص (اليافعي) وفحواه : من تكون بنت الشمس، وما موقعها في تلك الواقعة ؟

لعل بعض الإجابة على هذا السؤال تكمن فيما نعلمه من تصورات قدماء المصريين لمفهوم العدالة التي مثلتها عندهم الآلهة (ماعت) بنت (رع) الشمس.^{١٨}

من هذا تستشف أن (تداعيا) قد حصل ذات يوم بعد أن ابتلى الإنسان بداء القملصة (التسوس) ينخر أسنانه وبين (الشمس) التي أذنت للسوس بذلك وأن ربة العدالة قد حكمت في قضية (تداعي الإنسان على الشمس) :

بأن يعرض الإنسان في صباه عما يخسره من أسنانه يطلب يرفع إلى الشمس على أن تتول بنت الشمس (ماعت/عند المصريين) (ربة العدالة) التعويض بأسنان (كشخوب الحليب) تترع من ثغرها الباسم. غير أننا ما زلنا بحاجة لمعرفة اسم بنت الشمس عند قدماء اليمنيين وشيء من وقائع هذا التداعي عبر دراسات شاملة لآثارنا التي ما زالت تحت الرمال أو تتعرض للنهب هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يتعين علينا الإسراع في مسح شمولي وتفصيلي لآثارنا الحية وبالذات في (سروحير/يسافع) قبل فوات الأوان.. فقد أخذت السوس أيضا تنخر في جذور تراثنا وتمتص دماه !.

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨

الفصل الحادي عشر

آثار الإله عتثر الحيّة

في

سرو حمير/ يافع

من أكثر الآلهة أهمية في حياة الحميريين الذين سكنوا سرو حمير/يافع كان الإله عثر. ولا أدل من الآثار الحية والاسمية الباقية في لجد حمير التي جمدت ذكرى إله البرق والصواعق والأمطار وشهدت على أهميته بين قدماء اليمنيين الذين حلوا مرتفعات يافع. ولا غرو فقد كان عثر. مقام الإله الوطني لليمن القديمة... فقد كشفت حفريات البعثة الفرنسية للآثار في منطقة (سوداء) بالحواف. بعد أن خلصت من أعمال التنقيب في الربع الأول من عام ١٩٩١م عن محرم (بيت عثر ذي رصف) = (شلا عثر رصف). وقد ظهر أن بيت عثر هذا يزخر بالنقوش والزخرفة البديعة وكان ملك (نشن) :
(سمهف بن لبان)

قد كلف المعماري: (أبا أمر صدق) ببناء بيت (لعثر ذ رصف)، فهذه الأسماء وأخرى ظهرت منقوشة على أعمدة الحرم ومذابح القرايين المقدسة التي أزيج عنها تراب العهود العتيقة تجلت عن معبد في غاية الروعة.^١

هذا الكشف يرجح أن اليمنيين قد عبدوا عثر في الألف السادسة (ق.م).^٢
هذا الكشف فيه ما يكفي لدعم الطرح القائل بالهوية الأصلية لعثر المحددة باليمن... غير أن إله النجم فينوس (عثر/نجم الصباح) المعادل المذكور لعشتار البابلية (وعشتروت) الفينيقية... قد تعرض على مدى تاريخه إلى عمليات من إعادة التأهيل عند مختلف شعوب منطقة شرق المتوسط وبالذات جزيرة العرب الأمر الذي يجعل مسألة القطع بهويته قضية خلافية. غير أن (نيلسن) يرى في تغيرات الخصائص الجنسية للشمس والزهر عند الساميين أمرا : (يشير إلى انتقال الديانة السامية القديمة من الجنوب إلى الشمال وتغييرها بسبب البيئة التي أثرت في الدين تأثيرا بعيدا).^٣
فمثلا : (ملك) الاسم الكثير الانتشار كأسم من أسماء الزهرة يصير عندهم (ملكة) (وعثر) يصير عند الكنعانيين (الفينيقين) (عشتروت) (وكوكب) يصير عند الأراميين (كوكبه) (وخلص) يصير عند النبطيين وغيرهم من عرب الشمال (خلصه) ونتيجة لهذا الإستقراء يرى (نيلسن) هذا التمييز تذكيرا وتأييضا يمثل حدا فاصلا بين الساميين الشماليين والجنوبيين.^٣
وقد عزز هذا الطرح بما ذهب إليه (د/رواح) في (دراسة فيلولوجية) أظهرت المتغيرات الطارئة التي تعرض لها (عثر) أثناء إعادة التأهيل التي حدثت له خلال تجاربه في التخوم السامية الواسعة :
فمن الناحية الصوتية يلاحظ أن الاسم قد ورد في العريات اليمنية القديمة مشتتلا على

صوتي: العين(الذي فقد في البابلية الآشورية) بأن تحول إلى همزة (أشتر) والتاء(الذي تحول في الساميات الشمالية: الأكادية بقسميها البابلي/ الآشوري، والعبرية والآرامية والسريانية إلى صوت الشين...^٤

ويؤكد د/ أنيس فريجه أن صوت الثاء لم يتغير في الأوجاريتية وأنه ورد في نقوش (رأس شمرا) (عثر) كما في النقوش اليمنية °

من هنا فهذه الأصالة الصوتية الواردة في(عثر) تدل على أصالة المواطنة فإلى جانب شواهد أخرى سنعرض لها تشير هذه الشواهد مجتمعة إلى جنوب جزيرة العرب كموطن شهد الانبثاق الأول لعبادة(بجهم الصباح/عثر) ومنها انتقل إلى مواطن أخرى من بلاد الساميين... ولا عجب فقد تكيف(عثر) مع الأحوال الأيكولوجية والثقافية لكل شعب انتقل إليه فقد أصبحت ذكراة اليوم في أوروبا ذات وجه إيماني آخر، ففي الثالث من أبريل تحتفل في كل عام شعوبأوروبابا(المسيحية) بعيد الفصح (إيستر/Easter) المكرسة للقديس إيستر وتذكارا لبعث السيد المسيح. والملاحظ في مفردة (إيستر) هذه تسميتها بمعنى الشروق أو الإشراف فيها وهكذا كان معنى الاسم في اللغة الانكليزية القديمة.

وفي نقوش المساند اليمنية القديمة عرف بنعوت عديدة أهمها (عثر ذو شرقن) أي (عثر الشارق) وسنعرض في آخر الدراسة لعدد من أسماء القرى والوديان (اليافعية) التي ما زالت تحمل اسمه. نعم فقد ذكرنا أهمية (عثر شريقان) بالنسبة لقدماء اليمنيين عامة و(لسرو حمير) خاصة. وأكبر شاهد نسرقه لدعم طرحنا هو:

• الأرض العثر:

ما زالت الأرض الزراعية التي يعتمد في سقايتها على ما حادت به النماء من مياه القطر الموسمية تعرف في سرو حمير/يافع (بالعثر) : جمعها أعتار... وهي نفس الأراضي الزراعية المعروفة في نواحي أخرى من اليمن وفي مختلف أقاليم الجزيرة العربية بالأراضي البعلية(صيغة النسبة من بعل/إله الخصب) وهكذا فالمدرجات الزراعية الواقعة في حواز الجبال والتي لا يمكن سقايتها بالغيول ولا بمياه الآبار فهي(عثر) وعثر هي الصيغة المعروفة لعثر في بعض النقوش كما في (ربرتوار/٣٩٥٨) وهو بلا شك إله الخصب والزراعة وكثير ما تذكر في قصائد شعراء يافع الشعبين :

وفي ذكرها قال الشيخ راجح بن سبعة اليهري :

يسقي بلاد المساني والعثر ولا يروينا الوقت الضير

في معاني المفردات:

المسائي: المسنى: عكس العتر تسقى من مياه الآبار.

يروينا: يرينا من رأى : أبصر.

ولا أحسب (فيما أعلم) غير (سرو حمير) أن قبيلة أو شعباً عرفت لديهم هذه التسمية غير إشارة

وردت في سيرة الإمام الهادي:

(العثري: بكلام أهل اليمن، هو الأعداء بكلام أهل العراق)

ويفسر محقق (النور المشرق) العثري على هذا النحو : العثري: هو ما سقطته السماء من الأشجار

والزرع.^٦

نعم فالأعتار : هي الأراضي التي خصصها قدماء اليمنيين بالأعشار (العشور) تجمع منها تقريباً

لمعبودهم عثر/عتر إله الخصب والنماء تماماً مثلما عرفت بعل وبالذات (أوجاريت/رأس شمراء).

• قوس عثر/اليافعي:

يعرف العالم الناطق بالعربية ما ينتصب أمام السماء المحتجة بجوارب القطر بألوانه المتوقدة (بقوس

قزح) فمن هو قزح هذا ؟

• قزح : طرائق متقوسة تبدو في السماء أيام الربيع... وفي الحديث عن ابن عباس: لا

تقولوا قوس قزح فإن قزح اسم شيطان، وقولوا: قوس الله عز وجل... وقالوا قوس الله أمان

من العرق.^٧

أما في (سرو حمير/يافع) فلا يعرفه الناس إلا بهذه الصيغة: (قوس عثر).

وينطقونها من باب الإمالة أي : (قاس عثر).

فعندما تتجههم السماء ويظهر قدامها (قوس عثر/عثر) يخف الصغار لرؤيته صبية وبنات

وينشدون (شلة واحدة/كورس) أهزوجة توارثها الآباء عن الأجداد نصها:

وآ قاس عثر توتر توتر

وآ قاس عثر توتر توتر

وآ قاس عثر توتر توتر

والليل يدني والشمس تطلع

في معاني المفردات:

وا : ياء النداء

قاس: قوس

عنتر: عنتر

توتر: (فعل أمر) بمعنى اشتد^٨

نعم فقد تحول الاسم (عنتر) إلى (عنتر) تحت قانون (المخالفة) المعروف. هذا إلى جانب عدم شيوع الاسم (عنتر/بالنون) في سرو حجر/يافع البتة فلا أعرف أحداً من أهالي السرو يدعى (عنتر) كأسم لا كنية أو لقب... وأرى أن هذا التحول قد حصل بعد اعتناق اليمنيين لليهودية أو للإسلام فيما بعد.

لقد احتفظ لنا هذا النص بذكرى الجائحة الموسومة في النصوص الرافدية الميثولوجية بالطوفان:

أن طوفاناً سيهلك مراكر العباداة وتلك ذرية البشر....

إن هذا هو القرار الذي أصدره الآلهة في مجملهم

قم فابن فلكاء

[من ملحمة جلجامش]^٩

نعم فقد حدثت جائحة الطوفان كما تصورها النصوص البابلية:

يحتاج الأرض الطوفان فيموت كل ذي جسد. إلا من حملتهم سفينة أوتنا بشتيم. ويندم الإله (أنليل) وبقية الآلهة لما ألحقوه بالإنسان من ويل.. عندها قامت الآلهة (عشتار) بتعليق عقدها الثمين الملون في باحة السماء، ليصبح (قوس قزح) رمزاً لميثاق البشر بعدم تكرار الطوفان.^{١٠}

عقد عشتار البابلية هو قوس عنتر اليماني المتنازع عليه في الميثولوجيا الرافدية والميثولوجيا التوراتية. فالآلهة (عشتار) تخطاب بجمع الآلهة عند قربان (أوتنا بشتيم) قائلة:
(أيها الآلهة الحاضرون:

كما لا أنسى هذا العقد اللازوردي الذي يزين عنقي، فإنني

لن أنسى هذه الأيام قط وسأذكرها دوماً. تقدموا جميعاً واقربوا

من الذبيحة إلا (أنليل) وحده لن يقترب لأنه سبب الطوفان دوماً

ترو وأسلم شعبي للدمار).^{١١}

أما سفر التكوين فيروي لنا قصة القوس:

(وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض. فيكون متى أنشر سحاباً على

الأرض وتظهر القوس في السحاب أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل

جسد. فلا تكن المياه طوفانا لنهلك كل ذي جسد). [تكوين/٩/ نص ١٣-١٥] ١٢

إن أهزوجة اطفال السرو (يافع) التي بلغتنا تواترا عبر ما يعرف اصطلاحا بقناة التحدار وصلت إلينا منتوفة الريش عارية الجسد فالنص على تواضعه:

(وآ قاس عنتر توتر توتر (تكرر ثلاثا)

والليل يدني والشمس تطلع)

هذا النص بلا شك يشكل العمود الفقري للمحمة شعرية فقدت (للأسف) من ذاكرة أبناء سرو حمير ولم يبق منها إلا هذا النص الذي حمد التاريخ وبرهن على صحة الطرح القائل:

بالأصول اليمانية للميثولوجيا الرافدية وبالذات ملحمة (جلجامش) كما ذهب إلى ذلك

الباحث نجيب البهيقي. ١٢

فماذا يقصد الصغار (براعم الحياة الندية) في أهزوجتهم أنهم يحثون (قوس عنتر/عنتر) على الثبات والتحفز. فالمطلوب أن تستمر الحياة التي ينشدونها دون تهديد من جائحة (طوفانية أخرى) ففي تعاقب دورة الزمن (الليل والنهار) وطلوع الشمس علامات دامغة تدل على استمرارية الحياة كما هي مألوقة وكما أرادت لها المشيئة الإلهية... أما اختفاء الشمس لأيام يخيم فيها ظلام الليل ويجريها العماء (الضباب) وتغشاها غوايق السحاب وتمور الأرض (بالخسف) فإمارات تذكر بالطوفان... غير أن تجلي (القوس العنثري) تبعث بلا شك على الإطمئنان على حياة بني البشر وكل ذي نسمة وبعيد فإن عقد عشتار الآلهة البابلية (الأنثى) هو (قوس عنتر) المحارب إله الخصب والعواصف. الأمر الذي يتناغم مع هيئة (عشتروت/البابلية) التي تظهر في تماثيل آشور جالسة على عرش قائم على عربة يجريها سبعة أسود وتحمل بيدها قوسا مشدودة

..... وكذلك اعتبرها الفلسطينيون القدماء حيث أنهم قتلوا ملك العبريين (شاوول) على جبل (جلجوع) أخذوا سلاحه ووضعوه أمام عشتروت في هيكلها... ١٣ هذا نجد ذاته يؤكد أن عشتروت المحاربة ما هي إلا نسخة عن عنتر المحارب الذي اقتضت ظروف البيئة الجديدة ونعني بها الشمالية (الرافدية) إلى إعادة تأهيل له فأصبح آلهة أنثى عرفت باسم عشتار (عشتروت) ولهذا الاعتبار نفسه طالت يد التغيير أيضا (قوس عنتر) التي أستعير عنها ب (عقد عشتار) كما يبين هذا النص السابق... واحتفظت عشتروت لنفسها بمهنة المحارب الأصل (عنتر) الذي ما أن فرغ من محاربه لقوى العماء البوهيمية والحقا المزعمة بها بأسلحته التي كانت فيها قوسه السلاح الأكثر فاعلية في حربه مع قوى الشر برعامة (انليل) الطامحة إلى إخماد وجيب هذا العالم والقضاء على الإنسان الذي أفقد بوجوده

الكون صيغته الأولى القائمة على السكون والرتابة. وحيث تمخضت المعركة عن انتصار (عنتر شمين) أي عنتر الحافظ (وهو نعت آخر يرد له في النقوش) فقد حبذ أن يخلد ذكرى هذا الصراع في تركه لقوسه المسحورة ماثلة في باحة السماء لتردع بتجليها أمام القوى الماثية التي قد يعاودها الحنين الأول لعالم السبوت المغمور بالمياه عبر القضاء على عالم الحركة العاج بال مخلوقات الحية وسيدها الإنسان... وأتينا بهذا الطرح نتحرق شوقاً لوضع أيدينا على الحقيقة كاملة بخصوص (الإله عنتر) ووقائع كفاحه كما تصورها قدماء اليمنيين ولن يحصل هذا الأمر إلا عبر الشروع بحفريات أثرية في (سرو حمير) وبالذات في المواضع التي ما زالت تحمل اسم نحم الصباح والتي سنعرض لها في الفقرة التالية... ومسح أكثر شمولية للموروث الشعبي قبل ضياعه بفعل المتغيرات الهدامة المختلفة.

• لمسة القوس المباركة:

المفهوم الشائع لدى الناس في (سرو حمير/يافع) أن (قاس عنتر/قوس عنتر) إذا لامست أي شجرة من أشجار الأخشاب نحو (العلب/ السدر، القرظ/ الأكاسيا، الصر... إلخ) فإن أعواده (عيدان) تصبح ببركة هذه اللمسة أكثر جودة ونفعاً في أعمال البناء وكما المثل الشعبي مقتضب يقول: (من جالس جانس).

ولا يحتاج هذا إلى تفسير فهذا القول فيه من المرعظة ما يفوق القول الفلسفي المعروف: (قل لي من تعاشر أقل لك من أنت).

نعم فأبعاد هذا المفهوم توشي بحلول البركة القوس العنترية المزروعة من أكرم العيدان في الشجرة المحظوظة بهذه اللمسة (الألوهية) التي تكسيها من مزايا قوس عنتر النادرة ما يجانسها مرونة وصلابة وتماسكاً ودعم... إلخ. وبعد فإن لإله كوكب الزهرة المطير هذه من الحضور في أسماء القرى والوديان الياضية ما يؤكد على أن في اليمن كانت نشأته الأولى. ويأتي في طليعة تلك المواضع ما ورد ذكره في نقوش المساند وهو مع بقية الأسماء التي سنعرض لها موضوع هذه الفقرة:

• محرم الإله (عنتر) في صناع:

وردت (صناع) في نقش (ربرتوار/ ٣٩٥٨) حفر على صخرة في أسفل (جبل قرنين) ٢ كم شمال بيحان القصاب. ويعود تاريخه إلى القرن الثالث الميلادي عصر ملوك سبأ وذي ريدان المرحلة المعروفة عند علماء الآثار (بالمحلة التبعية الهمدانية)، وصاحبه:

(نصر يهحمد بن معاهر وذي خولان) قيل ردمان وخولان الذي كانت ردمان في وقته تابعة لحضرموت على أيام ملكها: (العزيط بن عم ذخر)^{١٤}. فعلى هذا النحو وردت فيه:

(وبردا/ عتر/ بعلت/ صنعتم).

أي (وبعون/ عتر/ بأعلى/ صنعه).

والمقصود ب/ صنعه: صناعة (بالتصويت) والميم في (صنعتم) لاحقة التنوين في لغة نقوش المساند.
وتعرف (بصناع) أحد الجبال وأودية العناق غرب البيضاء ويلتقي (وادي صناع) في أسافله
(بوادي حمرة) :

واد في البيضاء يصب إلى أبين ومنابعه من غرب البيضاء ومن جنوب الطفلة ومن جنوب
السودانية.^{١٥} نعم فهذه (صناع) تقع مع (وعلان/ المعسال) مركز الأقبال المعاهرين الردمانيين... وقد
ذكرها الهمداني كأحد حصون وجبال سرو حمير الشهيرة.^{١٦} وفي (الإكليل/ ٨) جعلها قصرا لشمر
تاران.^{١٧} وفي قلعتها تحث علي بن الفضل الجيشاني الحميري.^{١٨} وفي (الإكليل/ ٢) ذكرها الهمداني
كبطن حميري من نسل وائل بن سدد بن زرعة :

وأولد وائل بن سدد بن زرعة بن سبأ الأصغر: سبأ بن وائل.

وأولد سبأ بن وائل: زرعة بن سبأ. فأولد زرعة: حبه (مخففا)

بن زرعة. وإليه ينسب وادي حبه بالسرو. فأولد حبه بن زرعة:

الأسموع بن حبه. فأولد الأسموع بن حبه: سماعة بن الأسموع، بطن.^{١٩}

وفي ذلك يقول الأطوع:

• السرو : سرو حمير، وهو بلاد يافع ووادي حبه بالتحريك نسب إليه وهو محتفظ باسمه إلى
هذا التاريخ، وهو في يافع العليا، ويرى (جبل حبه) من بلاد البيضاء، إذ حبه من يافع غرب
البيضاء، وآل حبه من قبائل يافع.^{٢٠}

والبطن (سماعة) هو صناعة: بإبدال السين والميم من الصاد والنون. ويعرف هذا البطن
بواديه المعروف: صناع العليا وصناع السفلى. وهم بعض قبيلة الفردي وأهل الحرفوف.^{٢١}

• ف/صناع اليافعية هذه كانت في أقدم العصور مرقعا هاما ذات منشآت أثرية يأتي في طبيعتها
(محرم عتر) الذي ينبغي أن توجه إليها بعثة من علماء الآثار للتنقيب عن آثارها فلعلني أول من
يتعرض لهذا الموقع بهذا المستوى من البحث.

وحيث أن (عثر) قد اشتهر عند قدماء اليمنيين بنعوت أهمها : (عثر ذو شرقن/ أي عثر الشلوق)
و (عثر ذو خلص) و (عثر ذو كبذ).

فقد تخلفت له آثار اسمية كثيرة في يافع بعضها خلدت اسمه والبعض الآخر خلدت نعوته ومن هذه

- المواضع التي تؤكد أصالة(عنتر) في سرور حمير القرى والأودية التالية:
- (١) عنتر: تصحيفا ل/عنتر: قرية عامرة حلال العنتري من مكتب (ناحية) الضبي(هضبة ظهر يافع)، والقرية كائنة على تلة صخرية عالية وعلى مسافة قريبة منها يبدو(جبل ثمر) شامخا في الشمال الشرقي / حمزة لقمان/ص ٢٠٨
- (٢) ذي الشارق: (ذو/ دائما تنطق في يافع بصيغة الكسر والجر أي [ذي]) : قرية في الجوار من قرية عنتر لا تبعد عنها إلا بنحو مئتين مترا شرقا.. حلال لقبيلة الشرافي مكتب الضبي / لقمان/ ص ٢٠٨.
- (٣) ذي الشارق : قرية في مكتب السعدي (يافع بنو قاسد) حلال النهدي من قبيلة الذواذي. / لقمان/ ص ١٨٩.
- (٤) آل/ شراقين: قرية في (الشعيب) حلال الحنشلي من سهم السيل. /حمزة لقمان/ ص ٢١٩.
- (٥) كبذ: قرية مرفدية مكتب(ناحية) الحضارم(حضرمي) في الجوار من سوق السلام. /لقمان / ص ٢١٠.
- (٦) ذو خلص: (ينطق بالبدال المهملة) : واد خصب من أودية قبيلة(آل نفاجي) مكتب السيزيدي متفرع من وادي(الحضراء) في يافع بني قاسد. /لقمان/ ص ١٩٢.
- (٧) عتر: قرية في نطاق(خله/ أخلة تاريخيا) المفلحية حلال آل عتور. /لقمان/ ص ٢١٤.

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١

الفصل الثاني عشر

في ميثولوجيا الموت

لم يلهب خيال الإنسان شيء كما ألهبت فكرة الموت ولم يثر
عقله من أفكار كفكرة انعدام العقل ذاته. فما الذي ستكون عليه
الحال عندما يمضي إلى النوم ولا يفيق أبدا ؟ وكيف كانت قبل
أن يحمل ضيفا على هذا العالم.

ولعل أعظم التصورات حول عالم الأحداث ما توارثه الناس شفاها عن ظاهرة الموت ومحاوله
الإنسان التصدي لها فما زال الناس يرددون في سرو حير قولا يلخص ظاهرة الموت الأولى ونصه:
(عزك بملك الموت لعور)
لعور: الأعور.

هذا القول الشامت المتهكم يردد تعبيرا عن السخط والقرف من جلالة شخص ما حيث أصبح لا
يطاق فيحمل الناس على قذفه بهذا القول الذي يدعى به له بالعاجلة على يد ملك الموت الأعور!
تري ما هي قصة الموت الأعور هذا ؟

يعكس أن ملك الموت كان يظهر للشخص الذي حل أحله عيانا فيقبض روحه وهو يراه. وفي
ذات يوم خف إلى أرملة (معولة) وقد عادت أدراجها من الرادي... كانت خائرة القوى يتفصد
حبينها عرقا وبينما هي على عجلة من أمرها إذ مهدت لبقرتها مذودها وزودتها بالعلف وقدمت لها الماء
(وشلشلت) نفسها استجابة لرسولات يتاماها الصغار الذين استحيروا أمهم وإبطائها عليهم بالطعام...
فبينما هي تسارع إلى الداخل إذ ذا برجل يعترض طريقها فيدور بينهما هذا الحوار على عتبة
البيت:

- الأرملة: بسم الله الرحمن الرحيم... من انت وأ رجال؟ (من أنت يا رجل؟)
- الرجل: أنا ملك الموت.
- هي: رايش آعوز مني؟ (ماذا يعوزك مني؟)
- هو: حلة ساعتش وأنا حاك آقبض روحش. (حلت ساعتك وهأنا حمت لأقبض روحك)
- هي: ويلك من الله وعيالي من لهم؟
- هو: هيا فلا وقت عندي لهذا الكلام.
- هي: بحق من كذك بهذه الساعة خلني أصلح آدي لعياي. (بحق من أرسلك بهذه الساعة خلني

سبيلي لكي أصلح = أطبخ غذاء لعيالي)

— هو: هيا قيام تانا بعينش.

(هيا [قومي بسرعة] إني في انتظارك)

نفخت الأرملة في (الصعد/ بين الأثافي) فأخذ القدر يعفر بالماء المشوبة باللبن... الصغار عند ركة أمهم يستحثونها بعويلهم وخناقهم وهي منكبة على القدر تذر فيه طحين الذرة بشمالها وتخبط هذا المستحلب الفائز بعود متشجعة الطرف وملك الموت قائم على رأسها يهم باستلاب روحها وهي تخاطبه بالإشارات أن أصبر حتى تنضج العصيدة التي بدأت بالتشكل فترعت منها العود اللطيفة المتشعبة وأبدلتها بعود متينة غير ذي شعب.. العصيدة تجاوزت حد الرتك والأرملة ما انفكت تشمر عن ساعديها تعصدها بخفة ورشاقة فتميل إلى الإشتداد بقفل العرك المتواتر وذوارب النار المتوقدة في (الصعد) وعرف العصيدة المنضودة بملأ أنوف الصبية فيخيم على الجميع سكون مشفوع بالرضا... والملك يقترب من الأم الملهوفة وهي تتوسل إليه أن يمهله كي تنكت العصيدة إلى صحن خشبية هيئتها لهذا الغرض وهو يأبى إلا أن يداهمها في تلك اللحظة تعزف الأم عن التضرع وتجمع قوتها في ساعدها الأيمن فتترع من حرف اللظى العود المكتسية طرفها بعزلة من العصيدة الملتهبة فتتهوي بها في وجه الملك بما لديها من قوة ويصيب الكون زهول من الصعقة التي جأر بها ملك الموت جراء الضربة التي فقئت عينه اليمنى... وفي ملكوته حل وعلا يصدر أمر فحواه:

١. تمديد عمر الأم المتمردة إلى ما شاء الله.

٢. إعفاء ملك الموت من الظهور عيانا لمن حلت ساعته من بني آدم.

إن قصة كهذه لا تخفى أبعادها الميثولوجية فاختفاء ملك الموت قد نجم هنا عن احتدام الصراع بين الأم الأنثى (مصدر الخصب والتجدد) المتشبثة بالحياة والحفاظ على النسل (الأولاد/العيال) وملك الموت الغاشم المحسد للفناء.. نعم فرغبة (الأم) في البقاء وإن لم تكن هدفاً بحد ذاته بمعنى الجنوح نحو الخلود السرمدي بل كانت تمثل خلوداً من وجه آخر غايته استمرار الحياة في البراعم الندية من خلال تعهدها بالرعاية والتربية خاصة في ظل غياب الأب الذي كان هو حينها في عداد الأموات... نعم إن هذا يمثل انتصاراً للحياة على قوى الموت وعالم الأحداث المظلم الأمر الذي نجد فيه تناغماً والسجاما مع اختفاء سيد (الكور) العالم السفلي ومن غيابه عن النصوص السومرية اللاحقة لواقعة اختطافه للربة الأنثى (أرشكيجال) وجعله منها سيدة مسيرة لشؤون العالم السفلي في يدها أقدار الموتى ومصيرهم... أما هو فلم يعد يذكر وكأنما اندمج في (أرشكيجال) ومخص فيها وقصة اختفاء ملك

الموت الأعور^٢ هذه فيها أصداء من صراع إناث الآلهة مع قوى العالم السفلي في الميثولوجيا
الرافديقية في دنيا الحيوان فإن الأنتى تظل دائمة التحفز والاستعداد للدفاع عن صغارها في وجه
الخطوب والأخطار المهددة لحياهم.

أما في كتب الحديث والسيرة فالقصة منسوبة لكليم الله موسى المصطفى (عليه السلام) في حديث
رواة البخاري في صحيحه على هذا النحو:

حدثنا يحيى بن موسى ، حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاووس، عن أبيه عن أبي هريرة
قال:

(أرسل ملك الموت إلى موسى (عليه السلام) فلما جاء صكه

فرجع إلى ربه عز وجل، فقال: أرسلني إلى عبد لا يريد

الموت، قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور، فله

بما غطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب... ثم ماذا؟

قال: ثم الموت. قال: فالآن).

وقد روى مسلم نفس الطريق. أما الإمام أحمد فقد رواه منفردا في رفعه إلى رسول الله (صلى الله
عليه وسلم): قال الإمام أحمد: حدثنا أمية بن خالد ويونس قال: حدثنا حماد بن سلمة، عمار بن أبي
عمار عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، قال يونس: رفع هذا الحديث إلى النبي (صلى الله
عليه وسلم) قال:

(كان ملك الموت يأتي الناس عيانا، قال: فأتى موسى (عليه السلام)

فلطمه ففقا عينه، فأتى ربه فقال: يارب... عبدك موسى ففقا عيني،

ولولا كرامته عليك لعتبت عليه. وقال يونس: لشفقت عليه، قال

له: اذهب إلى عبدي وقل له فليضع يده على جلد- أو مسك

ثور- فله بكل شعرة وارت يده سنة. فأتاه فقال له، قال: ما بعد هذا؟

قال: فالآن. قال: فشمه شمة فقبض روحه).

قال يونس: فرد الله عليه عينه وكان يأتي الناس خفية. وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب،

بن مصعب بن المقدم عن حماد بن سلمة، فرفعه أيضا.^٣

غير أن الإنسان لم يأل جهدا لكشف أستار المحجوب من خلال محاولة الإتصال بعالم الأحداث

لمعرفة مصيرهم بعد الموت. وقد تعرض شاعرنا الكبير عبد الله البردوني لهذا الموضوع في كتابه:
(الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل يمنية).

حيث وضع المأثور في التراث الشعبي بخصوص الإتصال بالموتى في باب (الخرافة الدائمة).
فعندما تأنس روح المتوفي للدار الآخرة بعد مفارقتها للحياة تقوم (المتسفلة/زوارة العالم السفلي)
بهمة الاتصال فيه... وتتولى (المتسفلة) أخبار أهله بما يمكن عمله لكي يرقد المتوفي هناك بسلام نحو
قضاء دين في ذمته، أو طلب السماح له من أي شخص أو أشخاص تجنى عليهم المتوفي قبل مفارقتها لهم
بلا رجعة... (هذه وظيفة اجتماعية لا تقوم بها إلا امرأة في العقد الخامس من عمرها بمعنى أنها
وظيفة نسائية مسرحها مقابر المدينة). و(المتسفلة... تزل إلى أسفل القبور بعد دفن الميت بأيام كما
تدعي فتشاهد أحواله وتسمع أقواله ثم تعود إلى أهل الدفين مخبرة لهم عن ما رأت وسمعت).^٤
وفي أغلب الأحيان لا يطلب منها أحد (التسفل) بل تقوم بذلك من تلقاء نفسها ولا تحكي أخبار
الميت إلا لمن تتق في سداخته من النساء والرجال كما:

(لا تخبر عن الشيخ الذي مات في سن الهرم وإنما تكثر الأخبار عن الموت الإعتباطي الذي
اختطف الشاب أو الشابة، لأن لموت الشاب أو الشابة حسرة أعنف فتسبب هذه الحسرة تقبل
أخبار المتسفلة وتنفيذ اقتراحها الذي لا تلح عليه وإنما تطرحه برفق).^٥
(كما أنها لا تحدد أجرا على عملها... وإنما على قدر المروءات والقدرة)

بردوني/ نفسه/ ص ٥٤

ومن صفات المتسفلة أيضا عدم انغماسها مع الناس في المناسبات الاجتماعية كأفراح الزواج،
وتجنب الاختلاط بالآخرين زيادة في إضفاء السرية على شخصيتها، حتى في حالة تزوج أحد أبنائها
ف(أما تبعد عن بنيتها، وإذا لم تبعد فهي في فترة ترك المهنة لكي يظهر غيرها).

بردوني/ نفس المصدر/ ص ٥٤

وهي رغم كثرة طوافها (على البيوت بعد خروج كل جنازة) بردوني/ ص ٥٥
فمن النادر أن تعرف نساء المدينة إلى بيتها سبيلا. فإلى جانب هذه الهالة الغريبة التي
تحيط (بالمتسفلة) وأن تخصيص عملها في المدينة قد يكون ذا جدوى لزيادة مستوى الوفيات الناجمة من
الكثافة السكانية الكبيرة.. إلا أن هذا لا يمنع من اشتغالها بهذه المهنة في الريف لقلة حظ الناس من
التعليم وسهولة إنزوائها بعيدا عن الناس.

ويرجع البردوني تخصيص هذه المهنة المخيفة بالمرأة لسبب يتلخص في :

(أما أقرب لحزن الشكالي وأدري بما يعزى عن الفقيد وبالوسائل التي تريجه في قبره)

بردوني/ ص ٥٥

ومما يتناقل شفاهها عن (المسفلة) أن عملية الاتصال بالموتى تحدث جسديا عبر:
(انشقاق القبر عندما تمسه بيدها ثم يلتصم بعد دخولها ويفتح عند خروجها ثم يلتصم، فلا يراها
أحد كيف تدخل القبر ومضى، إلا أن الكثير يرونها بين القبور وحول المقابر).

بردوني/ ص ٥٥

غير أن المأثور في (سرو حمير/ يافع) عدم تخصيص هذه الشغلة في النساء على الأقل من باب
ظروفها التي تتطلب فيمن ينشدها رباطة الجأش الأمر الذي يندر وجوده عند المرأة... غير أن هذا
التخصيص له أبعاد ميثولوجية ترجع إلى آلاف السنين حيث تطالعنا نصوص الأساطير الرافدية عن
(تسفل) ربات الخصب والحب إلى عالم الأموات (العالم السفلي) في غمرة تصارعهن مع آلهة الموت
والجفاف... ففي الأسطورة السومرية نرى الإلهة (أنانا)، قبط إلى هناك لتعزي أختها (أرشكيجال) إلهة
العالم السفلي (المطلقة) في موت زوجها نرجال (الموت في عالم الموت)، فتميتها (أرشكيجال) وتشد
وثاقها إلى وتد هناك... ولا يتم تخليصها إلا على يد الإله الفوقي (آنكي) بعد تسليم زوج (أنانا)
الراعي (دموزي) كرهينة لآلهة ذلك العالم المظلم.

وإذ تصبح (أنانا) في الميثولوجيا البابلية الآلهة (عشتار) فإنها وفقا لنواميس الخصب والدورة
الزراعية يأخذها الحنين للوصل بزوجها (الرهينة) الراعي دموزي الذي يعرف في الميثولوجيا البابلية
ب(هموز) فتتهبط إلى (العالم السفلي) لإنقاذه من أغلال عالم الثبور والفناء إلى عالم التجدد والخصب
والنور.

كذلك تقوم آلهة الخصب والحب والحرب (عناة) (الفينيقية/ الكنعانية) بالتداول مع زوجها (بعل)
العلي إله الغمام والضوايق في الإغدار (التسفل) في أتون الصراع ضد الإله (موت) ورهطه من أرباب
عالم الجلبد والفناء الرهيب.

وحيث أن البردوني لم يعرض للكيفية التي يتم بها التسفل غير ما قال عن انشقاق القبر والتأمه أثناء
عملية التسفل والتعلي فإننا نعرض لهذه الكيفية وفقا للموروث الشعبي أيضا في (سرو حمير/ يافع) فيما
نسرقه أدناه:

١. يقصد (المسفل) أو المسفلة المقبرة في بهيم الليل حتى يقترب من الموضع الذي ينشده.
٢. يتنصل من كل ثيابه بما في ذلك الخاتم وحتى (الخواقة) : وهي ما يحق بالحق من (سير) رفيع

جلدا كان أو صوفا أو غيره حيث كان من المعتاد تقلده على الجلد (البشرة) منذ أيام الطفولة ولا يقرع عادة إلا أثناء تجهيز صاحبه للدفن بعد الرفاة...

٣. بعد التعري تماما، يعطي المتسفل الموضع المنشود ضهره ثم يخطو القهقري (سبع خطوات) وهو يلهج (تممة) بأدعية لا يعرفها إلا هو، عندها تتشقق الأرض فيتسفل ويتم له الإحاطة بأسرار الموتى وأحوالهم في الدار الآخرة. وبنفس الطريقة ينسل خارجا من (العالم السفلي) مبدلة طلعتة شائعة صورته أشعث فيه مسحة من عالم الأموات ولهذا فالناس يصفون من أمتقع لونه وذهبت عنه النظارة: (فلان قل مسفل).

أي (فلان مثل المسفل).

لاشك أن هذه الطقوس ليست إلا تجلي آخر لنواميس العالم السفلي وفقا للميثولوجيا الرافدية فربة الخصب والحب (أنانا) السومرية تخضع لنواميس العالم السفلي عندما تتردى إليه فعند كل بوابة من بوابات العالم السفلي تطرح (أنانا) بعض من كسوتها وحليها:

(ولدى دخولها من البوابة السابعة رفعت عنها جميع أثواب السيادة والسلطان)

فتجتري (أنانا) نفس السؤال الذي لمجت به عند كل بوابة وهو ما نصه:

(ما هذا الذي تفعلون؟)

لتلقى نفس الإجابة الرتيبة:

(أي أنا لقد صيغت قوانين العالم الأسفل بعناية واكتمال فلا تناقشي يا أنانسا شعائر العالم الأسفل).^٦

وتتكرر هذه الشعائر على نفس النسق في الأسطورة البابلية، المستوحاة من الأسطورة السومرية حيث تختتم بعردة (أنانا) إلى الحياة وهبوط زوجها (دموزي) بديلا عنها وتكتمل الصورة في المبروط الثاني (لعنة) التي تصبح (عشتار) انقاذا لزوجها (دموزي) الذي يصير (هموزا) في النص البابلي... (بحيث يشكل النص مجموعه مثالا لاطقا عن التأثير الشديد للفكر والأدب الأكادي بالنماذج السومرية).^٧

فعند وصول (عشتار) إلى بوابة العالم السفلي تأمر (أرشكيجال) الحارس قائلة:

(امضي يا حارس البوابة وافتح لها الأبواب ثم عاملها وفقا للشرائع القديمة).^٨

(فلما مر بها عبر البوابة الأولى رفع عن رأسها التاج العظيم... وعن سواها أجاب:

— أدخلي سيدتي فهذه شرائع ربة العالم الأسفل.

وعند كل بوابة من البوابات السبع تسلب من (عشتار) بعض أثوابها أو زينتها فتلقى نفس الإجابة عن أسئلتها الاحتجاجية...

فعند البوابة الثانية تنزع من أذنيها أقراطها ويرفع الحارس عن جيدها العقود عند الثالثة، وفي الرابعة يجرد صدرها من الحللي، وفي البوابة الخامسة أنتزع عن وركها تعويذة الولادة المرصعة بجواهر الميلاد... وعند السادسة تنصل من يديها وقدميها الأساور.

(ولما مر بها عبر البوابة السابعة نزع عنها ثياب جسدها.

— لماذا يا حارس البوابة نرعت عن جسدي ثيابي؟

— أدخلني سيدتي فهذه شرائع ربة العالم الأسفل....).

وبعد هل يحتاج الأمر إلى القول بأصالة أو بأصولية واحدة للميثولوجيا الرافدية والسورية من جهة وتراث اليمن العتيق خاصة في ضوء ما ذهبنا إليه آنفا بخصوص الموطن الأول لإله الخصب والمطر الحارب عتثر: وهل نحتاج هنا إلى حتى مجرد الإشارة أن بوابات العالم الأسفل عالم ألا عودة السبع ما هي إلا تشكل آخر ربما أتقن صناعة وأحسن إخراجا من النسخة الأصل ذات الخطوات السبع (إلى الوراء) في وقائع التسفل الحميري. فالمعروف لدى أهل الاختصاص أن ما تأتي به قناة التحدار أو الآثلر الحية يدل بما لا يدع مجالاً للشك بالإنتماء الأصيل لهذا الأثر إلى المنابع الثرة لذلك الشعب أو الأثنيوس لا باقتراضه من بيئة أخرى فقد عرضنا آنفا (لقوس عتثر/عشتار) وعدم ذبوع هذا الاسم في الأقاليم التي تبنت عبادته في التراث الحي لشعوها (السامية الشمالية بالذات) الذي يعرف بها اليوم باسم (قوس قزح) خلافاً للوطن الأول (لعتثر) الذي ظل وفيها (لا شعورياً) لذلك الأثر المتلخص في قوس (عتثر) المعروف في (سرو حمير/يافع) بنفس الصيغة أي قوس (قاس) عتثر (تصحيفا) في حين أنه يعرف ببعض مناطق اليمن (بقوس علان) حسب رواية صاحب: (النور المشرق في فتح المشرق)^{١٠} أحد علماء اليمن في القرن الحادي عشر للهجرة.... وعلان (علن/في النقوش اليمنية القديمة) وهو موسم الخير يأتي في ذيل الحريف.^{١١}

وفي (سرو حمير/يافع) يقول عنه المزارعون:

(لا شحشح علان بدي نجم الشتاء).

أي (لو شحشح (شح المطر) علان طلع نجم الشتاء).

نعم إن الحديث عن (عتثر/عشتار) يكلفنا الإسترسال في التطرق عن الخصب والنماء في حين أننا ينبغي أن نرجع إلى صلب مهمتنا وهي الإيغال في البحث عن تجليات ميثولوجيا الموت وآثارها الحية في (يافع).

ففضية الاتصال بالموتى عند قدماء اليمنيين كانت ترمي في اتجاه اصلاح الشاهد عبر الإحاطة بالغائب قلبا لما يعرف في علوم الفقه : (حكم الغائب على الشاهد).

فقد يحصل أن ما تواريه الأحداث كان ضحية لفاعل مجهول فيبقى يتوجع في قبره ويسمع أنينه كلما حلت تلك الليلة التي شهدت مصرعه فيقوم (المتسفل) بمهمة الاتصال بالمغدور به في نفس الليلة التي يتوجع فيها وبنفس شعائر (التسفل) التي عرضنا لها من خلج الأثراب وكل ما له علاقة بعالم الأحياء يعقبها السير (قهقري) بسبع خطوات ثم يسأله بالله (جل شأنه) عن خطبه ومن قتله بعدها يسأله بالله أن يتوقف عن النواح ولهذا فإن القبائل ترفع عن القتل غيلة ويعتبرون فاعله عسيس النفس لا يومن مصاحبته ويقولون فيه:

(الغائب هاله صاحب).

الغائب: العائب.

ولا تقام أي شعائر لعزاء (القتيل) ويسوى قبره فلا ينصب عليه شاهد قبر حتى يؤخذ بشأره. وإلى هذا الأمر ينقل لنا نشوان الحميري:

(ويقولون أيما رجل قتل، فلم يطلب وليه بدمه، خلق من دماغه طير يسمى (هامة) فلا ينزال يزقو على قبره وينعي له عجز وليه، حتى يبعث، قال الشاعر:

فإن تلك هامة بهراة تزقو فقد أزقيت بالمروين هاما

وقال (حريية بن أشيم الأسدي) ، وهو أحد شياطين بني أسد وشعرائها:

لا تزقون لي هامة فوق مرقب فإن زقي الهام أخبت خايت

ويقول توبة بن الحمير:

قلو أن ليلي الأخيلية سلمت علي ودوني تربة وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صالح^{١٢}

وفي هذا قال أيضا (عبيد بن الأبرص) مستعظما للملك حجر والد امرئ القيس على بني أسد التي شقت شملهم:

في كل واد بين يشرب فالقصور إلى اليمامة

تطريب عان أو صياح محرق أو صوت هامة

والهامة، طائر يألف المقابر ويقال له (الصدى) وكانوا يقولون أن القتيل تخرج من رأسه هامة فلا تزال تقول:

(أسقوي أسقوي حتى يقتل قاتله) ١٣

(وكانوا أما شريف قتل، فرطأته مقلاة عاش ولدها قال) (بشر بن حازم):

تظل مقاتليت النساء يطأنه يقلن ألا يلقي على المرء منزراً ١٤

وقبيل أن ندلف خارجين من عرصات الموت الموحشة أحبد أن نعرج على عادة كانت شائعة بين سلالات حمير العريقة المعروفة بالأذواء والأقبال وتتلخص في موقف غريب من الموت وذلك عبر إخفاء وقائع زوراته التي تتحرم آجال سادة القوم وأعزهم جرائها فكان الخلف يتكتمون ميتة الأمر فيهم... ومما يحكي في (هضبة ظهر يافع) أن امرأة في غابر العهود هرولت إلى صخرة عالية وأخذت تنوح وتنتحب على عزيز فقده منذ ستين ولكن الناس لم يعلموا بخبر الموت إلا تلك الساعة التي سمعوا فيها نواح تلك المرأة.. فأطلقوا على تلكم الصخرة: (حيد الناعية).

وقد عرض صاحب (لسان العرب) لمعنى الحيد بأقوال منها:

(الحيد) (بالسكين): الحرف شاخص يخرج من الجبل، ابن سيده: حيد الجبل شاخص يخرج منه

فيتقدم كأنه جناح... ١٥

نعم ومما يذكر أنها كانت وهي تنعي مصابها تردد أشعارا منها:

(يافع مجانين وأمهم مجنونة

لا اتعاملوا حد بيتوا يازونه

يافع مجانين وأمهم مجنونة

والمات سرمد عندهم يخفونه)

نعم فهذه السيدة قد دمغت نفسها وأبنائها بالجنون لا من أرزاء الموت وإنما من نير كتمانها....

والراضح من قولها: (لا اتعاملوا حد بيتوا يازونه).

إن هذا البطن الحميري العريق منشغل على الدوام في أعمال الغزو والسراية من أجل ذلك ليلاً...

ولعمري أن في تعسف هذه الخطوب والأهوال وكتمان الموت عند حمير ما يذهل العقول حقاً.

والنص يمكن عرضه على هذا النحو لمن غربت عليه لهجة سرو حمير/يافع:

(يافع مجانين وأمهم مجنونة

لو علموا حد بيتوا يغزونه

يافع مجانين وأمهم مجنونة

والموت سرمد عندهم يخفونه)

الحد: هو التخميم.

وقد ذكر (الأستاذ/محمد بن علي الأكرع) في تحقيقه لوفاة أبي حسان أسعد بن إبراهيم الحوالي الملك الذي تم في عهده القضاء على دعة علي بن الفضل الخنفر الجيشتاني: (ولما مات أسعد في التاريخ المذكور (٣٣٢ للهجرة) أخفي موته مديدة بعدما جعل في تابوت عليه من الخنوط الغالية والأطايب الشيء الكثير، وظل في (كحلان) إلى سنة (٣٣٧ هـ) حيث استدعى علي بن الحسين مشايخ صنعاء ووجههم للصلاة عليه.^{١٦}

وهذا دليل على استمرار هذه العادة في حمير حتى بعد الإسلام.

-
- ١
 - ٢
 - ٣
 - ٤
 - ٥
 - ٦
 - ٧
 - ٨
 - ٩
 - ١٠
 - ١١
 - ١٢
 - ١٣
 - ١٤
 - ١٥
 - ١٦

الفصل الثالث عشر

صيبة الزواج الحميرية

دراسة

مزاياها الفريدة وابعادها التاريخية المتبقية

طقوس الزواج وأفراحه في سرو حمير / يافع ، تعبق بأنفاس الازمنة الغيرة وتلجج فيه زفرات وله آتية من صدور عشاق العهود العواذي فتشهد على أثارهم وتلهج بعتيق أخبارهم ولعل في مفردة (صبية) التي يطلقها أبناء (سرو حمير / يافع) حتى اليوم على مناسبات " الزواج " أول الأسرار التي نود الإحاطة بها :

• صبية العمر : ينطقها اليافعيون على هذا النحو :

صياها / بكسرات) وهي إذ تطلق على مراسيم الزواج وأفراحه عندهم فهي في التراث اليهودي تدل على نفس المعنى :

فسبت اليهود (سابات) هو اسم إلهة أنثى تمثل لدى بعض الطوائف اليهودية العلاقات الجنسية التي تكتسب عندها ساعة الدخول بالعروس أهمية دينية خاصة إذا تمت بعد دخول يوم السبت فتقام وليمة طويلة جدا مساء يوم الجمعة تتخللها ألوان مختلفة من الطعام والمشروبات وصلوات وأناشيد موجهة إلى الإلهة (السابات) التي تمثل العروس بها . وتنتهي هذه الوليمة عند منتصف الليل وهو الوقت المحددة تلموديا للمعاشره . وهذه تربيمة يرددنها العريس على عروسته في مخدعها :

(ما أحلى رقادك ، رقادك أيتها الملكة السابات فلنسرع نحوك . تعالي أيتها العروس المختارة)^١

إذا فاعز مناسبات العمر الحميرية هي " الصبية / صابة جمعها صابات (صبيات) هي إلهة " الخصب " المعنية بالعروس عند بعض الطوائف اليهودية . وفي معاجم اللغة نجد :

صياب القوم خيارهم وأطيبهم أصلا^٢ . فالدلالة واحدة في التراث العربي العامي والخاص أي في اللغة الفصحى إذ تدل على خيار المناسبات " الزواج " وخيار القوم أي أطيهم أصلا .. ويتسق هذا المعنى مع قرنيه في التراث اليهودي .

مما لا شك فيه أن معظم شعوب المعمورة يعتبرون " الزواج " محطة ذات أهمية فريدة في دورة الحياة الإنسانية .. ولهذا خص الزواج بطقوس احتفالية بهيجة ومتنوعة تتظاهر في ألوان منها وتبائن في بعضها الآخر : فعند بعض الشعوب (مثلما عند قبيلة اليونانيين في جزيرة كاليمنتان) يكفي لعقد

الزواج ان يعلن العريس والعروس بحضور شيخ القبيلة اتفاقهما المتبادل على الزواج . ولدى بعض الشعوب (مثل قبيلة كوشي في أفغانستان) قد تستمر مراسيم العرس يومين ، وعند شعوب أخرى (بعض شعوب الهند) تستمر ثمانية أيام .^٣

وإذا كانت قضية الزواج والاتصال بمن تقفو إليه النفس تحت سقف واحد مما يلهب خيال الطفل ويستحوذ على اهتمامه ، فعادة ماترى فتاة صغيرة تجهد أناملها محاولة ان تصنع لنفسها حريوة أي عروس بل أنه من المؤلف على نطاق واسع من العالم أن يلعب الصغار لعبة " العروس والعريس " أو " لعبة الأب والأم وهلمجرا. تمتعة لا حدود لها . وهذه بلا شك هي الميول الأولى أو الباكرة التي تحفز الذكر والأنثى على اكتشاف الذات الغير مكتملة الا بالوصل النصف الآخر عبر مؤسسة الزواج أو الأسرة .

ولقد احتفل قدماء اليمانية بالزواج وجعلوا منه مناسبة توجب الادخار والاستعداد اللائق بها .. بل وتكشف نقوش المساند الحميرية أن تحقيق هذه المناسبة كان يسبقه تقاسم النذور وإحراق البخور والإنابة للآلهة كي يمنوا على صاحبها بالتوفيق والسداد اللازم للاقتران بالحبوبة التي تظهر في النقوش بصيغة (حشكت / زوجة) أما في العبرية فهي (عشه) فهذا مثلا :

رب عشت يغنم من بني (صعقان / وتزاد / وهمان) يتقرب إلى الإله
(نهوان بعل أوام " ال مقه ") بصنم برونزي ذهبي اللون . وفاء بندره
وجمرا لما من به " المقه " نهوان بعل أوام من تحقيق أمله في زفافه
ولم شمله على محبته (تحى إلى) بنت جراف والصعق .^٤

وترفدنا كبت التراث بحمله من الطقوس الغريبة للزواج ولعل أقرها ما كان سائدا في عهد (طسم / وحديس) البائدتين فما درجت عليه العادة عند طسم أن :

لا تهمدى امرأة من أهل اليمامة إلى زوجها حتى تهمدى إلى ملكهم عمليق .^٥

وقد أدت هذه العادة في نهاية المطاف إلى هلاك " طسم وحديس " . فبدلا من أن تزف (عفيرة بنت غفار الجدسيه) إلى بيت وزجها " الطسمي " عرج بها جريا على عادة طسم على عمليق الملك :

فبات معها ثم سرحها فعمدت إلى نادى قومها متجردة من ثيابها

وفزعتهم بالأشعار فقام إليها أخوها الأسود سيد جديس فغطاها بثيابه .^٦

فكادت جديس " لطسم وملكهم عمليق " إذ دعتهم إلى مودبه في صحراء اليمامة .. فبينما أنشغل الضيف بالطعام امتشقت (جديس) سيفها من حواف الرمال وأتت على رجال طسم حصدا

بالسيف والأسود سيد جديس يترنم بالأشعار:

يا صيحة يا صيحة العروس

حين تمشت بدم جيس

يا طسم ما لقيت من جديس

هلكت يا طسم فيئس البئس^٧

هذا وكانت نهاية جديس على أيدي رجال الملك الحميري (حسان يهامن) بسن الملك (أبي كرب اسعد الكامل) الذين خفوا لنجدة (طسم) كما تروى كتابات الإخباريين العرب . وأكدها نقوش (ماسل جمن / ماسل الجمع) كما نص عليه نقش (ريكمانس / ٤٠٩) الذي سجل زيلارة (أبي كرب أسعد) وابنه (حسان يهامن) لذلك الموضع في الأطراف الجنوبية لنجد في ركيب من أعراب (كنده)^٨

أشرنا في المدخل إلى التسمية الشائعة في عموم اليمن وهي " الحريو والحريوه " أي العريس والعروس في البلاد العربية الأخرى . وفي معاجم اللغة :

وفي الحديث :

إن هذا الحري إن خطب أن ينكح^٩

وهكذا فالتسمية اليمنية لها ما يسند لها في اللغة العربية الفصيحة واختيار الزوجة في (سرو حمير / يافع) تتم عبر عملية انتخاب عمل فيها جملة من المؤثرات المتوارثة نحددتها في التالي:

• الزواج من بنت العم :

كانت العادات في " سرو حمير / يافع " تقتضي تفضيل الزواج من بنات العم .. وقد كرست هذه العادة في المثل العامي :

" بنت العم نزلة من عل الجمل "

أي بنت العم نزلت من فوق ظهر الجمل ، نعم فهذا المثل يصور إلى أي مدى كانت تصرفات الناس مرهونة بالعادات المتوارثة . فظهور " ابن العم " فجأة بعد غياب طويل أدى إلى ابطال مراسيم زفاف " بنت العم " وإنزالها من فوق ظهر الجمل الذي كان سيحملها إلى بيت الزوجية حيث العيش مع زوج غريب . وأحقية الزواج من " بنت العم " تقليد سائد حتى اليوم في الأرياف والعشائر والقبائل .: أبويا قال لي يا لوزة بين الجنانين

أولاد العم لهم عوزة بين الجنانين^{١٠}

هذه الأهروجة الشعبية اللبنانية التي نقلها لنا (ديب) تؤكد على وحدة الموروث الشعبي في جنوب وشمالي شبه جزيرة العرب بوجه خاص وإقليم الشرق الأدنى بوجه عام هذا التقليد الواسع الانتشار أخذ له موضعا بين النصوص التوراتية :

هذا الزواج الداخلي أضفى عليه في التوراة وفيما بعد التلمود صفة التقديس
وقنن بواجب عدم الزواج من يهودية^{١١}

وفي هذا السياق ترى المستشرقة الروسية (بيغولوفسكايا) أن سر هذه الظاهرة يتعلق بنظام الوراثة المتبع لدى :

العشائر التي لم تكن أملاكها عرضة للتقسيم أو الانتقال بالوراثة خارج
العشيرة قد وجد بينها من المصالح الاقتصادية المشتركة . وأرتبط بهذا
في العادة تقاليد الزواج في الأسرة .^{١٢}

ومن هذا المفهوم درجت العادة عند قبائل " سرو حمير / يافع " على " حرمان البنت " من الميراث ويرتب على هذا الأمر المخالف لقواعد الشرع الخنيفية تعويض البنت عن حقها في الميراث " بسلة غذاء " تتكون من " ربعي و ضلعي " ويشير هذا العرف الشعبي إلى وصل الرحم في الأعياد عيد الأضحى المبارك وعيد الفطر المبارك والصبيات التي تحل بيت الانحوة ومواسم الصراب (الحصاد) .. الخ ب (ربعي) ويشير هذا إلى " مكيال الحبوب " أما " الضلعي " فتشير على حصة البنت أو العمة من لحم الأضحية التي يذبحها أهلها في الأعياد أو النيبات .. الخ ويطلق على " سلة الغذاء " هذه أيضا " الهدية والغذية " ويتقيد أهل المرأة بما يودونها لها ولو طال بها العمر مئينا حتى عهد أحفاد الأحفاد يتوارثون الواجب دون الانتقاص منه حتى يتوفاه الله - عز وجل - ويقولون :

بيت أبوها يصولها من شين أوضين

ويسمونها " بنت البيت إكراما لها وكانوا يتعللون بعدم إيفاء المرأة حقها من الميراث المعروف شرعا بالقول أنه سبق أن أعطت المرأة حقها ولكنها تضيعه عند زوجها فإذا طلقها زوجها بعد ذلك فقد لا تجد في أهلها من يكرمها بعد أن بددت نصيبها من الميراث . وعلى الرغم من تفقه الناس اليوم في شئون دينهم فإن العادة ما برحت تفرض نفسها على البعض في قضايا الميراث .

وينقل لنا الإخباريون العرب عن شيوع عادة عدم توزيع الفتاة " في معظم جزيرة العرب :
أما في نجد بجبالها وباديتهما فاتهم " يزوجون بناتهم ولم يورثون البنت شيئا ،
بل إذا كانت البنت بكرًا تجهز وتزوج " ^{١٣}

وإذا كان الاقتران "بنت العم" واجباً مازال الكثير من الياfeعيين يودونه حتى اليوم فأن قضية الاقتران بأرملة الأخ المتوفى تعتبر في نظر أبناء "سرو حمير/ يافع" فريضة لا مناص من أدائها خاصة إذا كان للمتوفى أبناء منها فأى تلكو من قبل أخوة "الفقيد" يعنى فقدان المرأة الأمل في الزواج ثانية لأن نداء الأمومة يغلب عندها على رغبة الزواج من أجنبي وهكذا ترى الكثير ممن فقدن أزواجهن يضربن دون الزواج من شقيق المتوفى صفحاً وينذرن أنفسهن لاحتضان التيامى فحسب . ويغدو واجباً إطلاق أسم الفقيد على أول مولود ذكر وضعتة امرأة المتوفى للأخ الذي إقترن بها . وفي بلاد الشام ينعت :

أخ الزوج في الثقافة الشعبية بتسمية دارجة (السلف - سلفي)،

وغالبها ما يتزوج امرأة أخيه المتوفى^{١٤}

وفي التوراة :

أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب الزوج .

والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يمحي اسمه من إسرائيل .

(سفر التثنية / ٢٥ / ٦٥)

• العامل الجغرافي :

يعد سرو حمير/ يافع في جباله الصخرية المتحارثة من اصعب تضاريس هضبة اليمن وأشدها وعورة ولا غرو أن للوسط الجغرافي أثر كبير في تحديد أفاق السلوك الانساني وصقل خيم من يترلون في محيطه . ولهذا فقد كان " لسان اليمن " [سرو حمير/ يافع] بأنهم : من المجد رجال اليمن .. والمجد حمير باليمن وفسانهم قليل .^{١٥} هذه الجبال الصعبة المسالك العصية على السلطان هي التي أرغمت أحد الفاتحين المحليين في عصر " البارودة " ليرضى من غنيمتها بالاياب " ولسانه يلهج بالشعر :

يافع قبل ما يعرفون الدولة

ولا معاهم للسقاط إمزاحي

وارضهم ما تستعف للعامل

وهي شوامخ عاليات ضياحي

السقاط والمرح بنفس المعنى في البيت الاول أي أنه لا سبيل للعب معهم باي شكل كان .

العامل: في البيت الثاني هو قائد الحملة وحاكم المنطقة في العهود الامامية .

لكنهم على يحدتهم وشده بأسرهم في الحروب مما كما وصفهم الهمداني : " فسانهم قليل "

ولاريب أن هذه صفة بها يشترك جميع سكان الجبال أينما كانوا ، ولهذا يقول (جوستاف لوبسون) في

حديثه عن منطقة (هذيل):

أن هذه المنطقة الجبلية.. ليست بالمنطقة الصالحة لتربية الخيل،

لأن الخيل لا تربي إلا في البقاع الخصبة.^{١٦}

و لعل أبلغ وصف لحج به لسان أخته أوتاد يافع العصية هو ما قاله (ابن مقبل العامري):

من سرو حمير أبوال البغال به
أني تسديت وهنا ذلك البينا^{١٧}

نعم فبيئة ترغم البغال و الدواب على طرح أبوالها في كل عقبة ونجد منها، قمين بها أن تأوى بين
فجاجها رجال أشداء و نساء من نفس العيار فصعود الجبال و هبوطها يقتضي قوة بدنية غير عادية
وهي صفة يكتسبها المرء ضرورة:

إن الطبيعة تمنح سكان الجبال عضلات في سيقانهم من حديد ليتسلقوا بها المرتفعات.^{١٨}

إن هذه الظروف الصعبة جعلت المرأة الياfacية تتخرج عبر قانون الانتخاب الطبيعي هذا فلاحظ
في الزواج في يافع إلا المرأة القوية و فيها يقول (صلاح البكري):

و النساء سافرات الوجوه و العفة أبرز صفة تحتفظ به المرأة الياfacية و تعتز

به و هن يشاركن الرجال في فلاحه الأرض و ربيها و زراعتها و في تربية المواشي

و الأغنام. و قد يشاركنهم أيضا في الحرب.^{١٩}

هكذا فالمرأة في (سرو حمير/ يافع)، كانت تؤهل لحمل أعباء الحياة بصبر لانظير له. و يروي لنا
الرحالة العربي (ابن الجاور) طريقة زواج اعمال (ذمار) و هي المنطقة المجاورة ل(سرو حمير) من جهة
الشمال- فعندما يرغب الرجل في الزواج يذهب إلى ولي أمرها فيقول:

"أريد أن أشاهد جمال كريمتك" فيقول له أبوها: "أقدم إلى السوق الفلاحي فلنأخذ تتوعد

به وشاهدها في بيعها وشرائها ومجالها". فإذا أعجب الرجل حالها وشيلها

وبيعها وشراؤها وقوة صبرها على الثقيل، فعند ذلك يملك بها ويدخل عليها

وتبقى على شغلها ذلك حتى الممات.^{٢٠}

وحيث أن المناطق الجبلية تعرف لدى علماء الاجتماع بميل أهلها للمحافظة على العادات
والتقاليد و الأعراف الماثورة، و على رغم من ارتقاء قبضة التقدم الماثور على أبناء يافع بفعل المتغيرات
الحديثة مثل التعليم و الهجرة و الاختلاط و الوسائل الإعلامية المقروءة والمرئية المعروفة اصطلاحا باللغة
الإنكليزية/media / فلاني أرى حتى أكثر العقول تحررا ليس بمقدورهم تجاوز بعض الحواجز
الاجتماعية البالية و بالذات في قضية الزواج نحو قبوله بين من ينتمون إلى الفئة الدنيا في المجتمع كالمزانية

المعروفين في يافع بإسم (الشحاذ/بتشديد الحاء المهملة) وهم الفئة التي كانت تقوم بإعمال خدمية للقبيلة مثل الخلاقة و الجزارة... الخ، و بين جل أبناء القبيلة الذين كانت تجمعهم تسمية (قبيلي/صبيغة النسبة من قبيلة). و كان القبيلي يحرص على عدم مصاهرة أصحاب المهن أيضا نحو الخرازين والدبلفين و أهل المدر و الحياكة... الخ. كما كانت فئة العبادلة (جمع عبادي) وهم السادة الذين يدعون إلتمائهم للبيت "الهاشمي" يحصرون الزواج داخل رابطتهم. و كان رجال القبيلة يعززون هذه الحواجز بالقول بأن الولد تغلب عليه صفات الخال (أخ الأم) و كثفوا هذا المفهوم بالقول الشعبي:

إعتن بالخال يأتيك الولد و البنت تأتيك لا (إلى) عماقها

و لكن عامل الزمن و المؤثرات التي ذكرناها آنفا مهدت اليوم لبعض الاختراقات لهذه الحواجز البالية نحو حصول مصاهرات بين القبيلي و الخراز و اقتران القبيلي من بنت السادة. و قد يأتي اليوم الذي تنهار به هذه الحواجز كلية لا في (سرو حير/يافع) حصرا بل و في أرجاء بلاد العرب قاطبة.

ومهما تشابهت عادات الشعوب و تقاليدها في صورها و ألوانها إلا أن

بعض أنواع الفن لا وجود لها عموما إلا عند شعوب قليلة.^{٢١}

وحتى في نسيج الأتئوس الواحد تقدم بعض القبائل صورا من الفنون والعادات والتقاليد هي بمن الغرابة بحيث تظل مقصورة على ذلك البعض من القبائل دون غيرها من القبائل التي تنتمي إلى نفس الأتئوس -أو الشعب- فإذا كانت عملية ختان أو تطهير الفتاة المأثورة لدى بعض القبائل الأفريقية المسلمة هي التي أضرمت الرغبة الجارحة لدى بعض أعضاء البعثة الاستكشافية الدغارية الموجهة عام ١٧٦١م لاكتشاف اليمن-العربية السعيدة- ففي حين تنزل البعثة في (مصر) في طريقهم إلى (اليمن) نجدهم يتحرقون شوقا للإحاطة (عيانا) بآثار عملية الختان التي يمكنهم منها ثري مصري، إذ يعمد إلى:

إحضار فلاحه في الثامنة عشر من عمرها وسمح لهم بمشاهدة كل

شئ أحبا مشاهدته فيها، و تم كل هذا أمام سمع و بصر الخدم الأتراك،

واستطاعا أن يرسموا كل شئ على الطبيعة مباشرة و يداهما ترتجفان خوفا

من رد الفعل السيئ من المسلمين، ولأن سيد المنزل كان صديقنا فلم يجرا

أحد على إبداء أي معارضة.^{٢٢}

قد تبدو هنا الإشارة إلى عملية ختان الأنثى عند بعض المسلمين إقحاما ليس له علاقة بعبادات الزواج اليمنية، غير أن هذا الأمر يرتبط عند بعض القبائل اليمنية في صميم عادات الزواج و طقوسه الغريبة، فالمدحش أن ختان الذكر و الأنثى على السواء لا تحصل مطلقا في نواحي الشام اليمنية الشهيرة

بـ(قحامة اليمن) و أرجاء (ظفار و المهرة) شرقي حضرموت، إلا في ليلة الدخلة (الدخول) على العروس. و في هذا الشأن يروي لنا (ابن الجاحور):

أن ما بين (زبيد) و (غلافقة) لا تطهر الفتاة إلا إذا عقد نكاحها و قطع مهرها
وسلم دفعها، و بعد ذلك تطهر البنت بطبل و زمر و على رؤوس
الأشهاد بالمهامين و الضيافات و الطرح و التسليم، و يقال أن جميع بلاد الشامية
عن (زبيد) على هذه السنن.^{٢٣}

وما برحت عادة ختان (الحريو و الحريوة) سارية عنهم حتى اليوم. و تدخل المسألة في إطار
إشهار شرف أبناء القبيلة، و المفاخرة في الأنساب عند قبائل (المهري) و (ظفار) و تحدث العملية: وسط
دقات الطبول و طلقات الرصاص، و في بعض النواحي ترفض النساء الزواج ممن يصرخ من الألم
وقت إجراء العملية.^{٢٤}

و يبدو أن عادة الختان المرتبطة عند قبائل قحامة في غربي اليمن و قبائل المهري و ظفار شرقي
حضرموت بليلة الدخول على العروس، تناظر ختان أبناء الخروج و التيه التي تمت على يد (يشوع) في
(تل القلف) وفقا للنص التوراتي:

فصنع يشوع سكاكين من صوان
وختن بني اسرائيل في تل القلف
يشوع/٣/٥

فلم يكن يوسع (يشوع) أن يدخل أرض الميعاد (كنعان) دون أن يطهر الأبناء الذين ولدوا خلال
سنوات التيه الأربعين. إذا فعلمية الدخول بالعروس عند بعض القبائل اليمنية تضارع عملية الدخول إلى
أرض الميعاد، خاصة في ضوء طرح (د/كمال الصليبي) الذي حدد (تل القلف) في:
ذي غلف التي تقع في غربه، في وادي أضرم، في مرتفعات منطقة الليث جنوب الطائف.^{٢٥}
كما نجد قرينا لعادة الختان هذه في :

عادة ختان الكهان بعد عمادتهم بالماء في مصر القديمة .^{٢٦}

أما تقاليد الزواج الياقعية فلها نكهتها الخاصة و المتفردة أحيانا حيث يمكن أن تطول فترة
(الحرولة/الخطوبة) -و الحرولة هي "الحرورة" أبدلت فيها الوار الثانية لاما- وفيها ينبغي على (الحريو)
أن يداوم على وصل أهل الحريوة و بالذات في يومين في السنة هما:
*يوم الوقوف على عرفة.
*أول خميس من رجب.

وفيهما يلزم الحريو أو من ينوب عنه من أهله معاودة الحرية و أهلها و يهدي لها بعض الإحتياجات النسائية نحو ثوب و مساحيق الزينة حيث كانت تضم (سابقا):
 الورس و الهرد و الحناء و الزباد و الحسن و الخضاب و زيت السمسم... الخ. ويمكن أن تحوي قائمة الهدية الحلوى و العسل و التبنك، وفقا لقدرة (الحريو) و جوده، غير أن المادة الأساسية في الهدية هي اللحم و مقدارها نصف رأس من الضأن أو الغنم على أقل تقدير، و تسمى (الكرامة) - من إكرام الأهل في الأعياد - و إذا رغب (الحريو) زيادة في إكرام الحرية و أهلها، فالكرامة رأسا من الغنم أو الضأن يوتى بها مربوطة، أي تجر حية إلى بيت الحرية. ولا تحصل (الحرولة) في يافع إلا بتسليم الطروح لـ (الحرية) وهو في الأساس مبلغ ما من المال وساعة يد وخاتم. و في السنوات الماضية كانت الفتاة أو الشاب يعرف الواحد منهما بأنه يعيش فترة (حرولته) إذا أخذ دوره في الرقص في مناسبات الأفراح و الزواج حيث تعتمد النساء لمباركته أو مباركتها حينها بإطلاق (الحاجر) - واحدتها محجرة: وهي زغلفة النساء أو هلهلتهن في البلاد العربية الأخرى، وهي تسمية أخذت من حجر أو حبس المرأة لصوتها بأصابع يدها بحركة سريعة تحصل منها المحجرة - هذا الترحيب أو المباركة بـ (الحاجر) يشهر امر (الحراوى) في (سرو حمير/ يافع). غير أن اقتراب أفراح الزواج لا تتحقق إلا بحلول يوم (الظهرة) فما شأن ذلك في عادات الزواج اليافعية ؟

• الظهرة:

بالظاء المعجمة، يحل يوم (الظهرة) بالإتفاق المسبق بين أهل (الحريو) و أهل (الحرية) وفيه يقدم (الحريو) مع بعض من أهله ومعهم الهدايا لأهل الحرية نحو الثياب و الحلوى وأدوات الزينة و العطور و غيرها. وفي مقدمة الهدايا رأس من البقر أو بضع رؤوس من الماعز أو الضأن، تؤخذ حية معهم إكراما لـ (الحرية) و أهلها الذين يستقبلون (الظهرة) على عتبة بيت الحرية و يرحبون بهم بإطلاق الرصاص جوا، أما النساء فيرحبن بالضيوف (الظهرة) برفع عقيرتهن بـ (الحاجر) و إيقاد البخور. وفي نهار (الظهرة) تذبح الذبائح إكراما للضيوف و توزع الحلوى على أهالي القرية أو الجيران و يدعون جميع أهل القرية لحضور وليمة (الغداء) في بيت الحرية حيث يقدم فيها اللحم و المرق و عصيدة الذرة و أطباق الر. و الفاكهة (أحيانا). ثم يجلس الضيوف (الظهرة) و أهل الحرية وبعض من أهالي القرية في ديوان البيت ليبدأ (المقيل) التقليدي حيث يفضل الكثير من الرجال في (يافع) مضغ القات بعيد صلاة العصر، و يواصلون هذا الطقس على مدى ساعات طويلة يتخللها النقاش و المجاهرة و تبادل النكات... الخ. ولا يفضل اليافعيون مشاهدة (التلفزيون) في مجالسهم العامة لأنه يفسد متعة القات

التي تبلغ ذروتها بالمسامرة و الوانسة و تطيب جلسة القات (المقيل) مع حلول الظلام، فبعد ان يفرغ (الظهارة) من عشائهم المكون عادةً من الخبز و المرق و اللحم، تستأنف جلسة القات ، و يتم فيها الاتفاق على الشرط (المهر) و موعد الزفاف و أمور أخرى تتعلق بالزواج وفي بعض الأحيان يكتب فيها عقد النكاح الشرعي كما تحيا ليلة (الظهرة) بالرقص و الطرب الذي يشارك به كافة أهل القرية و الضيوف و تطلق نيران البنادق جواً احتفالاً بالمناسبة.. و قد تستمر (الظهرة) لعدة أيام وفقاً لرغبة الجانيين. و تسمى (ظهرة) لأنها تحدد المسؤوليات فيها و الواجبات وتظهر شروط و نوايا الجانيين.

• أيام الخبؤ أو الاختباء:

بعد (الظهرة) تبدأ الحريوة (فترة خبؤ) كما تدعى في لهجة (سرو حمير/يافع) و تصل إلى أسبوعين أو أكثر وفيها تنقطع (الحريوة) عن العمل خارج البيت و تلزم بعض الأعمال داخل البيت و تتجنب التعرض لضوء الشمس و تتعهد بشرتها بالدهن للتنعيم و تندف وجهها برّدع المررد المورس و شعرها بمسحوق الهندس و الدهن ولا تقرب العطر لأنه في المفهوم الشعبي يعرض (الحريوة) لخطر المس بالأرواح الخبيثة و تحرص على عدم الالتقاء بـ(الحريو) حتى في حالة أن يكون عقد نكاحها قد أُنجز في الظهرة.

وفي كل الأحوال فإن مسألة (يوم الزفاف) كانت لا تحصل في يافع عرضاً بل إنّ أهل الحريوة بالذات كانوا يوقتون لذلك اليوم:

(حتى لا تخرج الحريوة و النجم بالوجه)

كما كانوا لا يجذون زفاف الحريوة في بعض الأشهر نحو: جمادي الأول و صفر و شوال.

كما كانوا يعدون ربوع-أربعاء-آخر الشهر، يوم نحس مستمر.

و أمور التوقيت هذه كان العرب يأخذون بها في مختلف الأقطار، و كان أهالي (مكة المكرمة)

يحددون موعد الزواج حصراً في يوم بعينه.. و قد ذكر (ابن الجاور) ذلك بقوله:

{في العشر من ذي الحجة يخطب زيد بنت عمرو في العاشر من محرم

يدخل كل واحد منهم على عروسه بالنظرة و التطهير}.^{٢٧}

و التباشير الأولى لأفراح الزواج كانت تتجلى في فترة (الخبؤ) هذه بـ(أهازيج الخدمة) فما هي

ياترى ؟

• أهازيج الخدمة:

تصدق النساء من أقارب الحريوة و جيرانها بأهازيج عذبه يكرسها للتباهي المشبوب بروح

الدعابة يمدحن فيها محاسن الحرية و يرفعن من قدرها و تعرف هذه الأشعار بأهازيج الخدمة لأنها مكرسة لخدمة (الحرية) و الواقع أنّ عادات الزواج في (سرو حمير/يافع) كانت معنية بتقديم ألوان عديدة من الغناء الشعبي التقليدي الشهير بـ(اليافعي) أو كما يحلو لبعض الدارسين تعريفه بـ(اللون اليافعي) الذائع الصيت عبر الجزيرة و الخليج العربي بأعلامه المعروفة (يحيى عمر اليافعي) و (ابن زامل) و(ابن الشريف) وغيرهم من أعلام الأغنية اليافعية. فكم حريّ بأهل الاختصاص في دراسة الأغنية اليمنية الإحاطة بالأغنية اليافعية التي يقول فيها الشاعر اليمني المعروف (محمد سعيد جرادة) -رحمه الله:

الأغنية اليافعية تكاد تكون معاصرة للأغنية الصناعية. فهي إذن أقدم من
الأغنية اللحجية و الحضرية... وهي ذات طبيعة فولكلورية لأنّ قائلها
مجهولون لا يعرفون إلاّ بداية الكلمات مثل: (قال ابن جعدان) و (يقول ابن شريف)
و (يحيى عمرقال) . وما أخرى المختصين بدراسة تاريخ الغناء اليمني بتتبع
هذه الأسماء. ٢٨

وأهازيج الخدمة كانت تسمع في (سرو حمير/يافع) في طرقات القرى و دروها و مسالك الجبال
وفي الأطيان وحين تترج النساء الماء من الآبار أو ترده في القلّات و الحسي -جمع حسوة- و المكال-
واحدها مكلة- و فيما يلي قطوف من دوحة أهازيج خدمة الحرية اليافعية:

بخدمش و آ عود لبريق (الإبريق)

و آ مدعلك و آ رشيق

بخدمش و آ عود ليتوس (الأتوس)

بعلي الحامل يتوس

بخدمش و آ حتي أصيبا (غصيبا)

ما معانا بش سخا

بخدمش و آ ذ البنية

واين كنشي مخفية

مخفية ي دار أبوها

بالمناظر عليه

بخدمش في سعد أبوش

أو بسعد الوالدة

بخدمش في سعد أبوش
ذي يوفى ما قصر
بخدمش في سعد أبوش
وإن عصر حيد اعتصر
بخدمش وآ ميل فضة
و اهلش أميال الذهب
بخدمش و جلجل أبين
وآ ذرة وادي خبان
حيث أبوش لا (إلى) لحج و أبين
لا (إلى) رداع العالية
بخدمش وآ ماز (موز) عته
و ترنجه على الأيول (الغيول)

[الشين] في: بخدمش/و أبوش/و كنش/و اهلش/و بش .
ضمير المخاطب الموثق في طجة (سرو حمير/يافع)
[وآ] للمنادى المندوب و هو هنا الحريوة .
و عود لبريق (الأبريق) هو في اللغة العربية:
* البروق: ... قال: أخبرني أعراي قال:
"البروق نبت ضعيف ريان له خطره رقاق .
قال جرير:

كأن سيوف التيم عيدان بروق إذا نضيت عنها لحرب جفوها^{٢٩}
و عود الأبنوس و الأبنوس: شجر من فصيلة الأبنوسيات، يعيش في البلدان الحارة، خشبة
ثمين أسود اللون صلب العود للغاية (يونانية) .^{٣٠}
و مما يلفت النظر في هذه الأهازيج اليافعية تكثيفها لوحدة الأرض اليمنية و سبك عود الحريوة
من طينه أحتمر فيها عود الأبنوس الصلب بخرعو به البروق الندية دلالة على رشاقة القوام و عجننت
بغلال الأرض اليمنية الخصبة، مثل:
جلجل أبين و ذرة وادي خبان و موز وادي عنة العسلم النظير. فسهول دلتا أبين الواقعة شرقي

عدن ، تسقيها سيول (سرو حمير/يافع) المتدفقة عبر (وادي بنسا) الشهير و وادي (سُلب) و وادي (خُبان) من غرر أودية سرو حمير:

يقع بذى رعين شرقي ظفار و جنوبه وهي ما تعرف اليوم بإسم (السدة) .^{٣١}
وهو أي (خُبان) يعرف عند الأخباريين بـ(كهف خُبان) الذي بدأ منه عصيان عبيلة العنسي الملقب بـ(ذي الخمار) .^{٣٢} أما (وادي عته): واد مشهور في بلاد (العدين) غربي (إب) و يصب في وادي (زبيد) .^{٣٣}

وهكذا نجد وحدة الجغرافيا اليمنية في أهزوجة مديح الحرية اليافعية . فإلى جانب خُبان وعته وأبين لسنا بحاجة لتقادم (رداع) و (الحج) فهما في غنى عن التعريف .

ونحن هنا نهدف بالإطالة ، المسح الشامل و الحصيل للأبعاد التاريخية و الثقافية لعادات الزواج وطقوسه العتيقة في النجد الحميري المعروف بـ(سرو حمير/يافع) خاصة في ظل التآكل المستمر لبنية التراث تحت عوامل شتى ، و يكفي الإشارة هنا إلى اختفاء معظم عادات الزواج التي تناولها هنا بالدراسة و البحث ومنها (أهازيج خدمة الحرية) التي لا أسمع لها في أيامنا الحاضرة حساً في الوقت الذي كانت فريضة تترنم فيها أمهاتنا في الماضي القريب . ولعل عوامل النحت المواظبة على تدمير تراثنا هي الحافر المُلح الذي يقض مضاجعنا و تستثير منا معشر الباحثين العرب المهم للتصدي لتيار التصحر الذي يهدد دوحة تراثنا باليباس و الاندثار .

وقبيل حلول أول ليلة في الزواج تكون الاستعدادات قد بلغت ذروتها في بيت الحريو و بيت الحرية أيضاً ، نحو شراء الأبقار و الأغنام و عكمتها عند بيت الحريو من أجل ذبحها في المناسبة و تفيض من أجلها النجاء بالسمن و العسل و يطحن البن و الدرة و تُملئ الأسقية باللبن و يسحق الخنل و الهندس و الورس و الذريرة... و تُسد الحاجة للحلوى و الثياب و العطور و هلم جراً . و أهم ما في ذلك قيام نساء القرية بعمل يعرف في (سرو حمير/يافع) بـ: الطَبَان : و يقصد به توزيع الطحين و اللبن على بعض نساء القرية لإعداد العصائد في بيوتهن لأجل الولائم التي تقام على شرف المناسبة . و يظهر أنّ هذه التسمية لها علاقة باشتقاقين من مادة (طين) في العربية الفصحى:

* الطَبْنُ: بالتحريك : الطَبْنَةُ .

* و طَبْن النار يطبنها طَبْنًا : دَفنها . كي لا تُطْفَأ ، و الطابون: مدفنها .^{٣٤}
و أول أيام الزواج تعرف بـ(ليلة الخناء) في سرو حمير ، أي أنّ مراسيم الزواج الفعلية تدخل بحلول ليلة من اثنتين هما: ليلة الأحد أو ليلة الأربعاء .

و تسمى (ليلة الحناء) فما شأن الحناء بهذا الاسم ؟

• ليلة الحناء:

إذا حلت (ليلة الحناء) تداع الناس إلى بيت (الخريو) لإحياء تلك الليلة بالرقص و الطرب و يلبس الجميع أفضل ما عندهم من اللباس . و الرقصة اليافاعية لا تؤدي جماعياً ، فالإيقاع فيها و نظام حركاتها لا يسمح إلا بأن تؤدي ثنائية ، أي يؤديها راقصان كأن يرقص رجلان أو امرأتان وهي وإن تعددت أسماءها و اختلفت فيها بعض الحلاكات وفقاً للناحية أو القرية التي لعبت فيها لأول مرة لا تعدو أن تكون في الأساس ألا:

• رجالية : يؤدي الشوط فيها رجلان أو صبيان .

• نسوانية: يؤدي الشوط فيها امرأتان أو رجل وامرأة.

وإذا كان الشريك في الرقصة امرأة نحو الزوجة أو أحد المحارم... فلا يهم أن تكون ضربنة الإيقاع رجالية فإن الرقصة تبقى نسوانية... وفيها يُقبل الراقصان ويُدبران كنفاً لكنف بخطوات متزنة وعند رغبة أحدهما يتبادل خطى الرقص ، فيمكن له ذلك ببساطة من خلال جرّ شريكه برشاقة للطواف الدائري معه في الاتجاه المغاير لدوران عقارب الساعة دون الحاجة إلى التوقف ، وهكذا يمكن تبادل المواقع عدة مرات في كل شوط من الرقصة النسوانية. وليس في رقصة اليافاعيات ما يغري بمشاهدتها فلا ترجع فيها أرداف ولا تهتز فيها صدور و أعطاف.

أما (الرقصة الرجالية) اليافاعية فيغلب عليها سرعة الإيقاع وخفة حركة أقدام الراقصين صعوداً وهبوطاً ، وهي مثل النسوانية يتحرك فيها الراقصان في نفس الاتجاه جنباً إلى جنب ، غير أن في حركة الراقصين ريع من عملية الكر والفر في صولات الرغى ، أو قل هي أقرب إلى حركة انقضاض الخسوف . وتبلغ الرقصة ذروتها في اللحظة التي يعقبها تبادل الراقصين للمواقع إذ لا يتم ذلك بسهولة الدوران المتلازم للراقصين في الاتجاه المعاكس لدوران الساعة ، كما يحدث في الرقصة النسوانية فالأمر وإن كلن يقتضي الدوران المتعاقب في الاتجاه المعاكس لدوران الساعة إلا أنه يقتضي من المهارة و المرونة وخفة الحركة مع ضرورة التقيد بإيقاع الرقص ما يخلب لبّ المشاهد فيخيل إليه مأخوذاً بروعة الرقصة أنه أمام حلبة لصراع الديكّة-وهي عادة ما زالت سارية في (سروحيير/يافاع)- التقت فيها هامتا الراقصين واختلط الساق بالساق وانفردت أذرعهما في دوامة الحركة الدائرية ، لا يخامرك شك وهي تشد الإحاطة بالجسد الراقص أنها أجنحة الديكّة الملتحمة في صولة دامية. لهذا فأنا أفضّل تسمية رقصة رجال يافع بـ(رقصة الديكّة المقستلة) . والرجال في (يافاع) لا يصطحبون (الجنسائي)

في رقصات الزواج بينما يودون رقصة (البرع/البرعة في مناطق أخرى من اليمن) بالنمش-واحدتها نمشة، وهي السيف ذو الحد الواحد- و الجنابي في مناسبات الأعياد وحيثما دعت الحاجة لالتقاء القبائل الياضية في تجمعات احتفالية أو مخارج حربية ، ولها نظامها الخاص ليس المجال لذكرها هنا . وتنحصر الأدوات الموسيقية المصاحبة لرقصات الزواج في (سرو حمير/يافع) بالطبل والشبابة التي يتناوب الضرب والعزف عليها رجال محترفون من فئة تُعرف في (سرو حمير/يافع) بـ(الشحاذ /واحدتهم شاحذ) وهم كما ذكرنا آنفاً المزاينة في المناطق الأخرى من اليمن . كما تنداح من فيه (المطبل / ضارب الطبل) أثناء الرقص أغاني طربه تؤدي بالحنان مدرسة الغناء التقليدية الياضية الشجيرة. والواقع أن تقاليد الزواج الياضية تعتبر بمثابة قابلة الأغنية الياضية بألوانها المختلفة لأنها مصاحبة لطقوس الزواج وتقاليده على مدى الأيام التي يعمر بها الفرح . وقد عرضنا (أهازيج خدمة الحريوة) وسنعرض لألوان أخرى على التوالي، الذي تفرضه طبيعة الدراسة. وكما قلنا آنفاً أن رقصات الزواج في (يافع) مهما تعدت أسمائها لا تعدو أن تكون في نهاية المطاف واحدة من الثنائيات الثلاث: رجالية أو نسوانية أو نسوانية(رجل وامرأة)

وفيما يلي نشير إلى أهم الرقصات الياضية:

- رقصة المخموس (رجالية).
- الرقصة القاسدية (نسوانية).
- الرقصة البنائية (نسوانية).
- الرقصة الشوبلية (نسوانية).
- رقصة السفينج الحديّة (رجالية).
- الرقصة الموحسية (رجالية).
- الرقصة العسكرية (رجالية).
- الرقصة الخموسية (نسوانية).
- الرقصة البدوية.
- رقصة الطلق (نسوانية) ٣٥

وفيما يلي نماذج من الأشعار التي تُغنى أثناء الرقص مصاحبة للطبل والشبابة:

سالم علي قال: بنقش شاكتي (شوكتي) بيدي
وان حد نقشها وصل عل اللّحمة الحية

سالم علي قال: بنقش شاكتي بيدي
 يستاهل الشاك (الشوك) من ساير بنات الناس
 سالم علي قال: وا رجلين شليني
 لا تعتيريني و أنا محنون بالسيرة
 سالم علي قال: مانا سبتي لخجف (الأخجف)
 ذي لا (لو) دخل سوق ما يدري كم اسعاره
 سالم علي قال: بالشبه حبس فضة
 واليوم سالم علي يمشي على الصعرة
 جزعت وادي ومضنوني جزع وادي
 ياليت أنا وانت بالمضنون سيارة
 وكل هذه الأبيات يجمعها لحن واحد وقائلها واحد من شعراء الأغنية اليافاعية يُعرف بـ (سالم
 علي) وهو من الأعلام الذين ينبغي أن تعنّ بهم الدراسات... وهذا لحن آخر:
 قال سالم علي أبني (غبي) عل أول زماي
 كنتك (ت) بخصر غسل واليوم شجرة بواني
 وهكذا تتوالى الألحان الشجية المصاحبة للرقص مثل:
 أهل السلاء في سلاهم
 وأهل البلاء في بلاهم
 وأهل العبادة يصلون
 وهذا لحن آخر:
 قلبي عزم عالسفر وآ حالي الميسم
 وآ ذي كلامك غسل واحلي من السكر
 واتعتني وآ حنش وآ مالي المدرب
 وآ ذي لك أعيان مثل الجمر قتاله
 وهذا لحن آخر أيضاً:
 قال شلال صالح بالقبيلة
 ليتهم يا يقولون من شل له

ولحن آخر أيضاً:

قاله(قالت) الجارية وآ عبد وايش أنت ناوي

قال ناوي تشقارة من الحاط(الحوط) راوي

هذه ليلة (الحناء الحميرية) إذا انصرم منها حُلَّها صعد الرجال إلى حُبا (سقف) دار (الحريو) فيرشقون الفضاء بطلقات رصاصهم المضيفة إيذاناً بحلول (ساعة الحناء) وفيها تمحض كفا وقدا الحريو بـ. عجينة الحناء) وهي عادة تليدة واسعة الانتشار في سائر جهات جزيرة العرب ، ففي تعرضه لزواج أهل مكة واليمن وحضرموت يقول (ابن الجاور):

إذا تزوج رجل من مكة وقطع المهر وأراد الدخول على المرأة يحضب

الرجال أيديهم وأرجلهم تزيّن، وكذلك جميع أهل اليمن وحضرموت. ٣٦

بيد أنّ أهم ما في ليلة الحناء يكمن في طقوس إخراجها إذ تعتمد النساء إلى الصعود بالحريوة إلى (حُبا) بيت أهلها وقد أسبلت (الجوال) على وجهها وهناك يجلسنها في وسط حلقتهن التي يقفن فيها وقد انعقدت ذراعا كل امرأة منهنّ حول خصري من يجاورها يسرةً بيمنة. ثم يشرعن بالإنشاد على وتيرة واحدة (كورس) بترنيمة إخراج الحناء . ويبدأ نص الترنيمة باستهلاله دينية:

بسملوا وآ ذي حضركم (كورس مرات عديدة)

عالبنية بنتكم

بسم الله بسم ياسين بسم قرآن عظيم . (كورس مرات عديدة)

=====

بسملوا عالدار وأهله

=====

والملك ذي حل به

بعد استهلاله الافتتاح التي صدحت بها الحلقة مرات متعاقبة (نظام الكورس) تنتقل المجموعة دون

توقف إلى (إخراج الحناء) على هذا النحو:

وآ خرج حناء لجهدي

وآ خرج عل العافية (تكرير)

وآ خرج والشهر سامر

والثريا ناكسة (تكرير)

وآ خرج حناء لجهدي

وآ خرج عل العافية (تكرير)

وآ خرج عالحف والزف

والطبول الرعدية (تكرير)

واين صوت الطبل ينقح

واين صوت المحجرة (تكرير)

ومن خارج الحلقة تتسامق الأيدي لترش الحريوة المحفوفة بأعواد القنا المائسة بعقب الزهر الفائح ،
وأريج العطر الموجه إلى الحلقة المنشدة بعقيق الألحان المصحوبة بقرعات الطبل ومزامير الشبابة ... من
صوت الطرب الجماعي الهاتك لأستار الليل وسدقه تنداح ترنيمة الحناء:

خرجه شمعة من الدار

وآ خرج فرخ الحمام (تكرير)

خرجه شمعة من الدار

وآ خرج بيضاء رخام (تكرير)

خرجه شمعة من الدار

واستضاء ذى السفال (تكرير)

والشمعة(هنا) ليست سوى (الحريوة) التي أشرقت بحضورها لا محافد(سرو حمير/يافع) فحسب بل
وأنارت كذلك حواز (ذى السفال) الواقعة من (إب) في السفح الجنوبي من جبل (التعكسر) ...^{٣٧}
الشهير بأنه أحد محافد حمير التليدة.

وتنتقل الحلقة المنشدة (بترنيمة الحناء) إلى لحن شجي آخر:

تستاهل الفنية العبد والجارية (تكرير)

تستاهل الفنية بريم بريمية (تكرير)

(الفنية) هنا أيضاً (الحريوة) تستحق أن يقصر عليها نفيس الهدايا مثل حزام الفضة المعروف

بـ(البريم).

وهذا لحن آخر مكرّس لإخراج الحناء للحريو والحريوة :

على الحناء على الحناء

نعيمة من تحتى به (تكرير)

على الحناء على الحناء

تحتى به فمر سرحان (تكرير)

على الحناء على الحناء
تحتى به حنش ثعبان (تكرير)
على الحناء على الحناء
نعيمه من تحتى به (تكرير)
على الحناء على الحناء
تحتى به جويهلنا

والحرير هو المقصود هنا بنعت (نر سرحان) و(حنش ثعبان). أما الـ(جويهل / تصغير جاهل وهو الطفل) فالمقصود به (الحريرة) المعنية بطقس إخراج الحناء وترنيمة اليافعية. وإذا كانت كفاً وقدماء الحرير هدفاً للتخضيب (كيفما حلّه وظله / كيفما حلت وظلت) وفقاً للقول العامي فإنّ الأمر يختلف مع (الحريرة) التي تولي أحد قرياتها نقش أناملها وقدميها بخطوط نعمة دقيقة بماء الحناء لهذا السبب يُعرف يوم الحناء عند أهالي صنعاء بـ(يوم النقش في اليمن ، وفيه يجتمع نساء العائلتين وأقاربهما في بيت العروسة وينقشن يديها ورجليها بصبغ أسود ويفعل ذلك أقارب الزوج والزوجة.^{٣٨}

وفي بعض النواحي من (سرر حمير/ يافع) تعتمد بعض النساء من أهل الحريرة إلى كسر أربع بيضات يهرقن كل واحدة منهنّ في أركان البيت الأربعة. . وهي عادة كان يقصد بها درء عين الحسود واحراز زوايا البيت الأربعة أن تنفذ عبرها الأرواح الشريرة فتمس (الحريرة) في اللحظة التي تنتهي من طقوس الحناء.

• ليلة الزواجة:

إذا انصرمت ليلة الحناء طلعت شمس يوم الزواجة وهو يوم حافل بالترتيبات والتهيئة في بيت الحرير وبيت أهل الحريرة على السواء. وتقضي العادة أن تُرسل من لدى الحرير هديته للحريرة وأقاربها وتقوم اليوم سيارة بنقل (الهدية) التي تضم فيها إلى جانب المون الغذائية مثل السكر والأرز والحليب... الخ . وقد تطول القائمة وفقاً لمقدرة الحرير وسعته ، غير أنّ المفروض في الهدية أن تضم (شنطة) أو أكثر مليئة بالأكسية والعطور للحريرة وأقاربها من النساء والرجال. وكان (الشحاذ) في الماضي يتولون إيصال الهدية في يوم (الظهرة) الذي وصفناه آنفاً ، وتستقبل من لدى قرائب الحريرة بالمحجرات والمباخر. وفيما بعد تتولى أم الحريرة أو واحدة من أقاربها عرض ما تحتويه شنطة الهدية المبعوثة من (الحرير) أمام نساء بيت الحريرة ونساء الجيران وغيرهنّ من الزائرات لـ(الحريرة) التي تعيش فترة (الخبوء) وفي هذه الحالة تكون طبيعة الهدية وقيمتها مادة للحكي النسوان ، فإطراء الهدية يترتب عليه

الثناء على كرم (الحريو) ، في حين أنّ الانتقاص منها والهزء بقيمتها يجر على (الحريو) ويسمى بنشع النفس. هذا فيما يتعلق بمدينة (الحريو) المقصورة على (الحريوة) وأهلها .

• الضيفة:

قضت تقاليد الزواج الياغية أن يتحمل (الحريو) وأهله أعباء (وليمة عشاء) كافة أهل (قرية الحريوة) في ليلة الزواجة وتحدد في (الظهرة) عادة نفقات هذه الوليمة الشهيرة باسم (الضيقة) وهي في الأساس عبارة عن رأس أو رأسين من البقر يبعث بها (الحريو) إلى بيت (الحريوة) فتذبح على (العتبة) وتوزع حصص من لحمها على كل عائلة في القرية لا يستثنى منهم أحد. ويحدد في (الظهرة) أيضاً عدد (الشواعة) المرافقين لـ(الحريو) في يوم الزواجة ، حيث كانت العادة تقضي أن يقصر لإطعام كل سبعة منهم رأس من الغنم أو ما يعادله من لحوم الأبقار، وكيه من الحبوب تُطحن لكل أربعة منهم . أما اليوم فإن الأمر يقتضي الأرز والزيت والحليب والسكر وغيرها من الميرة.

• الشواعة:

جرت العادة في (سرو حمير/يافع) أن يتوافد إلى بيت (الحريو) في ساعة الغداء من نهار الزواجة غصبة من رجال القرية.. وهم في هيئة المحاربين الذين يشدون الغزو والإغارة على أكتافهم أسلحتهم وعتادها من (القذائف) يلتحفون المآزر القصيرة يشدونها في أواسطهم بأحزمة تفضل في مقدمتها الخناجر اليمانية التقليدية المعروفة بـ(الجنائي/واحدتها جنيّة)... بيد أنهم يكتسبون مع هيئة المحارب هذه أزهى الملابس لديهم. وفي بيت (الحريو) تحتلق الجماعة منهم حول عصيدة الذرة-باللبن الرائب تعصد- يصيرون منها حاجتهم من اللقم يخصصونها في فجوة وسط العصيدة مليئة بالسمن والعسل إذا نرحت أفاضوا فيها المزيد من السمن والعسل. وإذا شبعت الجماعة الأولى خلفتهم جماعة ثانية وثالثة يأكلون إثرهم من نفس العصيدة التي قد يأكل منها المئة من الرجال وهي من عمل (الطبان) الذي ذكرناه آنفاً. ويصدق في (عصيدة يافع) قول الله جلّ شأنه:

«... وجفان كالجواب وقدر راسيات» [سورة سبأ/ ١٣].

أما عملية (خصر اللقمة في الفجوة) فقد أخذت مما يعرف في معاجم اللغة العربية الفصحى بـ(المخاصرة: أن يأخذ الرجل بيد رجل آخر... وتخاصر القوم: أخذ بعضهم بيد بعض)^{٣٩} وهكذا إذا فرغ الجميع من تناول الغداء خرجوا إلى خارج بيت (الحريو) ثم يأخذون بالتدريب على الرماية بالذخيرة الحية على أهداف من الحجارة تُعرف عندهم وفي أغلب نواحي اليمن

بـ(النصاع/ أو النصع) وحيث أن الرماية تسدد على أهداف بذاتها فقد أخذت هذه التسمية الشائعة من المعنى في:

ولما أن دعوت بني ظريف أتوني ناصعين إلي الصياح
وقيل: إن قوله في هذا البيت (أتوني ناصعين) أي قاصدين وهو مشتق من الحق الناصع أيضاً.
أجل فعملية التدريب على الرماية (النصع) تُعد بمثابة التهيئة للحرب وفي العربية الفصحى:
أنصع الرجل: أظهر عداوته وبئها وقصد القتال .^{٤٠}

فلذا خرج (الحرير) أطلقوا النيران جواً ترحيباً به وبمخرجه المصحوب بالطبل والشبابة والبخسور المتصاعد من أيدي النسوة يحملن المباخر ويلعلن بـ(المحجرات) فيسلمنه إلى هذه العُصبة المحاربة من الرجال الذين يُعرفون في (سرر حمير/ يافع) بـ(الشراعة/ واحدهم شويح) ويعهد إليهم بمرافقة (الحرير) وحمايته إلى بيت (الحريرة). فالشويح هو هنا : ظهر أو نصير (الحرير) .

وفي النقوش اليمنية القديمة ورد بصيغة: (شوع) الواحد شعبي (اسم) تابع أو

نصير. وعلى وجه التحديد في نقش [ربرتوار/ ٢٧٥٤] وهو أحد النقوش

المعينة المكتشفة في خربه [هرم / هرمم في النقوش].^{٤١} والعبارة الماثورة

في النقوش: شوعو / مراهم / ملكن

تعني: (شايعوا) [ناصروا] سيدهم الملك).

وهكذا فـ(الشراعة) في طقوس (صيبة حمير) أي زواج حمير هم أنصار (الحرير) في هيئة المحاربين يرافقونه و(يتنصرون) بالذخيرة الحية ! وهم علاوة على ذلك يأخذون (الحرير) إلى بيت [حريوته / عروسه] في تظاهرة عسكرية (شعبية) يردد فيها الطبل والشبابة ، وتسمع فيها طلقات النيران وتلعسب رقصة المحاربين بالسيوف الشهيرة بـ(البرع) وهي رقصة تقليدية (رجالية) ثنائية تلمع فيها الجنابي في أيدي (البراعة / راقصوا البرع) عالياً فوق الهامات المتوثبة. وفي هذه التظاهرة تزجر عُصبة الشراعة- بنظام المجموعة (كورس)- بأشعار (الزامل) ذات الألحان التقليدية الحماسية الدائعة عند معظم القبائل اليمنية. وفي العربية الفصحى: (الأزمل) : الصوت ، وجمعه (الأزامل) ؛ وأنشد الأخفش:

تضب لثات الخيل في حجراتها وتسمع من تحت العجاج لها ازملا

يريد أزمل...

والأزمل: كل صوت مختلط.

والزوملة: مثل الرفقة.

والزَّمل: الرجز ، قال:

لا يغلب النازع مادام الزَّمل إذا أكبَّ صامتاً فقد حمل^{٤٢}

وأشعار الزامل المعروفة بـ(الزوامل) عادة ما تقصر في أفراح الزواج على إظهار الاعتزاز بالصهارة والتأكيد على أهميتها بين أهل (الحريو) و (الحريوة) وفقاً للحكمة الشعبية المكثفة في القول الشعبي:

[لا ما معك أخ صاهر] أي [لو ما معك أخ صاهر]

ويشير إلى مقام (الصهر) العزيز بمقام الأخ في حالة انعدام الأخير. هذا وقد تطرق الزوامل في الزواج أبواباً أخرى ذات صبغة محلية أو قومية.

وفيما يلي شذرات من زوامل الزواج نظم الشاعر الشعبي (يحيى أحمد عباد البرق) الذي كان مسكوناً بألق الشعر ولو قُدِّر له فيما أحال قسط من علوم العربية وثقافة الفصحى ، لكان يتبوأ اليوم أرفع المقامات في ديوان الشعر العربي... وهيئات لهذه الأمانة أن تتحقق بعد إذ فقدناه منذ بضع سنين ولات أن ينفعنا عضّ بنان الندم على أضرابه من شعراء العامة في (سروحمير/يافع) الذين يتخطفهم المصير ذاته. وأسوتنا لا ريب تكمن في رعاية وتعليم من يراودهم هاجس الشعر من جيل النشئ. وحسبنا هنا عرض نماذج من نظميات الزامل للشاعر (البرق) المكرسة لأفراح الصيبة(الزواج) :

• زوامل الخروج معية الحريو:

من حد مقفل ذي به أخيار العول

يا عازم توكل مع خيره وديع

فوج النسيم أقبل من أطراف القبل

والسيل سيّل يرزع الدنيا رزيع

سلام واجب للقبائل مجملة

لأهل اليمن نجاد وابطل الحروب

من عاصمة نجران لما مزبله

لا(لو) لموا الوحدة شماله وجنوبه

سلام من شمع جبال اتقاطره

وازن جبل يافع والي نصبا كساد

بايسمعونه من عدن لا(إلى)مسورة

والعاصمة صنعاء وحكام البلاد
سرنا من الزاهر بساعات الظفر
بأحسن مناشر والسلوك اتواصله
صات (صوت) المسيرة والمسيرة تستمر
تقدموها شاعر وبعد مرحلة
سرنا براية ذي خلقنل من عدم
والفجر شعشع واشرقه شمس الصباح
الجيد من أصل الشهامة والكرم
معروفة اسبال القبل كمئن شباح
• زوامل الترحيب بالشواعة:

يامرحبا ترحيب وافي متنا
وزن الشوامخ والجبل لما يلين
كم هي تجر ذي حملوا من أرضنا
من السفرجل والعنب والياسمين
يامرحبا ما لبحر طلع بالنوى
لا (إلى) مطرح الناموس والحيد النفوف
شامخ منيع أنصب رفيع المستوى
مد النظر لا حيثما عينك تشوف

• زوامل الخروح بالحريرة:
في رايكم ياهل المعزة والشرف
والكرم والجادة وثيقين العهود
شرع الصهارة من قطف زهرة قطف
لاهل الصيانة شمهها يجلس ينود
وآ اكرمكم الله كل ما الريح أقبله
ما يذكر إله بالحسينة كل جيد

محسن بلدكم بالمحاجين اسيله
واحسن سيوله ذي على رأس الجنيد
ياذيب شليك الحسينة هب لك
أهل الشرف والعز هم ذي قدروك
ما تدري إن يافع سمك ياكل سمك
وانته على خزنه خلاقه قدموك

على هذا النحو يقدم (الخريو) في يوم الزواجة وبصحبة غصبة الشواعة. فإذا اقترب الجمع الزاحل من مطارح (الخريوة) استقبلهم أهلها بالطبل والشبابة والزامل ويعهد لنفر من المقربات لـ (الخريوة) التعرض لـ (الخريو) وغصبته بالمباخر والمحجرات اكراماً لهم ويُعرفن باسم (اللواقي/ واحدته لاقية) ، وقد جرت العادة في (سروحمير/ يافع) على إكرام (لواقي) الخريو ومن معه من (الظهارة) في يوم (الظهرة) الذي تعرضنا له آنفاً . في حين يتعين على والد (الخريوة) إكرام لواقي (الرفادة) وهم أهل (الخريوة) الذين يرفدونها بعد يوم (الزفة) . وإكرامهن يتم عادة بإعطاء كل واحدة منهن (كسوة) كاملة وكانت في الماضي القريب عبارة عن ثلاث قطع هي :

• ثوب نسائي طويل.

• مصرة للرأس.

• معجر أو فعجز: كانت المرأة اليافعية (سابقاً) تلفه حول خصرها وتعقده تاركة طرفيه يتدلان أمامها... وتسميته أخذت من طويه حول (عجز) المرأة ، أما الآن فقد أخذ محله حزام ينتطقن به. وفي اللحظة التي يلتقي فيها (الشواعة) بزامل المستقبلين تدوي طلقات الرصاص جواً ترحيباً بـ (الشواعة) الذين يردون بالمثل ثم ينقسم الجمع في صفين متقابلين واحد يضم الشواعة والآخر يضم المرحبين لتبدأ محاوره تقليدية بين لسانين ناطقين بلسان حال طرفي الحوار وهما الشواعة والمرحبون ويُعرف هذا التقليد بـ (المحاولة) والمحاور في (الحوال) أو (المحاولة) يُعرف باسم (المحاول) . والمحاولة تجري على نحو أشبه بـ (سجع الكهّان) ويبدأها محاول الشواعة بـ (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، فيرد عليه محاول المرحبين بالسلام ثم يسأل :

— حالكم ما حالكم بجل الله حالكم

وايش الأخبار من نحوكم ؟

— أخبارنا سكون والشر مدحون.

جئنا على سُنَّة الله والرسول لأخذ ابتكم صاحبه
الشرف المصون والدر المكنون على ابننا صاحب
المعالي ، الفتى المفتون ومعه جمران العيون
(الشواعة) لأجل فرض كان مقضياً ومستون
بعون الله نقضي الشف وفي كرمكم راجون
نسهر ونسلى معكم وغداً راجعون
— حياً وسهلاً بكم في ديارنا والحصون
مع فتاكم صاحب المقام الميمون
وبإذن الله نقضي شفكم وما تطلبون
وذي (والذي) من أجله كان وصولكم
في الحفظ والصون وفي الدار مركون (المعني في هذا الحريوة)
على السعة ترحبون سلا ورقصة
ولله في خلقه شؤون. مكرمون
مع وافر السعادة والبتون
والصهارة باقية أولون ولاحقون
والله على ما نقول وانتم شاهدون^{٤٣}
هذا وقد تنحو المحاولة منحى الظرافة كأن يقول محاول الشواعة:
— جئنا على حاجة ماتقضى عليكم
على سُنَّة الله ورسوله
ونرجو العشاء عندكم
فيأتي الجواب محيراً:
— حاجتكم ما نعلم بها
وعشاكم في بلاد بعيدة
ولا تقطع الحيرة إلا ضحكة المحاول وقوله:
— أرحب وقل حياً ميه (مالة)
وآلاف ذي جيكم (جيتهم) لها

ثم يطلق الشواعة لممارسة الرماية (النصع) ويجدر بهم إسقاط (النصع) المرفوعة ودك أحجار (المرو) المكونة في الحقف والأشطار. ويبقى (الشاحذ) في تلك الظروف متيقظاً في مراقبته للعملية ، وكلما هوت (دعامة/نصع) أو طارت مروة هتف صائحاً:-(يا مليحاه مليحاه لسيدي فلان بن فلان... وهكذا).

غير أن أهل الحرية يلحون على الشواعة بالدخول إلى (الديوان/ المجلس) وقد درجت العادة أن يسلب الشواعة من بنادقهم على عتبة الدار ويتولى حمله رجال من أهل الحرية يعلقونه في الديوان في متناول أيدي الشواعة. فترى البنادق متدلّية على الحيطان تحملها علاقات خشبية مثبتة أدنى من السقف تُعرف بـ(المعاليق/ واحدها معلاق). وفي بعض نواحي (سروحير/ يافع) يعتمد بعض المرحبين بـ(الحرية) والشواعة إلى معاكسة (الحرية) لحظة وصوله مع الشواعة والتزول فيه (بقصاً وقرصاً) وهم بذلك يظاهرون ما يفعله المقربون من أصدقاء (الحرية) به وقت الزفة في (صنعاء):

وكثيراً ما يداعبه أصدقاؤه أثناء سيره بقرصه- والقرص يسمى في اليمن (قبص)- وهو لا يستطيع أن يظهر اعتراضاً أو ردّاً .^{٤٤}

هذا في صنعاء أما في (سروحير/ يافع) فإن الاعتراض يأتي من الشواعة المنوطين بحماية (الحرية) و (الحرية) أيضاً أثناء طقس الزفاف الذي سنعرض له لاحقاً.

وفي ديوان بيت (الحرية) ينصرف الشواعة إلى مضغ القات وتبادل طريف الحديث و(المجاهرة) مع أقارب (الحرية) ويتقاطر ذلك اليوم أرباب العوائل المقرّبة من (الحرية) وجيرانها على مجلس الشواعة من أجل الترحيب بهم ورشّهم بالعطور. أما في الماضي فكانت مهمة نسائية يقمن فيها بإحراق البخور وتقديمه لـ(الشواعة) الواحد تلو الآخر في طقس كان يُعرف بـ(التجبية/ من جباء بمعنى عطاء). وفي مجلس الشواعة هذا يُحمد الرماة منهم ، وفي حالة إخفاقهم في التسديد إلى الأهداف (النصع) فإن الرماة من أهل (الحرية) يحاولون بعد دخول الشواعة إصابة الأهداف التي عجز عنها الشواعة ، وبذلك يحرزون الفخر والشرف ويتباهون بذلك على الشواعة ويدمغونهم بالقول:

(أفهم ما شئى بهم بندقة) أي أنه لاحظ لهم في البندقة (وهي الرماية هنا)، وهي مذمة يلزم الشواعة درئها أن تحل بهم أثناء (التنصاع/ الرماية).

وإذا تأجل عقد القران عن (الظهرة) فيحبذ تحقيقه قبل أن تبتلع شمس (يوم الزواجة) للغروب. ويُعيّد الفروع من إبرام (عقد النكاح) يؤتى بـ(الحرية) لرؤية حريوته في غرفتها فيسلم عليها ويجلس بجوارها ، حينها يذلف (الشاحذ) وبين يديه كبش أو تيس يرفعه فوق رأسي الحرية والحرية ويذكر

اسم الله ثم يلوي به عليهما... وفي اللحظة التي ينتهي بها الشاحذ من طقس (الفداء) هذا ، يُنْبِئُ الحريو وحريوته بُغية الوقوف بسرعة مدهشة، فمن أفلح في الوقوف قبل صاحبه (حَسَنَ قَالَهُ وَخَفَّ هَمْلَهُ) في حياهما الزوجية المنتظرة وفقاً لهذا الأثر الشعبي. ولعل (الحراوى) اليوم يتوقون لحلول لحظة التسابق هذه معتبرين أنها الدعابة الأولى في حياهم الزوجية.

ويُخَفُّ مساء ذلك اليوم الرجال والفتيان الصغار لحضور وليمة (الضيفة) وعادةً ما تكون العصيدة توكل بالمرقة والسمن بالإضافة إلى اللحم.. أما الشيوخ والنساء والفتيات الصغيرات فنصيبهم من اللحم وحلوى (المضروب) والتمر ، فقد تسلموه في كل بيت نهار ذلك اليوم (يوم الزواجة). أما الشواعة فيتناولون العشاء لوحدهم وعادةً ما يتكون من خبز القمح بالسمن ويسمى في (يافع) بـ(المسمن/أو المعطف-بتشديد الطاء) يوكل مع اللحم والمرقة. وعندما يخلص الشواعة من طعام العشاء في بيت الحريوة يعودون للسهرة في ديوان القات ، حيث يواصل مضغ القات الذي يشدهم للاستمتاع بوقائع ليلة الشرح البهيجة التي يتداعى الناس للرقص فيها على ضربات الطبل وأنغام الشبابة المصحوبة بأصوات الأغنية التقليدية البافعية التي عرضنا لبعض ألوانها الشجية في (ليلة الحناء).

• هدايات ليلة الشرح:

ورد في معاجم الفصحى في باب (هدن):

هَدَنَ الصبي وغيره، يهدنه وهْدَنه : سَكَنه وأَرْضاه.... ويقال هَدَنَت المرأة ولدها :تسكينها له بكلام إذا أرادت إنامته.^{٤٥}

أما في (سروحمير/يافع) فـ(الهدان) هو لون من الغناء التقليدي (ثنائي الاختصاص) فهو:

— أولاً: نسائي الأداء وجماعي الطابع ، أي توديه مجموعة منهم ، مثل ترنيمة إخراج الحناء التي تجتمع بها بعض الألحان.

— ثانياً: اختصت أفراح الصبية(الزواج) بهذا اللون ، فهو إذن لا يودى في أي مناسبة أخرى. هذا النمط التقليدي توديه النساء في طقس الترحيب بـ(الحريو) و(الشواعة) في ليلة الزواجة . كما تودّع به (الحريوة) في طقس خروجها من بيت أبيها ، أي أنه يحدث في بيت (الحريوة) مرتين. أما في المرة الثالثة فيه تُستقبل (الحريوة) على عتبة بيت الزوجية.

هكذا إذا تنفس من ليلة الشرح(الزواج) هزيعها الثالث توقف الرقص وخرجت (الحريوة) إلى حُبا البيت محفوفة بالنساء ومصحوبة بالطبل والشبابة ، فتأخذ (الحريوة) موضعها وسط الحلقة النسوية تماماً كحلقة إخراج الحناء. وتبدأ عندها هدايات إطراء (الحريوة) والترحيب بـ (الحريو) وعصبتة المعروفة

بالشواعة. ويبدأ (الهدان) بالطريقة التقليدية:

بسملوا وا ذي حضر كم عالنيه بنتكم (تكرير)

بسم الله بسم ياسين بسم قرآن عظيم (تكرير)

واطرحي قمر الحيشي

ذي يياعد كل شئ (تكرير)

واطرحي طرحة من العود

ذي يعكي باللّهوج (تكرير)

نعم فـ (المُر) المطلوب هنا إحراقه من لدى أم (الحريرة) يقصد به طرد الأرواح الخبيثة من محيط
حضرة (الحريرة) بعدها ترتفع وتيرة (الهدانيات) مدحاً في (الحريرة) ويقصد بذلك تبليغ (الشواعة)
نحو:

بنتا غسل بصيني

من لحس منه أشي (غشي عليه) (تكرير)

تبهجلي وا مبجل

وا عابلي وا مسجل (تكرير)

وا عابلي وا نقيضه

ملاش عينه وفيضة (تكرير)

وا حُمُحُمِه وا روه

وا مسقيه من عشيهِ (تكرير)

في هذه المدائح التي نُعتت بها (الحريرة) بأنها (عسل) ليس في أنواع البشهاد له مثيل فله من الفاعلية
ما تجعله يضرب على النقيض ، فخصته الصب (بالصاد المهملة) في حين ينشد فيما دونه (الطب)! وإذا
كانت (الحريرة) جنأ نبتة عجيبة، فهي مرجانة حبوب الدُّرة البيضاء المنسوبة إلى (العوابل) في الأطراف
الشمالية الغربية لـ (سروحمير) وهي في النساء الريحانة الندية. بعد هذه الرسالة تترنم (المهدنات) بفضيلة
حضور (الحرير) وغُصابتِه (ليلة الشرح) هـدانيات :

ألا هديني وا هيداني

حريونا جي (جا) على جمل

بحري من الدلا عيس (تكرير)

ألا هديني وا هيداني

وأقبل بعصبة لها زجل

تهدد المناعيس (تكرير)

ثم يلهجن بنداء يستحث (الحريو) على المجازفة برؤية (الحريوة) وأنى له ذلك وهي جولة في بلدة
من الحضور الأنثوي الأسر والمترجم :-

ألا هديني وا هيداني

وا (حريو) آد لا (إلى) هنا

وا نرويك بنتنا (تكرير)

بنتنا وا كما كما

وكما النجم في السماء (تكرير)

ألا هديني وا هيداني

وا حريو آد لا هنا

وا نرويك بنتنا (تكرير)

وا حريو آد لا هنا

ود (واد) كبشك شوى لنا (تكرير)

ألا هديني وا هيداني

وا حريو آد لا هنا

واد سمك لجعدنا (تكرير)

ألا هديني وا هيداني

وا حريو آد لا هنا

واد بُرك غلي لنا (تكرير)

ألا هديني وا هيداني

وا حريو آد لا هنا

ونراضي عيالنا (تكرير)

ولمغالبة النعاس تراهن قد انتقلن إلى لحن آخر يطلبن فيه القهوة:

وا هيداني

ألا وا خرمقي (تكرير)

وا نعاسي ألا هديني (تكرير)

وا هيداني

ألا من قهوة (تكرير)

البن ما شئ ألا هديني (تكرير)

بعدها يكرسنا (المان) للشواعة ويطلبنهم واحداً تلو الآخر وبالاسم:

وا هيداني ألا اتقادروا (تكرير)

====
وا شواعة ألا هديني

====
وا هيداني ألا اتقادروا

====
بينكم بين ألا هديني

هكذا فالمطلوب من (الشواعة) أن يقدموا بعضهم إلى حلقة الهدان كل حسب قدره ، فالمقصود أن يكرموا (المهذّنات) بطرحات من البخور في (المحمر) المتقد بين يدي (الحريوة). لهذا السبب فالمعنى في أول الأمر كبير الشواعة:

وا هيداني ألا من هو كبير (تكرير)

====
الشواعة ألا هديني

====
وا هيداني ألا الطيب وا

====
الحمحمه له ألا هديني

ولا بُد من تلبية نداء الغواني إذ على كبير الشواعة أن يحرق لهنّ البخور أو بالعطور يضمخهنّ، وهو عادةً أكثرهم سنّاً وأجلّهم قدراً فإذا كان كبير الشواعة هو عم (الحريوة) فشكره منهنّ يُسمع على هذا النحو:

وا هيداني ألا وا دين من (تكرير)

====
كف عمش (ك) ألا هديني

ويشرعن بعدها في طلب الشواعة:

وا هيداني ألا هاتوا بخور (تكرير)

الغواني ألا هديني

وكل من سارع إلى أداء الواجب يذكرنه بالاسم نحو:

وا هيدائي ألا ودين من (تكرير)

==== كف علان ألا هديني

==== وا هيدائي ألا ودين من

==== كف حمدان ألا كف المصا

==== حف ولقلام ألا هديني

==== وا هيدائي ألا ودين من

==== كف قسمين(قاسم) ألا هديني

==== وا هيدائي ألا ودين وا

==== يكرمك دين ألا هديني

ثم ينتقلن إلى فقرة من (الهدان) فيها مرافعات طريفة ومواقف تبعث على الضحك ، لأن المقصود بها (ذريع الحريوة) وهو الوسيط الذي تُمّت على يديه (الحرولة/الخطوبة) ويفترض أن يكون بين الشواعة.. كما يعرضن بأي (شويج) تلكاً عن خدمة الغواني ولم يحرق البخور في حضرنهن:

وا هيدائي ألا من هو ذريع

الحسينة ألا هديني

وا هيدائي ألا بنربطه

للقرينة ألا هديني

وا هيدائي ألا لا (إلى) جبل سبع..

ين سينه ألا هديني

هذا مصير (الذريع) أن تربطه الغواني في جبل مضافور بسبعين(سينه/ضفيرة) من شَعْرهنَّ ويدلّين به في قرينة البيت العالية. ومع هذا التهديد فلا يخفى من احراق البخور عند أقدامهن. أما الشويج الذي لم يؤدي الواجب فتأيه الدعوة على هذا النحو:

وا هيدائي ألا عباد أيب(غُيب)

علينا ألا وعجيتي

واين آيب ألا هديني

فإذا عجل بالقدوم سَلِمَ من التعريض به وإلا فإن موضعه وسط الزرائب لا يعرف منها فكاكاً أو في متاهة(جَلّة) مما تنقفه السيول وتراكمه من الأحجار والشجر ليس له مخرج منها:

وا هيداني ألا وهو حد
ب وسط مزرب ألا هديني (تكرير)
وا هيداني ألا وهو حد
ب وسط جلّه ألا هديني (تكرير)
وا هيداني ألا هو غدم وا
هي فسالة ألا هديني (تكرير)

وهكذا فإن جميع الشواعة يتحشون الوقوع في هذا الموقف الحرج. أما المهدنات فيعرجن على (لحن) آخر فيه دعوة لقرائب الحرية:

هيدان واين عمات الحرية (تكرير)

واين هن خالاتها هيدان

ويذكرن بحتمية خروج (الحرية) من دار أهلها:

تمشي في صراح أهلش

و إدوه (غدوة) في بيوت الناس

ثم يشهدن الحضور بغور (الحرية) ويطلبن إطلاق المسرجات في الهواء احتفاءً بذلك:

وا اضربوا له ياهل بيته

وا اضربوا له قمسيه

وخاتمة (المدان):

وصلوا عالتي واثنوا

جميع الكل وا حُضّار

• يوم الزفة:

إذا انبلج فجر (يوم الزفة) تناول الشواعة صبوحهم - طعام الإفطار - وهو (المسمن) عادةً أو أقرص (اللّحوج) الطرية اللينة المصنوعة من دقيق الذرة البيضاء باللبن الرائب ومثلها (المشروعة) غير أنّها مكرودة من دقيق القمح وتناظر في هيئتها أقرص العسل المعروفة في لهجة (سرور خمير/يافع) بـ (شرع النوب [النحل]) من هنا اشتقت تسمية (المشروعة) التي توكل ومثلها (اللّحوج) بالمسمن البلدي الشهير بـ (الرضيف) ويشرب معها (الشاهي) و (القهوة). بعد وجبة (الصباح) هذه إلى ساحة بيت (الحرية) يخرج (الشواعة) ويأخذون في ممارسة الرماية (النصع) وهم في غاية اللّهفة لرؤية

(الحريرة) تودّع بيت أهلها وطقس وداع الحريرة في (سرو حمير/ يافع) يثير الشّجن وتبعث (هدانيات) الوداع في نفوس أهل (الحريرة) لوعة الفراق التي لا بد منها ويتسنى لـ(الحرير) أن يرى آثار لحظة (الحرق) هذه-فيما بعد- على وجنتي (الحريرة) المردّعة بالزعفران فليس لحريرة (سرو حمير) أن تنضح وجهها بالماء والصابون إلا في بيت الزوجية ويصدق في اليافعيات (حتى اليوم) قول الضرير الجاهلي شاعر الأزد (عديّ ابن وداع):

يدفن الزعفران على حدود نواعم لا كلفن ولا بماق^{٤٦}

• هذان الوداع:

على نفس المتوال يبدأ الهدان بذكر اسم الله ثم ترعد النسوة بأبيات يهدن بها (الحرير) المتحرق شرقاً للفوز بأمرة قلبه:

وا حريرود (روض) الجمل

ما بينما شويه (تكرير)

طين ما (طالما) جِزْب الحريرة

جويهل سليه (تكرير)

فإذا فرغن من حزّاب (تزيين) الحريرة خرجن بها مصحوبة بالطبل والزمير وتصاعد البخور ولعلعة المحجرات المسموعة رغماً عن قصفات البنادق ترعد في الهواء تحية لخروج الحريرة.. على عتبة دار أبيها تقف (الحريرة) بين يدي الغواني المازجات هدايات الوداع باسمها:

ألا يا به (أبي) كثر خيرك (تكرير)

===== ألا ها ليك مفتاحك

===== ألا ما عادي بنتك

===== ألا ما اليوم بنت الناس

===== ألا و استودعك يابه

===== و استودع بني عمي

===== ألا و استودع الديوان

===== ذيني (الذي ألي) بنقشه يومي

===== ألا و استودع الوادي

===== ذيني خيلته يومي

وعلى الرغم من الوقت المبكر الذي لم تكد تلفح به الشمس قيعان الأودية فإنّ على (الحريرة) - إذا كانت من قرية بعيدة- أن تقطع بخطواتها الوحلة المتهيبة صفوحاً ووهساً قبل وصولها بيت الزوجية. لهذا فمسحة الأسى التي محضت (هدانبات الرداغ) تخفت حين ترتفع وتيرة الهدان مخاطبة الحريرة أن تنهض برفقة الحبيب (القانص) قانص الأحلام! لا فارسها الأمر الذي يتناسب مع طبيعة (سرو حمير/يافع) الجبلية التي لا تألفها الخيول:

الليل يا ثربه العليف

سيري بلا هماجه (تكرير)

شدّي مع (القانص) الظريف

يروحش بلاده (تكرير)

ثم يَعدن إلى اللّحن السابق:

تشلشل وا شليل اشتل

تشلشل وا غسل منزل (تكرير)

ألا تشلشلي قومي

ألا وباشه الرومي (تكرير)

ألا تشلشلي قومي

ألا ما عاد لش قولي (تكرير)

• المسابيرات:

على هذا النحو تترك (الحريرة) بيت أبيها (مُحوّلة) تتهادى بين وصيفتين من أهلها يُعرفن في (سرو حمير/يافع) بـ(المسايرات). وإذا كانت (الحريرة) عادةً ما تزف في معظم أقطار العالم بين وصيفتين من (الصبايا) فإنّ تقاليد الزواج اليافعية تقضي في مسايرات (الحريرة) أن يكنّ متزوجات أو ممن سبق لهنّ الزواج . فما السرّ في هذا التقليد ؟

الخروج من دنيا العذراء والعزوبية إلى عالم الزواج والإقتران يوجب على الفتاة (الحريرة) أن ترافق في طريقها إلى ذلك العالم الذي لم تأنس إليه بعد من دخله وفقة شئونه وهو الأمر الذي تعكسه وظيفة المسابيرتين(الوصيفتين) في طقس زفاف (الحريرة) في (يافع).. ويتناغم طقس تخريج الحريرة هذا مع طقس تخريج طلبة العلم في الجامعات الأوروبية -ربالتحديد في جامعة ويلز(Wales) التي تخرّج منها كاتب هذه الدراسة- حيث قضت تقاليد التخرج الجامعية أن يقود كل مجموعة من الخريجين

مرشدان سبق لهم التخرج من نفس الجامعة ، بحيث يقف واحد منهم في المقدمة بينما يقف الآخر في ذيل المجموعة القاصدة منصة التخرج.

ويقف (الحرى) من (الحرىوة) والمسائرات على بضع خطوات خلفهنّ حاملاً سيفه وكأنه يقوم بدور حامي الحمى بينما يجلس الشواعة بالزوامل الحربية أمامهنّ يتقدمهم قارع الطبل وزاعج الشبابة ، وفي الطليعة ترى العجاج يتطاير من تحت أقدام البراعة (راقصوا البرعة) الذين ترق الجناحي في أيديهم وهم يتوثبون إلى الأمام ثم يرتدون برشاقة ونخفة إلى الخلف ، فتحسب الجمع في هيتهم هذه غصبة من المحاربين عائدة للتو من صولة الوغى يكللها غبار الظفر وترف على هامهم بيارق النصر. هذه المظاهر الحربية السائدة في طقوس الزواج في (سرر حمير/ يافع) هي نفس المظاهر التي صاحبت طقوس زواج الملك في أسطورة الملك كارت (الأوجاريتية) فحسبها بعض أهل الاختصاص أنها استعدادات حربية من قبل (كارت ملك الصيدونين) لصد شعب الخروج بقيادة موسى الكليم (عليه السلام) على كنعان ارض الميعاد. وقد اعتبرنا هذا الأثر شاهداً في (المدخل) على وحدة تاريخ أقليم الشرق الأدنى والأصول اليمانية للأقوام الذين أطلق عليهم قدماء الأغريق اسم (الفينيقيين) الذين استوطنوا سواحل بلاد الشام الغربية [انظر المدخل]

ويعزز طرحنا هذا العادة التي تفردت بها قبائل (سرر حمير/ يافع) حيث شرعت المفاضلة بين (الشواعة) في وليمة (الضيقة) التي تقام على شرف (الحرى) ليلة الزواجة في بيت (الحرىوة) وهي مفاضلة لا تُمتُّ بصلّة إلى نظام الأحساب والأنساب السائد لدى معظم القبائل العربية ، وإنما إلى نوعية وشهرة البندقية التي ينتبلها (الشويح) فقد فرضت الضرورة التاريخية أن يكون القبلي-الفرد في القبيلة- محارباً بالفطرة متأهباً على الدوام لتلبية داعي الحرب ، ولهذا العامل ترجع عادة المفاضلة في توزيع حصص اللحم بين الشواعة في أفراح الصبية الحميرية. فقد عهد لـ (الشاحذ) أثناء تقسيم اللحم أن يسأل كل شويح قبل أن يعطيه حصته من اللحم عن البندقية التي يحملها على هذا النحو:

— من معي ؟

وبعد التعرف على هوية الشويح من نص اجابته:

— فلان ابن فلان.

يأتي السؤال الأهم:

— وما سلبك ؟ ثم يكرر وما سلبك ؟

فيرد عليه:

— أبو ناظور مثلاً..

فيقرر القسم (الحصة) على ضوء الرد (صغيرة/كبيرة) أما الذي يأتي بلا داعي فيكون الرد:

— سمعها وجي (وجاء).^{٤٧}

لا شك أن هذه العادة هدفت إلى إكرام القناصة من رجال القبيلة ولا أعتقد أنها مستحدثة ، أي أنها ترجع إلى عهد دخول البندقية النارية إلى اليمن على أيدي الغزاة الجراكسة (الشركس) والتي بفضلها كانت لهم الغلبة على رجال دولة الملك الظاهر عامر ابن عبد الوهاب (الدرحاني)^{٤٨} في مستهل الربع الثاني من القرن السادس عشر للميلاد^{٤٩}. وأميلُ إلى أن الحميريين كانوا يكرّمون بهذه العادة كتائب الرماة منهم خاصة على ضوء ما ذهب إليه (الهمداني) في قوله عن فيلقي (سرو حمير/يافع) أن: (فرسانهم قليل)^{٥٠}

من هنا انتبخت عادة تكريم (رماة حمير) الراحلة (الشواعة) الأمر الذي ينسجم مع طبيعة (سرو حمير) الجليو الوعرة.

• طقوس دخول الحريوة:

تخبرنا كتب التراث العربي عن (ذيل العروس) الذي تجرّه خلفها آتياً على أثر أقدامها المتعفرة وهو في وظيفته الطامسة أحذر به في السهول والفيافي أن يمسح الرسوم والآثار منها بحرص ربما تقصر عنه لطائف الروامس التي تمحو آثار الأحبة ، فهكذا نفهم من قول عبد الله ابن سلمة الغامدي-شاعر جاهلي- :

وكأنما جرّ الروامس ذيلها في صحنها المعفو ذيل العروس^{٥١}

ومما لاشك فيه أن (ذيل العروس) ينتشر على نطاق واسع من العالم غير أن البيئة الصخرية والشديدة الانحدار في (سرو حمير/يافع) جعلت لاغزو (الحريوة) تتنازل عن ذيلها لصالح سلامتها ، في حين أن ثوبها الفضفاض لا يقصر عن كعبها مهما دعت الظروف البيئية لذلك. وهي أي (الحريوة) إذا اقتربت من بيت الزوجية أفسح الشواعة لها الدرب وعلى شرفها يذبح ثور أو أكثر إكراماً للضيوف والشواعة والمسائرات وهي عادة قديمة لها من المدى ما يتجاوز جزيرة العرب غرباً حتى مواطن قبائل البربر شمالي أفريقيا المعروفة بالمغرب العربي وهي متأصلة الحضور في تقاليد استقبال العروس في بلاد الشام: وتهدف لرد الإثم والحسد وإيفاء للنذر وتكريماً للضيوف والزعماء عبر ذبائح يعبرون فوقها.^{٥٢}

غير أن ما يدهش المرء في تقاليد (صيبة حمير) يكمن في طقوس الزواج المصحوبة حتماً بألوان

وترانيم الأغنية الياغية التقليدية المتجسدة في أهازيج الخدمة وترنيمه الحناء وهدانيات الترحيب بالحريو وشواخته ثم هدان الوداع الذي يتم به طقس إخراج (الحريوة) من بيت أبيها يليه هدان الترحيب بمقدمها في صحن بيت الزوجية ، ناهيك عن زوامل الشراعة وألوان الغناء العتيقة التي يترنم بها (الشاحذ) مصحوبة أثناء الرقص بخفقات الطبل وقطرات القصبة (الشبابة) فلارب أن تراث حمير وفنونه التقليدية الأصيلة كانت حتى أمس القريب تخلد في حضن (صبية/زواج) [سرو حمير] الدافئ. نعم وهذه حريوة (سرو حمير) تدنو من بيت الزوجية محبة الوجه تراها وقد أسلمت قيادها لبسيتين غير ذاتي نقاب تقطف في مشيتها وكأنها بين أيديهن-أي المسائرتين- المعنية بقول امرؤ القيس-مع حفظ الفارق- :

فجاءت قطوف المشي هيّا به السرى يدافع ركنها كواعب أربعا^{٥٣}

فعلى شرفها ترى الغواني قد انتظمن بأزهى الزينة في صفين متقابلين أمام العتبة يرتجزن بـ(هدانيات الترحيب) وقد انعقدت الأيدي حول الخصور النائسات:

■ هدانيات الترحيب:

يبدأ الهدان بفاحة تقليدية:

تبدعنا بري والصحابة بالنبي (تكرير)

وقبل أن تلتمح الحريوة ومسائرها بحرس الشرف الأنثوي هذا يسجع الجمع (بطريقة الكسورس) ابتهاجاً بمدا الصباح الطيب:

تصّبّحنا بلفلاح (بالا فلاح)

من طلوع الفجر لاح (تكرير)

تصّبّحنا بلزهر (بالأزهر)

ذي من المشرق ظهر (تكرير)

تصّبّحنا بجهدا

وا صباح العافية (تكرير)

تصّبّحنا بجهدا

وا نخطر وا راوية (تكرير)

تصّبّحنا بظبية

والنمر قوادها (تكرير)

تصبّحنا بطيية

أخت حُمران العيون (تكرير)

وعلى لحن أسرع إيقاعاً:

تصبّحنا بغصن أخضر

شبيه الصيف لا (لو) بكَر (تكرير)

تصبّحنا برقانة

شحيح الخصر والقامة (تكرير)

ألا يا عيلة الضاحة

وشلش نسر بجناحه (تكرير)

وترامناً مع اللحظة المشوبة بتردد الحرية للوقوف مخفورة على رؤوس المهدنات ترى من صفى المهدنات وقد انسحبن بحركة جانبية موحدة وسلسلة لحو العتبة دون أدنى تعطل في هيئة حرس الشرف هذه ولا في نعمة الأداء التي اكتست صفة الترحيب المباشر:

ألا يا مرحبا حيّا

بذي جينا (جاءنا) ولاقط جي (تكرير)

ألا يا مرحبا حيّا

بذي جينا دخيل اليوم (تكرير)

بذي جينا ولاقط جي

ولا يعرف مطارحنا (تكرير)

وفي عردة إلى اللّحن الأول — وهو لحن رتيب الإيقاع — تسجع المرحبات بـ:

و أرحبي حيّا حياتش (ك)

و أرحبي حيّا ميه (مالة) (تكرير)

و أرحبي ترحب رجالش

يرحبون أهّش ميه (تكرير)

و أرحبي ترحب رجالش

لا (لو) هم أنعشر ميه (تكرير)

و أرحبي لا دار عالي

ذي بُني لش تعنيه (تكرير)

ذي بُني عالسمن لصفير (الأصفر)

والعسل له جانيه (تكرير)

و أرحبي لا دار عمش

خير لش من دار أبوش (تكرير)

و أرحبي لا دار عمش

ذي لهوجه شرقيه (تكرير)

و أرحبي أنتي ولغصان

ذي يسارش واليمان (تكرير)

والأغصان هنا هما المسائرتان اللتان لا تخطو (الحريرة) خطوة واحدة بدوئها خاصة مع كل نقلة تقتضيها مرافعات الهدان ومساجلاته الغنائية المتوالية بما فيها من شد (الحريرة) نحو عتبة الدار في الوقت الذي تظهر فيه (الحريرة) - باستشارة وصيفتيها - عزوفاً عن ذلك الأمر الذي تفشييه خطراتها الوئيدة المتقاصرة. بيد أن بحرى الهدان يستمر في اندفاعاته حيث يتصاعد منها هذا اللون العتيق داعياً لبيت (الحرير) بدوام العزة بمن حل فيه من الرجال والضيف عند أعتابه:

حماك يا دار أبو عباد

يا دار إيش من دار (تكرير)

يا دار حلت بك الرجال

والسارحة على الباب (تكرير)

يعقب هذا دعوة موجهة لأبي (الحرير) ليؤدي واجب الترحيب بالحريرة:

ورحب وا عباد رحب (تكرير)

ورحب وا افصح المرحب (تكرير)

غير أن الأمر لا يقتصر على الترحيب وإجباء البخور أو رش العطور من عم الحريرة وحماياها (أخوة الحرير) وسواهم من الأقارب إكراماً لـ (الدخيلة) أي الحريرة - ومسائرتها ، فالأمر يتعلق بمسألة اعتبارية ترمي إلى المن بما هو أكبر شأنًا على هذه (الدخيلة) عبر مراعاة طقس تقليدي يُعصَف به (الحُتامة) فما شأن هذا الطقس في تقليد دخول (حريرة سرو حمير) بيت الزوجية ؟

• الختامة:

جرت العادة في طقوس دخول (الحريرة) في (سرو حمير/ يافع) أن تنبه (الحريرة) قبيل دخول بيت الزوجية إلى حق من حقوقها ينبغي أدائه لها من لدى سيد بيت الزوجية مثل عمها ويأتي التنبيه على لسان المهدنات جهراً وترثماً:

ألا لا تدخلين الدار

ألا إلا بختامة (تكرير)

ألا ولا ذبح لش ثار(ثور)

ولا كبش ردهاني (تكرير)

ولش بنة ولش قاته

ولش حبلين(حبلان) بالمسني

إذا فختامة الحريرة تعني تمنعها من الدخول بيت الحرير حتى يقطع سيد البيت على نفسه وعسداً على رؤوس الأشهاد(المهدنات) أنه قد من عليها بالعطاء بالشئ الفلاني ويحدده بالإسم فهو أن كبر قد يكون قطعة أرض(تقاس بالحبل) زراعية مروية بمياه الآبار(مسني) أو شجرة بن وشجرة قات تُعرف من حينها باسم (الحريرة):

(بنة مريم / قاتة نظرة / شدخة فاطمة) وهكذا. وتحتم الحريرة يعني تحكّمها وفي معاجم اللغة :
الحتم : القضاء وحتمت عليه الشئ : أوجبت. وفي حديث الوتر:

أله تر ليس بحتم كالصلاة المكتوبة، والحاتم: الحاكم.^{٥٤}

وقد مكثنا طقس الختامة هذا من تصويب التفسير الذي ذهب إليه بعض أهل الاختصاص بشأن افادات نقشية مثل:

جحمه / ذات / بيت / يثع آمر

في نقش [١ / ٤٣] العائد إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد.

و: نحي إل / ذات / تزد.

الواردة في نقش [١ / ٢٤] ويعود إلى القرن الثالث للميلاد. حيث فهم من النصين (اكتساب المرأة) في اليمن القديمة (اسم عائلة زوجها)^{٥٥} بيد أن الصحيح يكمن في قراءة النصين على هذا النحو:

— جحمه ذات بيت يثع آمر.

— نحي إيل ذات تزد.

وحيث أنّ مفردة (بيت) تعني في لغة نقوش المساند اليمنية القديمة (القصر) فجملة (بيت سلحن) تشير في النقوش إلى قصر الحكم في (مأرب) حاضرة سبأ الشهير بـ (قصر سلحن) عند الإخباريين العرب. إذاً فالأمر يتعلق بـ (حتمه) وهبت لهاتين السيدتين قوام الأولى (قصر يثع أمر) والثانية (قصر تزد) وقد يعترض البعض بالقول أنّ لفظة (بيت) لم تظهر في:

(نحي إل / ذت / تزد) غير أننا نجد في مطلع النقش ما يؤكد طرحنا أنّ (تزد) كان قصراً حيث ظهرت العبارة التالية: (عدى / يتهو / تزد)

أي (في نطاق بيته تزد). وما يهمنا هنا هو إظهار حقيقة أنّ طقس (حتمه) حريوة سرور حمير يرجع إلى غابر القرون من تاريخ حمير واليمن القديمة.

هكذا وقد ظفرت الحريوة بحقها (الحتمه) فإنّ عليها أن تقترب أكثر من العتبة:

فرشنا لش حرير أخضر

وسجادة من البندر (تكرير)

دفعنا بش ميه والفين

من الصندوق ما هي دين (تكرير)

وعلى عتبة الدار لابد لـ (الحريوة) من لقاء عمتها - أم الحريو - التي فقدت بزواج ابنها بعضاً من ناموس سيادتها ، وكفي تأن هذه اللدحظة بما فيها من حرج تطرق حنبات الدار دعوة المهدنات متحرية في الأم تلبية النداء:

عاعدا تخرج من الدار

حُمحمه أم الرجال (تكرير)

وفي حالة تلكلها:

ألا يُم (يا أم) الحريو أبدي

بنش تاقا (فقد) وصل مهدي (تكرير)

وروح مركب الهندي

على سبعة جمال ادي (تكرير)

حينها يحسن في (أم الحريو) المبادرة التي تفرضها الضرورة للترحيب بالحريوة وإلا سمعت من

بنات جنسها (المهدنات) ما يشي بسر الأئني الأبدى:

ألا يُم الحريو أبدي

سلم وقا اكتسر ضلعي !

وبعد القيام بواجب الترحيب من (أم الحريرة) تنحني الحريرة للسلام على عمتها-أم الحريرة- حسب الطريقة التقليدية اليمانية التي توجب توقير كبار السن ووجهاء القوم وإكبار المرأة لزوجها بتقبيل (الركبة) وهي عادة تكاد تختفي نهائياً من عادة (الصفاح) اليمانية. في غضون ذلك يستمر الهدان:

على ام-سيري على ام-سيري
بخطوه قسميها اعشار (تكرير)

• طقس اجتياز العتبة:

على مردم العتبة تتوقف الحريرة هنيئة لتقبض بكفها المرشاة بالحناء ثلاث قبضات من (حَب الذرة) -تأخذ من صفيحة يدها إليها عمتها- وتسفيها في الهواء لتقات عليه الطيور والدواجن. وفي هذه الطقس نجد المأحاً يجسد ترك (الحريرة) بغلال الأرض الطيبة وعهداً تقطعه على نفسها قبيل ولوجها سدة البيت أن تكرس مع أهل زوجها حُلَّ حياتها لتنمية حفنة الغذاء الضرورية للحياة. وفي صينية مليئة بمزيج من السمن والعسل وثفل (غصارة) الجللجل (السسم) تغمس الحريرة يدها ثم تطبع كفها على العارض الأعلى لعتبة الدار وعلى (الكابتن) أي قائمي العتبة. وفي تلك الأثناء يقرع صوت الهدان مرشداً الحريرة:

ومدي رجلش اليمنى

وقولي يا الخضر والياس (تكرير)

فتمد قدمها اليمنى فتغسل وكذلك قدمها اليسرى ثم تدخل البيت برجلها اليمنى مشفوعة بدوي الطلقات ولعلة الحجرات ومصحوبة بعكي البخور وفائح العطور. هذا وتشارك (سرو حمير/يافع) مع بلاد الشام في طقس طبع الحريرة لكفها الندية على قائمي العتبة وعارضها الأعلى ، غير أن المعتاد في بلاد الشام

(أن تطبع العروس كفها بدم الذبيحة فوق قائمي المنزل قبل دخولها) ^{٥٦} وهي عادة موغلة في القدم لها صلة بوصية الرب لموسى (عليه السلام) ليأمر قومه بأن: (يأخذون من الدّم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت...)

[سفر الخروج ١٢/٥]

ويدرء هذا الطقس عن بيوت المؤمنين غضب الرب في يوم الفصح الذي حلّ ببيوت المصريين الغير مهورة بالدم:

(واستم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح. فإن الرب يجتاز
ليضرب المصريين، فحين يرى الدم على العتبة العليا يعبر الرب عن الباب
ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب).

[سفر الخروج ١٢/٢٢-٢٣]

وبالنظر إلى ما ذهبنا إليه آنفاً في تفسيرنا للغز الاستعدادات الحربية في (ملحمة كارت الأوغارية)
على هدى المظاهر الحربية في طقس زفاف الحرية في (سرو حمير/يافع) والمتجسدة في عُصبة المحاربين
المرافقة للحرير والمعروفة باسم الشواعة ، وبعبء الصلة مع طقس (طبع الحرية) لكفها على قائمتي
العتبة وعارضها الأعلى المنتشر في بعض القرى السورية واللبنانية وغيرها من بلاد الشام ، وفي سرو
حمير وما صاقبه من اليمن ، نحصل على شواهد وأدلة تتطافر لإثبات الطرح القائل بوحدة التاريخ
والتراث السامي ، وأن اليمن هي التبع الذي تدفقت منه المياه التي أينعت عليها شجرة التراث والثقافة
السائدة في الشرق الأدنى القديم الذي تدخل في نطاقه حضارة قدماء الأغريق بكل معالمها المعرفية
والفكرية والميثولوجية واللغوية كما بيّنا في [مدخل الكتاب].

وظاهرة زف العروس مصحوبة بالأدعية والأناشيد الدينية لدى الطوائف اليهودية التي كانت
تنوسل بها للآلهة الأنتى (سابات) إلهة الحب والوصل التي تتمثل بها العروس هي لون من ألوان (الهدان)
الذي أفضنا في تقديم صور منه في هذه الدراسة المكرسة لتقاليد صبية (الزواج) الحميرية اليافعية.
وتخبرنا كتب التراث العربي عن العروس التي تزفها القيان منشادات على خفقات الدف الأناشيد ،
ولعل أغربها الأنشودة التي ردّها وهنّ يُدخلن سيدة حديس (عفيرة بنت غفار) على ملك طسم (عمليق)
رغماً عنها:

أهدي بعمليق المليك فاركي
وبادري الصبح بأمر معجب
فسوف تلقين الذي لم تطلب
فما لبكر دونه من مهرب^{٥٧}

ومن الأمور الملفتة للنظر في (صبية سرو حمير) طابعها الذي تغلب فيه شمولية الفرح حيث نجد قد
عمّ كل بيت القرية. ففي يوم زفة (زفاف) الحرية يتولى (الشاحذ) توزيع لحم الذبيحة إلى حصص
توزع على كل أسرة في القرية، ولكل شويح من خارج القرية ولكرائم الحرير وللأصحاب الذين
جرت العادة على تبادل (الشجرة/ هدية اللحم) معهم في مثل تلك المناسبات. أما (مسايرتا الحرية)
فنصبيهنّ لحمة الرجل من الذبيحة يؤبنا بها مع هدية عينية يكرم بها من يد (الحرير) مثل الثياب
والمصاون (أغطية الرأس) والعطور إضافة إلى هدية نقدية تدفع لمن نظيراً لما قمن به من (مسايرة الحرية)

ورعايتها في الطريق إلى بيت الزوجية. وظاهره الفرحة الجماعي في تقاليد الزواج اليمانية عموماً تبدو فريدة بالمقارنة بأفراح الزواج الأوروبية التي يغلب عليها الطابع العائلي، فقد تبين لأهل الاختصاص أن: (الأعراس المميزة لأغلبية الشعوب الأوروبية.. لا يحضرها إلا أقرب الأقرباء والمعارف).^{٥٨} بينما نجد ميول الفرحة الجماعي الطابع في بعض الأثنيات- كما هو عند عدد من شعوب القفقاس- والتي تدعو إلى العرس مئات الضيوف.^{٥٩}

• النقطة:

لـ (الشاحذ) في (سرو حمير/ يافع) حضور لازم في كل مناسبات الأفراح والأتراح المتعاقبة في دور حياة أبناء (سرو حمير) فدوره يغطي مساحة شاسعة في الحياة، فمن خدمات الجزارة والختان (الختان) في مناسبات الولادة والقيام بفنون التزيين والحلاقة لجميع أفراد العائلة (الذكور على وجه الخصوص) إلى التطيب- سابقاً- بالحجامة، وفي أفراح الزواج نلقاه في كل طقس من طقوس (صبية سرو حمير) وفي الأعياد يؤدي خدمات لا تضاهاى (كالحلاقة والجزارة وضرب المرافع والطاسات للبراعة). وحتى في ولائم العزاء نجد للشاحذ حضوره المكرس للخدمة.

هذا في أوقات السلم أما في فترات الحرب فنجد إذا نشبت المعارك في طليعة المحاربين يقرع طبول الحرب وتدوي بين يديه مرافعها، وهو بدوره هذا يلهب حماس المحاربين ويشد من أزهرهم ويؤنس لهم سيوفهم وحراهم ويشحذ الحمم فيهم، ولعل تسميته ترجع في أصلها إلى وظيفته هذه بالذات المتعلقة بدور (الشاحذ) الذي تفاخر بأدائه شاعر جاهلي هو (عدي ابن وادع الأزدي) بقوله:

أي فتى أعمى عسدي إذا ما باشر الكيد على التلّ
قد أشحذ الصّحب إلى موطن يكلج منه ناجد المصطلي^{٦٠}

فهكذا نرى الشاعر يباشر الكيد في نوازل الحروب ويشحذ كتيبة الصّحب إذ يكون لسوقه لها من الشّدة ما يجعل من يصطلي بنيران الحروب يكشر عن ناجدة تبرأ منها خشية على نفسه من شدة وقعها أي شحذها.

لاريب أن قبائل (سرو حمير/ يافع) قد تفردت بإطلاقها هذه التسمية- شاحذ جماعته (شُحّاذ) مما يليق بدور هذه الفئة الخدمية التي كانت تقوم بأعمال جليلة خدمة للقبيلة التي في حكم الواجب عليها تأمين لقمة العيش لـ (الشاحذ) الذي كان يفتقر لإمتلاك الأراضي الزراعية وهو إن حازها لا يُحسِن بطبيعته الجبول عليها حراثتها نظراً لعدم تكريس وقته لها. وتعد النقاط- واحدها نقطة- وسيلة

يستدر بها الشاحذ رزقه في شتى المناسبات فما هي وظيفة النقطة في أفراح (صبية سرو حمير/يافع) ؟
يعمد (الشحاذ) إلى التطريب فوق حُبا (بيت الحريو) و(بيت الحريوة) أيضاً ، ويتم لهم ذلك
بقسع الطبل مصحوباً بترانيم القصبة(الشبابة) وذلك حول شاله-قطعة من القماش- يفرشونها فيصعد
الحريو وأقربائه أو أقارب (الحريوة) فيغدقون بالهبات النقدية وقد كانت النقطة فيما مضى صيعان من
غلال الحبوب والبن تُجنى للشاحذ لامن أقارب العرسان فحسب ، بل ومن كل أسرة في القرية، وفي
حالة امتناع أسرة بعينها عن تقديم (النقطة) فإن مصيرها يتحدد أثناء العصريونيات والأماسي الراقصة إذ
يتمنع الشحاذ عن ترقيص أفراد هذه الأسرة ، إذا حاول أحدهم اقتحام حلبة الرقص. ولهذا فالنقطة في
تقاليد الزواج اليافعية حق لا مناص من تأديته، وكلما قدمها واحد من المغنين صوّت الشاحذ بشكره
بطريقة نحو:

وا دين واكرام سيدي فلان ابن فلان

و(النقطة) عادة لا محالة واسعة الانتشار في معظم البلاد العربية وهي إذ تؤدي في (سرو
حمير/يافع) في رابعة النهار. وما ذكرناه باسم(التطريب) في نقطة العرس اليافعي يُعرف في بلاد الشام
باسم(الشوبشة):

{الشوبشة في العرس الشعبي العربي الممتد طويلاً وعرضاً ، مقدمة لتقديم الهدايا-النقطة- تبدأ
المناداة فيها بصرخة (شبابش)، وفي بعض المناطق تشويش الراقصة أو الغازيسة ،... والأصيح في
معناها كما وردت في أوغاريت بمعنى الشمس، لأن الشوبشة تدل على الإعلان والوضوح،
والهدايا معلنة كدين ووفاء، إضافة إلى أنّ الحوري في الكنائس يشوبش، أي يعلن بوضوح الشمس
على الحضور، أنّ فلانة ستزوج من فلان بعد مدة، وذلك إعلان لمن لديه اعتراض.^{٦١}

وعلى كلّ فإن الشوبشة في (نقطة) العرس الشامي هي (التطريب) في الصبية(الزواج) الحميرية
أثناء تقديم النقطة أو النقطة وتعني لا غرو في العرس الشعبي سواء في اليمن أم في سوريا إلى إشهار
الزواج وإشاعة أفراحه في رابعة النهار. وهذه قرينة أخرى تعزز طرحنا القائل بوحدة التراث العربي
وواحدية المنبع الذي ممحضت عنه شتى العادات والتقاليد والطقوس المتوارثة في بلدان الشرق الأدنى
قاطبة.

وفيما عدا ذلك فإن أهل الحريوة يتبعونها إلى بيت الحريو في اليوم التالي للزفة ويُعرف هذا اليوم

بـ(البراك).

• السبرالك:

وفيه كما قلنا يقدم أهل الحريوة وفي معييتهم من الهدايا ما يضارع (هدية الضيفة) التي عرضنا لها آنفاً وفيها من البقر رأس-ثور أو تبيع- يساق إلى بيت الحريو ولأكرامهم يُذبح ثور أو بعض من رؤوس الخرفان والأغنام ويستقبلون في حوية البيت بما يليق بهم من ارعاد النيران وقرع الطبول وإيقاد البخور من لدى حسان اللواقي يتعرضونهم بالمباخر وهن يزغردن بالمحجرات ترحيباً بمقدمهم الذي يبدن انعقاد مجلس الرفادة لمدة قد تتجاوز عدة أيام الأسبوع بكثير وفيه يأتلف أهل الحريوة بأهل الحريو وأصهاره وأصدقائه الذين يلزم الواحد فيهم أن يرفد في أضعف الأحوال برأس من الماعز يظاهي ما يصيبه من اللحم على مدى ثمانية أيام من مجلس (الرفادة) ويحرص كل رفاة أن تبلغ هديته من الجلود ما يجعل طلعتة تفيض سناء. وفي صبيحة يوم البراك تقدم إحدى قرائب الحريوة من بيت أهلها، حيث تتولى تزيين الحريوة من تفضيب أناملها وإقدامها بالخناء إلى تسريح ضفائر شعرها اللاني لازمنها طيلة عهدها بـ(العدار). فقد كانت العادة في (سرو حمير/ يافع) أن تسع العذراء شعرها سيناً-واحدتها سينة- وهي غدائر دقيقة تُسن أو تضفر من منبت الشعر وتسدل عبر القذال والصدغين في هيئة تناظر برائهم سنابل الشعر ولم تكن لتجرؤ على تسريح ضفائرها مجازاة للنساء المتزوجات وإلا جلبت على نفسها الريبة وحامت حولها الشكوك. أما وقد حلت ببيت الزوجية فإن قريبتها هذه تعمد في صبيحة يوم البراك وهو الرابع من أيام العرس إلى حل ما انعقد من شعر الحريوة وتعهده بالمشط والتسريح بالدهن ومسحوق ورقة الهدس(الآس) فتعيد شعر القذال إلى سيرته الأولى-أي سين(سنن)- وتبقي ما انسدل عبر الصدغين يندلق طليقاً في هيئة عشونين قد تجاوزا بريح الآس ينفج من ثناياها الندية حواز صدر الحريوة الناهد إلى ما يصالي من نانس قدّها ضامر الكشجين وتُعرف هذه التسريحة بالنبع-واحدتها نبعة-إذ تربيع جبين الحريوة ثلاثة النبع، حيث تعمد قريبتها إلى قص ما كان من الشعر منبته مقدمة الرأس بحيث لا يتجاوز الشبر طولاً ثم توسعه فركاً بالدهن ومسحوق الهدس وتسمى أيضاً القصة... وتعتبر تسريحة الحريوة هذه علامة فارقة وشاهدة على دخول الحريوة دنيا المتزوجات من النساء وقطع صلتها بعالم العذار مطلقاً. هكذا كان يوسع المرء تمييز المرأة في (سرو حمير/ يافع) من نظام تسريحة الشعر. أما في (أزمير) من تركيا، فإن الأمر يتعلق بـلون الحجاب الذي تستر به المرأة وجهها، فالنساء غير المتزوجات يضعن الحجاب الأبيض على وجوههن، والمتزوجات الحجاب الأسود.^{٦٢}

وفي يوم البراك تكتسي الحريوة أنفُس ما أهدها الحريو في (يوم الزواجة) وهو في العادة من ثياب

المحمل الزاهي الألوان.. أما في يوم الزفة فتلبس ثوباً يُهدى إليها من أبيها. وبعد الظهيرة من هذا اليوم تخف نساء القرية لمباركة الحريوة والتعرف عليها وكانت العادة تقضي على قرائب الحريو أن ينثرن على رؤوس المباركات (مسحوق الفحوس) وهو عبارة عن أزاب أبيض وقرنفل وكادي مع الهرد (الزعفران) وهذه الخلطة تُعد من قِبل أم الحريوة التي تحضرها مع مسحوق الهدس في صيحة البراك. ٦٣

وكانت الطريقة التقليدية لـ (نثر الفحوس) تترافق مع تخريجات (المدان) من قبل النساء المهنيات حيث يهزجن بعتيق الألحان:

يا لله اليوم لا جين
نا بقهوة ولا قوت
جيت شفي بنظرة
منكم قبل لا موت
ألا جيت أبارك
وطرّح الف آية وسورة
عالحريو المزلب
هو وغصن الظلاله
الا وافرش البيت واما ..
لي تقع لك جلاله
فرش بيتك حريو ا
أخضر من الهند جاله
والمرادم ذهب وا
أقلال من حيث قاله ٦٤

• مجول الحريوة:

لم يؤثر لدى النساء في (سرو حمير/يافع) لبسهن لقناع الوجه، فهو ظاهرة لما صلة بتurf المرأة في المدينة المزدهمة بأغراب الناس، بينما تقف الجبال بمسالكها الصعبة إضافة إلى نُدرة الغرباء فيها حائلاً دون إعمار المرأة لنقاب الوجه الذي تنفر منه لأسباب عديدة ليس المجال لذكرها هنا. نساء الجبال كافة، وقد نقل لنا الأوروبي [نيبرر/١٧٦٢] عن لباس نساء أرياف اليمن:

(وفي مناطق الجبال تبدو النساء أكثر انطلافاً من نساء المدن، فلا يسترن وجوههن،... ويلبسن قمصاناً طويلة وسراويل من القماش المخطط باللونين الأزرق والأبيض، والقمصان مطرزة عند الرقبة وتحت الركبة بالوان مختلفة، أما السراويل فمطرزة في الأسفل حول الساق).^{٦٥}

لهذا فقد كانت المدة التي تستر فيها حريوة سرو حمير وجهها ما بين (يوم الظهرة) و(ثالث البراك) فترة لا تتكرر مدى العمر، وكانت محاولة الحريو إمطة الجحول المرقط بالأصفر والأسود عن وجهه حريوته في ليلة دخولها بيت الزوجية تطلب قدر من الكياسة في (الحريو) وهدية نقدية يجزل بها على (الحريوة) المعتصمة لا محالة بالصمت، وتسمى هذه الهدية التي تحتفظ بها الحريوة عادةً لأُمها بـ(الفُتْاشة) -لأن الأمر يتعلق بطلب الإحاطة بوجه الحريوة المستور- ويلزم في الحريوة تسليم (الفُتْاشة) إلى أمها في (يوم المصافحة) الذي تعود فيه الحريوة وحريوها لزيارة أهلها بعد انقضاء أيام (العُرس) والرفادة). وإذا دخلت الحريوة للرقص مع حريوها في (يوم البراك) وفي اليوم السدي يليه ويُعرف بـ(ثاني البراك) فإنها تدلف بجولة (منتقبة) تصحبها قرائب الحريو يقطفن بالمحجرات احتفاءً بها، ويجلسنها خفرة حبيه في صدر المسمر الدوي بالرقص والغناء وتراها تقطف في رقصتها وقد زمت برخص البنان على أطراف بجولها كأنها بصدرها التأهد تنحيز ظل بجولها المتقمص هيئة الهرم أمام وجهها، وهي بهذا الحال الصق بقول امرئ القيس:

إلى مثلها يرنو الحليم صباه إذا ما اسبكرت بين درع ومجول^{٦٦}

ولـ(مجول الحريوة) أو حجاب وجهها حضور ملموس في تراث منطقة الشرق الأدنى فتحت نسيجه زفت (ليته بنت لابان) لني الله يعقوب بدلاً من شقيقتها الصغرى (راحيل) وفقاً للرواية التوراتية: (وفي الصباح إذا هي ليته. فقال للابان: ما هذا الذي صنعت بي. أليس براحيل خدمت عندك. فلماذا خدعتني ؟)

[سفر التكوين/٢٩/٢٥]

وفي الميثولوجيا الرافدية نجد للحجاب أثراً في ملحمة (جلجامش) الشهيرة:

(غطّي جلجامش وجهه أنكىدو كما تحجب العروس).^{٦٧}

وقمين بنا أن نستدرك ونحن نؤسس لإقامة صرح معرفي يمكن لنا به الإحاطة الصادقة والدقيقة بتراث وتاريخ المنطقة العربية، ما ذهب إليه بعض أهل الاختصاص بشأن جذور (ملحمة جلجامش) التي يرى فيها الباحث (نجيب البهسيقي) أنها ملحمة من أصل يمني.^{٦٨}

لأريب أنّ في (بحول الحرية) قرينة أخرى تُسند طرحنا القائل بوحدة (التراث السامي) الذي يقتطع الأوروبيون منه (الثروة) ويلحقوها عنوة بتراث وتاريخ الغرب (بالغين المعجمة) في حين أنّه بواقع الحال لم يكن سوى تلميذ أخذ كل معارفه وثقافته برمتها من تراث الشرق الأدنى كما بينّا ذالك في [المدخل].

وإذا كان (حجاب العروس) قد شكّل مانعاً حال دون تنبه نبي الله يعقوب (عليه السلام) للخدعة التي أُلّت به جرّاء زف أكبر بنات خاله (لابان) وهي هنا (ليثه) لتكون حليمة اسرائيل - رغماً عنه - بدلاً من أنثرتة الصغرى (راحيل)، فإنّ الأمر يتعلق بعادة خلّدها (سفر التكوين):

[فقال لابان لا يفعل هكذا في مكاننا أن تعطى الصغيرة قبل البك]

[سفر التكوين/ ٢٩/ ٢٦]

هكذا غالباً الأمر يتعلق بعادة تزويج الكبرى قبل الصغرى عند قبائل (الأباء الإسرائيلية). بيد أنّ هذه العادة على سعة انتشارها لدى القبائل العربية، كان لها من مديد العمر ما جعلها تتحدى تعاقب الدهر وتنبري لنا رغماً عن ظروفه غضبه نديه، وكألها من بنات اليوم الذي ما برحت فيه قبائل (سرو حمير/ يافع) تحترم فيه هذه العادة:

فمن عادات الزواج البدء بالكبيرة من البنات ولا يمكن التجاوز إلى ما دونهما ستاً لأنه يعني عرفاً بوار الكبرى، وغالباً ما تدفع الصغيرات ثمناً لقسوة الكبيرات، وذلك برفض كل العرسان الذين يتقدمون لهنّ. إلّا أنّ هذه الحالة أخذت في الآونة الأخيرة تضمحل إيماناً بالقسمة والنصيب.^{٦٩}

وكانت العادة أن تستمر في (يافع) أفراح الزواج بعد (ثالث البراك) الذي تنفض فيه الحرية بحولها وترقص سافرة الوجه.. نعم فقد كانت تتجاوز أفراح الزواج ومجلس الرفادة ثمانية أيام، إذا كان أقارب الحريو والحريرة يستطيعون ذلك وإلاّ ففي اليوم الثامن يختم الفرح ويعود الأهل إلى بيوتهم. بعدها في يوم لاحق ترجع الحرية يصحبها زوجها الحريو إلى بيت أهلها للمصافحة - أي مصافحة أبيها وأُمها وبقية أقربائها - وفي عودتها هذه تحمل معها لأهلها هدية قوامها في الأساس ذبيحة من الضأن أو الماعز و(حلولى المضروب) والحلولى التقليدية التي يمزج فيها الحلجل (السسم) الخمص بالعسل وتُعرف باسم (اللتيت) - لأنّ الحلجل يُلتُ بالعسل - أما حلولى المضروب فتقسّم إلى حصص توزع على كافة الأسر اللاتني تضم القرية.. ويمكن أن تضم هدية الحرية لوازم أخرى تخص فيها أهلها، هذا بالإضافة إلى مبلغ (الفُتاشة) الذي سبق لنا ذكره. وبعد انصرام ليلة (عاده) أو أكثر في ضيافة أبي الحرية تعود

وزوجها إلى بيت الزوجية. ولم يكن لها حسب تقاليد الزواج الياضية أن تُقحم نفسها بالحياة اليومية المعتادة لأهل القرية إلا بالتدريج، الذي قد يأخذ شهراً أو أكثر، وهي إذ يتعين عليها تحاشي الحياة العامة، فإنه يلزمها في هذه الفترة أن تثقل جيورها بالخلوى تجود به على الأطفال والنساء كلما صادفت مجموعة منهم في طريقها إلى البئر مثلاً، أو في دروب القرية وحظائرهن. ويُقصد بهذا التعارف بين الحريوة-خاصة إذا وفدت من قرية أخرى- ويجتمع سكان القرية تمهيداً لانخراطها فيما بعد في الحياة العامة وقد اكتسبت بهذه الطريقة صداقات ترفع عنها أعباء حياتها السابقة كخفر العذارى وعزلة الخبز وشعور الغريب في مواطن لم يألفها بعد. هذه الحالة تضارع ما لدى الصنعة (أهل صنعاء) حيث:

(تستمر الأفراح نحو شهر يأتي فيها النساء لينشدن

ويتسامرن وبعد اليوم الأربعين تستطيع الحريوة

أن تخرج من المنزل كلما دعا شيء إلى ذلك

وتحيا حياتها الجديدة).^{٧٠}

الفصل الرابع عشر

يافع في عتيق المصادر

**دراسة على ضوء نقوش المسند
والمصادر الكلاسيكية (اليونانية-الرومانية)**

كنا قد تعرضنا في (الفصول الأولى) الى دور يافع في صناعة التاريخ التوراتي وحضورها الفاعل في وقائع العهد القديم وبالذات فيما يتعلق بالعهد الابراهيمي وعهد نبي الله "أيوب" (عليه السلام) ، وموقعهم من الوقائع التاريخية ذات العلاقة بالخروج الاسرائيلي من مصر التوراتيه (مصر جزيرة العوب) ووقوفهم كحاجز منيع في وجه الزحف الاسرائيلي بقيادة (موسى المصطفى/عليه السلام) على أرض الميعاد التوراتيه (كنعان) ، ففقد كانت يافع راس القبائل العمليقيه (عمالقة حمير) فمنها أشد الجابره بأساً وأبعدهم صيتاً بنوعناق (عنقيم/توراتيا) ومنها قبائل القاسدي (كسليم/توراتيا) المعروفة في تاريخ العراق القديم ، حيث اشتهر (الكسليم) هؤلاء بدولة بابل الثالثة التي أسست على أيدي أحد تفرعات القاسدي الشهيرة حتى اليوم باسم قبيلة (كلد) اليافعية . فالي (كلد-القادسية) الحميريه أنتسبت دولة بابل الثالثة المعروفة لدى المؤرخين بدولة الكلدان (الكلدانيه) بحاضرتها (أور) الشهيرة (بأور كسليم) أي (أور القاسدية) . ولسنا هنا بصدد ما فندناه في (الجزء الاول) من كتابنا فمن ينشد الاحاطة بطرحنا هذا نخيله الى الجزء الاول . أما الان فلاني سأتناول الغامض من تاريخ (سرو حمير/يافع) في عهود ممالك اليمن القديمة والتي كشفت التنقيبات الأثرية بعضا من تواريف تلك الممالك السبئية والمعينية والحضرية والارسانية والقتبانة والحميرية .

وأول القضايا التي ينبغي التصدي لها هنا هي ما يتعلق بالتسمية القديمة (لسروحمير/يافع) :

• بلاد دهسم :

يرى الكثيرون من المؤرخين والاختصاصيين في نقوش المساند اليمنية القديمة أن المقصود (بأرض دهس) في أقدم النقوش اليمنية (ربرتوار/ ٣٩٤٥ و ربرتوار/ ٣٥٥٠) هي البلاد المعروفة بـ(يافع) فما هي الأدلة والشواهد على صحة هذا القول :

١. أما النقش (ربرتوار/ ٣٩٤٥) العائد على أقل تقدير الى منتصف الالف الاول قبل الميلاد - الفترة المعروفة بعهود المكربين السبئيين - الى هذه الفترة التقليدية يعود هذا النقش الموسوم بنقش النصر الكبير - والمكتشف في معبد المقه الكبير في صرواح - استحق هذه التسمية لأنه سجل الوقائع الحربية التي خاضها المكرب السبئي الشهير "كرب ايل الوتر" بن ذمار علي "التي شملت منطقة واسعة خارج الهضبة اليمنية الكبرى من أنحاء المعافر (الحجرية اليوم) في الجنوب الغربي قريبا من باب المندب مرورا بدلتا تب (تبو) ودلتا أبين (تفض) حول عدن فيافع (دهس ا) ودثينه

وسلسلة جبال الكور واوديتها حتى أطراف حضرموت من ناحية أخرى وهذا يعتبر هذا النقش أقدم مرجع يعرفنا بالجغرافيا السياسية لليمن حوالي منتصف الألف الأول قبل الميلاد" ^١

نعم هذه الحرب الشاملة التي احتدمت معاركها في هذه الرقعة الواسعة من جنوب جزيرة العرب وسجلها هذا النقش أين موقع (سروحمير/ يافع) منها ؟

الاجابة خلدها النقش في سطره (السابع والثامن) :

"يوم هاجم دهسم وتبني وكان قتلاهم ألفين (٢٠٠٠) والسبي منهم خمسة الاف (٥٠٠٠) وأحرق مدتهم ... (تلف في النقش). ^٢

لقد تعرض النقش لـ (دهسم) بالتلازم مع تبني (تبني) :

(حيث تبني يطلق اليوم على الجزء الشمالي من وادي (لحج) قبل التقائه بوادي (ورزان) وتتحد الى مياه الأمطار من جبال (الضالع) الشماليه والشماليه الغربيه وما يليها شمالاً الى المرتفعات الجبلية الواقعة شمال غربي مدينة (إب) ^٣. هذا التلازم في ذكر (دهسم) (يافع) (تبني) هو أحد الأسباب التي حدثت بالمؤرخين لاعتبار (دهسم) هي (يافع) خاصة وقد وردت في نفس النقش في الأسطر (٨-١٣) المكرسه لتفصيل المناطق ومدنها .

فبعد (التلف) الذي لاندري ماذا جاء فيه لجهد النقش يذكر الشروط أو الاجراءات التي طالت (دهسم) (وتبني) حيث يقول :

((ووهب دهسم وتبني ودثنت لـ (المقه) ولسبأ (أي للدولة) ووهب عودم (التي لم يرد ذكرها من قبل ولعلها وردت في الجزء الثالث من النقش) ، للملك دهسم (؟) وانتزع من أوسان ولد عورم وممتلكاتهم لأفهم حالفوا المقه وسبأ (؟؟) ^٤ وبعد إسهاب النقش في ذكر المناطق الاوسانية منها : "نسب ورشاي وجردان الى فخذ الوو وعمره (عروم) التابعة لكحد (ذت كحد) .. وسبيان واراضيهم ومدنهم أثخ وميفع ورقم وكل أرض عبدان ومدنهم وسرهم ومرعاهم وجند عبدان حرهم ورقيقهم اقتطعهم ^٥..." تجده اي النقش يتعرض لدثينه بحرهما وحدودها ثم يعرض لذكر (دهسم) :

"وكل مدن ومناطق (أبضع) حول منطقة تفض (أبين) باتجاه (دهسم) يافع والتي على البحر وكل البحار التابعة لهذه المنطقة ... " ^٦.

أما (أبضع) حول منطقة أبين (تفض) فالمرجح ان المقصود بها أحد المدن الابينية ونرجح :

★ أم وضيع : أم/وضع (بدون تصويت) وأم :

سابقة التعريف الحميرية وعليه فان أبضع = وضع (بإبدال الواو من الباء) لتقارب مخرجي الصوت. "وهي اليوم في المنطقة الشرقية من أبين عاصمة لقبيلة (أهل بكيل) الفضليه " ^٧ .
 هذه الإحداثيات تشير الى أن (دهسم) تشمل منطقة شاسعة تمتد من تغض (أبين) شمالاً عبر مرتفعات يافع حتى العود والضالع وما يحيط بمجرى تبين حتى مصبه في بحر عدن .
 ترى ما هي (عورم) وولد عورم في نص الأسطر (٨-١٣) التي لم يفت (د/بالفقيه) ملاحظة عدم ذكرها في إطار (دهسم) نص الأسطر (٦-٨) ونبه الى انها ربما ظهرت أصلاً في الجزء التالف اي فيما بعد عبارة :

★ (... وأحرق مدنهم) (....) / (٦-٨)

نعم فهذا الشاهد يشير الى حرائق أحداثها جيش المكرب السبئي في مدينة تقع على الأطراف الشمالية (لسرو حمير/ يافع) الا وهي :
 ★ العود : "مخلاف يسكنه العرويون من ذي رعين وغيرهم من أقباض حمير وفيه جبل حب وسخلان وواراخ لبني موسى من الكلاع وسخلان والعود للعدويين من رعين ومنهم مجيب الفاكهي بالمسمطة التي تسمى السهمانية " هذا ما ذكره الهمداني باسم (مخلاف العود وذي رعين) ^٨ .
 وما زالت العود باسمها فهي :

"بلدة في النادرة بالشرق الشمالي من إب ، نسبها الاخباريون الى العود بن عبدالله بن الحلوث ذو أصبح ، وهي من المناطق الغنية بالآثار خاصة في المصغة وحصن حده وحصن مضرح ... " ^٩ .
 ونحن هنا لا نغامرنا الشك في ان (عورم) المذكورة في نقش النصر هي (العود) الواقعة اليوم شمالي قعطبه فقد كانت في الألف الأول قبل الميلاد ومن قبل ومن بعد جزء من (سروحمير/ يافع) وعلى مختلف العصور كانت مناطق شاسعة تمتد ما بين عدن وتعز وما بين أبين حتى ذمار تعد نفسها أجزاء من (سروحمير/ يافع) والى هذا يشير صاحب "طرفه الأصحاب" السلطان الملك الأشرف :
 "عمر بن يوسف بن رسول" المتوفي في نهاية القرن السابع للهجرة بقوله في سرد قرائم الملوك
 التابعة:

★ "ومنهم يافع ، ويقال لهم الايفوع ، وهم قبيلة كبيرة ، وأكثرهم من (المفاليس) الي عدن
 ومنهم (الاكلول) . " ^{١٠}

★ (فالمفاليس) : جبل وناحية في الحجرية . ^{١١}

★ و(الاكلول) : هذا خطأ أوقعه النساخ والصحيح :

الاكلود (من كلد) : القبيلة اليافعية التي نوهنا بتاريخها في مطلع البحث .

هذا النص المتأخر أما أردنا بطرحه هنا أن التلازم الذي أبرزه النقش في تعرضه (لدهسم/وتبنو) يشير الى وحدة الجغرافيا السياسية في (إطار سروحير) لكل القبائل المستفيدة بشكل أو آخر من مياه الواديين (تبين/وبنا) منذ أقدم العصور حتى اليوم عبر عصر "بني رسول" مثلا حيث يشير النص (أنفا) أن (لحج) بواديهما الشهير "تبين" كانت في عداد يافع ومواطنها المنتشرة من (المغاليس الى عدن...) على أيام دولة بني رسول بحاضرتها (تعز) .

وقبل ان نعود الى تناول المادة التاريخية لنقش النصر وأثرها على (سروحير/يافع) أو (دهسم) وفقا للنقش نفسه (ربرتوار/٣٩٤٥) نعرض فيما يلي لبعض الآثار الاسمية الباقية اليوم في (سروحير/يافع) كشواهد حية تجمّد فيها ذكرى هذه التسمية العتيقة أي (دهسم) :

★ **دهسم** : فهي بلاد (دهس) لأن الميم هو لاحقة التنوين العربية الجنوبية القديمة ... هذا الاسم نجده قد تغلف في عدة مواضع من (يافع بني قاسد) منها :

١. **طسه** : طهس = دهس (بالقلب والابدال) وطن وقبيل أسافل (وادي ذي ناخب) الشهير بزراعة البن وينقسم أهالي طسه الى عدة فئات :

- **العصري** : موطنهم (ثلث) (وعطف الراح) في وادي طسه .
- **أم ناخي** : أم سابقه التعريف حميرية و ناخي (صيغة النسبة لذي ناخب) ومنهم :
- ★ **الغيران** في وادي حدق .
- ★ **والكساد** في وادي شيوحه .
- ★ **وأهل مرصع** في وادي مرصع ويوجد بينهم بدو رحل .^{١٢}
- ٢. **دعسي** : نسبة الى (دعس) = دهس

(بإبدال العين من الهاء) : ينتمون الى أحد بطون حمير الشهيرة عند الاخباريين بـ (الايقور) وأهم مواطنهم في (وادي شقصه) في ناحية (كلد) . وأهم المواقع الأثرية الكلدية تقع في ذالكم الحيز من كلد أهمها مدينة "دخان" العتيقة .

(أنظر دعسي : عند حمزة لقمان / نفسه / ص ١٨٨) .

٣. **دهشلي** : صيغة النسبة الى (دهش) نحو عبدلي من عبدالله ، فهو (دهش آله) :

- **دهش** = دهس (بإبدال الشين من السين) :
- والدها شل هؤلاء يشكلون ربعا في (حميس) حمير الجبل من ناحية البهري (ذي يهر) وأهم قراهم : * **القران** * **والحصن** .^{١٣}

هذه هي أهم الآثار الاسمية وأقرها الى تسمية (سروحير/يافع) (دهسم) في نقشنا هذا ونقوش أخرى سنعرض لها لاحقا .

وإذا كان صاحب (نقش النصر) سخيا في سرده لقائمة المواطن والمدن التي طالتها جيوشه في كل من المعافر وبلاد أوسان في وادي حضرموت ودثينه وبيحان ونشق ونشن ... الخ (أنظر الأسطر ٨-١٣) حيث أوردناها كمثال على وقائع الحرب الشاملة التي طالت معظم البلاد الاوسانية . في حين ان هذا المكرب السبئي العظيم لم يتعرض بالتفصيل لوقائع المعارك مع القبائل الحميرية العظيمة ولا لمدن حميرية طالتها جحافة في بلاد دهسم (يافع) وتبني (تين) سوى ما ذكره بخصوص عورم (العود) وعليه فاننا نستنتج ان :

بعض المناوشات ليس الا قد حدثت على أطراف (سروحير/يافع) ولم تجرؤ القوات السبئية على مهاجمة القبائل الحميرية المتحصنة في سرورها المعروف اليوم "يافع" وانما اي القوات السبئية قد اصطدمت بأحد المراكز الحميرية في مخلاف العود وربما لبعض المناطق الواقعة على جانبي (تين) غير انه لم يشر إلى مدن عظيمة نحو "عدن" فلا تكفي عبارة (وكل البحار التابعة لهذه المناطق .. ٨-١٣) .^{١٤} والمفهوم من نص الإجراءات المتخذة بحق (دهسم) (وتبني) و (دثنت) إلحاقها في دائرة النفوذ السبئي غير ان اقتطاعه لعودم (العود) ومنحها للملك (دهسم) يؤكد طرحنا القائل بعدم نشوب المعارك داخل حدود (دهسم) في الأصل وأن هذا العطاء الذي خص به ملك دهسم يخلص بنا إلى القول بأن (كرب أيل وتر) قد مارس مع (يافع القديمة) سياسة الاحتواء لانه كان يدرك أنها اساس التحالف المشرقي الذي تظهره فيما بعد نقوش مكاريه قبان باسم (ولد عم و اوسان وكحد ودهس وتبني) نعم فكما سنلاحظ لاحقا أهمية هذا التحالف المشرقي .

نود هنا التأكيد أن لا تبعات أو عقوبات قد أفرزتها تلك الحرب بحق (دهسم و تبني) وأن الأضرار المذكورة في النقش لم يتحملها أحد من (دهسم أو تبني) ، "فدهسم" على العكس من ذلك قد غنمت "مخلاف العود" الذي كما يبدو كان خاضعا مباشرة للدولة الاوسانية حينها والتي خسرت وملكها (مرتوم) تحالفها مع (دهسم و تبني) وتعرضت أملاكه (ربما قصوره ومراكز إدارته) في (دهسم وتبني) للمصادره ، (أسطر ٨-١٣) ونرى في هذه المصادرات غنائما سلمت في الأصل للملك (دهسم وتبني) ضمن سياسة الاحتواء الموجهة أصلا ضد أوسان وملكها (مرتوم) وذلك من خلال استمالة أقوى حلفائه من القبائل الحميرية النازلة في (سروحير/يافع) وماصاقتها جنوبا وغربا من بلاد (تبني) . هذا على اعتبار أن المقصود بـ (دهس) وفقا للشواهد التي أوردناها هي بلاد يافع اليوم أو

بعض منها وهو الاحتمال الاكبر، أما في حالة أخذنا بقول القاضي محمد بن علي الاكوع :

- دهس : بفتح أوله وسكون ثاليه وآخره سين مهملة ، و
- تبى : بفتح التاء المشأه من فوق وسكون الباء الموحدة وآخره ألف مقصورة : موضعان متاحان لمرخه وشرقي مسوره (سرومذجح) بلاد البيضاء .^{١٥}

الأخذ بهذا القول يترتب عليه أمور أكثر تعقيدا أيسرها منالاهو لغياب (المطلق!) لبلاد حمير (سروحمير) من نص النقش مما يعني غيابها أيضا عن تيار الأحداث والوقائع التي سجل لها النقش .. وهذا الأمر بدوره يثير معضله فحوأها أين كانت (سروحمير/يافع) حينها من زخم الصراع الذي كانت تعيشه اليمن القديمة ١٩

بما لاشك فيه أن الاجابة على مثل هذا السؤال ليست ميسوره خاصة في ظل غياب النصوص النقشية المضاده وكذا المصادر المحايدة . من هذا المنطلق فأنا نعود الى طرحنا السابق القائم على القول بأن بلاد (دهس) قد كانت بالفعل ما يعرف اليوم (بيافع) أو حيزا منها وأن صاحب نقش النصر قد عرف كيف يستميلها بعد مناوشات طفيفه وقعت على اطرافها ومعارك كان مسرحها على أبعد تقدير بعض أراضي ردمان القديمة (السوادية اليوم) وذي هصبح بحاضرتها المعروفة تاريخيا بـ (حصي) حيث مدينة البيضاء اليوم تشكل النخم الشرقي (لسروحمير/يافع) ، ولانستبعد حدوث مناوشات أيضا في قاع وادي تيم ناحية ردفان ... هذه الاحتمالات نطرحها هنا لان هذه المواقع التي تجاوزنا بذكرها حدود المنطوق في نص النقش هي المواقع التي شهدت في عهود لاحقة وقعات كبيرة في اطار الصراع التقليدي بقطيبه السبئي والحميري .

||. يبدو أن هذه التسمية (دهسم) قد استمرت تطلق على يافع أو على بعضها الى نهاية الالف الاول قبل الميلاد فكما تظهر النقوش القتبانية العائده الى القرن الثانية قبل الميلاد أن يافعا ظلت محتفظة بهذه التسمية في اطار التحالف الشرقي أو أرهاصاته الاول تحت المظله القتبانية وبرعاية معبودها (الاله عم) الذي ما أنفكت آثاره الحيه شاهدة على مكانته في (سروحمير) وثقافة قبائله حتى العصر الراهن والتي سنناقشها فيما بعد . نعم في القرن الثانية قبل الميلاد تشترك بعض القبائل الحميرية تحت هذه التسمية (دهسم) في مشاريع للبناء وشق الطرق ورصفها في قلب البلاد القتبانية .. ففي النقش (ربرتوار/٣٥٥٠) الذي اكتشف محفورا على صخره في عمر مبلقه (مبلقت/قديم) الذي يصل الى وادي بيحان بوادي حريب نقرأ مانصه (بالحرف العربي هنا) :

يدع اب/ذيين/بن/شهر/مكرب/قتبن

وكل ولدعم/واوسن/وكحد/د../ودهسم
وتبنو/مخض/وبرر/ووزل/وصلل
منقلن/مبلقت/اسن برم/وحرب/وبين
وسحدث/بيت/ورم/واثرث/ومختن
ملككن/بقلبي/ممشا/قتبن/واخييل/ذبرم
وهربت/بعثر/وعم/وب/أي/وب/حكم
وبذت/صنتم/وبذت/ظهرن/وبذت/رحبن/ ١٦ .
وهو ما معناه:

يدع أب ذبيان بن شهر مكرب قتيان وكل ولدعم وأوسان وكحد /.../ ودهس وتبن ، شق
وبرح ونعم وصلى (بلط بالصلا القطع الرفيعة من الاحجار) "نقيل مبلقه" بين برم (بيحان الاسفل)
وحريب . وبني وجدد بيت ودم (اله) وأثره (اله) ومختن الملك بقلبي ، بزجى (قوه) قتيان وحول ذي
برم وهربت (حنو الزير) ، بعون عثر (الاله الوطني لليمن القاسمة) وبعون (الاله) عم وبعون أبني (اله)
وبعون حكم (اله) وبذات صنتم (اله) ، وبذات ظهران (اله) وبذات رحبن (اله) .

هذا النص يفيد باشتراك (دهس وتبن) في هذه الاعمال الانشائية القتبانية الكبرى في القرن الثانية
(ق.م) تحت رعاية مكرب قتيان (يدع أب ذبيان بن شهر) ويذكرنا بصيغة الارتباط السياسي القائم
بين (دهس وتبن) .. ولاغرايه انه حتى في عهد (الهمدان) وفي ملحقه من العصور ظلت هذه الرابطة
قائمة بين قبائل (سروهمير وحلالهم وأحلافهم من بني جعده) (الاعضود الضالع وحالمين وردفان) /
أنظر صفة جزيرة العرب ص ١٧٣ .

وهناك العديد من النقوش من نفس الفترة تظهر فيها (دهس وتبن) في اطار التحالف المشرقى
المشار اليه آنفا ومنها :

- ربرتوار/٤٣٢٨
- ركماتر/٣٩٠
- ربرتوار/٣٨٧٨

وهذا الأخير يتلقب فيه (يدع أب ذبيان بن شهر) بالملك . ١٧

وفي القرن الأول بعد الميلاد استمر هذا الاسم عالقا (بسروهمير/يافع) كما ذكر العالم الرومانى
(بلينيوس/٢٤-٧٩ للميلاد) : "حيث ذكر ان المر الأبيض كان ينتجه مصدر واحد هو بلاد دهس

المعروفة اليوم ببلاد يافع التي كانت ممرا للقوافل التجارية^{١٨} في تلك العهود الغابرة. وكانت تصدره عبر ميناء (عصله) على الساحل الابيني.

ولا ينبغي هنا ونحن نعرض لأقدم تسميات (يافع) كما وردت في نقوش المساند والمصادر الكلاسيكية ، لا ينبغي ان يتبادر الى الأذهان ان قبائل سروحيمير (يافع) لم يكن لهم حضور تاريخي الا في النطاق المشار اليه بصيغة هذا الاسم (دهس وتبنو) ، فقد كان لهم من الحضور الفاعل في بحريات وأحداث اليمن القديمة ما يعود الى عهود سابقة بكثير على عهد صاحب نقش النصر الكبير (كوب إل وتر يهنعم بن ذمار على بين) .

• أقدم الشواهد النقشية:

على الوقائع الحميرية في حضرموت القديمة :

سجل النقش (ربرتوار/٢٦٨٧) المحفور على لوحة طويله توجد (اليوم) على الجدار الذي يقطع وادي (البناء) (قلت / قاسما) "سجل" وقائع الضغط الحميري في عهود حضرموت الاولى المعروفة : نظام المكربين الذي يفترض أن يكون سابقا للتحويل الى نظام الملكية الخاصة . وفي عهود أولئك المكربين تعرضت حضرموت لغارات حميرية على مناطقها الساحلية (ربرتوار/٢٦٨٧)^{١٩} وفيما يلي نص النقش (ربرتوار/٢٦٨٧) بالابجدية العربية :^{٢٠}

(١) شكمم / سلحن / بن / رضون / قندم / همراس / يشكر آل / يهرعش / بن / ابيدع / مكرب / حضرموت / مت / امرس / مراسو (٢) هيسع آل / علهن / بن آل / وروسم / مسبض / بن / ظرب / هبنا / عقبتهن / وعقبت / حجر / علتهين / بن / بحرهن / قندم / علهي / جربت / ونهمت / وجسممي / جنا / قلت / وعقبتهن / مت / حذرو / بحميرم / وتبع / هيسع آل / ودوسم / وعم يمن / بن / أمهي / حضرموت / ومتسك / بـ (٤) ميفعت / وظيفتهن / قرهنم / وبني / ويعر / عقب / ضيفتهن / وبني / جتاهن / ومحفديهن / يذان / ويزتان / وخلفهن / يكن / بمعرب / وسلام / وضويم (٥) / وابري / بنمو / ربيم / أد / شقرن / بنمو / لبن / شمس / ذهي / يشرح آل / ذعدذم / شلست / أورخم / بعشري / ومات / أسدم / جسمهم .

وهو بما معناه على غريب الفاظه ، وبصورة أوليه :

شكمم سلحان بن رضوان (من بني رضوان) تقدم لسيداه (مولاه) : يشكر آل يهرعش بن ابيدع مكرب حضرموت ، وحالما أمره سيداه هيسع آل علهان (من بني آل) ودوس "مضيس" (بالقلب : من معانيها الشكس ، المهر / ابن منظور / اللسان / ٦ / ماده ضيس) من بني ظارب .. تقدم لبناء

العقبه (عقبة قلت) وعقابه بحيث حجر عليهما من جهة البحر بحائط مطوى بالحجارة الجسمة . هذه التحصينات من حين حذروا من حمير (اي من الغارات الحميرية) وما اعقبها من مرابطه هيسع ال ودوس ومن معها من بيوتات حضرموت من (ميفعه) (رضيفتهن) في القرنة (مركز الحراسة) ، وقد تفانى في بناء حصن ضيفتهن والصور وقصريهما (يذان ويزتان) ومن وراء هذه التحصينات المعراب وسدوم والضاري (قبائل) ، ووثقها من ساسها الى رأسها بالدين المخفف بالشمس بما في ذلك مخارجها . كان هذا في العشرين بعد المئة الموافق الثالثة من تولي يشرح آل ذي العز منصبه .

(+) حدد أصحاب مختارات من النقوش اليمنية القديمة هذين الموضعين :

* ميفعت : هذا الموضع في رأي (فون ويسمان) و(هوفنر) هو الخربة المشهورة المسماة الان (بنقب الحجر) ، وهذا ارجح الاراء وان كان (رودوكاناكيس) قد ارتأى انه موضع آخر بمسافة يومين شرقا والمقصود قرية (ميفع) التي يصب عندها نهر حجر ماءه في البحر . ومما يرجح الرأي الاول هو ان (ميفعه) يطلق على الوادي الذي يعد امتدادا (لعماقين وحبان) بعد التقاءهما اسفل (عزان) . وتقع (نقب الحجر) الى جوار هذا الوادي .

* ضيفتهن : كثر في النقوش ذكر قبيلة بهذا الاسم تسكن جزاء من وادي (حبان) صاعدا من (نقب الحجر) ، فاما ان يكون الاسم هنا اسم المنطقة القبيلة حول (نقب الحجر) او اسم أحد المحلورتين له . ٢١

* يرى اختصاصيو الآثار في بالالفاظ الواردة بعد يذان ويزتان : وخلفهن يكن بمعرب وسدم وضويم . اسماء حجارة استخدمت في ترميم الجدران الخلفية لقصري (يذان ويزتان) غير انهم لم يقطعوا بشأنها .

وأرى في وهذه العبارة افتخارا بقوة قبائل قديمة هي المعراب وسدوم وضاري مهمتها الدفاع عن هذين الصرحين رمز السيادة والعزة في حضرموت القديمة مثل سلحين (في مأرب) وريدان (في ظفار حاضرة الحميرين) . واذا لم يجانبني الصواب :

* المعراب : تعني المعراب المنطقة الساحلية الواقعة الى غرب الشجر كزغفه والمعينه وهي الحد الفاصل بينهم وبين المناطق السبائية الحميرية . ٢٢

أما سدوم فهو اسم أحد المؤتفكات مدن قوم لوط وقد تصدينا لهذا الامر بالبحث الدقيق في (الجزء الاول من كتابنا) ورجحنا القول بأن قلب بلاد نبي الله لوط (عليه السلام) كانت دثينه : * دثينه : (دثنت/ذت/ثبرم) (ربرتوار/ ٣٩٤٥)

أي : دثينه الشور
وتطرقنا الى مدن المؤتفكات في منطقة تمتد من سهل (يرامس) الابيني الى الشحر (امعين في
النقوش) ولن نجفى أمر (ضاري) على الباحثين .. فان من كلف هذه التحصينات لمدينتي (ميفعه
وضيفتن) كان لايعول على التحصينات فحسب بل ويستثير هم تلكم القبائل للدفاع عن تلك المراكز
الحضارية في وجه الزحف الحميري القادم من مرتفعات يافع . نتيجة لتلك الغزوات الحميرية المكثفة
على سواحل حضرموت في عهد مكاربتها يرى بعض أهل الاختصاص أنه :

في نحو ذلك الوقت خسرت حضرموت بعض الاراضي التي استولت عليها
اوسان والتي أعادها اليها فيما بعد (كرب إل وتر) السبتي (ربرتوار/ ٣٩٤٥)
التي شملت حروبه مناطق امتدت من (ميفع) الى (عرمه) وكان على
حضرموت وقتها حليفه (يدع ال) .^{٢٣}

هذا التحالف الحميري الاوساني الذي يمكن عودته الى الالف الثانيه قبل الميلاد والذي أدى في
ذروه زحمة الى بسط النفوذ الاوساني على المناطق الساحلية في تلكم العهود الغابره "وما يقوم عليها
من ثغور وموانئ تقوم بالتجارة مع السواحل الافريقية والتي ربما كان من بينها ميناء (عدن)
(وقنا)"^{٢٤}.

"ويؤكد هذا الظن اشارة عابره جاءت في (البريلوس) تصف الساحل الافريقي شمالي زنجبار
بالساحل الاوساني . وهذه الاشارة ، التي جاءت بعدما يزيد عن خمسمائة عام من انتصار سبأ على
اوسان ، انما تدل على عمق الأثر الذي خلفه الاوسانيون في تلك البقاع ، وهو امر لايمكن أن
يحدث الا نتيجة لتاريخ طويل من الوجود المستمر والنشاط الفعال والنفوذ الحقيقي".^{٢٥}

والقوات الحميرية التي كانت تقاتل في تلك الرقائع تحت الرايه الاوسانيه لم تكن لتفعل ذلك
ارتزاقا بل كانت تندفع متوسعة على حساب حضرموت وسبأ نفسها وفي سبيل توسيع النفوذ الاوساني
الذي يكن شيئا آخر سوى النفوذ الحميري نفسه تحت يافطه (أو عائلة حكم) عرفت باسم السلالة
الاوسانيه . ولا نرى غرابة في قولنا هذه خاصة وقد ذكر لنا لسان اليمين (الهمداني) نسب (ذي
اوسان) في شجرة نسب حضرموت بن سبأ الاصغر فهو أي اوسان (السلالة الاوسانيه) :

أولد حضرموت بن سبأ الاصغر : مره بن حضرموت ، وفيه البيت والحارث
وسببيا وربيعة وفهدا وتريم ، بالتاء ، وتنعم بضم التاء بطون كلها ويقول ابن
الكلبي : ودعيما . فأولد مرة بن حضرموت : يعفر بن مره . فأولد يعفر
معاويه والقيل ، ابني يعفر . فأولد معاويه بن يعفر : والابن معاويه : كنيها

كأننا رواه أبو نصر ، وأحسب ان بعض الحضارم قال متبعاً ، ولعل ان يكون
بطناً منهما آخر صغير قد ذكرناه ، (وذا أوسان) وذا صائد بني وال " ٢٦ .

وإذا كانت عاصمة الدولة الأوسانية مازالت ضائعة حتى اليوم فإن بعض أهل الاختصاص يرون
في : "هجر الناب من أعمال وادي مرخه . خرابه قد تكون خرابه العاصمه مملكة أوسان الضائعه
ويرى آخرون خلاف ذلك " ٢٧ .

نعم فإن البعض الآخر يرون في أحد خرائب (بيضاء حصي) المتاخمة للحدود الشرقية
(لسروحمير/يافع) حاضرة الدولة الأوسانية . ففي منطقة (العناق) اليافعيه الشهيرة اليوم باسم (الحلد)
غربي البيضاء توجد خرائب أثرية عتيقة منها خربة (هدم ودم) التي عثر فيها على لقي أثرية منها
(نقش) (روبان/بني بكر) الذي سجل لوقائع الصراع الريداني "السبي" وثورة بني ريدان في مرتفعات
يافع في مطلع الألف الأول بعد الميلاد .. نعم "فخربة (هدم ودم) هذه تقع على تبة جبلية بعيدة من
قرية "قطن" المتاخمة حدود "مسورة" عاصمة مملكة أوسان القديمة ، ومساحة التبة أقل من كيلو متر
طولا وأقل من ٢٠٠ متر عرضاً " ٢٨ .

من هذين القولين يتضح لنا إلى أي مدى كانت الدولة الأوسانية حميرية البنية بالفعل ، ومازالت
أحد المواقع الأثرية في منطقة العناق (عنقيم/توراثيا) تحمل ذكرى هذه السلالة الحميرية الأوسانية :
* شرف أوسان : تعرف هذه القرية اليوم الواقعة في رأس وادي (دان) المذكور في كتب
الأخباريين بـ : "شرف بن عوسان" ، وشرف تعني مرتفعاً يطلس على وادي -حافه جبل-
(وعوسان) تحريماً لاسم (أوسان) ، هكذا يروي محمد حسين الشرفي ، وفي القرية خريتان (خربة
العنس وخربة الريد) وفي هذه القرية تجد ملامح أثرية كثيرة ، إذ نجد على القمم صخوراً مسودة
وناعمة مرمية على عرض الجبل وفوق الجبل وعلى الصخور كتابات كثيرة . بخط مسند دقيق ،
وهي خطوط قديمة محفورة على الصخر وقد انمحت تدريجياً بسبب تعرضها للشمس والرياح
والأمطار والأتربة ، ولا يستبعد وجود آثار أخرى في هذه المنطقة ، وبالذات تحت كتله الصخور
التي يحتمل أنها كانت جدار واحد فارتقت على ظهرها " ٢٩ .

ويبدو أن كلا من (هجر الناب) في وادي مرخه (ومسورة) الواقعة على حدود يافع الشرقيه
كانت حاضرتين للدولة الأوسانية في عهدي مختلفين ، تماماً مثلما كانتا (صرواح) و (مارب) بالنسبة
للدولة السبئية . ولعل الضربة القاصمه التي وجهها نابليون اليمن القديمه (كرب أيل وتر يهنم/I) في
منتصف الألف الأول قبل الميلاد للمستوطنات الأوسانية في المناطق الشرقيه بما فيها (نصاب) من

العراق العليا وادي (خوره ومرخه) ونواحي (ميفعه) كانت السبب في بعض التغييرات التي حصلت في العهود اللاحقة للسلالة الاوسانية التي ظلت أحد أعمدة التحالف المشرقي حتى القرن الثانية بعد الميلاد حيث أعلن عن ولادة هذا التحالف بهذا الاسم (مشرقيتن/ المشرقيه) بحيث تولى قيادته القليل الروماني (وهب إل يحوز بن معافر) وذو خولان وكل ولد عم وأوسان والملك الحضرمي (يدع إل) (ونبط) ملك قتيان (نقش جام/٦٢٩) ^{٣٠} . فكما ذكر صاحب نقش النصر اسم الملك المنكود الحظ الذي شهدت أوسان إهيارها على يديه وهو :

* (مرتوم)

حيث لم تسلم قصوره في (مسور) من التخريب :

"وطمس كل كتابة نالت من كرب إل من بيته .

(مسور) وكتابات بيوت اهتهم ... بيته .

مسور" الاسطر (٤-٧) . ^{٣١}

ويعلق (د/بافقيه) على أن هذه الكتابات التي تعرضت للطمس لانتقاصها من (كرب إل) ربما " سجلت هزائم سابقة الحقت به " . ^{٣٢}

هذه الامور التي حللت العائلة المرتومية (نسبة الى مرتوم) دفعت بها في محل اقامتها في (هجر الناب) للانتجاع الى الطرف الشرقي من السرو (يافع) كي تأمن على نفسها من نكاية الاعداء القدماء هذا ما يقوله أهالي الحد (العناق) عن قبيلة (أم ردامه) التي وضعت من وادي (خوره): " أهم روافد وادي مرخه .. الذي تقع فيه مدينة (خوره) : المركز التجاري الذي أشتهر بغابات النخيل التي يقدر عددها بحوالي أربعين ألف نخلة ، وتقع خوره الى الشرق من البيضاء " ^{٣٣} .

واليوم لها قرية كبيرة في منطقة (العناق) يحيط بها (غيل الفلاح) وادي (قنطنان) من الشمال والغرب (ومثنان) الى الشرق منها وتعرف بقرية (أم/مردامه) :

* ام : سابقه التعريف الحميري

* مردامه : مردم (بدون تصويت وبدون الهاء)

* مردم : مرتم (بإبدال الدال من التاء) وهو الملك الاوساني (مرتوم) ورهطه أو عائلته هم المرادمة (مراهمه) وقريتهم أم-مرتامه (ام/مردامه) .

هذا فيما يخص التاريخ المشترك للسلالة الأوسانية (الحميرية) والقبائل الحميرية العتيبة في (سرو حمير/يافع) .

• سرو حمير في العهد القتبانية:

إذا كانت المملكة الأوسانية قد شتتت ووزعت مناطقها على الدولة السبئية ومعبودها (المقه) وحلفائها من الحضارم والقتبانين الذين كانت لهم ثارات مع الدولة الأوسانية المنهزمة. فخص (كرب إل وتر يهنم/II) حلفائه الحضرميين بما خسروه في وقائع سابقة مع الدولة الأوسانية:

(ووهب لسين وحول [إلهي حضرموت] وليدع إل وحضرموت أراضيهم من تحت ذي أوسان (بن تحتي ذا أوسان). [أي التي كانت تحت يد أوسان]).^{٣٤}

وخص القتبانيين أيضا بنقل أراضيهم وتخومهم التي فقدوها سابقا في الغزوات المتكررة التي كلنت تشنها الدولة الأوسانية على البلاد القتبانية وجعلها في حيرة سبأ ومعبودها وملكها:

(ووهب أراضي عم واني (إلهي قتبان) وورو إل من تحت ذي أوسان نتيجة لمخالفة (بذات أخو) حضرموت وكتبان ل المقه وكرب إل وسبأ).^{٣٥}

غير أن بعد هذا الإجراء التأديبي يعود عن قراره بعد أن لمس الإخلاص من (ولدعم) للكيان السبئي كما نص عليه نقش آخر (ربرتوار ٣٩٤٥/ب) :

(كما قام بإصلاح مسایل المياه حول [قنق] وسور عددا من المدن هناك. وأعطى ل (ولد عم) كل مدتهم لأهم حالفوا المقه وكرب إل وسبأ).^{٣٦}

فيا ترى كيف آلت مصائر الحميريين في سروهم (يافع) إبان الازدهار القتباني هذا ؟

• سرو حمير إبان العهد القتباني:

كما ذكرنا آنفا أن الوجود الحميري القوي في (سرو حمير/يافع) لم يتأثر في مستوطناته المحصنة في مرتفعات يافع ، وكلما عمله المكرب السبئي العظيم (كرب إل وتر) تجاه هذا الزخم الحميري في (أرض دهس) كان يهدف إلى احتوائه وعدم الإصطدام به مباشرة... وتعرض جحافل جيوشه السبئية الفيشانية (للعود). كان في إطار الحرب على مناطق النفوذ الأوساني على وجه التحديد ولا متصاص النعرة القبلية لدى البطون الحميرية (اليافعية) التي قد تحصل من جراء الاستيطان السبئي في (العود) المحسوبة بلا شك في نطاق حمير قام المكرب السبئي بكسب أبناء (دهسم) من خلال إعادة (العود) لملكهم بينما أنتزع من السلالة الأوسانية ، البطن المعروف ب (ولد عودم) وهم الفئة المنفذة في شؤون خلاف العود ، ولكنهم كما يظهر من النقش كانوا متواطئين مع كرب إل وتر:

(وقاموا بدور الطابور الخامس في صفوف أوسان كما يستشف من الإشارة إلى (ولد

عودم)).^{٣٧}

فدورهم هذا جعلهم يطلبون الانضمام بأهاليهم وأملاكهم إلى داخل الأراضي السبئية خوفاً من سطوة القبائل الحميرية (دهسم) التي تسلمت (مخلاف العود). على هذا النحو فأناء (دهسم) قد أخذوا يعملون بتقلهم في اتجاه الدولة المنتعشة ، ونقصد بها القتبانية وانغمسوا في مراكز النفوذ فيها ولم يكونوا على الإطلاق حسبا غريبا عنها... ولا أبالغ في القول أنهم كانوا بيضه القوم وأصحاب الكلمة فوها لا من خلال انغماسهم في مشاريعها الاقتصادية الإنشائية فحسب كما رأيناهم يشتركون في شق وبناء دروب القوافل الكبرى مثل (نقيل مبلقة) على عهد مكاربة قتبسان في القرن الثاني قبل الميلاد (ربرتوار/ ٣٥٥٠) بل وفي الشواهد الحية التي ما زالت باقية حتى اليوم في (سرو حمير/ يافع) الدالة على مكانة أبناء سرو حمير في الشؤون القتبانية وثقافتها الدينية على وجه التحديد.

• آثار الإله (عم) في يافع:

اشتهر القتبانيون بمعبودهم (عم) وأقاموا له المعابد والأربطة :
(في مناطق مملكتهم، يزورونها ويتقربون إليه بالقرايين فيها، وأهم معبد وجد في قتبان، كان في منطقة تسمى (ليخ) تقع جنوب غرب مدينة (تمنع) العاصمة القتبانية ، وكان لهذا المعبد أراض زراعية موقوفة له... وقد كان إله القمر عندهم).^{٣٨}
فإذا كانت (سرو حمير/ يافع) تقع في نطاق السيادة القتبانية آنذ ، فيا ترى هل عبدت إله القمر الشهير عند القتبانيين ب (عم) وهل أقامت له معابدا فيها ؟

• معبد الإله عم في العر:

ورد ذكر الإله (عم) في نقش (جامع بني بكر) وهو نقش تعرض له بالتحقيق (د/ محمد عبد القادر بافقيه + أحمد باطايع) ضمن دراسة نشرتها حوليه (ريدان) تحت عنوان: (نقوش من الحد).
ونص هذا النقش بالحرف العربي عوضا عن المسند في الأصل:

١. / ووترم / ودوسم / بنو / يشرن / ويسيض.^{٩٩٩}
٢. ... / و / عبد عم / و هو فعم / بنو / ذسفرم / أقول / شعبن / سفرم.
٣. عشقو / وسقح / ابرت / شمسهو / بعون / ...
٤. عم (؟) بأخيل / شعبسمو / وما دبهمو / سفرم.^{٣٩}

لقد تصدى (بافقيه/ باطايع) لفردات النقش بالشرح وفيما يلي نسلط مزيدا من الضوء على العكس والغامض في النقش :

ذكر أصحاب النقش في السطر الأول اسمائهم وهم:
وترم / ودوسم / بنو / يشرن / ويسيض.

لم يفت محققنا النقش ملاحظة غياب أول الأسماء في النقش للتلف الحاصل أول السطر ولنبوت حرف العطف (الوار) قبل اسم (وترم) الذي يكون (وتر) إذا اعتبرنا (الميم) لاحقة التنوين = أي التميم في العربية الجنوبية القديمة . أما (دوسم) فهو (دوس) لأن الميم لاحقة التنوين الحميرية . وهما من بني (يشرن) وهي عشيرة حميرية بلا شك الأمر الذي لم يغيب عن محققي النقش ، فهل ل(يشرن) اليرم من باقية ؟

عثر على هذا النقش في (جامع بني بكر) ولهذا فقد نسب إليها ، أي إلى (بني بكر) وهي أكبر القرى اليافعية ، وتقع في التبحوم الشرقية ل(سرو حمير/يافع) ، وهي تعج اليوم بالآلاف من سكانها المنتشرين إلى قبيلة (البكري) اليافعية...^{٤٠} وإلى الشمال منها تقع منطقة السوادية الشهيرة بآثار (ذي معاهر)... وهكذا فينبغي البحث عن (يشرن) في نطاق منطقة (الحد):

* (يشرن: (ريشن/بالقلب) - والقلب معروف في لغة نقوش المساند الحميرية، فمدينسة (نشق) في الجوف يظهر اسمها في بعض النقوش (ربرتوار/٣٩٤٥) في صيغة القلب (نقشم/أي نقش) - أما عشيرة (ريشن) فهي اليوم ما زالت حية في تسمية تطلق على واد من غرر أودية (سرو حمير/يافع) وهو: ريشان /: بالتصويت: واد كبير في منطقة (الحد) وهي الطرف الشرقي ل(سرو حمير/يافع) ومخارج (ريشان) تسيل عبر وادي (حمرة) ومنه عبر وادي (حطيب) الشهير بأنه الرافد الأول لوادي (بنا) ووادي (ريشان) هو اليوم حلال قبيلة (الجوهري) اليافعية وهي أحد أرفاد (مكتب الوسطة).^{٤١} غير أن أصحاب النقش لا ينتمون إلى (يشرن/ريشان) فحسب، بل وإلى عشيرة أخرى تظهر في النقش أحرف تسميتها شائهة ، وقد وضع (بافقيه/باطايع) الاحتمال التالي بشأن بقايا أحرف ذلك الاسم:

ما بعد (يشرن) أغلب الظن يبدأ بواو بعدها سين أو ألف أو صاد أو سين ثم حرفان ففاصل فواو.^{٤٢}

وبناء على هذه الفرضية القائمة على تجانس تلك الأحرف في هيئتها حسب خط المسند ، فإننا نرجح أن تكون العشيرة المقصودة هي :
* أذان: (أذانم في النقش) : (أذان): قبيلة ذكرها لسان اليمين الهمداني في عداد قبائل (سرو حمير/يافع) :

(فالعر لأذان من يافع).^{٤٣}

هكذا وردت في الصفة (بالذال المعجمة) ، بينما ذكرها الهمداني في (الإكليل/٢) في عداد

البطون الخارجة من صلب (يافع بن قاول) استنادا إلى رواية محمد بن مسلم اليافعي ، غير أنها وردت بالبدال المهملة، فهي (أدان). ^{٤٤} وتعرف قبيلة (أدان/ بالبدال المهملة) اليوم بواديها المنحدر من سفح جبل (العر) المذكور في النقش. نعم فقد تختلف اسم تلك العشيرة في واديها الذي يحمل نفس التسمية أي (وادي دان) ^{٤٥}. وقد أهملت الألف الأولى في الاسم كما أهملت في كثير من أسماء المواضع التاريخية نحو (أخر) المعروف اليوم في بيحان هذه الصيغة (أخر) و(أخله) السوادي المعروف في الأطراف الشمالية ل(سروحمير/ يافع) بصيغة إهمال الألف الأولى فهو وادي (خله).

وهكذا فأصحاب النقش من عشيرتي (يشون = ريشان) و (أدان).

أما بقية أصحاب النقش فهم (عبد عم) و(هوفعم) وهي من الأسماء المركبة التي يظهر فيه اسم إله القمر عند القتبانيين (عم). وهذا يكفي دلالة على مكانة الإله (عم) عند قدماء الحميريين... وهم من سادة القوم وأكابرهم ، فقد وصفوا أنفسهم ب(أقول شعبين سفرم) أي (أقوال شعب سفار) هؤلاء الأقوال الملوك من (بني ذي سفار) فهل ل(ذي سفار) من بقية ؟

* سفار: اكتفى (بافقيه/باطايع) في وضع اسم (سفار) كسلالة حكم وتحالف قبلي (شعب) على شطر من خارطة الأطراف الشرقية ل(سروحمير/ يافع) أي على منطقة (الحد/ بالحاء المهملة) . غير أن هذا لا يكفي في مسألة تحقيق ذلك الاسم ، وهل من أثر يذكرنا به في الحيز الجغرافي الذي عثر على النقش فيه. أما أنا فأرجح أن الاسم قد تختلف في موضعين يقعان في نطاق الأطراف الشرقية ل(سروحمير/ يافع) وهما:

١) الصير: صبار (بالتصويت) وابدال الصاد والباء من السين والفاء في (سفار) : الصير-أحد أودية منطقة الحد الخصبة ، وتتجمع عره فيروض أردية: الحصن/ وقرية/ وقطنان . ومنه مثل وادي (ريشان) إلى وادي (جره) ف(حطيب) ف(بنا). ووادي الصير هذا هو حلال قبيلة (الصبري/أو الصابري) المنسوبة إليه. ^{٤٦}

٢) سمارة: سمار (بإعمال التأنيث) وابدال الميم من الفاء في (سفار) ، إذا فهذا شاهد آخر عن شعب سفار... إذ (سمارة) هي اليوم أحد قرى مكتب (ناحية) الحضرمي الواقع في الأطراف الشرقية ل(سروحمير/ يافع) ، و(السمارة) اليوم هي حلال بعض قبيلة (الثلي). ^{٤٧}

بيد أنني أضرب صفحا عن هذين الاحتمالين لأن أيا منهما لا يصلح أن يستوعب بمفرده وحلوده المعروفة لدينا اليوم قضية وجود تحالف قبلي كبير يقيم في نطاقه ، فكما بينا ف(وادي صير) مهما رحبت جناباته فإنه يضيق أن يستضيف أحد شعوب حمير الكبرى ونعني به (سفار) وكذا هو الحال

بالنسبة لقريّة (سمارة) الواقعة في نطاق (مكتب الحضرمي) غير أن هذه العلة لا تنفي مسألة تخلف أو ترسب (ذي سفار) في هذين الموضعين. أما تعسف (بافقيه/باطايغ) فيرجع في المقام الأول إلى عدم إلمام هذين الاختصاصيين في علم آثار اليمن القديمة بجغرافية وثقافة (سرر حمير/يافع) ، فهما (أولا) من حضرموت البعيدة نسييا عن يافع. وجل معرفتهما عن تلك المنطقة مستقاة من القراءة عنها على ندرة الآثار الكتابية عن (سرر حمير/يافع) خاصة فيما يتعلق بتاريخها العتيق.. ومن زوراقهم القصيرة لتلك المنطقة الجبلية الصعبة التضاريس التي تستوجب في زائرها أن يقتحم شناخبها ووهادها تقحما ، وأن يوطن ذاته لتحمل متاعب السفر إليها ، الأمر الذي يحرم كثيرا من زوارها متعة كشف أسرارها والمعكر من شأنها. (ثانيا) عزوف أبنائها أنفسهم عن تكريس جهودهم لقضية تعريف الناس بها وكسر طرق العزلة الذي طالما أحاق بها منذ قديم العصور. وعليه فقد أشرنا إلى إخفاق محققي النقش في مسألة هوية (سفار) ... إذا فما هو أكثر الاحتمالات أو الشواهد عن (سفار) التي انتسب أصحاب النقش إليها ، وكانت لهم كيانا اعتصموا فيه وأداروا شؤون (القبيلة) فيه دونما حاجة لأن يتبعوا ملكا محددًا من ملوك اليمن في تلك الحقب المجهولة ! إذا فهل ل(سفار) من باقية ؟

• مقالة سفار اليافعية:

هي اليوم ما يعرف عند اليافعيين ب(السفال/أو ذي سفال) أي بالاببدال بين حرفي الدلاق وهما الراء واللام ، حيث أوضحت (ذو سفار) تعرف مع تعاقب الدهوب (ذي سفال) وتضم رقعة واسعة من (هضبة ضهر يافع) أي ماذهب غربا من (جبل العر) مرورا بما تحلق من القرى والمواطن حول (جبل حبة) و(ثمر) وما وقع بين (جبل أحرم) رأس نجد العياشي و(سنام) و (ذي كرسوع) في الصميم من (مكتب الوسطة) وبكلمة أخرى ف(ذي سفار) كانت تشمل على أقل تقدير ما تظمه اليوم أربعة مكاتب (نواحي) من يافع بني مالك وهي : الوسطة والضبي والبعسي والحضرمي. وقد تجمدت ذكرى قبالية أو مقولة (ذي سفار) اليافعية في طقوس خروج الحريوة-العروس- من بيت أبيها مصحوبة بترانيم (الهدان/الندان) حيث تخرج الغواني مفاخرات بطلعة الحريوة التي غمر سنائها أرض (ذي سفار) :

طلعه (طلعت) شجرة من الدار واستضاءه ذي سفال (سفار)

فهذه (سفار) المقولة الحميرية التي حفظتها ذاكرة الأجيال في صيغة التسمية الشائعة (سفال) الممتدة ما بين حدود مكتب (المفلحي) غربي يافع وجبل (العر) شرقيها. وهكذا تتفكك لنا غوامض النقش الذي كرسه أصحابه لأعمال تأسيس معبد لمعبودهم (شمش)

فللغة (أبرث شمسو) الواردة في السطر ٣ من النقش تشير إلى هذا المعنى الذي ما زال يدرج على لسان أهالي (سرو حمير/يافع) ف(البرث/ بالتاء المثناة) : تعني تسوية العرص أو العرصات للبناء. أما موضع معبد الشمس فهو (عرن/السطر ٣). وقد نوه (بافقيه/باطايع) بهذا المعنى غير أنهما لم يحققا ذلك الموضع-ولنحنا هنا نحقق ذلك الموضع:

* العر: (عرن) حيث النون هي لاحقة التعريف في لغة نقوش المساند اليمنية القديمة.. إذا فالموضع هو (العر) وهو الموضع الذي ذكرناه آنفا عندما عرضنا ل(أدان) وقول الهمداني فيه:

(العر لأذان من يافع) [صفة/ص ١٧٢].

فهو عند (محمد بن علي الأكرع) محقق الصفة:

العر: وهو جبل عال منيف وفيه قرى ومزارع.^{٤٨}

و(العر) هذا هو ثالث ثلاثة جبال تشنخ برؤوسها في شرقي (هضبة ضهر يافع) وهم:

(العر وثمر ووجه) وقد ذكرهم صاحب (صفة جزيرة العرب/ص ١٧٢) على هذا النحو-

ولجبل (العر) مكانة خاصة في نفوس القبائل اليافاعية، حيث يعتبرونه حارس الثغر الشرقي ل(سرو حمير/يافع) وفيه يقولون:

(العر باق ويافع بالوجود)

والمعنى هنا لا يحتاج إلى توضيح. وما زالت خرائب وآثار سدود تقبع في قمته حتى اليوم. وما

يهمننا هنا هو أن (العر) كان موضعاً لعبادة الشمس وفقاً لنقش (جامع بني بكر). أما الأعمال التي قام

بها أصحاب النقش فقد كانت (برء) أو (أخيل) أي (حول) الإله (عم). وهذا لعمري أول

الشواهد القطعية على مكانة الإله (عم) في (سرو حمير/يافع) في عهود القبالة التي ترجع حسب بعض

آراء أهل الاختصاص إلى أقدم العهود من تاريخ اليمن القديم. بهذا نكتفي في شرح (نقش جامع بني

بكر) وعليه يكون محتوى النقش على النحو التالي:

• محتوى نقش جامع بني بكر يافع:

هؤلاء.... ووتر ودوس من (بني ريشان وادان) وعبدعم وهوفعم من

(بني ذي سفار) أقيال شعب سفار (سفال)-زبروا هذا النقش- بمناسبة

حسن اختيارهم وتوفيقيهم في تمهيد (عرصه) معبد الإلهة شمس رأس جبل

العر، وذلك بعون الإله عم وعزم شعبهم (تجمع قبائل) سفار وديدهم

في العمل...^{٤٩}

ويشير هذا إلى عادة (المعاون-جمع معون) في سرو حمير/يافع.
وفي الفقرة التالية شاهد نقشي آخر عن مكانة إله القمر(عم) عند قدماء الحميريين في (سرو حمير/يافع) :

• معبدا الإله عم في اللم وسلم:

في نقش يرجع إلى القرن الثالث للميلاد عصر ملوك سبأ وذو ريدان (المرحلة البتعية الهمدانية)، اكتشف محفورا على صخرة في أسفل قرنين [٢ كم شمال بيحان القصاب] ، هذا النقش (ربرتوار/٣٩٥٨) صاحبه القليل الردماني (نصر يهحمد المعاهري) ، الذي كانت (ردمان) في عهده تابعة للملك الحضرمي(العزيط)، حيث ذكرت هذه المواضع فيه:

وعم/ذميردم/بعل/سليم/ولمم.^{٥٠}

أما (سليم) فنرى فيها سلم(بدون تصويت) :

* سلم: (بفتحات) قرية ذكرها الهمداني وهي عامرة في الجنوب الغربي من السوادية بمسافة ثلاثة كيلومتر ويقال لها(ذو سلم).^{٥١}

وأما (للمم) فيقع بالناحية الشرقية من هضبة ضهر يافع (يافع العليا) وهو ما يعرف اليوم بقرية (اللم) لأن للمم هي (لم) فالميم الثالثة هي لاحقة التنوين العربية الجنوبية القديمة (لغة النقوش وعليه فلن (لم) هي :

*اللم : قرية تقع في حاز جبل (ثمر) الشهير، فيها أحد مساجد يافع العتيقة وتجن مقبرتها رفلت أجداد سلاطين الدولة القعيطية في حضرموت. وقد ذكرها (جزه لقمان) في عداد قرى الوسطة ثم القعيطي:

(أحمدي: ويسكنون المناطق الجبلية في قرى: (اللم) وتسمى أيضا اليم و(بعاله) و(ردهيه) و(الخلوة).^{٥٢}

فالتسمية العتيقة لهذه القرية هي (اللم) وتعرف لدى الأهالي (على مستوى يافع) أنها قرية تجتمع فيها القبائل اليافعية في أي شأن حلل، هذا ونفس المعنى نجد في لغة نقوش المساند:

(لم: تراضى ، اتفق مع أحد).^{٥٣}

ويشير هذان الموضعان الواقعا في حيز جغرافي واحد هو (سرو حمير/يافع) إلى أهمية إله الخصب(عم ذي مردم) أي مترل(البرد) وفي اللهجة اليافعية يقال:
* ميريد: إذا سقط البرد بكثرة. وقد عددت النقوش أوصافا شتى لهذا الإله فهو: (ريعن: الربيع)

أي (المتنامي) ، و(سهرم) أي (المتيقظ) دائما لحمايتهم وللاستجابة لتضرعائهم، و(ذرعتم) أي (صاحب الرفعة) ، و(ذميرقم) أي (صاحب البرق) الذي يرسل البرق المباشر بالمطر، و(ذ زرم) أي (صاحب الغيث المنهمر) ، ويفسر اللفظ (زرم) بهذا المعنى استنادا إلى اللغة العبرية ، حيث (زرم) هناك الغيث المنهمر.^{٥٤}

هذه هي نعوت إله قتيان(عم) الواردة في النقوش غير أنني أتوقف أمام أحد (نعوته) التي لأعييت الباحثين، فرجعوا إلى المعجم العبري الميت ! بينما ما زال النعت شائع الاستعمال في لهجة(سرو حمير/يافع) الغنية بغريب الألفاظ.

*زرم: سال المخاط من أنفه، فهو مزرمم ، والمخاط: زرممه جمعها زرامم.
زور: سكب من ألبوبة ضيقة .

وعليه ف(عم ذو زرم) هو (عم ذو القطر) استنادا إلى اللهجة اليافعية ، فيافع كانت بيعة أصلية لمعبود قتيان بلاشك ، وفيما يلي نسوق لكم أحد الشواهد الحية التي تؤكد طرحنا بأن (يافعا) كانت بيعة خصبة لإله الخصب (عم).

*شعم ب/عم ذ السنة

خير من العام:

هذا القول الشائع لدى اليافعيين يمكن قراءته على هذا النحو:

شعم ب/عم هذه السنة

خير من العام (الفائت).

هذا القول(الدعاء) يردده الناس في (يافع) عندما يبدأ موسم الخير فتأخذ(سبول) الدرة بالخروج من أكمامها وترى الطيور جذله، منكبة على بكير السبول.. وذلك الموسم يعرف لدى الفلاحين ب(القتور) وفيه يقولون:

(بالقتور ظلله العيله تدور)

أي (بالقتور ظلت العيلة(الفواخت) تدور).

نعم فمع أول بشارات الثمار يتهيج الناس، فتجدهم يشاركون طيور السماء بحيث يقطفون من هذه البشائر (بواكر السبول) فتأكل مشوية أو مسلوقة وعند تناولها يسمع هذا (الدعاء) الآتي من أغوار التاريخ وبجاهله التي لم يعد للناس معرفة بها:
(شعم ب/عم ذ السنة خير من العام)

* تشعم فلان: فاز بأول الشيء من غنيمة أو وليمة... الخ.

* العام: في اللهجة اليافعية يعني (الحول) ما قبل الفائت. أما العام الفائت فينطق (بالمدة): [عاما].
والناس بطبيعة الحال يجهلون معنى هذا الدعاء (فالمعنى كما يقال في بطن الشاعر)، وعلى كل حال فهذه معناه:

(تشعمنا بأول الثمر ببركة الإله (عم) ولتكن غلال هذه السنة بفضل خير مما في العام (قبل الفائت)).

وفي نقوش المساند ابتهل قدماء اليمنيين ب/بشائر الثمار ففي النقش (أرياني/ ٧٠) العائد إلى عهد الملك السبئي (نشا كرب يامن يهرحب/ ٢) في القرن الثالث للميلاد نجد:

/فرعم/أمورت/دثا/وخرفم/وسعسم/ومليم/

بحيث وفقا لتفسير الإرياني:

□ فرعم أمورت: بشائر الثمار.

□ دثا: الصيف.

□ خرفم: الخريف.

□ سعسم: الشتاء.

□ مليم: الربيع.

وفي لسان العرب:

(شع السنبل وشعاعه وشعاعه وشعاعه: سفاه إذا ييس مادام على السنبل.

وقد أشع الزرع: أخرج شعاعه).

[ابن منظور/لسان العرب/٨/مادة شعع].

ودليل آخر نسوقه هنا كشاهد على رسوخ الأقدام اليافعية في الثقافة القتبانية ، ومدى انغماسهم فيها:

• باء المضارعة القتبانية:

أثبتت نقوش المساند القتبانية ظاهرة لهجية فريدة وهي استخدام القتبانيين:

(الباء في أول الفعل المضارع القتباني علامة للرفع).^{٥٥}

فعلى سبيل المثال، وردت عبارة في النقش القتباني [كياس رقم ٤٧,٨٢/٠٢] نصها في السطر

الحادي عشر :

كل/منجو/بيكتربون.

(بحيث تقدير المرفوع بالفعل اعضاء العوائل كلهم، فالمراد (كل السوانح التي يوصلون بها)^{٥٦}
هذه الظاهرة مازالت شائعة الاستخدام في (سرر حمير/ يافع) حتى الآن، فالناس في يافع
يستخدمون (باء المضارعة) على هذا النحو:

بناكل ، بنشرب ، بنحرس

أي (ناكل ، نشرب ، نحرس).

بدرس ، بتلعب ، بيكتب.

أي (أدرس ، تلعب ، يكتب)

وفيما أعلم لا تنتشر هذه الظاهرة الصوتية في أي موضع آخر غير يافع لا في (بيحان) ولا في
نواحي (مرخة) أو غيرها من المناطق الشرقية التي كانت واقعة في قلب الدولة القتبانية. فلم يفتني قراءة
نصوص الرسائل التي تبادلها المستشرق السويدي (الكونت /كارلودي ليدبرج) مع وجهاء العوائل
وبيحان والواحدي وعملائه من المناطق الشرقية هذه. ولم أجد ل(باء المضارعة) هذه أثر في تلك
المراسلات التي قام بتحقيقها (د/ محمد عبد القادر بافقيه) في مجلدين : (المستشرقون وآثار اليمن) .
ولعمري فإنه إذا صحت هذه الخيانيات ، أي عدم ذبوع هذه الظاهرة اللهجية القتبانية فيما سوى
(يافع) التي مازالت حية في لمجتها اليومية ، فما على اختصاصي النقوش إلا اعتبار هذه الظاهرة
(يافعية) صرفة ، وتشهد على مدى النفوذ اليافعي القديم في الشؤون والثقافة القتبانية.

إلى جانب هذا الحضور الحميري الفاعل في الحياة الاقتصادية والثقافية والدينية للدولة القتبانية ،
نجد هذا المد يتزايد تأثيره في تلك العهود التي أعقبت الحرب الشاملة التي شنها المكرب السبئي (كرب
إل وتر) ليلبغ ذروته المهددة للوجود القتباني نفسه. فقد ذكر شوف (Schoff) مترجم كتاب
(الطواف حول البحر الأريري) المعروف ب(البريلوس) والعائد وفقا لرأي (شف) وآخرين إلى
منتصف القرن الأول للميلاد:

(أنه ومنذ نهاية القرن الثاني قبل الميلاد على ما يبدو أخذ الحميريون يقطعون أجزاء من
الأراضي التابعة لقتبان. وبنهاية القرن الأول قبل الميلاد ، تمت سيطرة حمير على الأجزاء الساحلية
وفقدت بذلك قتيان سيطرتها على التجارة البحرية).^{٥٧}

* ذو العلس: (ذعسلن/ربرتوار/ ٣٨٥٤) نقش حفر على أحد الألواح الحجرية الضخمة التي
بنيت بها البوابة الجنوبية لهجر (كحلان/ تمنع قلعا) ، ويعود إلى عهد الملك القتباني (شهر هلال بن

ذرا كرب) الذي يصف نفسه بأنه:

(ملك/قتين/شعبن/قتين/وذعلسن/ومعشم/وذعثم)^{٥٨}

أي ما معناه:

(ملك قتيان الشعب قتيان

وذى العلس

ومعين

وذى عشه /أو ذى عشم.

ترى في أي فترة حكم هذا الملك القتياني (شهر هلال بن ذرا كرب).^{٥٩}

الجواب بجده فيما ذكر (الرايت) ومفاده:

(أن ثلاثة ملوك قد أتوا بعد (ور إل غيلان) صاحب المصكوكات الذهبية التي تحمل اسم

قصره حريب... وأخيه الذي يظهر أنه خلفه في الحكم وهو (فرع كرب يهوضع)... وكان آخر

الثلاثة هو صاحب نقشنا هذا أي:

(شهر هلال يهقبض)

الذي يرى (فون وزمن) أن (تمنع) قد أحرقت على عهده حوالي (٩٠-١٠٠ للميلاد).^{٥٩}

غير أن ما يهمننا هنا هو الشعب (القبيلة) (ذو العلس) هل لما من باقية اليوم ؟

* العلسي: (صيغة النسبة إلى علس) : تعرف هذه القبيلة اليافعية باسم (بني علسي) أيضا وهم

أحد تفرعات (مواطنة يافع) ويتنسبون إلى الربع الأول من مكتب (ناحية) المرسطة في (هضبة ضهر

يافع) وأهم قراهم:

(صالب/حقبة/حصن حمار/وادي حيق/ذروة/تبرق/لقلع/الجعاون).^{٦٠}

وهذا في نظرنا يشكل شاهدا آخر على مدى النفوذ الحميري في شؤون الدولة القتبانية.

• الصعود الحميري:

إلى جانب ميناء (عصلة) على الساحل الأبيي، والإزاحة المتواصلة للقتبانيين من قبل الحميريين من

السواحل القتبانية ومع احتدام المنافسة على تجارة اللبان والمر، وبالذات الأبيض منه، الذي كانت

تفرد بانتاجه بلاد (دهسم) خلال أشد القبائل الحميرية بأسا. في أجواء المنافسة المحمومة هذه

للاستحواذ على مصادر الثراء:

(وحصر الحضارمة لمنطقة [ساكان/الساكل] والذي تعرف اليوم باسم (ظفار) ويقع في سلطنة

عمان ، وجعلها محمية لانتاج اللبان فأقاموا فيه ميناء خاصا (سمهر) تنقل منه حاصلات المنطقة بحرا إلى [قنا] ٦١.

ومع تمكن بطالسة مصر في الربع الأخير من القرن الثاني (ق.م) من اكتشاف توجهات الرياح الموسمية الأمر الذي أدى إلى الإبحار من موانئهم مباشرة إلى موانئ الهند: (خلال أربعين يوما عن طريق أعالي البحار [بدلا من الإبحار بمحاذاة الساحل، كما كان متبعاً من قبل] والعودة بعد ستة أشهر بالطريق نفسها) ٦٢.

هذه المستجات التي حصلت أثرت بدورها على ميناء (عدن). فلم تعد مسألة التوقف فيه باعتباره مرفأ للشحن والتفريغ ضرورية كما كانت سائدة في نظام تبادل السلع الذي كان قائما حينها. في هذه الفترة تماما ظهر على سواحل البحر الأحمر ميناء جديد هو ميناء (موزا) هذا الميناء المنافس يقع في نطاق السيطرة (الريمانية/نسبة لقصر الحكم في ظفار [ذي ريدان]) وعبره تحصل عملية تبادل السلع مع بلدان الساحل الإفريقي الشرقي... وفي هذه البيئة التنافسية أخذ الريدانيون يتطلعون نحو إحراز مكاسب سياسية من خلال توسيع نفوذهم الذي لم يكن ليحصل إلا على حساب (التاج السبئي) الذي أخذت قبضته بالتراخي تحت تأثير المنافسة الداخلية. وممكن بطالسة مصر من الاستئثار ببعض عوائد التبادل التجاري بين الهند وأوروبا.. وهي الصنعة التي كانت حكرا بيد قدماء اليمنيين.

(وبناء على إشارات بليبي بخصوص ميناء (موزع) فإنه يحق لنا أن نستنتج أن الحميريين كانوا قد وصلوا في عهد بليبي (+ح/٧٩م) إلى الساحل الجنوبي من البحر الأحمر وسيطروا على المعافر ، كما أقاموا حاضرتهم (ظفار) في المرتفعات على حدود سبأ) ٦٣.

وروفقا لوصف صاحب (الطواف حول البحر الأريتري) لميناء (موزع) فهو:

«مدينة تجارية يسودها القانون... مزدهرة بملاك السفن العرب والبحارة، مشغولة بالشؤون التجارية. فأهلها يتاجرون مع (الساحل البعيد) ومع (باريجازا) ويرسلون سفنهم إلى هناك.

(وموزا/موزع) بدون رصيف تربط به السفن ، لكن لها مرسى ومطرحا جيدا لطرح المرساة لأن قاع البحر رملي. والسلع الواردة إليها مؤلفة من الملابس الأرجوانية الناعمة والخشنه، تفصل مع الأكمام وفق الزي العربي . والثياب الصافية العادية والمزخرفة والممزوجة بخيوط الذهب وأقمشة الموسلين والعبات والوشاحات وقليل من البطانيات ومقادير قليلة من المراهم وقليل من الخمر والقمح ومقادير كبيرة من النبيذ.

وتقدم للملك ووالي المدينة الخيل والبغال والأواني الذهبية والفضية والملابس الفاخرة والأواني النحاسية.

وتصدر الأشياء التي تنتجها البلاد مثل المر وميعة البخور(القتبانية-المعينية) والرخام وغير ذلك من الأشياء التي سبق تصديرها من(افاليتس) و(الساحل البعيد) ٦٤.

هذا الميناء العاج بالتبادل التجاري يمكن أن يكون شاهدا على الثراء والازدهار الذي كانت تنعم به الدولة الحميرية والإمكانيات الهائلة التي أصبحت طوع أيدي رجالها المتطلعين لتوسيع نفوذهم وسلطتهم السيادية إلى أبعد بقعة داخل حدود اليمن القديمة. هذا الأمر أدى إلى احتدام الصراع بين وريثة العرش السبئي وبين الحميريين أصحاب القصر الملكي(ريدان).

• اختطاط صنعاء:

يرى (د/ بافقيه) أن التهديد الحميري المتزايد على التاج السبئي قد دفع بالسبئيين إلى اختطاط صنعاء في موقع تتقاسمه (سبأ وفيشان) إلى حوار (شعوب) حاضرة (مأذن) حيث أقامها أحد ملوك السلالة السبئية التقليدية المعروف باسمه:

(هلك أمر بن كرب إل وتر يهنعم/ I) أي أن هذا الملك وريث العرش من أبيه المعروف بنقش النصر الكبير (ربرتوار/ ٣٩٤٥) كان في واقع الحال في موقف الدفاع من غزوات الحميريين ذات الخطورة القصوى على الوجود السبئي... وهذا لعمري يؤكد ما ذهبنا من قوة الحضور الحميري اليافعي في العهود القتبانية وما طرحناه من تفسير لمسألة أولاد (عودم) الذين آثروا اللجوء إلى مناطق مأمونة داخل سبأ خوفا من العقاب الذي في انتظارهم على أيدي القبائل الحميرية المتحصنة في (سرو حير/ يافع) ويؤكد في ذات الوقت أن وقائع صاحب (نقش النصر) لم توجه مباشرة نحو بلاد(دهسم) أو مصالح القبائل اليافعية تجنباً للاضطدام بها، مما قد يخل بنتائج هذه الحروب الشاملة... فقد كانت سياسة احتواء كما ذكرنا آنفاً.

ولعل في إقامة صنعاء في عهد (هلك أمر) ملك سبأ وذو ريدان (GI.A.542) في تلك البقعة الحصينة دون المساس بمحاضره مقولة (بني مأذن) كان بعد ذاته مخالفاً للمألوف. فالسبئيون كانوا قبلها يلجأون إلى سياسة الاستيطان على حساب ممتلكات قبائل أخرى... ولكن هذه الطريقة الجديدة أريد بها كسب ولاء مقوله (بني مأذن) وهو الأمر الذي أكدته النقوش التي أعقبت تلك الفترة. ٦٥.

• ثورة بني ريدان في مرتفعات يافع:

لا نشك أن هذا المد الحميري الجبار والعاصف لم تكن قوامه القبائل اليافعية ذات السطوة مثل العناق (عنقيم توراتبيا) وفي طليعتها الأكلود (كلد) وغيرها من القبائل العتيقة والأعراف الحميرية العريضة

مثل (الذراحن) فحسب ، بل وكانت أيضا خلفه قوة اقتصادية ذات ثراء كبير وقدرة تمويلية تناسب هذا المد الكبير ، فقد ذكر (أجاثر خيدس) في الربع الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد: (ليس هناك من الأهم من هو أغنى من السبئيين والجرهائيين) (لعلهم الهجريون) الذين كانوا وكلاء كل شيء يقع تحت اسم النقل بين آسيا وأوروبا ، فإنهم هم الذين جعلوا سوريا البطالسة غنية بالذهب ، وهم الذين سهلوا للفينيقيين سبل التجارة المربحة).^{٦٦}

ترى من هم الهجريون هؤلاء ؟

هؤلاء هم أحد البطون اليافعية الرعينية كما ذكر لسان اليمن الهمداني : (ومن ذي رعين ذو ناخب وبنو هجر ولم يذكرهم أبو نصر، ومسكن الأهجور العرقلة من سرو يافع وهمل بالباء)^{٦٧}

هؤلاء الأهجور من الأذوائية الناخبية مسكنهم (العرقلة) أسافل وادي (ذي نلخب). (لمزيد من التفصيل أنظر الفصل اللاحق).

واليافعيون ما زالوا حتى اليوم أصحاب ثروة ، وفي عهد لسان اليمن الهمداني كانت لثروة الهجريين بقية في أيدي الأحفاد:

(والسياؤون ، وهم أهل الهجر... والأصووت ولهم ثروة...)^{٦٨}

نعم فالمد الحميري لم يكن له ليجتاح مناطق النفوذ السبئي اعتمادا على بأس الرجال المقاتلة فحسب أن لم تكن خلفه ثروات طائلة ومصالح تستوجب الحماية والدود عنها. لهذا السبب وفي أتون الصراع السبئي الحميري احتدم خلال القرون الأولى قبل الميلاد، يرى (د/بافقيه) أن إقامة (صنعاء) كانت من الضرورة بمكان لمواجهة المد الحميري، فعلى الرغم من الهزيمة النكراء التي مني بها الحضرميون في الجوف في عهد أحد ملوك اللقب المزروع سبأوذي ريدان) وهو: (كرب إل بين بن ذمار على ذرح) الأمر الذي نص عليه نقش (جام/٦٤٣) فإن الأخطار المحدقة بالوجود السبئي من جهة حمير استمرت بنفس الزخم، ففي عهد خلفه مباشرة: (يهقم بن ذمار على ذرح) ثارت شعوب بني (ذي ريدان) في مرتفعات يافع.

• ثورة الشعوب الريدانية في مرتفعات يافع:

كرس وقائع ثورة (بني ريان) في مرتفعات (سرو حمير/يافع) نقش حميري هو حتى اليوم مازال في موقعه مثبتا في جدار البهو الخارجي ل(مسجد الحصن) في قرية (الديوان) البعسية اليافعية الواقعة في الحواز الجنوبية لجبل (ثمر/وزان مطر) الشهير ، وهي أي قرية (الديوان) حلال بعض قبيلة

(الهوري) من مكتب لبعوس أحد مكاتب (سرو حمير/يافع) العشرة. ٦٩

وقد تناول هذا النقش بالتحليل والنشر الباحثان المختصان في آثار وتاريخ اليمن القديم وهما الفرنسي (كريستيان رويان) والسويسري (فرانسوا بريتون) وذلك إثر إشرافهما على حفريات بعثة المركز الفرنسي للأبحاث في منطقة الحد (يافع) عام ١٩٧٦ للميلاد... وفي واقع الحال إن هذا النقش لم يكتشف في أي من خرائب الحد مما حفز باحثين يمنيين هما (د/محمد عبد القادر بافقيه) و(أحمد باطايع) في عام ١٩٨٨ إلى نشر دراسة تصويبية في مجلة (ريدان) حددوا فيها من بين أمور أخرى مسألة تتعلق بتوثيق النقش حيث عرف خطأ باسم (روبان-بيرون-بكر) في حين يقتضي موقعه في (مسجد قرية الديوان) إعادة توثيقه باسم نقش مسجد الحصن بالديوان). ٧٠

وحيث أن هذا النقش يؤرخ لتاريخ (سرو حمير/يافع) وثورة (بني ذي ريدان) في مرتفعاته في عهد الملك السبيعي (يهقم بن ذمار علي ذرح) فإنني هنا سأعرض لبعض الجوانب التي لم يلتفت محققوا النقش إليها وهي لا تقل أهمية عما توصل إليه أهل الاختصاص (روبان-براون/بافقيه-باطايع) ونص النقش بالحرف العربي نقلاً عن الحرف المسند:

(١) إل ثوب/ذ شرح إل/وبنهو/مشأم.

(٢) بنو/سهمن/برأو/وهقح/ييههو/يسف.

(٣) ر.. ر/ز ذ هر هو/هس/يهقم/ملك/سبأ/يوم.

(٤) شتا/عل/أشعب/ذو ريدان/بضرم/يوم/هو ضأو.

(٥) أهجر/علت/وجباو/ييههو/برده/الهمو.

(٦) (؟) شيان/بعل/ثمر/واشمسهمو/و... ٧١

ويحتوى النقش عند (بافقيه/باطايع) :

إل ثوب ذو شراحيل وابنه مشأم بنو سهمان بنو وجصصو يسف (بالسين الثانية) (عص) ر الذي دهره (أي دمره حرقاً) هيس يهاقم ملك سبأ حين شن حرباً على شعوب ذي ريدان التي اجتاحت مدن عله ، وقد أعادوا بناء بيتهم برده التهمم شيان مولى ثمر وشموسهم و... ٧٢

هكذا فنقش (مسجد الديوان /لبعوس) اليافعي يعود بنا إلى عهد آخر ملوك السلالة السبئية

التقليدية المعروف في نقوش المساند باسمه الكامل : (يهقم بن ذمار علي ذرح).

أي أنه قد حكم اليمن القديمة خلفاً لأبيه (ذمار علي ذرح) الذي يعتبره أهل الاختصاص الملك الخامس من السلالة السبئية التقليدية التي توارثت مقاليد الحكم تباعاً ، حيث كان المؤسس فيها المكرب

السبئي (ذمار علي يهنعم) ثم (ذمار علي بين) الذي يظهر في (كرونولوجيا ملوك سبأ وذي ريدان) التي وضعها المؤرخ اليمني (د/ محمد عبد القادر بافقيه) في موقع خليفه المكرب المؤسس. أما الثالث فهو المكرب السبئي الشهير بفتوحاته المحلية أي (كرب إل وتر يهنعم) وفي دور الخليفة الثالث أي الرابع في هذه السلالة يتناوب الحكم ملكان هما (هلك آمر بن كرب إل وتر يهنعم) صاحب (صنعاء) أي الذي اختطت صنعاء في عهده كما بينا آنفا في إطار استراتيجية لصد الزحف الحميري على معاقل التاج السبئي. وتظهر النقوش أن (هلك آمر) هذا قد خلفه أو شاركه في كرسي العرش أخاه (عمدان بين يهنقبض) وذلك في ظل ظروف استثنائية كما يرى بعض أهل الاختصاص.^{٧٣} وكان قد تولى الحكم بعدهما والد (يهقم) الملك المذكور في نقشنا ، ونقصد به (ذمار علي ذرح) الذي خلفه ولده البكر (كرب إل بين) ثم ولده الثاني (يهقم بن ذمار علي ذرح) الذي ظهر على العرش خلفا لأخيه (كرب إل بين بن ذمار علي ذرح) في ظروف ليست طبيعية أيضا. نعم فقد كان على الملك (يهقم) أن يتصدى لثورة (بني ذي ريدان) التي شبت في مرتفعات يافع كما يخرنا نقشنا (نقش ديوان لبعوس) وأدت إلى اجتياح مدن (عله) من قبل شعوب (قبائل) (بني ذي ريدان). وعلى الرغم من عزوف (بني سهران) أصحاب نقشنا هذا عن ذكر قائد الثورة الريدانية، فإن معاصرة الزعيم الحميري (ياسر يهصدق) لآخر ملوك السلالة السبئية التقليدية (يهقم) ومن ثم انعام (بني ذي ريدان) باللقب المزدوج على (ياسر يهصدق) هذه المعطيات حدثت بأهل الاختصاص إلى تبني القول بزعماء (ياسر يهصدق) لثورة حمير التي حركتها قبائل يافع (شعوب بني ذي ريدان) في إطار الصراع السبئي الحميري، الأمر الذي سارع الملك (يهقم) إلى محاولة اخماد نيرانه تماما كما حدثنا النقش.^{٧٤}

ونقش (ديوان لبعوس) أو نقش (مسجد الديوان) أو وفقا للتسمية التي أطلقها (بافقيه/باطايع): (نقش مسجد الحصن بالديوان) ما زال بحاجة إلى قراءة جديدة خاصة فيما يتعلق بالجغرافية التاريخية التي نص عليها وعلى وجد التحديد (اهجر/علت) أي (مدن عله) التي تعرضت للاجتياح من قبل (اشعب/ذو ريدان) أي (شعوب ذي ريدان = قبائل سرو حمير/يافع) فهل يمكن لنا الإهتمام إلى (مدن عله) ؟

• مدن عله: - وردت عبارة:

(يوم/هوضأو/اهجر/علت) في السطرين الرابع والخامس من النقش وقد اعتبرها (بافقيه/باطايع) (تعود على شعوب ذي ريدان وليس على الملك . فالملك (يهقم) شن حربا عليهم حين خربوا (؟) أو اجتاحوا (مدن عله) .)^{٧٥}

إذا ف(مدن عله) كانت مسرحا لوقائع (الثورة الريدانية) ولم يفصل (بافقيه/باطايع) في أمرها أو تحديد موقعها سوى الإكتفاء بتحديداتها (تخمينا) على خارطة ملحقه (بالدراسة).

حيث ظهرت على الخارطة بصيغة (علأة) بحيث شملت بعض أراضي (منطقة الحد) وبالذات المخاضية لمنطقة (السوادية) التي اشتهرت تاريخيا بأنها معقل (أقبال شعب حولان وردمان) المعروفين ب(ذي معاهر) وهي الموقع الذي اكتشفت فيه (آثار المعسال) و(نقش القصيدة الحميرية) التي تسولي ترجمة نصها المسندي (د/يوسف محمد عبد الله).

ويبدو أن (بافقيه/باطايع) في تحديدهما لموقع (مدن عله) على النحو الذي أظهرته الخارطة الملحقه بالدراسة المنشورة في حويله (ريدان/٥) قد آتسا في شهرة منطقة (حد يافع) كميدان لمعارك لا حصر لها طالما نشبت بين (قبائل يافع) وحضرمها من الغزاة الطامعين باخضاعها عبر أدوار التاريخ، هذه الظاهرة هي التي دفعت أو شجعت (بافقيه/باطايع) على تخريجهما لموقع (مدن عله) على النحو الذي نوهنا به. ونحن هنا نجعل من هذا التخريج أحد الاحتمالات ونرفد هذا التخريج بطرح جديد يقوم على إعادة قراءة النص المسندي ذاته، فالمقصود بعبارة: (بيوم/هوضأو/اهجر/علت)

ليس: حين خربوا أو اجتاحتوا (مدن عله) بل إننا نرجح أن المقصود بهذه العبارة:

(حين ألجوا أو آثاروا [مدن عله]). فمن هم ياترى أولئك الذين ألجوا أو حرضوا (مدن عله) الحميرية ؟ لاشك أن قادة وزعماء الثورة من (بني ذي ريدان) هم الذين استثاروا (شعوب ذي ريدان) وحركوا فيهم روح التمرد والثورة ضد السلالة التقليدية السبئية ، فشبت الثورة منطلقة من (مدن عله) الواقعة في الصميم من (سرر حمير/يافع) . فلفظة (هوض ، هيص) ما زالت متداولة على ألسنة (ممن لسان) الناس في مرتفعات يافع وتعني : (آثار أو ألج) وفي معجم الفصحى :

قال ابن بري: هيصه بمعنى هيجه ؛ قال هيمان بن قحافة:

(فعيضوا القلب إلى قفضه).^{٧٦}

وهكذا فقد كانت هبة الملك (يهقم) ضد شعوب (ذي ريدان) ليست بغرض استعادة (مدن عله) التي انطلقوا منها ، ولكن بقصد التصدي لزحف حمير على مناطق النفوذ السبئية خاصة إذا اعتبرنا بمعنى لفظة (شتا) كما هي دارجة اليوم في لهجة (سرر حمير/يافع) ولكن بإبدال الطاء من التاء ف(الشطة تعني الضربة، وشطشطه تعني أثخنه ضربا) وعليه فقد وجه الملك السبئي ردا على تغفل (مدن عله الريدانية) شطه أو ضربه لبعض أطراف (سرر حمير/يافع) الأمر الذي جر على (بيت بني سهمان) بالحرق أو النهب ولكن انقشاع هذه الضربة دفع (بني سهمان) إلى إعادة ترميم بينهم وإعادة

سقفه هو المقصود بلفظة (جباو) . ويتسق ما ذهبنا إليه مع تحديدنا لمواقع (مدن عله) ، فأين كانت (مدن عله) وهل لها من باقية ؟

• مدن علة:

ذكر لسان اليمن الهمداني في (الصفة) بعض مواطن وأودية (سرو حمير) ومنها قوله:
(وعلة الأصوات من يافع)^{٧٧}

وقد اكتفى محقق الصفة (محمد علي الأكرع) بالإشارة إلى هذا الموضع بالقول:
علة: بفتحين وقد تشدد اللام ، ويقال فيها العلة بالالف واللام: وهي قرية لا زالت حية.^{٧٨}
وحيث أن (علة) هذه قد أتت عند الهمداني منسوبة ل(الأصوات) فقد أخفق (الأكرع) في التعريف ب(الأصوات) بقوله: الأصوات: بالتاء المثناة آخر الحروف، وهم الذين يدعون بآل الصيان.^{٧٩}

والواقع أن (علة): وزان سلة: هي قرية معروفة وعامرة تقع اليوم في لحف قمة جبل (سنام) المشرفة على رأس وادي (يهر) من جهة (ضهر يافع) المعروف ب(الموسطة)... أي أن (علة) تقع في (الوسط) من (هضبة ضهر يافع) أو (يافع العليا) وهي حلال بعض قبائل مكتب (ناحية) الموسطة لذلك فهي (للمواسط/الأوسط) أو الأصوات ببدال التاء من الطاء الذين هم (الأصوات) عند صاحب صفة جزيرة العرب. وقمة جبل (سنام) التي تستضيف قرية (علة) وتحف بها عدد من قرى الموسطة هي فسيحة منيعة فيها من الآثار والخرائب ما يشهد على مجد (علة) في القرون الخوالي وفيها يقول المؤرخ الياضي المعاصر (صلاح البكري)-رحمة الله عليه- :

(ذهبنا إلى جبل سنام... ولقد شاهدنا على سفح الجبل منازل أثرية (خرائب) قد تناثرت أحجارها وخزانات للماء منحوتة في الصخر ، ورأينا سردابا منحوتا في قمة الجبل تتخلله فتحات ضيقة قيل أنه كان سجنا في عصر ما قبل الإسلام ، ولم نجد هناك نقوشا حميرية منحوتة في الصخر ، وقد قال لنا أحد المزارعين هناك أن أباه عثر في السرداب منذ سنين على لوحة من الرخام عليها كتابات حميرية وأنه أهدى هذه اللوحة الأثرية للسلطان (عيدروس بن محسن العفيفي) سلطان يافع السفلى).^{٨٠}

وهكذا فإن نقشنا هذا يضعنا أمام جانب هام من الجغرافيا التاريخية ل(سرو حمير/يافع) حيث كانت في العهود التقليدية العتيقة، تطلق تسمية شاملة على (هضبة ضهر يافع) هي (علة) وكانت قرى ومدن (يافع بني مالك) تنسب إلى (علة) على النحو المرسوم في النقش أي (اهجر علت/مدن علة).

وقد تخلف هذا الاسم في قرية (علة) التي نرجح أنها كانت حاضرة ل(سرو حمير/يافع) في تلك العهود الغواير.

أما مناسبة النقش فهي إعادة إعمار بيت أصحاب النقش المسمى (يسف عصر) بعون إلههم (شيان) . فما هي دلالة هذا الإله ؟

• شيان:

ساختلف محققوا النقش في جنس هذا المعبود (شيان) فهو عند (روبان/برون) إلهة أنثى جاء ذكرها أيضا في نقش (ربرتوار/٣٥٨١) في سياق ذكر فيه الإله (عم) في معبد (واني) ثم (شيان) ... غير أن (بافقيه/باطايع) انكروا ما ذهب إليه (روبان/برون) من أن (شيان) إلهة أنثى، فلم يثبت من مراجعة النص عند (جام) فالاسم جاء هناك مذكرا كما هو هنا.^{٨١} ونحن نميل إلى رأي (بافقيه/باطايع) ف(شيان) هنا هو بعل أي سيد جبل (ثمر) فهو إله مذكر ، والدلالة اللغوية لهذا الاسم تعقد صلة بينه وبين القطر والمطر:

شن: الشن الصب المتقطع ، والسن: الصب المتصل ؛ ومنه حديث ابن عمر:
(كان يسن الماء على وجهه ولا يشنه أي يجريه عليه ولا يفرقه. والشنين والشنين والشنان:
قطران الماء من الشنه شيئا بعد شيء ؛ وأنشد :

يا من لدمع دائم الشنين.^{٨٢}

وفي باب (شيا) نقرأ:

الشيان : البعيد النظر.^{٨٣}

إذا فمولى ثمر الإله (شيان) هو إله للقطر والمطر عرفته قبائل (سرو حمير/يافع) منذ قديم العصور وهو في نظري تجلي آخر لإله القمر الشهير عند القتبانيين بالإله (عم) ... ووفقا لتتويه (روبان/برون) فقد ذكر (شيان) في سياق واحد مع (عم) و(اني) كما في نقش (ربرتوار/٣٥٨١) أما (بنو سهمان) أصحاب نقش (مسجد الحصن بالديوان) فقد نعتوه ب(بعل ثمر) أي (مولى ثمر) . وقد نوه (بافقيه/باطايع) بجبل (ثمر) شمالي قرية (الديوان) وما وجود معبد للإله (شيان) رأس جبل (ثمر) إلا شهادة دامغة على صحة ما ذهبنا إليه في قلب هذه الدراسة عندما عرضنا لآثار الإله (عم) في (سرو حمير/يافع) وحققنا موقعي معبدي لإله القمر هذا في نطاق (سرو حمير/يافع) فقد ورد ذكر (عم) في نقش (ربرتوار/٣٩٥٨) على هذا النحو:

(وعم/ذ مبردم/بعل/سليم/ولمم)

حيث عثرنا على (سليم) في (السراوية) في حين كانت (لمم) هي قرية (اللم) الواقعة اليوم في حاز (جبل ثمر) إذ تربض عند سفحه الشمالي.
وهكذا فاله المطر (شيان) كان له معبد رأس ثمر منذ ما قبل عهود (السلالة السبئية التقليدية) وفي سفحه كان معبد إله القمر (عم ذي/لبرد/أي منزل البرد) و (جبل ثمر) هذا هو المقصود في قول الحمداي:

(ثمر للذراحن من يافع):^{٨٤}

نكتفي بهذا فيما يتعلق بجغرافية النقش التاريخية وتحقيق المواقع. ونعود إلى سياق الصراع السبئي الحميري في تلك العهود العتيقة ودور (شعوب ذي ريدان) أو قبائل (سرو حمير/يافع) في تحديد تبعات ذلك الصراع ورسم مسار أحداثه. وبكلمة أدق دورهم في ترتيب البيت اليمني آنذاك:

فقد بلغ التحدي الريداني ذروته حينها في استيلاء قبيلة (شداد) الموالية ل(بني ذي ريدان) على قصر (سالحين) بكارب. وقد كلف الملك (يهقم) الذي كان حينها في صنعاء قبيل (غيمان) باستعادة القصر الملكي وملاحقة العصاة [جام/٦٤٤].^{٨٥}

• الحميريون على مضارب صنعاء:

تمكن الريدانيون في أواخر القرن الأول ، وأوائل القرن الثاني ، من الزحف على قاع (جهران) واحراز سيطرتهم على النواحي المحيطة به... عندها اتخذوا اللقب المزدوج من جانبهم (كوروبس/٤٠) وكانوا محقين في اتخاذه لأنهم أصبحوا يحكمون جزء من أراضي سبأ إلى جانب أراضيهم الأصلية التي يرمز إليها في اللقب ب(ذي ريدان).^{٨٦}

الفصل الخامس عشر

يا فم في عصر تشعب الصراع السبئي والريداني

• الذراحن:

- (بفتح الدال المعجمة والراء بعدها ألف ثم حاء مهملة مكسورة آخره نون). وردت في نقوش القرن الثالث بعد الميلاد كأحد البطون الحميرية السبئية... ففي النقش (٣٣ ملحق "أ") من مجموعة الكهالي المنشورة في كتاب (الأستاذ مطهر الإرياني): (في تاريخ اليمن نقوش مسنديه وتعليقات). أصحاب النقش هما:

(عمر يغنم) وأخوه (ياسر) و(عبيد) من:

(بني ذرحن) من القادة (مقتت) التابعين للقيلى الغيماني (دومان يازم ذ غيمان) ، ومناسبة النقش هو تقديم نذر سلامه للإله (ثهوان بعل أوام) وفي النقش لا يظهر أنهم تابعين لأحد ملوك تلك الفترة...^١

وفي النقش (٢٢/أرياني) ويرجع إلى عهد: (نشا كرب يهامن يهرحب/٢) ملك سبأ وذى ريدان بن(إلى شرح يحضب/٢ ويازل بين) ملكي سبأ وذى ريدان. و(إلى شرح يحضب/٢) كان الأب الشرعي ل(نشا كرب يهامن يهرحب/٢) لكن حرص الأخير على ذكره لوالده في صيغة من الثنائية التي تجمع الأب (إلى شرح يحضب) والعم (يازل بين) ملكي سبأ وذى ريدان-العائدة إلى عهد الأب- تشير إلى دالتين:

الأولى: أرجعها (بافقيه) إلى احتراس الابن من مغبة نسبه إلى (إلى شرح يحضب/١) .^٢ الثانية: نرى فيها إجلاله للصيغة التي ترجع إلى عهد والده ، وربما إكراما لعمه الذي لم يكن له حظ في الأولاد الذكور ، ومن المرجح اقتران (نشا كرب) من إحدى بنات عمه (يازل بين) . فقد تكون هذه الأمور مجتمعة هي السبب في ظهور (نشا كرب) في النقوش بصيغة أبوة مزدوجة كما لاحظنا.

أما هذا النقش (٢٢/أرياني) فصاحبه أيضا القيلى (دومان يازم) من أقيال (غيمان) أرباب القصرين (ذرحان) و(يحضر) حكام قبائل (غيمان) وحلفاؤه وأتباعه من قبائل:

- ذ يكن.
- ماوره.
- نواس.

أما مناسبة النقش فتقدم عشر ثمار أقياضهم ومزارعهم شكراً وحمداً للإله (الملقة ثهوان بعل أوام).
وقد حقق الأستاذ (مظهر الإرياني) [ذرحن] بقوله:
(ذرحن: وردت (ذرحن) في النقوش (جام/٦٩٥/٧١٦) و (ذرحان): معروفة اليوم بين (صنعاء)
و(شباب أقيان) على بُعد نحو عشرين كيلومتر شمال غربي صنعاء وهو من أرض همدان.^٣
وحيث لم يعرف الأستاذ (الإرياني) إلى:
(محضر/وذيكن/وموريم/وناسم)
سبيلاً فإننا نجعل هذه المعطيات بين يديه وخدمة للباحثين في تاريخ اليمن القديم ، ونسأل الله
تعالى التوفيق:

• الذراحن:

ذكرهم الهمداني في عداد البطون الحميرية النازلة (سرو حمير/يافع) الخارجة من صلب (يافع بن
قاول) حسب رواية (محمد بن مسلم) /الكليل/٢/ص ٣٠٤ .
وفي (صفة جزيرة العرب / ص ١٧٣) قال :
(ثمر للذراحن من يافع) / صفة/ص ١٧٣ .
وفيهم يقول (الأكوع) [ه/الصفة] :
(الذراحن قبيلة معروفة ومشهورة إلى التاريخ منها في يافع ومنها في (جبين) الذي كان تابعاً
ليافع في القديم . / صفة/ص ١٧٣) .
وفي (قرة العيون باخبار اليمن الميمون) (لأبن الديبع) يقول الأكوع (محققه):
(والى ذراحن (جبين) تنسب السلالة الطاهرية فهم من أرومة يمنية ونبعة يعربية من قبيلة
(الذراحن) الحميريين سكان (جبين). [قرة العيون/ه/ ص ٤٠٥] .
وهم اليوم ما زالوا يعرفون في يافع بالصيغة التي وردت في (٣٣ ملحق "أ") تماماً: (بني ذرحن).
ولا يسكنون في جبل (ثمر) كما ذكر الهمداني في (الصفة) ف(ثمر) في شرق (هضبة ضهر يافع)
وجبلهم يعرف باسمهم في الطرف الغربي لهذه الهضبة ، فهو (جبل الذراحن) ، ولا ارتفاعه الشاهق
يعرف أيضاً باسم: (الجبل لعل/ أي الجبل الأعلى).
وهو كذلك بالفعل إذ يعد بحيدة:
* عريب: (وزان زينب): أرفع جبل في (سرو حمير/يافع). وفي شماله الغربي يظهر على مرمى
البصر أحد جبال السرو الشهيرة والمذكورة في (صفة جزيرة العرب) في عداد بلاد الأعضود وهو:

* جبل حرير: (بصيغة أجود الأقمشة [حرير]). وللدراحن في جبلهم قرى ووديان كثيرة أهمها:

- الشرفة: وهي رأس مشيخة (الجبل لعلي) وإليها تنسب ثلاث فخائد هي:
- المقييسي: ومنهم بيت بن حمزة مشايخ (الجبل لعلي).
- آل عبادي: ومنهم بيت قاضي الجبل لعلي.
- الجوييد: ويُعرف أيضاً (بن نسر).
- ومن القرى التابعة للشرقي:
- غمدان.
- إكلي.
- الشجرة.
- سادان ، وكلها تلحق العبادي منهم.
- نوبة الدكام.
- المسيل.
- نوبة جعفر: وتلحق بفخذ الجوييد.
- الهجر.
- وزاق الضي.
- القرين.
- العرشة: وكلها تلحق بفخذ المقييسي.
- البركة: ويُعرف أهلها بالبركي ومنهم:
- آل الحميد.
- الجثام.
- المشدلي.
- وتتبعها (حالة المطري) و (بيت الهميسي).
- الزمعر: ينقسم الزمعري إلى الفخائد التالية:
- الدغفلي: وهم بيت المشيخة في ناصفة الدراحن العليا.
- الأحموس: حلالهم قرية (المسوح) و(شيهج).

• آل الشريف: وبعضهم في وادي (عقور).
• أهل علي (ملي).
ولعل أجمل قرى الناصفة العليا هي اليوم قرية (الغراء) حلال النقاشين ويتبعون فخذ الشريف
والخالدي.

أما أهم أودية الذراحن فهي:

- ♦ وادي أسيد.
- ♦ وادي ذي بوكل.
- ♦ وادي حرمه.
- ♦ وادي تي حجل.
- ♦ وادي جراح.
- ♦ وادي فطاط.

وكلها في رأس الجبل. أما ما كان في صفح الجبل فأهمها:

- وادي حاله.
- وادي المسوح.
- وادي شيهج.
- وادي غمدان.
- شعاب الذراحن.
- وادي عقور.

هذا ويشارك (الذراحن) سكنهم في (الجبل لعل) بنسب عمومته المعروفون بـ (الدهارش)
و(السليمان).^٤

وقراهم وأوديتهم كثيرة في رأس الجبل وسفوحه الغربية.

هذا وقد تطرقنا إلى تاريخ وجذور أحد البيوت السليمانية في (الجزء الأول من كتابنا) ونقصد به
(المرادعة/ذو المردع) أحد جرائيم عمالقة حمير.

وإذا كانت قبيلة (الذراحن) العريقة تشكل اليوم أغلب سكان مدينة (جبن): (وزان تب/الوادي
الشهير) الواقعة في الأطراف الشمالية لـ (سرو حمير/يافع) ، إلى الجنوب الشرقي من حاضرة الدولة
الطاهرية الشهيرة بـ (المقرانة) ... ومن ذراحن (جبن) ظهرت إلى الوجود السلالة الطاهرية في

(منتصف القرن التاسع للهجرة) وحكمت معظم بلاد اليمن حتى (أوائل العقد الثالث من القرن العاشر للهجرة) حيث اُهارت في عهد أشهر ملوكها (الظافر عامر بن عبد الوهاب الطاهري) بعد حرب طاحنة مع الجراكسة (شراكسة مصر) الذين لولا امتلاكهم آنذاك ل(البندقية النارية) (البارودة) لما حصل لهم الغلبة على رجال (عامر بن عبد الوهاب) الذين كانوا يقاتلون بالسلاح الأبيض^٥

• جبل مسلم:

أو (جبل المسلمي) ينقسم إلى خمسين (الخمس = الجيش القبلي في لغة نقوش المسند) من خموس مكتب (ناحية) يهر في (يافع بني قاسد) أحدهما يعرف ب(الرحاني) (صيغة النسبة من الذراحن) فهم بعض من قبيلة (الذراحن) العريقة هذه.^٦

هؤلاء هم (بني ذرحن) ، فهل لحلفاء القيل (الغيماني) من باقية ؟
الإجابة نسوقها في التالي:

• ذیکن:

(ذكن/بدون التصويت) هكذا وردت في النقش [مسند/ ٢٢ إرياني] وقد تخلف اسم هذه القبيلة في أحد قرى قبيلة (بني مسلم) الشعبية (من مخلاف الشعب) اليافعي الواقع في أطراف (سرو حمير/ يافع) الشمالية الغربية ، وتتبع (بني مسلم) في داعيها مشيخة (المفلحي) في :
(وادي خله) : وهو من أودية (سرو حمير) التي ذكرها الهمداني وعدها في أودية (جعدة حلال وأحلاف سرو حمير)^٧ . ومن قرى المسلمي:

• ذي كنيه.

• لقدام.

• الشجر.

• القرعة.

وإلى الجنوب منها يشمخ جبل (حرير) وأهاليه من ذوي الأصول اليافعية.^٨
وعليه فهذه القبيلة التي عها القيل الغيماني (دومان يازم) في حلفائه هي ما يعرف اليوم ب(ذي كنيه) حيث : ذ/يكن = ذي/كنية (يكن = كني) [بالقلب].

• مورتم: موره:

(الميم لاحقة التنوين في لغة النقوش القديمة) ٠٠٠ وفي (سرو حمير) موضعان يقعان في نطاق قبيلة (الذراحن/١) وهما:

١) موره: قرية في وادي (يهر) في سفح جبل (مسلم) وهي للذراحن ولهم وديان وقرى كثيرة في هذا الجبل.

٢) موره: مباتل زراعية في رأس وادي (عقور) الذي ينحدر من سفح جبل الذراحن ، ويذهب جنوبا حتى يخرج إلى وادي (يهر). و(موره) هذه هي ل(التركي) صاحب (المصنعة) إحدى قرى (الدهارش) أخوة (الذراحن) يشاركونهم في ملكية (موره) (عيال جابر علي) أصحاب قرية (الظفر) الربيعية.

• نأسم:

(الميم لاحقة التنوين العربية الجنوبية): (نأس) = (نواس).
نواس: ذكرها الهمداني في عداد (سرو مذحج) لبني (زائدة) منهم:
(وهو اليوم ما زال قائما باسمه ودعوته في (آل ديان) حي ووطن من بلاد البيضاء المحددة ليافع).^٩

• يحضر:

هذا القصر المذكور في النقش (مسند/٢٢) نجد قرينه في النقوش القتبانية ، ففي نقش (ربرتوار/٣٥٠٧) المكتشف محفورا على لوح حجري استعمل في جدار بناء في هجر(حسو الزرير/هربت قديما) :

١. شعبن/ذهربت/حور/هجرن/سوم/براو/وسوثر/وسشقر.

٢. ذن/محفدن/يحضر/.....^{١٠}

وفجواه :

١. الشعب (ذو هربت) سكان مدينة (سوم) شادوا ووثروا (أسسوا) وشقروا.

٢. هذا المحفد (القصر) (يحضر).

وقد عرفت مدينة (سوم) أي (سوا) في النقوش ، ومنها أحد نقوش (محرم بلقيس) العائدة إلى القرن الثالثة للميلاد (جام/٥٨٥) في عهد (إلي شرح يحضب/٢ وأخوه يازل بين):
* سوم: قرية في بلاد المعافر جنوبا بقليل من (تعز) . و(سوا) جاءت عند (بليني) اسما القرية يقيم بها الحاكم المعافري.^{١١}

وعلى الرغم من أن (محضر) الواردة في النقش القتياني (ربرتوار/٣٥٠٧) العائد إلى القرن الثاني قبل الميلاد ، يرى فيها أهل الاختصاص إشارة إلى مقبرة باسم (محضر) فلن أميل إلى المعنى الوارد في كتب لسان اليمن الهمداني لمفرده (محضر) بمعنى الحلة أو القصر نحو محضر (حنص) لصاحبه (ذي يهر) بجوار صنعاء من جهة شمالها. وعليه فقد يكون هذا القصر (محضر) (حنو الزوير) قد آلت ملكيته في القرن الثالث للميلاد لأرباب (المقولة) الغيمانية أو أن (محضر) هذا كان قائما في نطاق (سرو حمير/يافع) وعلى وجه التحديد في أحد الأودية التي عدها الهمداني ل(جعدة) حلال واحلاف يافع وهو وادي (حضر):

* حضر: محضر/بالتصويت: وتخرقه محجه عدن إلى صنعاء... وقد حققه (الأكوع) في بلاد الحواشب من (الضالع) يبعد عن (قعدة) جنوبا نحو ثلاثين كيلا.^{١٢}

روادي (حضر) يقع اليوم في (الضالع) غير أنه ليس في أملاك (الحواشب) بل لقبيلة يافعية أصيلة هي (الشاعري):

وهم في الأصل من يافع ، وفيه قرى ل(آل البيشي) في :

• أعلى وادي (حردبه).

• الحربية.

• الدمنة.

• الحقل.

• الجرباء.^{١٣}

هذه الشواهد التي عرضنا لها في تحقيق نقشي (دومان يازم ذي غيمان) ترشدنا بلا شك إلى قراءة المسكوت عنه من تاريخ (سرو حمير/يافع) غير الاستدلال بالمنطوق في النقشين: (أ-ملحق ٣٣ + ٢٢).

وعلاقة (المقولة) الغيمانية بشعورها (حسب المفهوم النقشي) أي قبائلها الحميرية الموطن والانتماء تفيدنا في تأسيس رؤية عميقة لموقف يافع من الصراع الدائر آنذاك بين سلالة الحكم السبئية وخصومها من (آل ذي ريدان).

فمهما بعدت المسافة بين الأذوائية (الغيمانية) بمحصنها الشهير (غيمان) أحد محافد حمير ورمزها إذ مازال ذلك الحصن قائما معمورا في (بني بملول) من (حولان العالية/الطيال) تحتلظ في دياره أنفاس الأحياء بشدا العهود الخوالي ورسومها الباقية في مداميك تلكم البيوت... و(غيمان) هذه هي

المقصودة في أبيات منسوبة عند الإخباريين إلى التابع الشهير ب(أسعد الكامل) وهو (أبكر ب أسعد)
ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وعمه وأعراسهم طودا وقمامة:

وغيمان مخفوفة بالكروم لها بهجة ولها منظر
لها كان يقبر من قد مضى من آباءنا ولها نقبر
إذا ما مقابرنا بعثرت فحشو مقابرنا الجواهر^{١٤}

هذه المسافة بين (غيمان) مقر القيل (دومان يازم) من جهة ومواطن القبائل الحميرية الواقعة في
حيز (سرو حمير) التابعة له وهي:

- ذي كنية.
 - موره.
 - نواس.
 - بني ذرحن (السلالة).
- من جهة أخرى هذه المسافة ليست ذات شأن بالنظر إلى الأمور التالية:
١. أن هذه القبائل جميعها في (سرو حمير) أو على أطرافه فإذا استثنينا (غيمان) على اعتبار أنها قبيلته ، فإننا نجد أن:
 - ذي كنية: تقع في الشمال الغربي من (سرو حمير) وفي جوارها يقع وادي (حضر) الموقع المفترض لقصر (يحصر) في منطقة تشتهر بآثارها الحميرية وفيها:
 - شكع: بالضم: بلد وحصن من (بلاد المفلحي) يبايع ينسب إلى (شكع بن الحارث بن يريم ذي رعين) وهي غنية بالآثار ، وتبعد عن الضالع بنحو ٢٣ كم .^{١٥}
 - خله: (أخله عند الهمداني) هي الأخرى تقع في ذلك الحيز الجغرافي أيضا، وهي واد معروف فيه مواضع أثرية ، وتنسب إلى:
- (أخله بن مالك بن شرحبيل بن الحارث بن زيد بن يريم ذي رعين).^{١٦}
- نواس: هي الأخرى على الطرف الشرقي لسرو يافع. وقد ذكرها (الأسفع الهمداني) من (أرحب) ثم من (بكيل) شاعر جاهلي مفوه... في الحرب التي كانت بين (مذحج) و(حمير) في الجاهلية بجزيرة (السكاسك)... إذ هاجها (ابن جرير السلسكي) ، وكانت حربا ضارية قسال فيها الأسفع ذاكرا أوطانا منها (نواس) وكلها حميرية:
- ولن تترككنم ذو رعين وسكسك ولا من سككون بيت سعد بن عامر

ولا ذو الكلاع الطالبون بشارهم إذا أمكنتهم وثبة المتقاصر
ولا يافع تفضى ولا حي ترخم ومن ذي نؤاس كل أبلج واغر^{١٧}

وفي هذه الأبيات نلاحظ أن (نؤاسا) = نأسم (في النقوش) . قد ذكرت إلى جانب بطون حميرية شهيرة منها (ذو رعين) و(ذو كلاع) و(السكسك) و(التراخم) و(يافع/سرو حمير) . مما يشير إلى أهمية (نؤاس) واتساع نفوذها لا في زمن النقش (أ-٢٢) فحسب . بل وحتى وقعة الجاهلية هذه التي لا نلري بتاريخها تحديداً ، ولكن وصفها بالجاهلية تجعلنا نرى فيها حرباً وقعت بين (حمير) و(ملحج) ، ربما في القرن السادس للميلاد في فترة ما قبل البعثة المحمدية . وعليه فإننا نميل إلى أن (نؤاسا) كانت بمثابة حلقة مهمة في سلسلة العلاقة بين البيت السبئي ممثلاً بالملك (نشا كرب يامن يهرحب/٢) من ناحية وقبائل (سرو حمير/يافع) من ناحية أخرى .

* موره والذرحان: كلاهما موضعان مازالا حتى اليوم عامرين في سرو حمير ونحسد أن للتواحد (الذرحاني) في (جبن) دلالة ذات شأن في مسألة كتابة التاريخ في القرن الثالث للميلاد، ويرتب عليه القول باحتمال أن القصر (ذرحن)

ربما قد بناه القيل (دومان يازم) في ذلك الحيز من سرو حمير المعروف ب(جبن) ويعني أنه وفقاً لهذا التصور إلى الجوار من القصر الآخر (يحصز) . إذ تقع (جبن) قليلاً إلى الشرق من وادي(حصز) في بلاد الشاعري... وقد ظلت (جبن) على مختلف العصور تابعة ل(يافع) كما أشار إلى هذا (الأكرع) محقق آثار الهمداني .

(i) الظاهر مما ذكرناه آنفاً أن الأمر قد استتب ل(نشا كرب يامن يهرحب/٢) ملك سبأ وذوي ريدان بن (إلي شرح يحضب/٢) وأخيه (يازل بين) ملكي سبأ وذوي ريدان . فالنقوش التي تعود إلى (نشا كرب) هذا على كثرتها... يلاحظ أنها في معظمها ذات طابع شخصي ، والحديث عن الحرب في عهده قليل إذا ما قارناه بغيره.^{١٨}

وأقرب من نقارله ب(نشا كرب يامن يهرحب/٢) هو والده (إلي شرح يحضب/٢) فإليه وحده (أحياناً مع أخيه) كرسيت كثير من النقوش (جام/٦٠٠:٥٦٧) وله عدد آخر من النقوش في المصادر الأخرى ، وكان في حرب دائمة مع (ضد) الحميريين والسهرة والأحباش وقبائل لبحران والسرارة وغيرهم.^{١٩}

• وقائع الصراع السبئي الريداني في عهد (إلي شرح يحضب | 11):

(إلي شرح يحضب/٢) هو ملك محارب بكل معنى الكلمة . كما يظهر ذلك من نقوشه التي تربو

على أربعين نقشا ، وكان عليه هو وأخيه (يازل بين) أن يخوضا حربا ضروسا مع رأس حمير حينها (شمر ذي ريدان) والذي عرف من نقش (بيت ضبعان/إرياني ٤٩) أنه (شمر يهحمد) ملك سبأ وذو ريدان . الأمر الذي أثار التعجب من وجود ملك حميري آخر يحمل لقب (إلي شرح يحضب/٢) نفسه. ولكن نقش (جام/٦٤٧) يشير إلى أنه حتى حاضرة الملك السبئي (مأرب) كانت قبيل تسلم الملك (إلي شرح يحضب/٢ وأخيه يازل بين) قد خضعت للملك الريداني (شمر يهحمد) لفترة تصل إلى سبع سنوات ولم يخرج الحميريون منها إلا عنوة في بداية عهد الأخوين (إلي شرح + يازل بين) ونجم عن ذلك عقد مصالحة (كوربوس/١٣٤) غير أن المعارك نشبت من جديد.^{٢٠}

وعلى كثرة المعارك التي نشبت بين (إلي شرح يحضب/٢ وأخيه يازل بين) من جهة... والحميريين من جهة أخرى بقيادة (شمر يهحمد)... والتي فصلت جغرافيتها نقوش (إلي شرح يحضب/٢) ضد التواجد الريداني في (مهائف/ آنس) وحصن (تعمرن) عن طريق عقبة يكرن (يكرار) المقابل لنقيل (يسلح). وفي نقشي (جام/٥٨٦-٥٧٧) حيث أتى (د/بافقيه) عليهما تفصيلا نجد أن الحرب قد شملت مسرحا واسعا بين (إلي شرح...و) و(شمر يهحمد) حتى طالت (ردمان) و(مضحيم/مضحى بخاضرها حصي) ، وحول (ذمار وقاع جهران/قريس) إلا أن المعارك لم تقترب إلى أبواب (ظفار) حيث قصر ريدان بأي شكل ، وهذا في نظرنا يعكس قوة الخصم الريداني (شمر يهحمد).^{٢١}

وفي أتون الحرب الشاملة أو (فترة التشعب) كما يحلو للبعض ان يسميها ظهر في مسرح الأحداث متحدي آخر (إلي شرح يحضب/٢) عرف من خلال النقش (جام/٥٧٨) ب(كرب إل أيفع) وجموع قبائل وجيش (حمير وولد عم) حيث تم دحرهم من (عر أساي) شرقي ذمار (وقرتنه) في حقل (حرمتم/ربما قرب جبل أتوت) جنوب شرقي ريده وطوردوا حتى بلاد (العروش عروشتن) في الحاء رداع... وانتهت المعارك مع (كرب إل أيفع) بالاستسلام في (هكر) هو وأقباله بعد دحرهم من (يكلام).^{٢٢}

والواضح من حيث نقاط تماس المعارك هذه أن قبائل (سرو حمير/يافع) لم ترمي بكل ثقلها لا إلى جانب (شمر يهحمد) الخصم الأول ل(إلي شرح يحضب/٢) ولا خلف خصمه الآخر (كرب إل أيفع) وأنها بلاشك اشتركت في تلك الوقائع التي احتدمت على أطراف (سرو حمير) ولكن بجهود طفيفة ليس إلا لأسباب عدة منها:

(١) أن (إلي شرح يحضب/٢) لم يوجه إلى (سرو حمير/يافع) حملات بهدف إخضاعها وكل ما في

الأمر أن أقصى التحوم التي وصلت إليها بعض فلوله هي (عروستن/ الأعروش) الواقعة اليوم في الجنوب الشرقي من (سنبان) وتعرف بصيغة (العرش) ولم تتوغل نحو السرو عبر أراضي (خولان وردمان) [السوادية] بما فيها بلاد شعب (قبيلة) ناسم (نواس) ولم تهاجم مرتفعات يافع من جهة محور (قاع تيم) وبلاد (ردفان) ، مما يعني أن صاحب هذه الوقائع قد فضل في اتباع سياسة المهادنة والاحتواء مع القبائل اليافعية. وهي سياسة توارثتها بيوت الحكم السبئية منذ العصور العتيقة وبالذات في عهد المكرب السبئي (كرب إل وتر) كما بسطنا لهذه السياسة أنفا.

٢) بدلا من المواجهة التي لا تحمد عواقبها تمكن (إلي شرح يحضب/٢) وأخيه (يازل بين) لا في تحييد قبائل يافع فحسب ، بل واستمالة بعض منها ، وهي الواقعة على الأطراف ونقصد بها:

- ذي يكن (ذي كنية).

- مورتم (مورة).

- ناسم (نواس).

هذه السياسة الحصيفة نجد آثارها الطيبة في عهد الإبن (نشا كرب يأمن يهرحب/٢) الذي عكست النقوش المكرسة لعهدده أنه كان ينعم بالسلام والاستقرار وقلة الحاجة إلى الغزو. فحتى (سهرتن) في قمامة والتي كانت مع (أحبشن) الأحباش تناصب (إلي شرح) العداء ، وشن الغزوات العديدة لإخضاعها لم تعد علاقتها بسبا متوترة عدائية كما يبين ذلك نقش (جام/٦١٦) العائد إلى عهد الملك الإبن (نشا كرب يأمن يهرحب/٢) ، وإذا صح ذلك ربما دل على أن حالات (إلي شرح يحضب/٢) قد أنت ثمارها في عهد ابنه (نشا كرب) . فها نحن نرى جيشا عشائريا سبئيا ينطلق لتأديب قبائل في مناطق شمالية بعيدة.^{٢٣}

• النفوذ الغيماني:

لا ننكر أن محالفة ما قد أبرمت في ذلك العهد بين القيل (دومان يازم ذغيمان) والشعوب التي ورد ذكرها في (مسند ٢٢) أي (ذي كنية) و(مورة) و(نواس) ، ونحسب أن للقادة (مفتت) من (بني ذرحن) دورا هاما في إخراج تلك العلاقة لتواجههم في (غيمان) موطن القيل (دومان يازم) وفي نفس الوقت في (سرو حمير/ يافع) الأمر الذي تطرقنا إليه آنفا غير أن حرص القيل الغيماني على إلحاق هذه البطون الحميرية البعيدة عن نطاق المقولة (الأذوائية) الغيمانية لا يعني في أي حال من الأحوال خضوع تلك الشعوب لنفوذه المباشر وإنما من باب إضفاء مزيد من الهيبة على شخصه في وجه من يحتكون مباشرة ب(المقولة) الغيمانية... ويشير هذا التلازم في نفس الوقت إلى قدرته على دعوة هذه القبائل

(الشعوب) الحميرية كلما دعت الحاجة إلى ردع وصدع القوى المحلية المتنافسة على توسيع نفوذها بالقوة ربما على حساب مكانة (المقولة الغيمانية) .

التاريخ مليء بالعبر والأمثلة التي تدل على مثل هذه التحالفات... والحمداني يصف القبائل اليافاعية بأنها (ألمجد أهل اليمن) (أنظر الفصل القادم) ، ولعل أقرب الأمثلة التي تسند طرحنا هذا هو :

• استعانة المتوكل إسماعيل يافع:

ينقل لنا صاحب (النور المشرق في فتح المشرق) قصة صاحبها شاعر أمير:

(فالرجل صاحب رئاسة في قومه وهو (.....)).

وقد شطب المؤلف اسمه لهذا الاعتبار ، فهو كما نطن من الأشراف والأمر لا يخفى على لبيب... فنظنه يدل على حظ كبير من العلم وافتخاره يدل أيضا على أنه من أرباب القوم إن لم يكن فعلا من (آل بيت الإمامة) . أما قصة هذا السيد فقد حدثت في بعض أعمال المرقديات (لم يقف عليها المحقق) ويام، حيث تعرض له جماعة منهم فنهبوه في الطريق وأفلت بجلده مغلوبا على أمره. وقد خلد شكواه في قصيدة قدمها للإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم حاثا له لتجريد حملة على تلكم النواحي عسى أن تكون القبائل اليافاعية عمادا لهذه الحملة ، ومنها تقتطف هذه الأبيات:

أجهاد فأين وقت الجهاد	طال سجن السيوف في الأغمار
وصدء الدروع وهي خفاف	بالجلا والصعاد وهي صواد
وارتفاع القنا بغير صرير	والمذاكي ربطا لغير طراد
والمواضي صقلا بغير صليل	والموالي تيهيا لغير جلال (٢)
يا إمام الهدى وغوث البرايا	عظم الأمر من بني العباد (٢)
عصبة ما عصوا إلى الله جهرا	وهم موقنون بالميعاد (٢)
فعلهم كله قبيح ومسعا	هم ذميم وصلحهم في فساد
لا يحدون للمهم من حدا	واستعانوا بالحد في كل واد
زعموا أن ما عليهم إمام	واستقلوا برأيهم في البلاد
فأغثنا بعارض من حديد	يمطر النار في رؤوس الأعادي
وأطف ما أوقدوه من قبل ينمو	رب نار تعظمت من زناد
واعد (يافاعا) عليهم عونا	وأعن في حتفهم بلا ترداد ٢٤

وقد فطن محقق الكتاب الأستاذ (عبد الله الحبشي) أن الشاعر (الموتور) كان يقصد يافع:

(يافعا (يافع) قبيلة من حمير). ٢٥

أما العون فهو: الظهير على الأمر. ٢٦

هذا المثل الذي سقناه من القرن الحادي عشر للهجرة أردنا به لفت نظر المختصين في دراسة النقوش اليمنية القديمة أن الأقبال والأذواء كانوا يحبون أن يختصم ملوكهم بألقاب تشير إلى مناطق وقبائل بعضها بعيدة عن حدود أذوائهم أو (مقولاتهم). وكانت تلتحم الجيوش القبيلة المعروفة بالخموس (مفردها خميس) تحت أمره الذو أو القيل أثناء الغزوات التي يدعون إليها وهو ما حصل بالطبع مع القيل الغيمان: (دومان يازم ذغيمان).

فالإ جانب غيمان (الشعب) الذي ينتمي إليه هذا القيل تأتي (الأرباع) وهي هنا الأرداف المتحالفة معهم:

(ذ يكن/وهورتم/وناسم) وكلها قبائل سرور حميرية عديدة ما برحت تحالفها تعيش اليوم في مواطن أسلافها في (سرور حمير/يافع) كما بينا ، وقد آلت ملكية نواس (ناسم) في فترة لاحقة إلى بعض من مذحج كما ذكر لسان اليمن بقوله:

(لنواس لبني زائدة / صفة ص ١٧٦).

أي أنها تمزجت في فترة لاحقة ، ربما بعد الإسلام لأنه كما رأينا قد قاتلت في صف حمير ضد مذحج في الحرب التي تعرض لذكرها (الأسفح الهمداني) ويحتمل أن كل واحدة من تلك القبائل المذكورة في (مسند/٢٢) كانت أكبر شأنًا وأعظم قدرا مما هي عليه اليوم وأقرب الأسانيد التي ندعم بها طرحنا هو حال (يافع) التي كانت تعد بعض من (ذي رعين) وحال الأخيرة التي لا تحتمل المقارنة اليوم مع بعض من قبائل يافع ليس إلا ! فقد ذوت (ذو رعين) ولم يعد يطلق هذا الاسم إلا على واد من أعمال (يريم) في حين تعدت (يافع) مئات الآلاف في تعداد أبنائها.

هذه مسألة وهناك أمور أخرى لا تحفى على لبيب فنقش (بيت ضبعان/أ-٤٠) المذكور آنفاً والمنبوش من مصنعة (تعمرن/التعارم) والتي كانت نقطة مقدمة للزحف الحميري على الأراضي التابعة للتاج السبئي... إذ (بيت ضبعان) في بلاد (الروس) ناحية (وعلان) قضاء (محافظة صنعاء). ٢٧

هذا النقش أظهر الازدواج في لقب ملوك ذلك العهد . فالإ جانب (آل فرع ينهب) السلالة الملكية السبئية الانتماء والمثلة في شخص (إلى ي شرح يحضب/٢) وأخيه (يازل بين) ملكي سبأ وذو ريدان وحاضرهم (مأرب) بقصرها (سلحين) كان البيت الحميري في (ظفار) بقصره (ريدان) يأوي

(شمر يهحند)-النقش مكرس له- ملك سبأ وذي ريدان... هذه الازدواجية تؤكد على تطلع آل (ذي ريدان) إلى حكم سبأ وهو ما تحقق لاحقا على يد (ياسر يهنعم) وابنه (شمر يهرعش) قرب نهاية القرن الثالثة للميلاد.^{٢٨} والذي أدى بالفعل إلى انتهاء حكم السلالة السبئية وقيام دولة التبابعة وضم حضرموت تحت اللقب الرباعي:-

(ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وبمنه).

هذه الظروف المتخمة بالصراع والتناحر هي التي حدثت بالملك (نشا كرب يأمن يهرحب/٢) ملك سبأ وذي ريدان إلى اتخاذ إجراءات تكرر الوحدة الوطنية منها:

(١) إسباغ ألقاب تكرر هذه الوحدة. فالقيل (دومان يازم ذوغيما) من قلب الأراضي السبئية سبئية (مقترون) من (بني ذرحن) البطن الحميري اليافعي (٣٣/ملحق أ) وأن ظهر هذا النقش بسندون ملوك فلربما أنه يعود إلى عام وفاة (إلي شرح يحضرب/٢).

وتسلم ابنه الحكم خلفا له والناس حينها كانت في حالة من الترقب للمستجدات والظروف المتعلقة في شخص الملك الجديد وحاله (ترمومتر) الصراع مع (بني ذي ريدان)... هذه الأمور مجتمعة هي التي جعلت أصحاب النقش لا يذكرون ملكا محددًا ٩١.

وإلى العهد الجديد عهد (نشا كرب يأمن يهرحب/٢) الذي نعمت به البلد في حالة من الاستقرار النسبي برزت مظاهر الوحدة الوطنية ، فالمقولة الغيمانية وقيلها (دومان يازم) وقادته من (بني ذرحن) وقصرها (ذرحان + يحضر) وشعبها غيمان وأردافها (حلفاؤها) (ذي كنيه ومورة ونواس)... هذه المظاهر الحدودية تجسد أيضا الجهود الحربية الكبيرة التي بذلها الملك المحارب (إلي شرح يحضرب/٢) وأخوه (يازل بين) ملكا سبأ وذي ريدان ، فهي كما يبدو قد أتت أكلها في فترة الابن (نشا كرب يأمن يهرحب/٢) ملك سبأ وذي ريدان.

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧

الفصل السادس عشر

اليزنيون في سرو حمير يا فخر

أفاض (الهمداني) في عرض نسب آل (ذي يزن) (الاكليل ٢ / ص ٢٦٣ : ٢٥٤) فهو يقول :
((وآل (ذي يزن) بين (لحج) و (مرخه) وهم " الايزون " وأن منهم عدد كبير بمحمص
وحضرموت من اليمن))

(اكليل / ص ٢٦٢ ٢٦٣)

وهكذا فإنه يجوز لنا أن نخلص إلى أن هذه البيوت التي ترقى أصولها إلى ما قبل الاسلام بشواهد
التقوش ظل معظمها باقيا في الاسلام بصورة أو باخرى .^١
وقبل أن نقتفي الاثار البيزية في (سرور حمير / يافع) ننوه هنا ان الباحث التوراتي (د/زياد مني) قد
خلص في رسالة دكتوراة دافع عنها في جامعة (برلين المانيا الغربية) ونالت امتيازاً جيداً ،
وموضوعها :

((جغرافية التوراة : مصر واسرائيل في جزيرة العرب))

" نخلص " الى نتيجة مفادها : أن اليزنيين كانوا من بقايا أو استكمالا لسيط (جاد) في
الجزيرة العربية " ^٢

وقد وردت المفردة " عزن " في صيغتها العبرية هذه (سفر التثنية ١٣/٢٣) بمعنى سلاح "
سلاح ما " في النسخة الاراميه المسماه (الترجوم) هذا المعنى يتسق مع المأثور عن جذر هذا الاسم
عربيا (يزن / أزن) بمعنى أن جد (الازليين كان أول من استخدم أسنة الرماح من الحديد بعد أن
كانت تعمل من القرون . أي أن كلمة (يزن ، أزن) العربية تشير الى سلاح حديدي من نوع ما
ربما هو الرمح ^٣ . (النظر الجزء الاول من كتابنا هذا)

ونحن بدورنا هنا نمهد لتسليط الضوء على الزويا المعتمه من تاريخنا وبالذات ما يتعلق (بسرور
حمير / يافع) وتاريخها المجهول قبل الاسلام .. ولهذا الوضع الذي مازالت فيه الكشوف الأثرية شبيهه
محظورة عن مرتفعات يافع ١٩ الامر الذي يحرمنا من أهم مصدر وأصدقها وهو اللقى الأثرية والنقشيه
بالنسبة لمسألة كتابة التاريخ أو إعادة الاعتبار لوعينا التاريخي .. نجد من الواجب علينا التعامل في المقام
الاول مع المصدر الاخباري خاصة في ضوء إتفاق ما نقله الاخباريون العرب مع ما أورده التوراة في
معنى اللفظة (عزن) التي وردت بصيغة (زين / أشعيا / ٦/٢٢) . بمعنى " سلاح ما " وفي هذا
الشأن يقول لسان اليمن " الهمداني في قصيدته " الدامعة " التي أحاب بها " الكميث بن زيد الاسدي :

وأحدثنا الاسنة حين كانت أسنة آل عدنان قرونا ^٤

وفي الرماح اليزنية ، والازينه قال (أبو ذؤيب) :
وكلاهما في كفه يرنه فيها ستان كالمناره اصلع °

وقال الكميت :

سقيننا الازرق اليزني منه وأكعب صعده حتى روينا ^٦
وفي كتابه : " قصائد جاهلية نادرة " نجد الدكتور / " يحيى الجبوري " مؤلف هذا الكتاب
قد أشكل عليه معنى أحد أبيات الشعر المنسوبة للشاعر الجاهلي " عدي بن وداع الازدي " القائل
فيه :

فأرخيت القناه ويزءنياً على الاكفال بالطعن المعاق ^٧

إذ وهم " د/ الجبوري " في مفردة (ويزءنيا) الواردة في صدر هذا البيت حيث حسب أن الاصل
فيها قد أتى من : الوزأ : الشديد الخلق ، وزأت الناقه براكبها إذا صرعت ، وسياق العبارة تعني
الطعن الشديد . ^٨

هكذا غم المعنى على (د/ الجبوري) ، وهو من البساطة حيث يشير الشاعر الى سلاحه " اليزني
" الذي ربما يعني به الرمح المحمول على كفل الناقه طوع يده ساعة الطعان ولعل أقوى القرائن التي
نود الادلاء بها لإثبات هذا المعنى المتواتر في " التوراة " واثار الاخباريين العرب يكمن في إطراد
هذا المعنى واستمرارية إطلاقه لدى قبائل " سرو حمير / يافع " حتى اليوم وبصورة متفردة إسماعاً
جامعاً لعبوات أو ذخائر البندقية النارية حيث يطلقون عليها أسم (زانه) - من زان يزان -
وتفرد " قبائل يافع في إطلاق هذه التسمية (زانه) على ذلقات الرصاص في حين تعرف لدى
معظم القبائل اليمنية بإسم " معبر جمعها معابر " أمر له دلالاته التي تنسجم مع طرحنا في هذه
الدراسة التي نسلط فيها الضوء على الموطن الاصل لليزيين أو اليزون . ونعني به " سرو حمير /
يافع "

ولعل أقرب السبل لاثبات هذا الطرح تكمن في المصدر الاخباري الذي تأتي فيه مصنفات لسان
اليمن (الهمداني) على رأس كتابات الاخباريين العرب ومروياهم الأكثر صدقا على أقل تقدير فيما
يخص تاريخ حمير وأنسابها وفي الاسطر التالية نعرض لما تركه (الهمداني) بشأن (اليزون) :

تحت هذه المادة أورد الهمداني في (الاكليل / ٢) :

" مرة ذو يزن بن يريم بن يافع "

(اكليل / ٢ ص ٣٦٢)

وفي نفس المصنف ينسب بطون الأريوم الى (يافع) :

(يريم بن شرحبيل بن يافع)

(أكليل / ٢ ص ٣٦٧)

ولكننا نعلم من (الهمداني) نفسه ان (ليافع) من الابناء ولدان هما :

(بلده) و (جعيملان) ابني (يافع) ومنهما أنتشرت بطون (يافع) وهن أنجد حمير باليمن

وفرساهم قليل

(أكليل / ٢ ص ٣٠٤-٣٠٥)

ووفقا لهذا العرض يمكن لنا الاهتداء الى طرح نسب (الايزون) على النحو التالي :

مرة (ذويون بن يريم بن شرحبيل) (بلدة / أو جعيملان) بن يافع . ويؤيد هذا الطرح ما

ذكره (الهمداني) من رواية (بني عبد الجبار) أحد البطون (اليزنيه / اليافعيه)

أيام الهمداني :

• واشراف يافع باليمن اليوم بنو أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عبد الله بن

زائد بن عاصم بن مرشد بن يفضل بن (ذي جنا) بن النضر بن يزيد)

(الاصغر) بن عمر بن مرة (الفياض / ذي يزن) بن يريم (الأكبر بن

شرحبيل بن يافع بن قارول كذلك ملة علي بنو عبد الجبار .

(أكليل / ص ٣٠٤ ٣٠٥)

هذه المعطيات الثقيلة تشير صراحة الى جده واحد أعلى للسلالة اليزنيه هو (يافع " السرو " ابن

قارول) وعليه فاننا لانحانب الصواب إذا قلنا أن الموطن الاصل لهذه السلاله هو

• (سرو حمير / يافع)

تري هل لنا من قدرة تعيننا على التعرف على الآثار اليزنيه وخلائفها السلاليه في مرتفعات (يلفع)

اليوم .

• بنو عبد الجبار :

مازال (بنو عبد الجبار) يعيشون اليوم في وادي (يهر) الخصب وقريتهم عامره بهم وتعرف باسم :

الثرية : مظلة على سوق (السويداء) وهو سوق وادي (يهر) الوحيد ويتتمي (بنو عبد

الجبار) الى حميس (بمعنى الجيش القبلي في نقوش المساند) يهري والمعروف (بحمير الواد) وعدد

خموس مكتب (ناحية) (يهر) ثلاثة عشر خميسا .

* وبنو عبد الجبار: فرع من قبيلة (الكباب) اليزيديه وينتمون الى فخذ ال (ذوايدي) منها وأهم قراهم :

ذي جليد والمليح^٩

هؤلاء هم (بنو عبد الجبار) الذين ذكرهم (الحمداني) بوصفهم " أشراف (يافع) باليمن.."

• الاصنعة :

ذكرهم (الحمداني) في (الايزون) وحدد موطنهم في وادي (تونه) . (اكليل / ص ٢٠٦) وقد حقق (الاكوع) ذلك الوادي بقوله :

• وادي تونه : بفتح التاء المشاء من فوق وتشديد الواو المكسورة ثم النون وهاء : واد يقع بين (الحواشب) و (ردفان) نسب الى (تونه بن شرحبيل بن ثوبه)

(اكليل / نفسه)

وفي (صفه جزيرة العرب) عدهم (الحمدان) في قبيلة (الحواشب) :

الاصنعة قبيلة من (الحواشب)

(صفه / ص ١٧٤)

ومن الاردية التي خلدت ذكرى هذه السلالة (الحميرية الزينية) في (يافع) :

• وادي توانه : واد خصب مجاور لوادي (خيره) في حيز قبيلة (المنصري) (الكلدية) من (يافع بني قاسد) .

• وادي ذنه : واد يقع على مقربه من وادي (كلسام) في حيز قبيلة (المنصري) (الكلدية) ايضا .^{١٠}

ومما لا شك فيه أن في (يافع) الكثير من الشواهد الاسمية والاثريه للسلالة (اليزنيه) سنعرض لها في صلب هذه الدراسة المكرسه لتاريخ (يافع) في العهود (اليزنيه) القديمة .

• اليزنيون في نقوش المساند :

أقدم النقوش المسنديه التي تشير الى (الايزون) ترجع الى العقود الاخيرة من القرن الثالثه بعد الميلاد فقد ترك لنا شخص يدعى :

(شهر / أو شاهر أسار بن ربيعه) ذو يذات/ بالذال التي تحمل محل الزاي في اللهجة الحضرمية آنذاك) ، ترك توقيعيه على صخرة من صخور (العقلة على مقربه من (شبوه) عاصمة حضرموت القديمة الى جانب توقيعات اشخاص آخرين ، وذلك حين زار الموقع في ركاب ملكين حضرميين

هما:

(ال ريام يدم ثم اخوع يدع أب غيلان ابناء يدع إل بين بن ربشمس)
الامر الذي يحول لنا ان نستنتج أن اليزنيين كانوا وقت ذاك أذواء صغارا ضمن الفلك
الحضرمي لا أكثر ولا أقل .^{١١}

ويرجع (د/ بافقيه) عدم مشاركة (اليزنيين في المعارك التي خاضها الملك الحضرمي (يدع إل بين) ضد الحميريين الى صغر شأنهم غير أنه في أشارته الى مشاركة أذواء صغار آخرين من المشرق في تلك المعارك قد سجل (أي بافقيه) أول المطاعن على فكرته هذه .. فإذا كان صغر الشأن هو السبب بعدم خوض (اليزنيين) المعارك الى جانب ملكهم (يدع إل بين) فكيف شارك أذواء صغار مثلهم في هذه المعارك .

والسبب الحقيقي يكمن في نظري في إمتناع (اليزنيين) عن مقاتلة أخوانهم الحميريين الذي ربما كانت حينها السلالة (اليزنيه) الواسعة الانتشار في موطنها الاصل (سرو حير / يافع) تخوض المعارك في مقدمة الصفوف الحميرية ضد الملك الحضرمي هذا .. مما شكل هذا الامر سببا وجيها لامتناع (أيزون) حضرموت عن المشاركة في تلك الوقائع الموجهة ضد اخوانهم في الاصل .

هذا ولم يترك صاحب النقشين المتشاهيين (جام / ٩٩٤ = ١٠٠٣)

(شاهر بن ربيعة ذو يدان) أي معلومات عن أذوائته حتى جاء نقش (عبدان) الكبير (المقابل تاريخه لعام ٣٥٥م) نفسه ليقول لنا أنه ضمن إعادة بناء (عبدان) التي دمرها الحضارمة كان بناء (بيت يزأن)^{١٢}

لقد ورد الاسم (يدان/ يزأن) في أحد النقوش الحضرمية القديمة العائد الى عهد مكاربه (حضرموت) في النصف الاول للألف الاولى قبل الميلاد كقصر في مدينة (ضيفتن) في وادي (جبلن) وهذا النقش هو (ربرتوار / ٢٦٨٧) الذي تناولته بالتفصيل في معالجي تاريخ (سرو حير / يافع) في الحقب العتيقة أي في مطلع (الجزء الثاني من كتابنا هذا) غير ان الصعود الحقيقي للتاريخ اليزني يعود لفترة أعقبت تمكن الملك الحميري الشهير (شمر يهرعش) من بسط نفوذه على كل التخوم الممتدة من أطراف حضرموت القديمة الشرقية بما فيها أقليم (ساكلن / الساكل) أي ما يعرف اليوم بأقليم (ظفار/ في سلطنة عمان) حتى سواحل البحر الاحمر غربا ولحران ومرتفعات عسير واواسط شبه جزيرة العرب عموما الامر الذي جسده فب لقبه الرباعي (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنه) كان ذلك في آواخر القرن الثالث بعد الميلاد .

• بنو حشيش :

تعرف بنو حشيش (تاريخياً) بمواقع الثرية عتيقة منها (شيام سخيم = شيام الغراس) (وذي مرمر) و (حصن الغصن) فيا ترى كيف اصبحت منذ فجر الاسلام (بني حشيش) ؟ قصة هذا التسمية الطارئة معروفة في مصادر كثيرة منها :

(معجم الحجري ، تاريخ الواسعي ، تاريخ الوزير ، وقبائل العرب)
 ومفادها أن رجل فارسي فر الى المنطقة في صدر الاسلام أثناء ثورة
 (عبيدة العنسي) (وقيس بن مكشوح المرادي) وصاهر فيهم فتسموا
 باسمه (حشيش) بناءً على قاعدة كانت تتبعه في التحالفات والاحلاف
 آنذاك^{١٦} ومن القرى التي تدل على إستيطانات (الابناء) هناك قرية :
 (الفرس) و (الابناء) في منطقة (بني حشيش) ، وقرية (بهرام)
 في بيت بوس .^{١٧}

هذه الاشارة أردنا الاستئناس بها في طريقنا لكشف الغموض العالق بهوية (ملشان ذي يزن) فلا
 هذه السلالة ولا قصرها (يزان) قد ذكر قبل هذا النقش في معرض الاشارة النقشيه الى (عبدان)
 المدينة ومنها نقش :

(كياس ٣٠٠ ن ٣٩.١١) العائد الى عهد (شعزم أوتر) الملك السبي في القرن الثالثة
 للميلاد . وكذا في

(مسند / ١ ملحق ب / أرياني) حيث لا يذكر (يزان) بأي صورة من الصور.^{١٨} هذه
 القران والمسلمات تجعلنا نقر بمذهب (بافقيه) من أن (ملشان) هو :

أحد الاذواء المشاركة الذين المحازوا الى (حير) أو أنه (حيري) جيء به ليتولى القيالة في
 عبدان (تلك المدينة العريقة الاستراتيجية في المشرق ، وأنه في كل الاحوال طارئ على الاذوائية)
 اليزنيه (بالذات .^{١٩}

وتزداد الطين بلة عندما نعرض لرأي (الفرح) بشأن عميد الاسرة اليزنية هذا (ملشان أريم)
 ومفاداة أنه :

وفقاً لرواية (الفردوسي / للشاة نامه) قد أتى قائداً في جيش ملك فارس أثناء غزواته
 للجزيرة العربية (وارتيريا) ، مناهضة ودافعه للتغلغل (الحبشي / البيزنطي) في البحر
 الاحمر .^{٢٠}

وقد أخذ (الفرخ) من ورود مقرده (يزان) في نقوش أقدم عهدا من عهد (ملشان) نفسه قرينه تدل على قدوم (ملشان) في حملة مساعدته (بجدة) : (ليزان _ المقة _ عثتر _ آدمه الخ) وعلى الرغم من تنبه (الفرخ) لغياب ذكر (الفرس) في النقوش (اليزيه) إلا انه قد تعلق بأن الحملة كانت طارئة ليس إلا .^{٢١}

وبالنسبة لهذا الطرح الذي لا تدعمه النقوش فأنه ان صح يدمغ الايزون بلعنه الدوران في حلقة الشر المفرغة كيف لا و (ملشان الموسس) قد ذهب الى (فارس) لطلب النجدة أو للعمل في صفوف جنود الجيوش الفارسية الامر الذي تكرر بعد ذلك بعدة قرون من أحد الاحفاد (سيف بن ذي يزن) مع نفس الحلفاء (الفرس) ضد نفس الاعداء (الروم / والاحباش) ؟!

• بنو ملشان وبنو غمران:

إذا أقتفينا أثر السلالة (اليزيه) في موطنها الاصل (سرو حمير / يافع) وفقا لما اورده (الهمداني) عنها وهو الموطن الاكثر احتمالا وفقا للطرح الذي ذهب اليه (د / بافقيه) أيضا ، فان الآثار الاسمية والحية في (يافع) تجمد لنا التاريخ وتهدينا الى فهم أفضل لجذور تلك السلالة الحميرية العريقة وتفرعاتها لقد أنطلق (ملشان أريم) من أحد أعرق السلالات الحميرية اليافعية ونعتقد أنها (الاذوائية الناخبية) المعروفة عند الاخباريين اليمنيين براديتها الخصب (ذو ناخب) ، وقد ذكره (الهمداني) في عداد غرر أودية (سرو حمير / يافع) :

(ذو ناخب) لبني جبر منهم .

(سلب) لبني جبر منهم

(العرقة) للاهجوم منهم وهي واد وهم بنو هجر

(صفة جزيرة العرب / ص ١٧٣)

وقد أفضنا في دراسة تلك المواضع في الدراسة التي كرسناها لتحقيق كتابات الهمداني عن (سرو حمير / وقبائله / انظر الفصل اللاحق) .

وأصحاب هذا الوادي الذين ذكرهم الهمداني (تصحيفا) باسم بني جبر مازالوا يعيشون في (أسافل وادي) (ذي ناخب) ويعرفون با (الغبران / بالغين المعجمه)^{٢٢} ، فهم (بنو غمر) ليس

بالجيم) فماهي الادلة التي بأيدينا الداعمة لهذا الطرح ؟

الاجابة نسوقها في الاسطر اللاحقة :

• بنو غمران :

انقسمت السلالة المليشانية (بنو ملشان) مع نهاية النص الاول للقرن الخامس للميلاد الى فرعين أحدهما يحمل الاسم القديم (بنو ملشان) والآخر له اسم جديد هو (بنو غمران) كما نص على ذلك النقش (ربرتوار / ٥٠٨٥)
فمن هو غمران ؟^{٢٣}

صاحب هذا السؤال أصلاً هو (د / بافقيه)

نرجح أن (بني غمران) هؤلاء هم أقارب (بنو عمومه) (لبني ملشان) من نفس الارومه التي تخلفت في موطنها (سروحمير / يافع) بعد ان غادرها (ملشان) وأسس هنالك الاذوائيه (اليزنيه) وعندما أبتسم الحظ (لبني ملشان أريم) وازدهر قصرهم (يزأن) في مدينة (عبدان) وتوسعت ثروتهم الناجمة من قيادتهم لحملات التوسع الحميري في مختلف أرجاء شبه جزيرة العرب الامر الذي أدى الى بسطه في عيشتهم من كثرة الغنائم والفبي وأمتلاك العقارات والقوافل التجارية .. الخ هذا الامر بمجتمعة شكلت مصدراً لجذب الفرع الآخر من السلالة (اليزنية) الذين كانوا آنذاك مازالوا في وأديهم المعروف بـ (ذي ناخب) في يافع بني قاسد) ولم يكن هذا الفرع (اليزني) الجديد سوى (بني غمران) وفيما يلي نسوق لكم الادلة الداعمة لطرحنا هذا :

أ. الى جانب (بني عبد الجبار) اصحاب (تربه يهر) تعرف في (يافع) قبيلة أخرى بألها من السلالة (اليزنيه) وهي :

• قبيلة الكهالي (الناخيه) :

لهم رأسه مكتب (ناحيه) الناخيه (صيغة النسبه لذي ناخب) من (يافع بني قاسد) وقوى (الكهالي) وتفرعاته كثيرة في وادي (ذي ناخب) ، فصلها (حمزة لقمان) .^{٢٤}

II. ذكرنا (آنفا) القبيلة التي كانت في عهد (الهمداني) صاحبه وادي (ذي ناخب) وادي (سلب) أسافل (ذي ناخب) وقلنا ألها ما يعرف اليوم ب (الغبران) أحد تفرعات قبيلة (طسه) حللهم أحد الادويه المتفرعة من أسافل ذي ناخب وهو (وادي حديق) .^{٢٥} ولا يحتاج الامر هنا الى مهارة لغويه عالية لمعرفة أن :

• (بني غمران) في النقوش (اليزنيه) وبالذات (ربرتوار / ٥٠٨٥) هم (بنو جبر / تصحيفا عند الهمداني) ، وهم (الغبران) اليوم بحيث غمران = غبران بأبدال الباء من الميم لأنهما من حروف الشفه .

iii. تنتشر على قمم الجبال المتشابهة المحيطة بروادي (ذي ناخب) خرائب كثيرة لم تجر فيها أي حفريات أثرية تماماً مثل بقية مناطق (سروحمير/يافع) الشاسعة ، ومن قرى وادي (ذي ناخب) العامة

• غامر :

(غمر/ بدون تصويت) (والاصل في غمران هو غمر) : أحد الحصون النახبية لأحد تفرعات قبيلة (الكهالي) اليزنية (لآل بن ناجي منهم) ومن قراهم المطلة على وادي (حمحمه) أحد الأودية المتفرعة من (ذي ناخب) : (يضم) (وظيف) و (مضبطة) و (محوال) و (دور عديه) .^{٢٦} ومن قراهم التي يعتبرها (تصحيفا) ل :

غمران : قرية (غمران / بالزاي) ، وهي لبعض قبيلة (الكهالي) أيضا . وقد أسهب (النسخي) في ذكر خرائب (ذي ناخب) الأثرية منها (غامر) (وعطف النود) (والراغة) وخرائب (جبل شمسان) .^{٢٧}

لم يأت القرن السادس للميلاد الا وقد التحقت بالاذوائية (اليزنية) إذوائيات (يافعية) عديدة ظهرت أسمائها في النقوش (اليزنية) التي يرجع تاريخها الى الثلاثة العقود الاولى من القرن السادس للميلاد وفيما يلي نعرض لتلك الاذوائيات (اليافعية) والتي ما زالت تحمل اسمائها القديمة المذكورة في النقوش (اليزنية) : كل الاذوائيات (اليافعية) التي سنعرض في هذه الاسطر ، ذكرت في نقش (يزني) عثر عليه في (عرماوية / حصن الغراب) المثل على مينا (قنا) ويعرف ب (كوربوس/٦٢١) ويعود الى عام (٦٤٠ من التقويم الحميري / الموافق لعام ٦٢٥م) واصحابه (سميفع أشوع) وابناؤه (شرحب آل يكمل) و (معد كرب يعفر) بنو (لحيعة يرخم) ، كانوا قد سجلوه في العام الذي شهد نهاية حروب الملك الحميري (يوسف أسار يثار) المعروف بلقبه (ذي نواس) ضد الاحباش الذين تمكنوا كما يصف النقش من اجتياح (ارض حمير) وقتل ملكها وأقياله الحميريين والارحبيين..

في الوقت الذي الشغل فيه بنو (لحي عت يرخم) أثر عودتهم من (ارض الاحباش) بترميم الحصن (عرماويه) واسواره (ومواجهه) و (نقيلة) .^{٢٨} وقد ذكر أصحاب النقش أنهم ارباب (أذوائيات) عددها على هذا النحو :

بني لحيعة / ٢. يرخم / اهت / كلعن / وذيوان / وجدتم / ومثلن / وشرقن / وحيم / ويثعن

٣. ويشرم / ورس / ومكرم / وعقته / وبساين / ويلغب / وغيمن / ويصبر

٤) وشبحم / وجدوين / وكسرن / ورخيه / وجردن / وقبلن / وشرجي / وبني / ملحهم .
 ٥) واشعبيهمو / وحظت / واهن / وسلفن / وضيقتن / ورثحم / وركبن / ومطلفت .
 ٦) ن / وسكلن / وسكرد / وكبور / ومخرج / سين / ذ نصف / سطور / اذن / مستدن / ..
 وقد تناول هذا النقش أهل الاختصاص بنقوش المساند وتعرفوا على معظم (الأذوائيات)
 (الشعوب / القبائل) .. ومساعدة [د/بافقيه] نقرأ النص (عربيا) فهم أي (بني لحيعة يرخم) الهت
 أرباب / أذواء:

(الكلاع) و(ذي يزن) و(جدن) و(مثلن) و(شرقن/أنظر الصفة:الشرق) و(يئعن) و(يشرم)
 و(يرس) و(مكرم) و(عقته) و(بساين/بالسين الثانية) و(يلغب) و(غيمان) و(يصير) و(شبحم)
 و(جدوين) و(الكسر/بوادي حضرموت) و(رخية) و(جردان) و(قبلن) و(شرجي) و(بني ملحهم).
 أما قبائلهم فهي:

و(حاطة) و(الهان) و(السلف) وكلها مرتبطة بالكلاع.
 و(ضيقتن) و(رثحم) -القديمتان- و(الركب) و(مطلفتن/وردت في ينبق ٤٧)
 و(ساكلن/الساكل -ظفار غرب عمان) و(سكرد) وهم أيضا كبار ومخرج (سيان/ذي نصف).^{٢٩}
 ولن أتعرض بالتحقيق هنا إلا إلى الأذوائيات الياغية الواردة في النص وهي:

(حيم) و(يشرم) و(يرس) و(بساين) و(شبحم)
 فيا ترى هل لهذه الأذوائيات من بقية في يافع أم عفى عنها الزمان، ولم يبق إلا تسمياتها تطلق
 على مواضع خربة ؟

الإجابة نسوقها في التالي:

• إذوائية حبه:

(الميم في حيم [كوربوس/٦٢١] لاحقة التكوين العربية الجنوبية القديمة):
 (حبه) ذكرها (الهمداني) في [الصفة] في عداد أودية (سرو حسير/يافع-ص ١٧٣)، وفي
 (الإكليل ٢/ص ٣٠٤-٣٠٥، ١١٩)
 ١) أولد وال ابن سدد زرة ابن سبأ الأصغر: سبأ ابن وائل ، فأولد سبأ ابن وائل: زرة
 ابن سبأ فأولد زرة: (حبه) [مخففا] ابن زرة وإليه ينسب وادي (حبه) بالسرو، وقد
 حققه (الأكوع).
 ٢) السرو.. المراد به هنا سرو حير، وهو (بلاد يافع) ووادي (حبه) بالتحريك نسب إليه وهو

محتفظ باسمه إلى هذا التاريخ وهو في (يافع العليا)، ويرى (حبه) من (البيضاء) إذ (حبه) من (يافع) غرب (البيضاء)، والـ (حبه) من قبائل (يافع).

[إكليل/٢ ص ١١٩]

وللمزيد عن (حبه) فحيل القارئ إلى الفصل اللاحق الذي كرسناه لدراسة كتابات (الهمداني) عن (سرو حير) وقبائله.

• إذوائية ال شرمان: [بذو أشرم]

(بشرم/كوربوس/٦٢١): هي بعض (الأذوائية اليهرية/ذو يهر) فما زالت في وادي (يهر) الشهير بزراعة البن قرية من قرى (حير الواد) - أي من [حيس حير الواد/الخمس بمعناه في النقوش = الجيش القبلي] إذ يتكون مكتب (ناحية) يهر من ثلاثة عشر خميسا - تعرف بقرية ال (شرمان).^{٢٠} وفي وادي (يهر) مواقع أثرية عتيقة منها (كهف حرضه) الذي كشفه الأهالي هذا العام، ويقال أنهم عبثوا برسومه ونقوشه - ولم أره بعد - ومن الآثار (اليزنية) هنالك (قرن ذي ينون) وهو حصن خرب يقع في (النواخيد) قريبا من (تربة بني عبد الجبار) في وادي (يهر) كما ذكرنا في مطلع هذه الدراسة.

• إذوائية يسرا:

[يرس] في (كوربوس/٦٢١) (بالقلب) ففي النقوش اليمنية المسندية القديمة، تظهر بعض أسماء الأماكن مقلوبة الأحرف مثل: نقش = نقش = نقش. أحد مدن (الجوف) المعينة العتيقة في نقش (النصر الكبير/برتوار/٣٩٤٥): وما زالت في (يافع) إذوائية [يسرا = يرس] معروفة بقرية (ذا يسرا/تنطق بالصاد المهملة) وهي اليوم قصبة مكتب (ناحية) الضبي من (يافع العليا) وحلال بيت المشيخة (بن عاطف جابر) وأهل الصا في وأهل درعة وأهل حزام وأهل مثنى.^{٢١}

• إذوائية بسا:

[بساين] في نقش (ينق/٤٧) العائد إلى ٥١٠ للميلاد... ونقشنا هذا (كوربوس/٦٢١): النون في (بساين) لاحقة التعريف العربية الجنوبية القديمة، فهي إذوائية ال (بسا = بسا): أحد جبال (سرو حير/يافع)، يعرف بمحصنه الشهير (حصن بسا) وتحصيناته و(مواجله/خزانات الماء) التليدة.. وفي سفحه تقع مقبرة قديمة يعرفها الأهالي باسم (مقبرة الشهداء)، وهو مشرف على أحد أودية (سرو حير/يافع) الخصبة وهو وادي (ضول/بالضاد المعجمة)، وقد ذكره (الهمداني)

في (الإكليل):

{وبنو(أديد) ومسكنهم (ضول) } [إكليل/ ٢ ص ٣٠٤]

وما زال بنو(أديد) في وادي(ضول) ، ويعرفون بصيغة النسبة أي (ديدي) وهم:
أحد فروع قبائل المشالي (نسبة إلى مشالة) إذ هم بعض قبيلة الطالبي، حلاهم في:
(شريان) و(سيلة عرب) و(سيلة يمن) واليزيدي منهم في(مشورات).^{٣٢}
و(حصن بسا) هذا هو واحد من ثلاثة حصون تحرس التخوم الغربية ليافع وهي:
(بسا) و(يمن) و(تنحرة).

ومنطقة مشالة (مش آل=المنقذ الله عبريا) المجاورة لـ(ردفان) فيها الكثير من المواقع الأثرية التي
تحتاج للتنقيب الأثري.

• إذوائية شبح [شبحم في كوربوس ٦٢١]:

الميم هي لاحقة التنوين العربية الجنوبية القديمة: مازالت هذه الأذوائية قائمة في مكتب(ناحية)
يهر. إذ يشكل أهلها في قراهم ووديانهم المعروفة بـ(ال شبحي/صيغة النسبة من شبح) حميسا من
(حموس) يهر وعددها كما ذكرنا آنفا ثلاثة عشر حميسا.

ومن أوديتهم وقراهم :

- وادي وطن (أسافل وادي يهر) : خلال أهل (وطن) وبن مزيد منهم.
- وادي الرزان : يتزله (الراعي) منهم .

ومن قراهم أيضا : (وادي نابرة) و(عضيد) و(جبل حيط) و(ذراع لعوج) و(بياضه) و(سكتة)
و(دخلة ضبه) و(العريش) و(الميرك) و(القرية/قرية بن لصم).^{٣٣}

وفي ختام هذه الدراسة نرجو أن نكون قد وفقنا إلى حلو بعض الغموض الذي علق بدراسة
التاريخ (اليزني) على الرغم من هذه الحال التي لاحظها أحد المستشرقين بقوله:

(لقد غدا تاريخ سلالة(ذي يزن) وسلسلة نسبها موضوعا للدراسات إلا
أن الكثير فيها لا يزال غامضا حتى أيامنا الحاضرة).^{٣٤}

نعم فإننا لا نشك بأن ما طرحناه هنا سيفتح أعين المؤرخين على وجهة جديدة طالما أشاحوا
الطرف عنها وهي الموطن الأصل للسلالة(اليزنية) أي (سرو حمير/يافع) الصقع المجهول الذي يتعين على
ذوي الاختصاص المعنية بالكشف عن آثار قدماء اليمنيين وتاريخهم-الذي مازال على العموم يشوبه
الغموض!- أن يوجهوا إلى (سرو حمير/يافع) بعثات الكشوف الأثرية للتنقيب في العديد من المواقع

الأثرية والخرائب القديمة المرجوة في مختلف مناطق (يافع) ، والتي ذكرناها في مواضع شتى من كتابنا هذا وبالذات في [الفصول السابقة الذكر] منه.

-
- ١
 - ٢
 - ٣
 - ٤
 - ٥
 - ٦
 - ٧
 - ٨
 - ٩
 - ١٠
 - ١١
 - ١٢
 - ١٣
 - ١٤
 - ١٥
 - ١٦
 - ١٧
 - ١٨
 - ١٩

الفصل السابع عشر

سرو حمير يافع في كتابات لسان اليمن الهمداني (قراءة تصويبية)

كتابة التاريخ صناعة يلقي فيها المؤرخ المستجد عنتاً وحرباً... فماذا يمكنه أن يُقدّم للناس فوق ما قدمه الأسبقون من أهل الصناعة خاصة والكثير منهم كانوا لا يؤرخون لأحداث الماضي فحسب، بل ويشاركون في صناعة حوادثه ومجرياته... فليس له من يُدّ إلّا تناول ما حيكه هؤلاء وسلم به التابعون ، فتقدم به الدهر فكساه هيبةً وأسبلت عوادى الحقب عليه حرمة يخشى الباحث المستجد انتهاكها.. فهذا حاله مع روايات قدماء الإخباريين وتخريجاتهم ومنقولهم . ولعمري هذا مأزق يرجحى الخلاص منه... فكيف بمن يسعى مثلي لكتابة ما خرسست عنه أقلام الأقدمين ورغبت عنه مدوناتهم، وأقصد بهذا تاريخ (سرو حمير/ يافع) الذي قنع أبناءه باحترار الشكوى وعرض بنان الندم على غياب (تاريخ الأجداد) خاصة في عهود ما قبل الإسلام... فهذا أحد أبنائه الشيخ (عبد الله ابن أحمد الناصحي) صاحب : " يافع في أدوار التاريخ " يجار في كتابه هذا (طبعة أولى / ١٩٩٠) مختاراً :

أين تاريخ يافع ١٩

وحيث أننا لم نجد ما يشفي الغليل لا عند صاحب هذا السؤال ولا عند غيره إلّا فيما يخص تاريخ يافع في القرون المتأخرة وبالذات من عهد الدولة الطاهرية (أي منذ أواخر القرن التاسع للهجرة).... ولعل أهم المراجع الثقلية التي يأنس إليها من يزمع الكتابة عن (سرو حمير/ يافع) هي فيما ذكره (لسان اليمن) عنها في مؤلفاته التاريخية وبالذات (الإكليل) و(صفة جزيرة العرب). ففي (الإكليل/ ٢) المكرس لأنساب ولد (الهميسع ابن حمير ابن سبأ) يوجد نسب (الصلب) الذي أخذت منه [سرو حمير] تسميتها المعروفة بها اليوم (يافع) كقبيلة ووطن. ومع أهمية قوائم الأنساب التي درج الأخباريون العرب على التعامل معها كمرجعية أصولية لا يرقى إليها الشك كلما دعت الضرورة التعرض للجذور (الأنثية) السلالية لبطن ما أو قبيلة من القبائل العربية... مع أهمية (علم الأنساب) في إضاءة زوايا التاريخ المظلمة ، إلا أن فيها من العيوب والمآخذ ما يجعل الباحث الفطن يخطأ في شأنها:

فمن شرائط النسب ، أن لا يذكر من أولاد الرجل إلا النبيه الأشهر ويلغى الغبي ، ولولا ذاك لم يسع أنساب الناس سجل ولم يضبطها كاتب ، ألا ترى أنا ذكرنا من آل ذي أوسان صلب رجل واحد وذو أوسان بطن كبير ، وكذلك في جميع ما ذكرنا وعلى هذا مذهب النسب . "

وأكثر ما تنطبق هذه القاعدة على البطون اليافعية... فعلى اتساع نجد حمير وكثافة ساكنيه وأهميته التاريخية إذ تتزل حمير:

في المكان المنسوب إليها وهو (سرو حمير) في جنوب شرق اليمن ، وهو ما يسمى اليوم بـ(يافع) وما جاورها... وقد كانت هذه القبيلة وارثة مُلك وتحكم اليمن كله ، ولكنها ضعفت من جراء الاحتلال الحبشي ثم الفارسي فيما بعد...^٣

وعلى الرغم من انتساب شيخ الهمداني وأستاذه الجليل إلى أحد غرر أودية (يافع) المعروف بـ(وادي يهر) وهو (أبو نصر اليهري) الذي وصفه تلميذه الهمداني :

(بأنه شيخ حمير وناسيها، علامتها وحامل سفرها ، ووارث ما ادخرته ملوك حمير في خزائنها من مكتون علمها وقاري مساندها واخييط بلغاتها...^٤

على الرغم من هذه المزايا لا يجد الباحث الكثير في آثار الهمداني عن يافع والبطون المنسوبة إليه... وعلى كل حال ، فهذا ما لدى الهمداني بشأن يافع:

نسبه:

يافع بن قارول بن زيد بن ناعته بن شرحبيل بن الحارث بن يزيد بن يريم (ذي رعين) .^٥

فيافع كما يظهر في هذه القائمة هو الحفيد السادس من سلالة (ذي رعين) . وأمام إشكالية تتبع مما تتوارثه القبائل اليافعية عن أصلها العائد إلى : (يافع بني مالك)

ذهب البعض لتوسيع القائمة لتستوعب (مالكاً) فهكذا المح (البكري) في كتابه "في شرق اليمن يافع" حيث أورد (يافع بن زيد بن مالك).^٦

وعلى العموم فإن جميع القبائل اليافعية تنسب أصلها إلى مالك ، فهم (يافع) (بنو) بمعنى (تحالف) قبلي... لكن الإشكالية هذه لا تحل بهذه البساطة، أي بحشوب مالك أو أملاك. فالأمر في نظري يعود إلى العهود العتيقة التي لا نجهد أنفسنا في التواصل معها عبر قنوات أكثر فاعلية من قوائم الأنساب... وأرى أن نساب حمير قد وقفوا حائرين أمام انتساب أكبر بطون حمير إلى يافع... فقد قال أبو نصر اليهري : (ومن نساب حمير من يقول: إن الأملاك ابن بلده ابن يافع وهي الصغرى. غيره : أملاك يافع بنو ملك).^٧

وإذا يقر (الأكوع) عدم معرفته ببني ملك يافع . والمفهوم مما قاله نساب حمير أن:

١. قبائل (حمير السرو) قد عرفت بانتسابها إلى الجد يافع ، ولهذا السبب فهم يافع، أي مثل سبأ (الشعب) و سبأ (الجد الأعلى).
٢. ثم وفي عهد أحد الأحفاد (وربما في حياة يافع نفسه) أطلقوا على أنفسهم تسمية الحقهم

بسيط يافع وهو:

إمّا الأملوك ابن بلدة ابن يافع.

أو مليك ابن (بلدة ؟) ابن يافع.

والظاهر في قول غير أبي نصر أنهم يقصدون بالقول:

— أملوك يافع بنو مليك

— الأملوك هم يافع (القبيلة) بنو مليك (مالك).

نعم فالأصوب (مالك) وليس (مليك) وذلك لأنّ اليافعيين مازالوا حتى اليوم يُعرفون بـ (يافع بني مالك) ولهذا فهم أملوك/جمع تكسير مالك.

أما الشيخ عبد الله الناحي فقد وجد بقية (بني مليك) في أحد البيوت الناحية لهم واد يُعرف بوادي (شباب) [جمع شاب] المتفرع من وادي (ذي ناخب) الشهير في (يافع بني قاسد) ويُعرفون هنالك بـ (بني المليك/صيغة النسبة إلى مليك).^٨

هذا ولا توجد اليوم في (سرو يافع) آثار اسمية لأي من ولدي يافع لا لـ (جحيمان) ولا لأخيه (بلدة) فلا قرية أو ناحية أو قبيلة تذكر أو تحمل اسم أحد منهم !.

ولا تنتهي المسألة عند هذا الحد ، ففي قائمة نسب (رعينية) يظهر لنا ولد ثالث ليافع يحمل اسم (شرحيل) وله ولد يُدعى (يريم الأكبر) وهو بدوره الجد الأكبر للسلالة اليزينية ، فمن صُلبه يخرج: (دويزن) بن يريم الأكبر بن شرحيل بن يافع.^٩

وهو الآخر ، أي (شرحيل) لا نجد له أثراً اليوم إلّا في أحد البيوت (المفلحية) ويُعرف بيت بن شراحي (بالنحت) : حلالهم وادي (عقور) وهو أحد الأودية الفرعية التي مخرجها إلى وادي يهر على الجانب القبلي منه.

وكلما توغلنا في البحث عن جذور البطون الحميرية في (سرو حمير) ترسخت لدينا قناعة أنّ يافعاً أي (يافع ابن قاول) الذي انعقدت تحت لوائه كل البطون الحميرية العريقة في (سرو حمير) ... هذه البطون ليست بالضرورة جميعها خارجة من صلب الجد (يافع) ، فالملاحظ أنّ بعض البطون اليافعية الانتماء والتي كانت لأسماؤها غلبة على أوطانها في (سرو حمير) هذه البطون في الواقع تتقدم في الصفوف الأولى للسلالة الحميرية تاركة (يافع) في أحد الصفوف الخلفية ... أي أنّ هذه البطون تحتل مرتبة الأجداد مقارنة بمن تنضوي تحت لوائه ، ونقصد به (يافع) الحفيد الذي برز المتقدمين والمتأخرين من سلالته . وفيما يلي نعرض لبعض (الحميرية) المتقدمة على (يافع ابن قاول) والساكنة بعض نواحيه !

ولتسهيل المقارنة أنظر الجدول أدناه:

[أ] نفوذ يافع في (ذي رعين)		
(II)	(I)	(III)
عدي بن	يافع بن	
غلس بن	قاوّل بن	
شعر بن	زيد بن	
عدي بن	ناعته بن	
الحارث بن	شرحبيل بن	ثمر بن
شرحبيل بن	الحارث بن	شرحبيل بن
مثوب بن	زيد بن	مثوب بن
يريم	يريم	يريم

[ب] نفوذ يافع في سلالة حمير الأصغر			
(V)	(IV)	(I)	(VI)
	يعفر بن	يافع بن	
حبه بن	الحارث بن	قاوّل بن	العردف بن
زرعة بن	سعد بن	زيد بن	حطبان بن
سبأ بن	مالك بن	ناعته بن	بلد بن
وائل بن	زيد بن	شرحبيل بن	الفيض بن
سدد بن	سدد بن	الحارث بن	
	زرعة (حمير الأصغر) بن	زيد بن	زرعة (حمير الأصغر) بن
	سبأ الأصغر بن		سبأ الأصغر بن
		يريم	كعب بن
	كعب بن	ذي رعين بن	
	سهل	سهل	سهل

ومن الجدول [أ] و [ب] نستخلص التالي :-

(I). أن (يريم ذو رعين) بن سهل بن زيد الجمهور بن عمرو بن قيس بن جشم بن عبد شمس هو الجد السادس ل(يافع السرو) وأن لهذا الأخير قد أخذت حمير تنسب إليه سَروها المعروف ب(سروحمير). في حين لم يبق لهذا الجد (ذي رعين) غير عزلة من ناحية يريم وأعمال إب تُعرف باسمه (ذو رعين) وهي عزلة متسعة بما فيها خبان والشيعر وشطر من بعدان...^{١٠} وقد ظلت هذه العزلة عبر العصور تحت نفوذ القبائل اليافاعية.

(II) وذو رعين هذا هو الجد السادس أيضاً ل(عدي بن علس) مما يعني أن(عدياً) كان معاصراً ل(يافع بن قارل). وإلى (عدي) تنسب قبيلة آل عديرة في يافع العليا...^{١١}

• عديرة :

إحدى قرى سَيْل (جمع سيلة/سائلة) لبعوس تقع في رأس وادي (ذي ناخب) وذلك في ملتقى عدة أودية أهمها وادي (صدر) ووادي (سلفة) وكلها أودية ذكرها الهمداني في (الصفة).

(III) ينسب جبل (ثمر) في أدنى الطرف الشرقي ل(هضبة ظهر يافع) وهو جبل جعله الهمداني لبني ذرحن (الدراحن) من يافع. وينسب إلى الحفيد الثاني ل(ذي رعين) وهو : ثمر بن شرحبيل بن مثوب بن يريم (ذي رعين). وقد حققه الأكوع في الإكليل/٢. ١٢

ومن الآثار الاسمية لثمر في يافع أيضاً:

• ثمر :

وزان مطر: قرية في مكتب السعدي من يافع بني قاسد ، وهي حلال آل يوسف من قبيلة بن الحمر.^{١٣}

* ثمر : قرية في ناحية قبيلة الربيعي التابعة لمكتب يهر وهي حلال الحدادين منهم.^{١٤}

(IV) من نسل زرعة (حمير الأصغر) بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل.. هو أي كعب أخ ل(ذي عدين) ولد يعفر.

• يهر :

(ذو يهر) من صُلب (سدد بن زرعة) و إلى (ذي يهر) ينسب (وادي يهر) الشهير ، إذ يُعد الرافد الثاني لوادي بنا من سرو حمير-انظر المزيد من التفاصيل لاحقاً- ويظهر أنه كان معاصراً ليافع.

(V) حبه : حبه هو الآخر من نسل زرعة حمير الأصغر ثم مثل يعفر (ذي يهر) من صلب (سدد بن زرعة) . وهو الحفيد السادس لكعب بن سهل.. أي أنه قد كان من جيل واحد هو (يافع بن قاول) . وهو أي (حبه) بهذه الصيغة ينسب إلى (جيل حبه) ووادي (حبه) في الجوار من جبل ثمر. لكن لنا رأي آخر سنبيته فيما يلي :

(١) سنلاحظ (لاحقاً) أثناء تعرضنا للنصوص التي وردت في (صفة جزيرة العرب/ص ١٧٢-١٧٣) أن المقصود بالعبارة: (حبه الأبقور من يافع) [صفة/١٧٣] ليس بصحيح وأن الصواب : (حبه للأبقور من يافع) [بالميم بعد الحاء المهملة].

(٢) حبه = حمه ويهر كلاهما من نسل (سدد بن زرعة [حمير الأصغر])... ووادي حمه أحد أودية يافع بني قاسد في (كلد) كذلك يهر في يافع بني قاسد. أي أن حمه (حبه في آثار الهمداني) ويهر من فصيلة واحدة على وجهين:

- من صلب واحد (سدد).
- في حيز جغرافي واحد (بني قاسد).

(V) العردف : بطن حميري من بني الفياض بن زرعة حمير الأصغر. وهو أخ للصردف وقد حقق (الأكوع) موضعها أما (العردف) فيُظن أنها في السكاسك وشرع...^{١٥} وهي في واقع الحال تُعرف اليوم ب(سهم العردف) في الشعيب-الأطراف الشمالية ل(سرو حمير/يافع) .

• العردف :

يضم هذا السهم فخائداً عديدة تسكن قرى أهمها : عنغد-ثعلفة-الصلب-صامح-غيلان-المطوى-حجلة-المشراح.

أما حجلة وغيلان : فيُعرف ساكنوها بأهل كيشان والرجبة: الكريحي وبن مفتاح.. ومن قوى بن مفتاح راغب وبرك أيضاً.

أما الصلب : فقرية المطاري. هذا وبقية القرى ينسب أهلها إليها.^{١٦}

و(العردف) هذا هو الحفيد الخامس ل(كعب بن سهل) ويكفي في هذا دلالة على قدم هذه البطون الحميرية نسبةً إلى (يافع بن قاول) إلا (عديوة) بن أغلس (علس) الذي يتساوى مع يافع من حيث الجيل وهو السابع هنا في السلالة الرعينية. والعردف مثلاً يدخل في عمومة (أعمام) يافع لكنه مع ذلك يُعرف كسهم ليس إلا في منطقة يافعية هي (مخلاف الشعيب) المنسوب للشعيب، أحد البطون

اليافعية المتولدة من بلدة وجحيملان. إبن يافع حسب رواية (محمد بن مسلم اليافعي) التي أوردها (لسان اليمن) في (الإكليل). ونستغرب من (محمد بن مسلم) هذا عدم تعرضه لموطنه والبطون التي ينتمي إليها ولا نعرف عنه شيئاً غير إشارة الهمداني إليه ب: (محمد بن مسلم أخو قاسد) [بني قاسد] ١٧.

وعلى الرغم من فشلنا في العثور على ترجمة لمحمد بن مسلم أخو بني قاسد ... إلا أن اسمه وأخوته ل(بني قاسد) تجعلنا نصرح أنه من حميسي آل مسلمي (صيغة النسبة إلى جبل مسلم) : الواقع اليوم في وادي يهر أحد مكاتب يافع بني قاسد (أخو بني قاسد). فعدم تطرق (محمد بن مسلم) لموطنه بالذات يريد من قناعتنا عن غياب أمور كثيرة على الهمداني بخصوص (سرو حمير/ يافع). وهناك بعض التخليطات فيما أورد الهمداني (رواية محمد بن مسلم) : فقد ذكر (بني قاسد) كبطن. وهم اليوم تحالف قبلي عظيم يشكل نصف يافع السرو ويضم تحت لوائه أغلب البطون التي ذكرت في رواية (محمد بن مسلم) منها: بنو قاسد-الأبقور-بنو شعيب-بنو جبر-بنو سمي-بنو صائد-كلد.

وفي (كلد) هذه تعيش قبائل يافعية كثيرة ومنها ثلاثة بطون مذكورة في هذه الرواية وهم:

• الأبقور وبنو سمي وبنو صائد:

وقد حققنا هذه البطون ومواطنها في مواضع أخرى من بحثنا... ولعله من المناسب هنا الإشارة إلى أننا قد برهنا في الجزء الأول من كتابنا والمتعلق بتاريخ اليمن في العهود العتيقة (التوراتية) أن (بني قاسد) وكلد (القاسدية) كان لهم حضور في التاريخ يرجع إلى نهاية الألف الثالثة (ق.م). ويتعجب الباحث من هذه التحولات التي طرأت على (سرو حمير) منذ عهد الهمداني. فقد ذكر في (صفة جزيرة العرب) مفارقات في سرو حمير وذلك بذكره لبطون يافعية مازالت حتى اليوم موجودة ولكن في غير المواضع التي ذكرها الهمداني ومنها:

• حطيب لبني قاسد من يافع.

• حُبه للأبقور من يافع.

• يهر لبني (شعيب) من يافع. ١٨

فبني قاسد كما أسلفنا هم اليوم نصف يافع المعروف بيافع بني قاسد (يافع السفلى) ويحتلون الجناح الجنوبي من (سرو حمير) بينما (حطيب) واد في الطرف الشرقي لمضبة (ضهر يافع) -يافع العليا- وهو حسب تعبير د/ يوسف محمد عبد الله :

أحد رافدي (وادي بنا) الشهير - إذ رافده الثاني واد آخر من أودية سرو حمير هو (يهير) ...^{١٩} الذي يفصل (يافع) إلى قسمين هما :

- يافع بني مالك (هضبة شهر يافع) الحيز الشمالي من سرو حمير.
- ويافع بني قاسد الحيز الجنوبي للسرو.

وعلى العموم فيافع حتى اليوم لم تكشف بعد ، فهي وفقاً لوصف الشاعر العراقي المعروف (سعدي يوسف) - سجله في زيارته اليتيمة لها - :

تبدو يافع كلمة فضفاضة إذا ابتعدنا بها عن الأنثروبولوجيا والجغرافيا الطبيعية ،
فأنت لا تكاد تخرج من (زنجبار) حتى تدخل بعضها ، كما أن (الحيلين) ليست
سوى نقطة وصل بين يافع والحوطة ... وهناك التباعد بين المراكز الذي
يزيد الفضفاضة اتساعاً ، فالمسافة بين (الحمد) و (رصد) كأنها المسافة بين
السما والأرض ، والنقىل (نقىل القمر) [نقىل الخلاء] ، وحده كافٍ ليُجعل شكلاً
من (ذي ناخب) و (يهير) إمارتين مستقلتين .^{٢٠}

وإذا كانت إشكالية المسافة بين (بني قاسد) وخطيب عاجلناها في موضع آخر بما رأينا فيه التباساً
ناجماً عن التشابه (لفظاً) بين اسمين هما :

- خطيب = واد في شمال شرقي يافع.
- حطاط = واد في أقصى جنوب يافع.
- إذ خطيب = حطب (بلا تصويت).
- و حطاط = حطط (=====)

ويكمن الالتباس هنا من تقارب مخارجي الصوت (الطاء والباء) حيث حطيط = خطيب ...
وحطاط اليوم من غرر أودية (كلد) تندفق عبره سيول جبال (يافع بني قاسد) ومخارجه إلى أبين عبر
(حليل برق). ولكن حتى حصر (بني قاسد) في (حطاط) يُعد بمثابة مؤشر على إلمام (صاحب الرواية)
ليس إلا بالتر اليسير من شوارد الأخبار عن (يافع السرو) في عصر كانت تزدهم فيه الحوادث الجسلم
كدعوة (أبي الفتح علي بن الفضل الخنفرى) المشهور لدى الإخباريين ب(القرمطي) وفتوحه التي كانت
يافع رائدة فيها. وهو العصر المقصود بقول (لسان اليمن):

وهم ألجد رجال اليمن وأخبارهم في عصرنا تكثر .^{٢١}

وعندما نقف أمام قول الهمداني : (حُية للابقور من يافع)

تترسخ قناعتنا بأن ما كتب الهمداني عن (سروحمير) لم يكن عن إحاطة حقيقية بأحوال السـرو وأبعاده وأحداثياته الجغرافية وإنما عن معلومات اختطفها (لسان اليمن) اختطافاً ربما من نفس مصدره في [الإكليل/٢] وهو محمد بن مسلم اليافعي-اليهري كما بينا- الذي أخاله يلقي بنتف من أخبار السـرو على سمع (لسان اليمن) وهو أي (محمد مسلم) على عجلة من أمره . ولم تسنح الفرصة لـ(أبي محمد) اللقاء براوية الخبر مرة أخرى للوقوف على ما ذكره . وربما أن الهمداني قد صادف بعد (محمد بن مسلم اليهري) رجلاً آخرًا من يافع أو من جوارها فأفسد على الهمداني رواية (ابن مسلم) بذكره لمواضع أخرى في (سروحمير) تتشابه لفظاً مع ما ورد في متن الرواية الأصل الأمر الذي نعرض له في هذه الأسطر إحقاقاً للحق وخدمة للمعرفة التي كانت فيها الغاية والمدد لإنشاء هذا الصرح المعرفي المتجسد في آثار الهمداني ومصنفاته التي لم يصلنا منها إلا ما حققه الأستاذ محمد بن علي الأكوع في مشروعه الثقافي الذي أطلق عليه : المكتبة اليمنية الحوالية. ولعله من الصواب بلا شك تقويم ما اعوج من النصـر في (صفة جزيرة العرب) تحت مادة (سرو حمير وأوديته وساكنه) على نحو ما ذكرنا في الأسطر السابقة ، أي ما نصت عليه العبارة : (حطيط لبني قاسد من يافع)

يعول إلى : (حطاط لبني قاسد من يافع). وأما نص العبارة موضوع التقويم فهو : (حُبه للأبقور من يافع) ففي هذا النص من التجاني عن الواقع ما بين جبل (حَبَه) ومواطن قبيلة (الأبقور) في [كلد] إذ يقع (حبه) إلى الجوار من جبل (ثمر) في شمالي هضبة ضهر يافع الشرقي (يافع العليا) وحلال (الأبقور) لم يتغير إذ تقع أوديتهم وقراهم في جنوبي (يافع بني قاسد) الغربي ، أي في (يسافع السفلى) مكتب قبائل (كلد) فالملقصود في النص واد آخر في (يافع بني قاسد) ويُعرف باسم : وادي حُمّة: (وزان غُمه :المههم) وقد آلت اليوم ملكية الوادي لقبيلة أم جلاد (الضراب بالسيف) ويعرفون به إذ يدعون بـ(جريري حُمّة) الجريري : فرع من أم جلاد.^{٢٢}

وفي وادي حُمّة يقول الشيخ راجح هيثم بن سبعة :

وليلة يقع داعي (لهوي) و(داعري) لما أغير من (حُمه) ومن وادي (الرزان)

• الرهوي والداعري : قبائل من سروحمير.

• حُمّه : وادي حُمه.

• الرزان : واد في يهر.

وقد كان وادي (حُمه) لفرع من قبيلة (الأبقور) غير أن كثيراً من تفرعات الأبقور قد هاجروا

إلى لحج (المجاورة عدن) وسكنوا هنالك في واد يعرف ب:

(بني أبة) يسكنها الأبقور من يافع).

فهجرة الأبقور بعضهم إلى (لحج) و(حالمين) جنوب الضالع هي السبب في انتقال حقوق التملك لراذي (حمه) من الأبقور إلى الجلاد والحرور وهم قبائل كلدية أيضا ونعزز طرحنا هذا بما يلي:

(أ) حبه : وردت في الصفة كموضع : (بضم الحاء المهملة بعدها باء موحدة

[صفة/ ص ١٧٢]

مفتوحة آخره هاء)

غير أن (حبه) قد ورد في سلسلة نسب بني وائل (بن سدد) بن زرعة على هذا النحو :

أولد وائل (بن سدد) بن زرعة بن سبأ الأصغر : سبأ بن وائل . وأولد

سبأ بن وائل : زرعة بن سبأ . فأولد زرعة بن سبأ :

* حبه (مخففا) بن زرعة. وإليه ينسب وادي حبه بالسرو. فأولد حبه بن زرعة : الأسموع بن

حبه. فأولد الأسموع بن حبه : سماعة بن الأسموع ، بطن .^{٢٣}

وهذا يؤكد بحد ذاته إلى أن حبه الموضع غير حبه (مخففا) الرجل (حبه بن زرعة).

(ب) حمه : (وزان غمه بمعنى المبهمة) الوادي (أي الموضع) تطابق حبه (الموضع) من حيث ضم

الحاء المهملة . في حين أن حبه (مخففا) تشاكل حبه (بالتحريك) إذ يحققه الأكرع :

وادي حبه (بالتحريك) نسب إليه وهو محفظ باسمه إلى هذا التاريخ،

وهو في يافع العليا، ويرى جبل حبه من بلاد البيضاء ، إذ حبه من يافع

غرب البيضاء ، وآل حبه من قبائل يافع.^{٢٤}

وفي هذا ما يكفي للتدليل إنما قصد (بالصفة) كأحد أودية سروخير هو وادي حمه (وزان غمه

وبالميم بدلا من الباء الموحدة) . وأن حبه (بالتحريك) جبل وواد هو ما ورد نسبه في الإكليل (مخففا)

وعليه يلزم تصحيح النص الوارد في (صفة جزيرة العرب) من:

(وحبه للأبقور من يافع) [ص ١٧٣]

إلى : (وحمة للأبقور من يافع)

فياترى هل لبطن سماعة من بقية اليوم ؟

نعم فما برح (بطن سماعة) يعيش في أحد أودية سروخير الشرقية في كنف مخافد (العنقيم) عمالقة

خير الأولى والتي مازالت تُعرف حتى اليوم ب(العناق). المجاورة لبيضاء حصى من جهة الغرب .^{٢٥}

ويحمل واديهم اسم الجد الأعلى لهم أي : (سماعة بن الأسموع بن حبه) فهو اليوم :

• صنّاع :

بالسين المهملة والنون بدلاً من الميم آخره عين مهملة قبلها ألف وباء هاء والكثير من أهالي (سرو يافع) ينطقونها بالصّاد المهملة فهو (صناع) وهذا الأصوب لأسباب سنبينها آخر البحث : وادي صنّاع هذا يُعرف في أعاليه بـ (صناع العليا) وفي أسافله بـ (صناع السفلى) وتتدفق عبره سيول تأتيها من (جبل الثغر) عبر وادي (دان) فوادي (خيله/أنثى الحصان) ثم وادي (مروه) حيث يتّحد مع سيول الصفح القبلي لوادي (بني بكر) وهكذا عبر وادي (صناع/صناع) تخرج السيول إلى وادي (جره) الذي يلتقي في سافله بوادي (حطيب) الرافد الأول لوادي (بنا) ويسكن في وادي صنّاع عدة قبائل منهم :

• أهل عبيد وبعض قبيله.

• الفردي ويُعرفون بأهل الحرفوف وأهل عمر.^{٢٦}

نعم فأهالي وادي (صناع) هم هذا البطن الخارج من صُلب (سماعه بن الأسمر) من حبه من نسل (سدد بن زرعة) [حمير الأصغر] . [انظر المزيد آخر البحث عن (حصن صنّاع)] هذا بشأن الأسمر = الأسنوع/ أو الأصنوع فما بال لسان اليمن الهمداني يجعل من وادي (يهر) موطناً لـ (بني شعيب) بما نص في الصفة : (يهر لبني شعيب من يافع).

فأين وادي (يهر) في قلب سرو حمير جنوبي (هضبة ضهر يافع) من قبائل (الشعيب) في أقصى الشمال الغربي من سرو حمير : إلى الشمال من جبل (حرير) توجد جبال الشعيب المتصلة بجبل (حرير) في الجنوب، ويوجد جبل مريس في غربها وإلى الشرق من جبال الشعيب توجد جبال يافع.^{٢٧}

فهل يمكن سكّون النفس إلى قول الهمداني هذا ؟ وهل كان (بنو شعيب) على عهد الهمداني يسكنون في وادي يهر الواقع بدوره في قلب (سرو حمير) ؟

إذ يفصل بين جناحه الجنوبي (يافع بني قاسد) وجناحه الشمالي (يافع الهضبة/يافع بني مالك) ويزداد الشك عندنا إلى درجة نتحفز عندها بحثاً عن اليقين ، عندما نجد الهمداني (في نفس الموضع) ينسب إلى (بني شعيب) مواطناً أخرى تقع في نفس الحيز الجغرافي الذي يضم بين أوتاده ووهاده وادي (يهر) هذا. أما هذه المواطن فهي :

• سلفه لبني شعيب أيضاً...

• وعرو ميحان لبني شعيب أيضاً. [صفة/ ص ١٧٣]

هذا الشك يدفع بنا إلى السؤال أيعقل أن (بنو شعيب) قد تركوا مواطنهم هذه (بعد القرن العاشر للميلاد) إذ كان الحمداني مازال عائشاً في النصف الأول من القرن العاشر للميلاد) واتجهوا نحو الأطراف الشمالية الغربية لـ (سروحمير) ليحتلوا هنالك قطاعاً من أرض جبلية وعرة شرقي الضالع ؟ وإذا كان هذا صحيحاً ، فهل يعني أنهم أزالوا من هذا القطاع المعروف بـ (مخلاف الشُعيب) بعض قبائل (الأعزود من جعدة) ؟

عندما نجد الإجابة بالنفي القائم على إثبات تواجد (بنو شعيب) في مخلافهم منذ أقدم العصور ، وأهم لم يزيحوا أحداً عن مخلافهم هذا أي (الشُعيب) لا قبل ولا بعد الحمداني .
يا ترى فمن هم بنو شعيب هؤلاء الذين نسب إليهم صاحب الصفة ملكية وادين من أحصص أودية سروحمير هنا (يهر) المشهور بزراعة التين و (سلفه) المشهور بزراعة القات والورس ؟
وأين حصنهم (عرُ ميحان) الغير معروف الآن ؟

الإجابة نلخصها في التالي:

المراد في هذا البطن الوارد ذكره في النصوص أعلاه ليس (بنو شعيب) وإنما بنو شُعيب (بدون تصويت) فمن هم يا ترى ؟

• بنو شعيب :

(شعب = جماعة من الناس) : قبيلة ووطن قراهم ووديانهم في منطقة تُعرف باسمهم أي (شعب) وتضاف إلى (العرمي) . فموطنهم هو (شعب العرمي) : منطقة جبلية تقع في رأس وادي (يهر) إذ يُعد جبل (شعب) وما صاقبه أول مآتي وادي يهر من جنوبيه الشرقي... وهذه المنطقة تتخللها وتحيط بها أودية خصبة وقرى عامرة ومن هذه الأودية:

(١) وادي يهر .

(٢) وادي هومه .

(٣) وادي شعب البارع .

(٤) وادي بيتان .

(٥) وادي سلفه - وزان عرفه - .

مازال أهالي (شعب العرمي) يعدون من (مكتب اليهري) -نسبة إلى يهر- ويشكلون أحد أجناسه (الخميس = الجيش القبلي في النقوش اليمنية القديمة) . والشعب العرمي تفرعات قبلية أهمها:

• عبدي : في قرية ناصر .

- عياشي : الحمراء والراحة وقطي والجحلة وكلها قرى.
- دعبي : وقراهم: اللكمة والمصنعة والخربة وشعبية.
- وسطي : في بني الصلح والمعزبة.
- آل/ سنيدي : في رباط السنيدي.^{٢٨}

أما (المحراس) فقد ذكرها الأكوغ ونسب إليها (بني شعيب) على هذا النحو:
(شعب الغرس)

[صفة/ص ١٧٢]

غير أننا نعرف لدينا هو:

شعب المحراس : (بكسر الميم والحاء المهملة وفتح الراء ثم ألف آخره سين مهملة) قرية في جبل آل(نفاج)^{٢٩} : في مكتب اليزيدي ويقع (شعب المحراس) هذا في نفس الحيز ، حيث تتداخل قرى وروديان اليهري واليزيدي والسعدي وغيرها من مكاتب (يافع بني قاسد) ويدخل وادي (سلفه) اليوم في نطاق مكتب اليزيدي : إذ يمتد في حواز (جبل اليزيدي) [آل نفاج/تاريخياً] وعلى وجه التحديد في حوازه الشمالية الشرقية.

أما (عُرمي حان) التي يُقر محقق الصفة(الأكوغ) بعدم معرفتها ، فهي كما يظهر لا تشير إلى حصن باسم (ميحان) على اعتبار أنّ العر : الحصن أو الجبل وأنّ ميحان اسم المكان أو بالأحرى أحد تفرعات (بني شعب) فهذا ما لم نعث له على أثر ، وعليه وبلاستناد إلى ما قررنا أنّ (بني شعيب) هم بالاصوب (بنو شعب) في يهر ويعرفون ب(شعب العرمي). بمعنى أنّ المقطع الثاني من هذا الاسم المركب أي (آل/عرمي) يظهر لنا بجلاء في الاسم المركب (عُرمي حان) والذي ينبغي إعادة صياغته على هذا النحو:

(عرمي حان) : فالاسم هنا من :

- عرمي (صيغة النسبة من عرم).
- حان : اسم موضع.

أي أن هذا الاسم يشير إلى تواجد فرع من تفرعات (بني شعب) أيام الحمداني خارج نطاق وطنهم (شعب) في منطقة ترجع ألها في الجوار من (شعب) وأقرب هذه المواطن التي تشاكل (حان) :

(١) بجان: (بفتح الباء الموحدة والجيم ثم ألف آخره نون) قرية لآل الرشيد من موسطة يافع.^{٣٠}

(٢) بيت البجاني: (صيغة النسبة من بجان) إحدى قرى وادي تلب التابع لليزيدي.^{٣١}

ومنه نخلص إلى أن :

• عر ميهان :

= عرمي بجان... والموضع في التالي هو الاحتمال الأقوى:

٣) حاد: (بفتح الحاء المهملة ثم دال مهملة بينهما ألف) إحدى قرى السعيدى في مكتب (الضبي) من (هضبة ضهر يافع) .^{٣٢} وهذا الأقرب إلى ما ورد في الصفة/ص ١٧٣ :
عر ميهان = عرمي حاد (عرمي-حاد) [تصحيفاً للتشابه بين النون والدال كتابة] .
وبناءً على ما ذكرناه ينبغي تعديل العبارات المخصصة ل(بني شعيب) في صفة جزيرة العرب كالتالي:

• يهر لبني شعيب من يافع.

• سفله لبني شعيب أيضاً.

• عرمي حاد من بني شعيب أيضاً /ص ١٧٣

هذا وقد ذكر الهمداني بطوناً أخرى رعينية السلالة ولم يسرد نسبها تفصيلاً غير أننا لا نشك بأقدميتها إلى حقبة تضارع فيها (يافع بن قاول) على أقل تقدير ففيها قال الهمداني:

ومن ذي رعين ذو ناخب وبنو هجر ولم يذكرهم أبو نصر ، ومسكن الأهجور

العرقه من سرو يافع وهل بالباء.^{٣٣}

وقد أشار محقق الإكليل (الأكرع) :

« ذو ناخب : لهم بقية بيافع السفلى ولهم صوت مسموع ، وكذلك الأهجور ومقرهم قرية

الخضراء.

« العرقه : (بفتح العين المهملة وكسر الراء ثم قاف وهاء) : بلدة آهلة بالسكان من (ذي

رعين) ب(يافع السفلى). وأما (هل) فلا أعرف عنها شيئاً.^{٣٤}

ونحن بدورنا نؤكد أن (ذا ناخب) ويلفظ دائماً (ذي ناخب) كانوا وما زالوا من كبريات

القبائل اليافعية ، وهم أحد مكاتب (يافع بني قاسد) ويضم هذا الكتب قبائل لا مجال لذكرها هنا ،

ومن ضمنها قبيلة العرقي (صيغة النسبة من العرقه) وفي [الصفة] حققها الأكرع.

« وادي العرقه: بلدة جامعة تقع أسفل وادي (ذي ناخب) ويسكنها آل المفلحي لهم مكارم

وعروبه.^{٣٥}

وفي الواقع أنه لا وجود لآل المفلحي أو (المفلحي) [بالقاف والجيم بينهما لام]—هذه الصيغة

أوردتها الأكوغ - غير أننا نرى (الأكوغ) قد حولت عليه بين آل العرقة (يافع بني قاسد)) في أقصى الجنوب الشرقي . وآل المفلحسي (صيغة النسبة إلى مفلح) حلال وادي خلسه (أخلسه عند الهمداني/الإكليل/٢/ص ٣٠٨-٩) في يافع السفلى ولكن! في أقصى الشمال الغربي شرق الضالع وما بينهما يصلح لإقامة إمارات على حد تعبير الشاعر العراقي (سعدي يوسف). وعلى العموم :

وادي العرقة: من أخصب أودية يافع ، يصب في أسافل وادي (ذي ناخب) ومن ذي ناخب تنفرع أودية معيولة كثيرة سنذكرها .

ويعرف وادي العرقة في أعاليه برادي أهل منصور (ذو منصور) وماتية من الصفوح الجنوبية ل(جبل العر) ولا أثر اليوم ل(الأهجوم) في وادي العرقة فيما أعلم غير أنهم رأس مكتب البعسي من يافع العليا ... غير أن مكتب لبعوس هذا ينقسم إلى جبل واد- والوادي يعرف ب(سيل لبعوس) - المتداخلة مع مكتب الناخي (ذي ناخب). وهذه تقسيمات العرقي:

- الزرقى : (تكسر الزين والفاء بعدها قاف) قرية لهم في جبل (ذي منصور) رأس وادي العرقة.
- داهج : (بفتح الدال المهملة وكسر الباء موحدة بينهما ألف بالمد آخره جيم) : قرية لهم أيضاً أي لآل منصور .

- سنورق : (بضم السين المهملة بعدها وار وراء مشددة مفتوحة آخره قاف) : قرية في وسط وادي العرقة حلال أهل قحيم والصبيحي.
- جزر : (وزان شبر) وادٍ وقرية لأهل بركين وأهل فرج والصبيحي.
- المعزبة : قرية لأهل علالية في وادي العرقة.
- رباك : (عقاب/حوراح الطير) ينسب أهلها إليها.
- عرقة : قرية باسم الوادي حلال أهل عوض منهم.^{٣٦}

أما (هل) التي ذكرها الهمداني في أوطان الأهجوم ، فلم نجد لها أثراً في مواطن الأهجوم القديمة (العرقة) والجديدة (هجر لبعوس) ... غير أن (الناخي) قد ذكر في كتابه السالف الذكر قرية في وادي (ذي ناخب):

لـ بلم : (وزان علم) في جبل شمسان خرابه كبيرة يقال أنها كانت لقوم يقال لهم أهل بلم.^{٣٧}

وأظن أن (بلم) هذه قد بلغت الهمداني بصيغة مفحمة (هلم) حيث (الهاء) للتفخيم ... فحذف الميم على اعتقاد منه أنها (لاحقة التنوين في لغة النقوش اليمنية القديمة).

ولا غرابة إذا كانت هل (هلم-بلم) أحد مواطن أهجوم سرومير على عهد الهمداني ، فهذه

الخربة ووادي العرقة تقعان في حيز جغرافي واحد هو أسافل (ذي ناخب) ... لقد كان وادي (ذي ناخب) يضم بين جنباته قرى ومحافداً شكلت في العهود الحميرية القديمة (الأدوائية الناخبية) . وكلما ازدحمت جنباته نزح أبناءه نحو مواطن جديدة وهو ما حصل لأهل (هل) أنفسهم وللأهجار الذين عزفوا عن (أسافل الوادي) الخصب ، ربما المراحة من قبائل وافدة أو حليفة (مرايعين) واتجهوا نحو أعالي الوادي ، عبر وادي (صدر) وأقاموا هنالك على مقربة من جبل (همر) مدينتهم (هجرن) والمعروفة اليوم باسم أو الصيغة العربية (الهجر) وتُعرف أيضاً باسم (هجر لبعوس) لأنها بالفعل (قصة لبعوس) ورأس مكتبه. ومن هجر وادي (ذي ناخب) قوم يُعرفون ب:

• ذي منصور:

فرع من يافع الحميرية منازلهم في المغرب العربي ومن أفخاذهم :

المخلاف والعمارية والمنبات. ^{٣٨}

ما زالت منهم بقية في جبل (آل منصور) في أعالي وادي العرقة ، وقد ذكرنا من قراهم (دابج) و(الزقق) /لقمان ص ١٩١ . ومنهم في هضبة ضهر يافع (جوار همر) أو بالأحرى غرب (هجرن/الهجر) قرية تنسب إليهم : فهي :

* قرية أهل منصور: وهم فرع من قبيلة (الحوري) البعسية (صيغة النسبة إلى لبعوس) ... أما عمارية المغرب العربي (أحد أفخاذ ذي منصور) فلهم بقية كبرى في مكتب لبعوس ... إذ يُعرف نصفه بالسييلي: (صيغة النسبة إلى سيّل/جمع سيلة [سائلة] لبعوس) المتداخلة مع أودية حواز (ذي ناخب) وقبائل السييلي هذه تُعرف ب:

* آل عمري: (ومنهم عمارية المغرب) ويتفرعون إلى:

أ. أهل عمرو.

ب. آل سيخان.

ج. أهل جهدوع.

د. عديوة.

هـ. هرم.

و. أهل حرور.

ز. أهل السيّل.

ح. أهل المضيق لعللي (الأعلى).

ط. أهل ضنبه بيهنه.

ي. المسارة

ك. أهل وادي بر (صدر تاريخياً).

ل. المربعة.

م. حبة آل مديد.

ن. الشقراء.

س. أهل حاصب.

ع. أهل هبأ.

ف. أهل العر.

ص. أهل جرن.

ق. أهل بن متاش.

ر. أهل التسعة.

ش. أهل داؤد عمر.^{٣٩}

وكما ذكرنا آنفاً نسب (عدي بن علس) وقرينه عديوة. ووادي (بر) صدر (قائماً) من أخصب
أردية سروحير / صفة ص [١٧٢-١٧٣].

هذه الشواهد تؤكد لنا أنّ نواحي البعسي (لبعوس) كانت قديماً جزءاً من الأذوائية
الناخية... فلا يوجد في المصادر القديمة - وحتى الفترات الإسلامية المتأخرة أي فيما بعد (القرن
التاسع للهجرة) - أي ذكر لبطون حميرية تُعرف ب (البعسي) فقد انفصلوا في (القرن الحادي عشر
للهجرة) عن تبعيتهم ل (ذي ناخب) بل عرفوا بأنهم ردف ل (موسطة يافع) في دواعي الحرب
وصالحها... ومن الأدلة التي تدعم طرحنا هذا في أصول لبعوس الفاسدية ما يلي:

• آل أحمد:

فخيزه من آل (العمري) من يافع بني قاسد. منازلهم بين عكر وحراج شمال فلسطين.^{٤٠}
بالإضافة إلى (عمري لبعوس) مازال (العمري) يشكل أحد أحماس (خموس) يهر ويضم في حميره
الحاد ل (كلد) قبائلاً عديدة ليس المجال لتعدادهم هنا (للمزيد أنظر الدراسة المكرسة لذي يهر) .. وقد
أسهب حمزة لقمان في سرد تفصيلات عن العمري البهري.^{٤١}
ونرجع أن آل أحمد هؤلاء ينتمون بالفعل إلى قبيلة العمري الناخية ، وأوديتهم ومخالفهم ، نشير
إليها في التالي:

آل عمري: قبيلة من يافع بني قاسد... حلالهم أسافل وادي (ذي ناخب) وتداخل أوديتهم ومياتلهم مع قبيلة (العصري) الناخية أيضاً، إذ يمر عبر أراضي القبيلتين (وادي [طسه]/وزان قصه) وهو إلى الجنوب من وادي آل منصور (ذي منصور) وفيوضهم تخرج إلى أسافل (ذي ناخب) المعروف بـ(وادي سلب)... وقد عرضنا آنفاً لآل منصور في (ذي ناخب) وفي (لبعوس) ولعمري لبعوس (السيلي) و(أهجر العرقة) و (أهجر لبعوس)... وهكذا أما (آل أحمد) فلهم أثر في لبعوس أيضاً ، إذ يجاورون (آل منصور) هنالك ، ولهم قرية تُعرف باسمهم (أهل أحمد) ويشكلون مع أهل (هجرن/الهجر) و(أهل منصور) و(السيكي) و(أهل حيان) و(الديوان) و(المغرا) و(الرباط [رباط العبادي])... يشكلون نصف مكتب البعسي (نسبة إلى لبعوس) المعروف بـ(الخوري).^{٤٢}

وفي إطار النفوذ اليافعي تدخل بطون رعينية أخرى هي من حيث التسلسل السلالي في المقدمة ومنها :

أخله حيث نجد نسبه عند الهمداني عن رواية شيخه أبي نصر اليهري:

• أخله:

زنه أمله وتخفف فيقال أخله مثل أصله، (وله ثلاثة أخوان

هم: ذو الخول والليل وشكع) ، أربعة نفر بني مالك (الحارث)

بن شرحيل بن الحارث بن زيد بن يريم (ذي رعين) /الإكليل/ ٢/ ص ٣٠٨...

نعم فأخله وإخوانه يقع في مرتبة الجد الأول ل(يافع بن قارل) بينما يكون (ذو رعين) جددهم الرابع ومع ذلك فهذه البطون الحميرية العريقة ليست إلا بعض يافع وحلالهم في (سروحمير) في أطرافه الشمالية الغربية. وقد أشار محقق الإكليل (الأكوع) إلى أوطانهم [نفس الصفحة]:

شكع: بضمين كما ضبطه المؤلف وبه تسمت بلدة وحصن شكع من يافع السفلى بلاد المفلحي ، وتقوم على هضبة صخرية ويوقها من الحجر المنحوت ، وتتكون من طبقتين وثلاثة ، وتبعد عن الضالع بخمسة عشر ميلاً وعن قعطة في الشرق الجنوبي بمسافة مرحلة ، وهي غنية بالآثار الحميرية . فقد عثر فيها على أواني من الخزف والزجاج والحديد والبرونز وقطع ذهبية أما أخله فهي التي تُسمى اليوم:

أخله: - بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام وبه سميت قرية (خله) من يافع (السفلى) وهي أوسع من شكع... وبينها وبين شكع ساعة زمنية.^{٤٣} وأهالي (خله) ينقسمون إلى فحائذ عديدة

وتتبعهم عدة قرى إضافة إلى: (شكع) و(أرحب) و(الخربة) و(المعزبة) و(الحينك) و(الذراع) و(دار النوبة) و(صرارة) و(الغول) و(العامري) و(الظاهرة) و(عرشي مرات) و(شريم) و(الغليبي) و(سوق المير).^{٤٤}

وخله و(بنو مسلم) وآخرون يضمهم مكتب المفلحي الأسفل وللمفلحي الرئاسة فيهم. وروادي خله هذا يبقى شاهد حي يذكرنا بنهاية شاعر جاهلي فحل هو: (مرقش الأكبر عمسرو بن سعد بن ثعلبة) الذي كان يهوى امرأة من قومه يقال لها (أسماء بنت عمرو بن عوف بن مالك) وينيز (بالميرك) فلما اشتهر بها غار أهلها ، فقدم رجل من (مراد) فخطبها ، فزوجوه واحتمل بها إلى بلده فقال (مرقش) في قصيدة له:

لم أر كاليوم في الجهاد أسماء تهدي إلى مراد

وكان المرادي حليفاً لأخله (خله) وساكناً بينهم، فلما ظعن بها قل صبر مرقش ، فتبع أسماء إلى أخله فمات بها، فقال طرفة بن العبد:

وقد ذهبت سلمى بعقلي كله	وهل غير صيد أحزته حباله
كما أحزرت أسماء قلب مرقش	بحب كلمع البرق لاحت حمائله
وأنكح أسماء المرادي بيتي	بذلك عوف أن تصاب مقاتله
فلما رأى أن لا قرار يقره	وأن هوى أسماء لا بد قاتله
ترحل من أرض العراق مرقش	على طرب قوى سراعاً رواحله
أتى (السرو) أرض ساقه نحو الهوى	ولم يدر أن الموت بالسرو غائله
ففودر بالفردين أرض بطيه	مسيرة شهر دائب لا يواكله
بأسفل واد من (أخلة) شلوه	تمزقه ذؤبانه وحبائله
فيالك من ذي حاجة حيل دوها	وما كل ما يهوى الفتى هو نائله
فوجدني بسلمى مثل وجد مرقش	بأسماء إذ لا يستفيق عواذله
قضى نحيبه وجداً عليها مرقش	وغلبت من سلمى خيالاً أماطله

وكان المفضل الضبي يروي أنه مات بأسفل نجران.^{٤٥}

هذا وآثار السلالة الرعينية تنتشر في (سروحمير) على امتداده... وإذا الأكرع لم يعرض إلا لاثنتين من أبناء مالك بن الحارث وهم (شكع) (عدداهم أربعة) وأخله (خله) فلإننا قد وجدنا آثاراً من (ذي محول) في (سروحمير) وذلك في :

محوال: (بالتصويت) ناحية في وادي (ذي ناخب) بها عدة مساكن وهذه القرى تقع على شاطئ الوادي الرئيسي بمئة ويسرة وحقول (البن) تكون حزاماً أخضرًا يمتد على شواطئ الأودية ويتسع على شاطئ الوادي الرئيسي... و (محوال) هذه هي اليوم حلال قبيلة (بني ناجي) الناخية.^{٤٦} وقد ذكرها (حمزة لقمان) ولكن بسبب (غلطة مطبعية) فقد ظهرت بصيغة (عوال)... كما وردت لديه صيغة شبيهة وذلك في سرده لقرى (مخلاف الشعيب) الذي يحد حله من جهة الغرب ، هذه القرية هي :

يفحول: (بالياء التحتية) ثم فاء وحاء مهملة آخره لام قبلها واو) قرية في سهم الرباط من الشعيب.^{٤٧}

ومما لا شك فيه ونحن نفتش في كتابات (لسان اليمن) عن جذور حمير وأصولها في سرورها المعروف اليوم بـ(يافع)... إنما نتوخى أن نعيد لتاريخه اعتباراً ولن نحصل لنا هذا بإسناد الظاهر إلى جذع نخلة مريم العذراء (عليها السلام) [حسب تعبير د/ حمود العودي] انتظاراً للمعجزة... فقد ولى ذلك العهد الذي نطق فيه ذو المهدي (عليه السلام) ولم يعد لدينا إلا استنطاق الآثار بكل أنواعها وألوانها من النقوش واللقى الأثرية إلى الآثار الحية منها كأسماء الأماكن والقبائل والتراث الشعبي بكل فنونه المعروفة والتي تعرض للاضمحلال بفعل متغيرات كثيرة... ولعله من اللائق بنا إكرام (لسان اليمن) لا بإحفاء البحث عن أعماله التاريخية الضائعة نحو (الأجزاء المفقودة من عمله الموسوعي الشهير الإكليل) فحسب بل وبدراسة كتاباته ونصوصه وفحصها على ضوء معطيات الواقع الراهن وفقاً لأفضل مناهج الاستقراء المعرفي والتاريخي الحديثة إلى درجة نستطيع معها قراءة المسكوت عنه من أحوال الماضي وأحداثه ومنجزاته المجهولة لدينا... هكذا يمكن لنا إعادة الاعتبار للتاريخ وأهله لا بإقفال الملفات أو الاستسلام لتداعيات تضارع ما لدى أصحاب كهف (أفلاطون) الشهير... فالمعرفة بما وحدها نستطيع التغلب على القطيعة المعرفية بيننا وبين أسلافنا من بناء حضارة اليمن القديمة... تلك القطيعة الأبيستولوجية الناجمة عن عهود طويلة من الإحباط والجهل ، فالإحاطة بتاريخنا ممتهد بلاشك لعهد جديد من الانبعاث والتجدد الحضاري... وفي حدود بحثنا المكرس هنا لتأسيس تواصل معرفي أفضل بتاريخ حمير من خلال ما تيسر (المحمداني) من شوارد الأخبار عن نجد حمير الموسوم بـ(سرو يافع)... وبهذا فإن علينا قراءة النصوص بصورة يمكننا من استنطاقها ، فدون ذلك الأمر نياوح عند مستوى (النقل) دون أعمال العقدا.

ومن هذا الحد كتب الشيخ الناحي:

وعلى ما ذكره الهمداني من أسماء الأودية والقرى وأسماء القبائل أقول:
أما الأودية والقرى فما زالت تحتفظ بهذه الأسماء ولم يحدث لها التغيير
إلا ما استجد من القرى والمزارع كما اعتقد، وأما أسماء القبائل فقد حدث
التغيير في البعض فمثلاً ذو ناخب وسلب، كانت تسكنه (بنو جبر)
والقبائل الساكنة فيه الآن عدة قبائل تسمى بأسماء أخرى مثل (آل مرشد)
(آل بن ناجي) و(آل أم شق) و(آل الكهالي) فهل بعض هذه القبائل ترجع
في أنسابها إلى (بنو جبر) أم أن (بنو جبر) قد بادت وانقرضت؟^{٤٨}

لقد ترك لنا الشيخ الناجي سؤاله هذا بدون جواب، ونحن نعذره لعدة أسباب، فكتابه هذا
تغلب عليه الانطباعية التقريرية، لأنه بالمقام الأول من كتب الرحلات، وثانياً انشغال الناجي بخارج
وطنه، وثالثاً جزاء الله عنا خيراً، فقد أعطى بقدر ما سمحت له سنوات خريفه ما قصرت عنه همة من
في ربيع العمر من أحفاد الملوك السيادة... وأجدني هنا أواصل عملية تفتيت النصوص بغية استثمارها
بصورة أكثر فاعلية لمصلحة كشف المجهول من تاريخنا.

نعم فهل ل(بنو جبر) أصحاب (ذي ناخب) الوادي المعروف في أسافله ب(سلب) بقية من ذرية
في واديهم اليوم. فقد ذكرهم الهمداني في عداد قبائل أو بطون حمير خلال السرو:
(ذو ناخب لبني جبر منهم)....

العرقه للاهجور منهم وهي وادي وهم بنو هجر [الصفة / ص ١٧٣]
نعم فأما (بنو جبر) الذين احتار(الناجي) في أمرهم فما زالوا يسرم يعيشون في أسافل (ذي
ناخب) إذ يعدون أحد تفرعات قبيلة آل طسي (نسبة إلى طسه = واد) ويعرفون:
• الغبران:

(وزان الحميران) فهم آل (غبر) أو (بنو غبر) : حلالهم وادي (حداق)
ومآتيه من الصفح الجنوبي لجبل العر ونصبا كساد. ويشكل
الغبران والكساد في وادي (شيوحة) وأهل (مرصع) في وادي
مرصع نصف (الطسوس) المعروف ب/أهل (أم/ناخي).^{٤٩} فكلمنا في
الأمر أن الصيغة التي أوردها الهمداني أي (بنو جبر) ليست إلا تصحيفاً
ل: (الغبر) [بالعين المعجمة]
أو آل غبران (مثل جبران والأصل جبر).

ولا يختلف الحال مع أسماء البطون اليافاعية التي أورد الهمداني ، ويخلص البعض ممن لا يحبون تجشم الصعاب أحياناً وطبشاً عن الحقيقة أنّ هذه البطون قد بادت واندرست والسلام. ومن هذه البطون الرعينية السلالة أيضاً ذكر الهمداني في (رواية محمد بن مسلم) بطناً هم (الأريوم) / الإكليل/ ٢/ص (٣٠٤) ولم يتمكن (الأكوع) من معرفتهم ، فظن أنهم و(أدان) و(بطون أخرى قد اندرسوا أو اندبحوا في بطون أخرى. ^{٥٠} وهم مازالوا يُعرفون كقبيلة ووطن في أقصى شرق يافع غرب (بيضاء حصى) حيث يشمخ جبلهم في منطقة العناق (الحد حالياً) ويدعى :

• ريو :

بكسرتين (صيغة جمع النسبة ريويون/ أريووا = أريوم بإبدال الميم من الواو الأخيرة لأفهما حرفاً شفة) ويتبعون موسطة يافع (وسط ظهر يافع) فهم ردف لها. أما (أدان) الذين حدد الهمداني موطنهم بالقول: (فالعر لأذان من يافع) [الصفة ١٧٢/١٧٣] وإذا كان موطنهم مازال يُعرف بجبل (العر) في شرقي (هضبة ظهر يافع) فقد أشار الأكوع إلى أنّ :

*الأذان: قبيلة لا تُعرف اليوم وهي هنا بالذال المعجمة. ^{٥١}

والواقع أنّ لهذه القبيلة تواجد في حواز جبل العر حتى اليوم ، وتُعرف على هذا النحو:
* دان: — أحد غرر أودية (العناق) يُعرف في أعاليه بوادي (أم شراف) وفي أسافله بوادي (خيلة [أنثى الحصان]) وينسب أهله إليه فهم (أهل وادي دان) (بالذال المهملة) ^{٥٢} ، ولذلك فهم في صيغة جمع تكسير أذان .

كذلك لا يختلف الحال مع بطون يافعية مثل:

(بنو أديد ومسكنهم صول) [إكليل/ ٢/ص ٣٠٤]

وحيث لم يتطرق الأكوع لهذا البطن ولا لموطنهم فإنّ أقوم بهذه المهمة :

• بنو أديد:

(أديد تصغير أدد) يُعرفون اليوم بصيغة النسبة -الديدي- وهم بعض قبيلة (المشالي) في أقصى غرب (هضبة ظهر يافع) ثم من أهل أبو طالب فمنهم:
(ديدي) : في شريان ، عرب ، وفي يمن. ^{٥٣} نعم فما زال بنو أديد (أديدي/ديدي) يعيشون في أسافل واديهم المعروف بوادي: ضول (بالضاد المعجمة) من غرر وديان (مشالة) وزان مسالة.

أما (السيّاون) فقد ذكرهم الهمداني: السيّاون وهم أهل الحجر [أكليل ٢/ص ٣٠٤] (بنو حجر) حققنا مواطنهم آنفاً وما زال منهم بقية في (عنتر) بعض قبيلة الضبي (مكتب الضبي) في الجنوب الغربي من جبل (نمر). وقد تصدينا لكل البطون الحميرية المذكورة في مصنفات لسان اليمن وأثبتنا بالدلائل والبرهان استمرارية تلك الأعراق في كنف نجد حمير/يافع وتعرض هنا بقية الأسماء المشكل فيها غير ذات الشهرة التي لم يخفى أمرها على أحد من أهل الاختصاص مثل (الدراحن) الذي يقول فيها الناحي: ومن القبائل من لم نعلم عن أسمائها ماعدا (الدراحن) الذين مازالوا موجودين لا بشمر ولكن بأرض المفلحي وما جاورها.^{٥٤}

نعم فهذا البطن العريق ومثله بنو قاسد وكلد قد أسهبنا في ذكرهم في مواضع عديدة من كتابنا وفيه أغناء لمن أراد المزيد من التعرف على يافع بقبائله ومحافده وأوديته... الخ. أما ما لم يقطع فيه غير ما ذكرنا آنفاً من بطون يافعية وردت أما في الإكليل أو في الصفة أو في كليهما ومنها ثلاثة بطون قد نوهنا في هذا البحث بوجودهم اليوم في كنف قبيلة كلد (المذكورة كبطن) وفيما يلي تعرض لها:

(ذو ثاوب لبني صائد منهم) [صفة/ص ١٧٣]

(شُعْب لبني سمي منهم)

(حبه للأبقور من يافع)

أما (الأبقور) ففي كلد كما بيّنا وراديم ما يزال هنالك ويُعرف بوادي (حُمّة/ وزان غُمّة بمعنى

المبهم) وأما

• بنو صائد :

هذا البطن الذي خفي أمره عن (الأكوع) وغيره فيُعرف اليوم في واديهم:

* ذو ثاوب : وادٍ خصب من أودية كلد (القاسدية) يقع في حواز جبل (خروسان) . وقد خولط على محقق الصفة (الأكوع) إذ ظنه (ذو ثوب/ بالتصغير) في يهر من يافع العليا. ** أما أصحاب الوادي فهم أحد قبائل كلد الشهيرة يُعرفون بهذه الصيغة:

* بنو ساعد : بإبدال السين والعين (مهملتين) من الصاد والهمزة - ويدعون بصيغة النسبة (ساعدي).^{٥٥}

أما بنو سمي (أكليل/٢/ص ٣٠٤)

• بنو سمي :

فأحد القبائل الكلدية أيضاً حيث حدد الهمداني موطنهم في سرو حمير بوادي شعب : (بفتح

الشين المعجمة وضم العين المهملة آخره باء موحدة) وهو بلاشك غير (شعب) بمعنى الناس المعروف في يهر ب (شعب الهرمي/ انظر بني شعب في مطلع البحث) ولرجح أنه ما يعرف اليوم ب: * (شعب مورك): شعب جمعه شعاب: أحد الجبال المطلة على وادي سلب (أسافل ذي ناخب) من أوديته هضه وضبه. وهو اليوم لقبيلة الحنشي الكلدية . أما (بنو سمي) فنجد أثرهم في واحدة من قبائل كلد:

آل سميطي: - سمي (تصحيفاً) من مواطنهم القفل. ^{٥٧}

ومن البطون المذكورة أيضاً في الصفة (الأصوت) حيث أضاف إليهم الحمداني بلدقم بقوله:

(وغله الأصوت من يافع) / صفة ص ١٧٣

ولم يشر الأكرع إلى حدود عله في يافع فقد اكتفى بالقول :

• علة:

بفتحين وقد تشدد اللام ويقال فيها العلة بالألف واللام لا زالت حية. أما (الأصوت) فقد حققهم على هذا النحو الغائم:

* الأصوت: بالتاء المثناة آخر الحروف وهم الذين يدعون بآل الصيان . ^{٥٨}

على الرغم من تعدد الاحتمالات حول هذا الموضع لانتشاره الواسع في يافع بصيغة : علاه أو عله في كلد وفي السعدي وفي القعيطي... الخ. غير أنني أميل إلى الآتي:

* علة الأصوت: (عله وزان سله) : قرية عامرة في وسط (هضبة ضهر يافع) تابعة لمكتبه الموسطة : صيغة النسبة موسطي فهم

مواسط = أو سوط / أو صوط.

وبالابدال بين التاء والطاء فهم (أوصوت) . فإذا صح هذا تكون إشارة الحمداني : (علة الأصوت) أقدم إشارة للموسطة (ضهر يافع) عند الإخباريين.

بهذا نكتفي بتحقيق ما ورد في (الإكليل/ ٢ والصفة) بشأن بطون حمير في سروها (يافع) ولم يعد لدينا من ريبة في أمرها فما حادت المخافد والأودية والجبال عن حيوزها وما كلت بطون حمير عن أوطانها ولا خبت نارها منذ عصر لسان اليمن ومن قبله كان لها ذكر منها وما لم يذكر وجوداً اقتفيناً أثره حتى أقدم العصور. وسنفيض في عرض جغرافية وتشعبات القبائل اليافعية في دراسات لاحقة وبالنسبة لما لم يعرض له الحمداني وهو (اي الحمداني) كان يعلم أن ما لم يصله عن حمير في سروها لكثير ولهذا فقد احتاط بقوله: (وفي كل موضع من هذه المواضع قرى ومساكن كثيرة) صفة / ص ١٧٣

وأقرب الأدلة التي يمكن أن نسوقها هنا على غياب أمور كثيرة (بشأن السرو) عند مؤرخ اليمن الكبير هي اقتصاره على ذكر ثلاث قرى في هضبة ضهر يافع :

(مدور وعله والمهدعة) صفة/ص ١٧٢

في حين أن هذه الهضبة تجمع اليوم أكثر من ثلاثمائة وخمسين قرية ، معظم هذه القرى له من الأقدمية ما يرجع لا إلى عهد الحمداي فحسب بل وإلى عتيق العصور الحميرية الأولى ! ولم يكن ل(لسان اليمن) وهو المؤرخ الحصيف المحقق أن يستنكف عن التصريح بما يجهل من أمور عن (سرو حمير) أو غيرها ونحن نحس في صريح عباراته سمو الغاية التي نذر نفسه لها والمتجسدة في مشروعه الاكتشافي العملاق ل(جزيرة العرب) ككل غير مهممل للغائب أو ساكت عنه فهو ينبأنا صراحة بما كان جهده دون الوصول إليه... وهو بهذا يستحثنا على وضع رخامة بلقيس (الذهب) في رواق سليمان المثلوم. ففي الجزء الثامن من الإكليل يصرح لسان اليمن :

(لا أعرف ما في رعين من الاسداد) إكليل /٨/ ص ١١٦

وفي باب حصون السرو ذكر بعض الحصون والمخافد في ردمان والبيضاء (ليس إلّا) :
(ذو القيل والقمر وحصى وشمر و البيضاء والمجيرة هذه حصون لشمر تاران بالسرو....

وقرن وذو يزن / إكليل /٨/ ص ٨٩

وفي الصفة يذكر في عداد الحصون والجبال المشهورة:

(صناع والقمر في السرو) / صفة/ص ٢٣٧-٨

ولا ينبغي لنا أن نطمع بأكثر من هذا ، فقد صرح أبو محمد بعد أن عدّد حصون السرو هذه في الإكليل :

أما كلها مجهلة ؟ إكليل/٨/ ص ٨٩

ترى هل هذه الحصون من أثر في سرو حمير/ يافع :

• صناع :

اشتهرت (صناع) عند الإخباريين بقلعتها (حصنها) التي تحت فيها قبل توحيدده لليمن (أواخر القرن الثالث للهجرة) أبو الفتوح علي بن الفضل الجيشاني الخنفرى (القرمطي) . أما بعد أن استتب الأمر فقد أس في (المدبرة) عاصمة له. ^{٩٠} وصناع تقع اليوم في الطرف الشرقي لسرو يافع في منطقة العناق الحد غرب (بيضاء حصى) مركز السلالة الحميرية المعروفة (بذي هصب) في النقوش اليمنية القديمة. وحيث أن (صناع) قد أخذت اسمها من الجدد الأعلى للأصنوع ، وهو

كما ذكرنا أول البحث سماعه (صماعه) بن الأسموع بن حبه فإننا نرجح أن حفيد حبه هذا كان يسمى صناعه أو سناعه ، والصيغة الأولى هي الأكثر احتمالاً فهو صناعة(صناع ياهمال الطاء) وذلك لورود هذا الجبل في أشهر حصون السرو / الصفة بهذه الصيغة أي (صناع...ه) وفيه كان أحد معايد نجم الصباح الإله (عتر) كما ورد في نقش (ربرتوار / ٣٩٥٨) العائد إلى القرن الثالث للميلاد . حيث ورد في هذا النقش بصيغة:

• صنعتق:

أي ال صناعة حيث التون هي لاحقة التعريف في لغة النقوش /أنظر الفصل الأول ،
(ومختارات من النقوش اليمنية القديمة) نقش/٢٣.

أما حصن القمر في السرو فقد تخلف اسمه في واحدة من القرى العتيقة في هضبة ظهر يافع وهي:

• القمر:

وتعرف ب(أقمر آل رشيد) [الرشيد] أو (لقمر لعللي) أحد قرى قبيلة الرشيدى الوسطية...
وهي اليوم في الجوار من سوق يافع الرئيسة المعروفة ب(سوق ١٤) . أما (القمر لسفل) : فقريئة لأحد قبائل الضبي وتعرف بالسعيدى. " والأصل فيها واحد . والملاحظ هنا سقوط الصائت (الألف) من : الأعلى والأسفل في(لقمر لعللي ولقمر السفلى) ومن خصائص لهجة (سرو حمير/يافع) فهم يسقطونها من الألوان وغيرها نحو: لحر (الأحمر) لخر (الأخضر)... الخ. وعليه فقد سقطت من اسم القرية فهي:

الأقمر (صيغة تفضيل).

وقد ورد في النص [أكليل/٨/ص ٨٩] :

(وقرن وذو يزن) وأميل إلى أن فيها. و(قرن ذي يزن)

وهو من الآثار المعروفة في (سروحمير):

* قرن ذي يزن: خرابة في وادي(يهر) في حرف الجبل المعروف ب(النواحيد) يشرف على قرية رباط العبادي.

ومن الآثار التي تذكر بأصحابها الأرائل في سرويافع:

* دقة شمار: دقة شمر(بدون تصويت) : خربه في ناحية الصفأة من (كلد) بين وادي حنده(وزان حده) ووادي الزغرور. وشمار (شمر) ، هذا يحتمل أنه صاحب حصون السرو كما ذكر الحمداني في النص السابق أي (شمر تاران). ومن الآثار أيضا :

* مدينة دخان: خربه رأس جبل (قصي) في شقصه: وادٍ في كلد أيضاً جنوب غرب سرو يافع.

* سنام: خرابه جبل (سنام) رأس وادي القاع في هضبة زهر يافع (مكتب الوسطة).

* خربه ثمر: رأس جبل الثمر الشهير الذي تقع في سفحه أحد القرى الأثرية العامرة وهي قرية اللّم (لمم/في النقوش) إذ كان فيها معبد للإله (عم ذمرم) حسب نقش (ربرتسوار/٣٩٥٨) [أنظر الفصل السابق] <أي الفصل الأول ج٢>.

* خربه هديم وديم: في الطرف الشرقي من سرو حير المعروف حالياً بمنطقة الحد (ال عناق قديم) / عنقيم تورانيا) وهي الخربة الوحيدة التي حرت فيها بعنة فرنسية حفريات واكتشفت فيها عدة لقى أثرية أهمها نقش (روبان-برون بني بكر) الذي سجل لثورة بني ريدان في مرتفعات يافع ضد السلالة السبئية التقليدية أواخر القرن الأول للميلاد في عهد (كرب آل بين/يهقم) ملك سبأ وذو ريدان بن ذمار علي ذرح. [أنظر الفصل الأول].^{٦١}

* خربة أم ريدان: في الفردة من نواحي الحد (العناق)، ففي هذه الخربة كهف منيع يروح في صدر جبل شاهق، ويسمى الكهف (تنور الكفار) و(كهف العفاريت). إذ يوجد في الكهف ثلاثة تماثيل متحاذية ولكنها لا تتميز إلا بالكاد ، أحد هذه التماثيل صورة أسد رابض، يحرس تمثالين آخرين ، واحد لامرأة وآخر لرجل ، وقد اتخذ المواطنون (للأسف) من هذه التماثيل هدفًا (نصع) للرماية بالسلاح الناري.^{٦٢} وخرائب سرو حير كثيرة وبحاجة لبعثات علمية لاكتشافها.

وإذا كانت (خرائب السرو) وحصونه وسدوده غير معلومة لدى (لسان اليمن) ، وهي ما زالت كذلك . ونحن نقرب حثيثاً من الألف الثالثة بعد الميلاد فإنه لا ينبغي لنا ونحن نقلب آثار الهمدان أن نطمع بشيء عنده عن قبوريات السرو ودفائنها ومساندها ، فلا شك أنها مهمتنا وعليها أن نتحملها بمجدارة. ولم نعد بحاجة كي تفتق المعرفة في عقولنا إلى مطارحة حوريات بابل الغرام عند شطآن (دجلة) أو وادي بنا... فما زالت سرو يافع (بجيلة) كما كانت عند لسان اليمن (فضفاضة) كما هي اليوم عند الشاعر الرافدي (سعدى يوسف).

ولعله من المفيد هنا ونحن نطوي صفحات هذا البحث ، أنّ نسجل أقدم ذكر ليافع ورد لدى الجاهليين ، وذلك فيما نقله لنا الهمداني عن حرب مذحج وحمير في الجاهلية وذلك بحريرة السكاسك... إذ هاجها ابن حرير السكسكي ، وكانت حرباً ضارية قال فيها شاعر جاهلي مفوة هو (الأسفع الهمداني) من أرحب ، ثم من بكيل ذاكرأ لأوطان حميرية منها يافع:

ولا من سكون بيت سعد بن عامر	ولن تترككم ذو رعين وسكسك
إذا أمكتهم وثبة المتقاصر	ولا ذو الكلاع الطالبون بثأرهم
ومن ذي نؤاس كل أبلج واغر ^{٦٣}	ولا يافع تغضي ولا حي ترخم

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤

الهوامش وأرقام المراجع

ملاحظة:

من اليسار إلى اليمين الرقم الأول يشير إلى رقم الهامش والثاني يشير إلى رقم المصدر أو المرجع في قائمة المصادر والمراجع والرقم الثالث يشير إلى رقم الصفحة في المصدر أو المرجع.

هوامش المدخل

(١)	١٩٢ / ص ٤	(٢)	٧٦ / مادة: التوراة
(٣)	١٢٤ / ص ٢٨٤	(٤)	١٩٢ / ص ٧
(٥)	١٩٢ / ص ٧-٨ + ٥٧ / ص ١١-١٠	(٦)	٥٧ / ص ١١٢-١٠٥
(٧)	٥٧ / ص ١٠٩ + ١٩٢ / ص ٩	(٨)	٥٧ / ص ١١٤-١١٢
(٩)	٥٧ / ص ١١٢	(١٠)	٥٧ / ص ٨٧
(١١)	٥٧ / ص ٤٢	(١٢)	٧٤ / ص ١١
(١٣)	١٠٠ / ص ٧	(١٤)	١٠٠ / ص ٧
(١٥)	٥٧ م ص ١٤	(١٦)	١٠٠ / ص ٨-٧
(١٧)	٥٧ / ص ١٤	(١٨)	١٠٠ / ص ٨
(١٩)	٥٧ / ص ١٤	(٢٠)	٥٧ / ص ١٤
(٢١)	٥٧ / ص ١٢-١٥	(٢٢)	٧٤ / ص ٢٩+١٩٢ / ص ٨
(٢٣)	٥٨ / ص ٢١	(٢٤)	٥٨ / ص ١٧
(٢٥)	٥٨ / ص ١٧	(٢٦)	٥٨ / ص ١٧-٢١
(٢٧)	٥٨ / ص ٢٠	(٢٨)	١٠٠ / ص ١١
(٢٩)	١٠٠ / ص ١١	(٣٠)	١٨١ / ص ٤٩
(٣١)	١٩٢ / ص ٨	(٣٢)	١٩٢ / ص ١١
(٣٣)	٥٧ / ص ٩-١٠	(٣٤)	٥٧ / ص ٢٥-٨٣
(٣٥)	٦٣ / ص ٣٢	(٣٦)	٥٨ / ص ٢٠

۸ ص / ۱۹۲	(۳۸)	۹ ص / ۱۹۲	(۳۷)
۲۴ ص / ۵۷	(۴۰)	۳۴ ص / ۶۳	(۳۹)
۲۳ ص / ۵۷	(۴۲)	۹ ص / ۱۹۲	(۴۱)
۸۱ ص / ۵۷	(۴۴)	۹ ص / ۱۹۲ + ۱۰۹، ۸۴، ۳۶ ص / ۵۷	(۴۳)
۱۵ ص / ۷۴	(۴۶)	۱۵ ص / ۷۴	(۴۵)
۹ ص / ۱۹۲	(۴۸)	۱۶-۱۵ ص / ۷۴	(۴۷)
۴۹ ص / ۱۸۱	(۵۰)	۴۹ ص / ۱۸۱	(۴۹)
۸ ص / ۵۸	(۵۲)	۱۷ ص / ۷۴	(۵۱)
۲۲-۲۱ ص / ۵۸	(۵۴)	۱۰ ص / ۵۸	(۵۳)
۱۷ ص / ۷۴	(۵۶)	۳۶ ص / ۱۵۵	(۵۵)
۹ ص / ۹۷	(۵۸)	۳۶ ص / ۱۵۵	(۵۷)
۱۰۲ ص / ۶۵	(۶۰)	۱۷ ص / ۷۴	(۵۹)
۲۱۳ ص / ۱۰۱	(۶۲)	۱۱۱ ص / ۶۵	(۶۱)
۸۷ نقش / ۲۶	(۶۴)	۱۰۹ ص / ۶۵	(۶۳)
۱۴۹ ص / ۶۰	(۶۶)	۱۴۸-۱۴۷ ص / ۶۰	(۶۵)
۹۶ ص / ۶۰	(۶۸)	۵ ص / ۷۰	(۶۷)
۳۵۶ ص / ۱۴۹	(۷۰)	۳۵۵ ص / ۱۴۹	(۶۹)
۲۵-۲۲ ص / ۸۷	(۷۲)	۲۱-۱۹ ص / ۸۷	(۷۱)
۶۵ ص / ۷۷	(۷۴)	۲۵۶ ص / ۱۲۱	(۷۳)
۶۷ ص / ۷۷	(۷۶)	۶۶ ص / ۷۷	(۷۵)
۶۷ ص / ۷۷	(۷۸)	۶۷ ص / ۷۷	(۷۷)
۲۰۳	(۸۰)	۶۷ ص / ۷۷	(۷۹)
۲۰۳	(۸۲)	۲۰۳	(۸۱)
۲۰۳	(۸۴)	۲۰۳	(۸۳)
۲۰۳	(۸۶)	۲۰۳	(۸۵)
۲۰۳	(۸۸)	۱۹۷ ص / ۲۰۱	(۸۷)
۲۰ ص / ۵۹	(۹۰)	۱۴ ص / ۱۹۲	(۸۹)
۹۶۹ ص / ۲۵	(۹۲)	۱۰۱ ص / ۶۵ + ۱۴ ص / ۱۹۲	(۹۱)
۳۴۱ ص / ۱۲۱	(۹۴)	۹ ص / ۹۷	(۹۳)
۲۰۳	(۹۶)	۶۹ ص / ۱۲۱	(۹۵)

٥٦ / ١٩٦	(٩٨)
١٥ / ١٦ مادة: قنا	(١٠٠)
٤٥-٤١ ص / ٢٣	(١٠١)
٦١-٦٠ ص / ١٩٦	(١٠٤)
١٠ ص / ١٢٧	(١٠٦)
٤٢ ص / ١٢٧	(١٠٧)
٢٢٠ ص / ١٢٧	(١١٠)
١٠٩ / ٩٠	(١١٢)
١١٣ ص / ٩٠	(١١٤)
٢٦ / ٢٣ + ٨٧ نقش / ٦٢	(١١٦)
٢٢٠ ص / ١٢٤	(١١٧)
١١١-١٠٩ ص / ٩٠	(١٢٠)
١١١-١٠٩ ص / ٩٠	(١٢١)
١١٠ ص / ٩٠	(١٢٤)
٢٠٣	(١٢٦)
١٦١ ص / ٦٣	(١٢٧)
٣٦ ص / ٥٨	(١٣٠)
٢٢ ص / ٥٩	(١٣٢)
٢٣ ص / ٥٩	(١٣٤)
١٠٢ ص / ٥٧	(١٣٦)
١٠٢ ص / ٥٧	(١٣٧)
١٠ ص / ٧٥	(١٤٠)
١١٣ ص / ٦٥	(١٤٢)
١٦٢-١٦١ ص / ٥٩	(١٤٤)
١٩ ص / ٨٠	(١٤٦)
٩٧-٩٤ ص / ٣٣	(١٤٨)
٢٠٩ ص / ١٥٢	(١٥٠)
٢٤ ص / ١١٨	(١٥٢)
٢٩٨ ص / ٣١	(١٥٤)
١١١ ص / ٢٠٠	(١٥٦)

٥٦ / ١٩٦	(٩٧)
٥٩ ص / ١٩٦	(٩٩)
١٣ / ١٦ مادة: قين	(١٠١)
٤٥-٤١ ص / ٢٣	(١٠٢)
٥٧ ص / ١٩٦	(١٠٤)
١١٠ / مادة: يافع	(١٠١)
١٨٣ ص / ١٢٧	(١٠٤)
٢٠ ص / ١٣٤	(١١١)
١١٢-١١١ ص / ٩٠	(١١٢)
١١٠ / مادة: تبين	(١١٤)
١١٠ / مادة: بنا	(١١١)
١١١-١٠٩ ص / ٩٠	(١١٤)
١١١-١٠٩ ص / ٩٠	(١٢١)
١٤ / ١٦ مادة: خنا	(١٢٢)
٥٠-٤٨ ص / ٣	(١٢٤)
٣٦ ص / ٥٨	(١٢١)
/ ١٠١	(١٢٤)
١٥١ ص / ١٩٩	(١٣١)
٢٣-٢٢ ص / ٥٩	(١٣٢)
١٠١ ص / ٥٧	(١٣٤)
١٦ / مادة: حري	(١٣١)
٤٧٥ ص / ٧	(١٣٥)
١١٢ ص / ٦٥	(١٤١)
١١٤ ص / ٦٥	(١٤٣)
١٥ ص / ٤٣	(١٤٥)
٨٣ ص / ١٠٤	(١٤٧)
٢٠٦ ص / ١٥٢	(١٤٩)
٢١٠ ص / ١٥٢	(١٥١)
٧١ ص / ١١٨	(١٥٣)
Ball / مادة: ٢٠٤	(١٥٤)

١٨ص/٩٨	(١٥٨)	١٨ص/٩٨	(١٥٧)
٣٠ص/٥٩	(١٦٠)	٣٩ص/٥٩	(١٥٩)
١٤٠ص/٥٤	(١٦٢)	٢/١٦ مادة: مول	(١٦١)
١٠ص/٢٠٦	(١٦٤)	٤٢٩ص/١١١	(١٦٣)
١١٨ص/٥٤	(١٦٦)	٢١-٢٠ص/٢٦	(١٦٥)
٩ص/٥٨	(١٦٨)	٨ص/٩٧	(١٦٧)
٩ص/٩٧	(١٧٠)	٣ص/١٠٣	(١٦٩)
١٤٠ص/٩٨	(١٧٢)	١٤٠ص/٩٨	(١٧١)
٥٦ص/١٩٥	(١٧٤)	٣٩-٢٢ص/٦	(١٧٣)
٦٣ص/١٦٩	(١٧٦)	٣٩-٣٧ص/٥٩	(١٧٥)
٦٣ص/١٥	(١٧٨)	١٧ص/١٥ + ٨٣ + ١٩٢ص	(١٧١)
٥٦ص/١٥	(١٨٠)	٣٣٢ص/١٢٤	(١٧٩)
٥٣-٥٢ص/٢٦	(١٨٢)	٥٦ص/١٥	(١٨١)
١٦ص/١٥ مادة: عكا	(١٨٤)	٣٨٦-٣٨٥ص/٣	(١٨٣)
٨٩ص/٢٦	(١٨٦)ك	١٠ص/١٦ مادة: غير	(١٨٤)
		٣٨ص/٥٤ + ١٢٨ص	٤٤+
٨٠ص/٧٤	(١٨٨)	٨١نقش/٢٦	(١٨١)
١٨ص/١٩٢	(١٩٠)	١٠٤ص/٧٤	(١٨٩)
٣٤-٣٣ص/٧٤	(١٩٢)	١٣٩-١٣٨ص/٩٨	(١٩١)
١٣٩-١٣٨ص/٩٨	(١٩٤)	١٠ص/٩٧	(١٩٣)
١٨-١٧ص/١٩٢	(١٩٦)	١٠٣ص/٩٨	(١٩٥)
٨١نقش/٢٦	(١٩٧)	٨١نقش/٢٦	(١٩١)
٢١٥-٢١٤ص/١٢٦	(٢٠٠)	١١٠مادة: السر	(١٩٩)
٢٧ص/٢٣	(٢٠٢)	٢١٥-٢١٤ص/١٢٤	(٢٠١)
٤١٦ص/٩٩	(٢٠٤)	٢٥٨ص/١٥	(٢٠٣)
٤٨نقش/٢٦	(٢٠٦)	١٤٨-١٤٧ص/٩٨	(٢٠٥)
١٠٤نقش/٢٦ + ٤٧-٤١ص/٢٣	(٢٠٧)	٣مسند/٢١	(٢٠١)
٢٨ص/٢٣	(٢١٠)	٢٨ص/٢٣	(٢٠٩)
٢١٤ص/١٥	(٢١٢)	٢٦٨ص/١٥	(٢١١)
١١٠مادة: ميتم + ١٢٤ص/١٤١	(٢١٤)	٢٦٣ص/١٥	(٢١٣)

١٨٧ص/٩	(٢١٦)	١٣٦ص/٨٨ص/١٢٦+١٧٢-١٧١ص/١٥	(٢١٥)
١٦ص/١٩٢	(٢١٨)	١٥٩ص/١٧٥	(٢١٧)
١٢٩-١٢٨ص/٩٨	(٢٢٠)	١٧ص/١٩٢	(٢١٩)
٥٤-٥٣ص/٢٣	(٢٢٢)	٣١-٢٦ص/١٠	(٢٢١)
١٤٠	(٢٢٤)	١١٠مادة: ظفار	(٢٢٣)
٤٠ص/٢٦ ونقش ٤٨/ ونقش ٨٧/	(٢٢٦)	١٤٠	(٢٢٥)
نقش ٦٩			
٢٤٦ص/٧٤	(٢٢٨)	٢٤٧-٢٤٦ص. هـ/٧٤	(٢٢١)
١١٠مادة: فوط	(٢٣٠)	٢٤٧ص. هـ/٧٤	(٢٢٩)
١١٠مادة: حلي	(٢٣٢)	١١٠مادة: حيدان: ساقين	(٢٣١)
٥٣ص/١٥	(٢٣٤)	٢٤٤ص/١٥	(٢٣٣)
		٢٦٨ص/ ٢١٢-٢١١ص/٧٤	(٢٣٥)

هوامش الفصل الأول

١٥/٩٨ ص (٢)	١٥-١٤/٩٨ ص (١)
١٩٠/٩٨ ص (٤)	١٨٩/٩٨ ص (٣)
١٠٣/٩٨ ص (٦)	١٠٣/٩٨ ص (٥)
١٣٦-١٣٥/٩٨ ص (٨)	١٣٥/٩٨ ص (٧)
١٢/٧٧ ص (١٠)	٣٩/٥٨ ص (٩)
٢١٤/١٢٤ ص (١٢)	١١٠/مادة سحول (١١)
١١٠/مادة سحول (١٤)	٢٢٨/١٢١ ص (١٣)
١٢١ (١٦)	١١٠/مادة بحصب (١٥)
٩٨/١٢٥+٤١٣/١٧ ص (١٨)	١٨١/١٢٣ ص (١٧)
١٣٥/١٥٨ ص (٢٠)	١٠٧/١٢٣ ص (١٩)
١٧١/٣ ص (٢٢)	٤٥٦/٣ ص (٢١)
١٧/١٩٢ ص (٢٤)	١٢/ج ١٢ النظر مادة حتم (٢٣)
٩١/١٧ ص (٢٦)	١٥٦/٩٨ ص (٢٥)
١٦١-١٦٠/١٧ ص (٢٨)	١٤٤-١٤٣/١٧ ص (٢٧)
٤٩/١٦٥-١٦٨+٥١/٥١ ص (٣٠)	٢٩) أنظر القصة الكاملة في ١٧/ ص ١٤٣ - (٣٠)
	١٤٤ وما بعدها.
١٩٢/١٤ ص (٣٢)	٢٣/١٥١+١٢٥/هـ . ص ٥٣٥ (٣١)
١٢٥/١٢١ ص (٣٤)	١٩٢-١٨٩/١٤ ص (٣٣)
٦٦-٥٨/١٧ ص (٣٦)	٦٥/١٧ ص (٣٥)
٨٦/١٢٠+١٨١/١٢٣ ص (٣٨)	٢٢٢/٧١ ص (٣٧)
١٨٠/ص (٤٠)	٦٧/١٧ ص (٣٩)
٣٤١/٧٤ و ٣٤١/ص (٤٢)	٣٨/٩٨ ص (٤١)
١٠٥-١٠٤/٩٨ ص (٤٤)	٣٨١/٢٦ ص (٤٣)

هوامش الفصل الثاني

٢٧٠ ص/١٥ (٢)	١٤٥ ص/٧٤ (١)
١٧٩ ص/٩٨ (٤)	١٠٤ نقش (٣)
٣٣٩ ص/١٧ (٦)	٣٣٩ ص/١٧ (٥)
١٨١ ص/٩٨ (٨)	٩٩٢ ص ٢ / ٢٥ (٧)
٨٢-٨١ ص/٢٤ (١٠)	٢٣١-٢٣٠ ص/١٢٨ (٩)
٢٢٥ ص/١٠١ (١٢)	٨٢-٨١ ص/٣٤ (١١)
١٨٩ ص/١٢٤ (١٤)	٢٧٠ ص/١٠١ (١٣)
٢٣٠ ص/١٠١ (١٦)	٢٤٠ / ٢٢٩ ص/١٠١ (١٥)
٢٥٨ ص/١٠١ (١٨)	٢٥٣/٢٣٥-٢٣٤ ص/١٠١ (١٧)
	٢٥٥
٢٢٧ ص/١٠١ (٢٠)	٦٣ ص/٢٣ (١٩)
٣٠٥ ص/٤٧ (٢٢)	٦٩ ص/١٢١ (٢١)
١٧٧ ص/١٢٤ (٢٤)	٧/٩٩ نص ٢ / ٢٥ (٢٣)
٦٤ ص/٢٣ (٢٦)	٦٥ ص/٢٣ (٢٥)
٢٦٧ ص/١٠١ (٢٨)	٢٢٩ ص/١٠١ (٢٧)
٢٦١ ص/١٠١ (٣٠)	١٨٩ ص/١٢٤ (٢٩)
٢٦١ ص/١٠١ (٣٢)	١٧٩ ص/٩٨ (٣١)
٦٣ ص/٢٣ (٣٤)	٢٤٣ ص/١٠١ (٣٣)
١٦ ج/١٣ مادة : نثر (٣٦)	٢٣٨ ص/١٠١ (٣٥)
١٦ ج/١٣ مادة : نثر (٣٨)	٧٦ ص/٢٦ (٣٧)
١٢٢ ص/١٩٢ + ١١٠ / مادة : (٤٠)	١١٩-١١٨ ص/١٢٣ (٣٩)
ختا	
٢٥٤ ص/١٠١ (٤٢)	١٩٥ ص/١٢٤ (٤١)
٢١ ص/٢٨ (٤٤)	١١٠ / مادة : شجر (٤٣)

هوامش الفصل الثالث

- | | |
|-------------------------|-------------------------|
| (٢) ٧٢/ص ٤٢ | (١) ٢٨/ص ١٠-١١ |
| (٤) ٢٣/ص ٦٣ | (٣) ٣٣٤/ص ١٠.١ |
| (٦) ١٦/ج ١٣ مادة : صون | (٥) ٣٣٠/٣٢٧/ص ١٠.١ |
| (٨) ١٢٤/ص ١٩٤ | (٧) ٣/ص ٤٢٤/٤٦٦-٤٦٧ |
| (١٠) ١٢٤/ص ٣٣٠ | (٩) ١١٠/مادة : الجؤه |
| (١٢) ٢/٢٥ ص ٩٩٢ | (١١) ٦٠/ص ٦٢ |
| (١٤) ٢٨/ص ٨ | (١٣) ٢/تكوين ٣/١٤ |
| (١٦) ١٥/ص ١٩٩ | (١٥) ٢٠٤/ص ١٢٤ |
| (١٨) ١٦/ج ٤ مادة : بحر | (١٧) ٢٠٤/ص ١٢٤ |
| (٢٠) ١٤٤ | (١٩) ٢٦-٢٥/ص ٢٣ |
| (٢٢) ١٢٣/ص ١٧٥ | (٢١) ١٠/ص ٢٠٦ |
| (٢٤) ١٦/ج ١٤ مادة : شوا | (٢٣) ١١٠/مادة : عشار |
| (٢٦) ٣/ص ١٣٨ | (٢٥) ٢٦/نقش ٥١-٥٠ |
| (٢٨) ١٢٤/ص ٢٢٦/١٦٢ | (٢٧) ٣/مسند ١٧ وتعليقات |
| (٣٠) ٣/ص ٤٩٤ | (٢٩) ١٩٢ |
| (٣٢) ١١٠/مادة : المظمه | (٣١) ٢٢٦/ص ١٢٤ |
| (٣٤) ٢٠/ص ٢٨ | (٣٣) ١٦٢/ص ١٢٤ |
| (٣٦) ٢٦/ص ٢٨ | (٣٥) ٩٩/ج ٢ ص ٤١٨ |
| (٣٨) ٩٩/ج ٢ ص ٤٢٠ | (٣٧) ٩٩/ج ٢ ص ٤٢٢ |
| (٤٠) ٩٩/ج ٢ ص ٤٢١ | (٣٩) ١٦٥/ص ١٢٤ |
| (٤٢) ٥٧/ص ٣٨-٣٩ | (٤١) ٣/ص ١٩٢-١٩٥ |
| (٤٤) ٢٣/ص ٢١٣-٥٥ | (٤٣) ٢/٢٥ ص ٩٩٢-٩٩٠ |
| (٤٦) ١٢١/ص ١٠٣-١٠٤ | (٤٥) ٦٣/ص ٢٣ |
| (٤٨) ٢/٢٥ ص ٩٨٠ | (٤٧) ٢٦/نقش ١٠٤ |
| (٥٠) ٢٣/ص ٦٥ | (٤٩) ٧٧/ص ١٣ |
| (٥٢) ١٦/ج ٢ مادة : سوج | (٥١) ١٥/ص ٢٠٠ |
| (٥٤) ١١٥/ص ١٧٨ | (٥٣) ٧٤/ص ٢٣٨ |
| (٥٦) ١١٠/مادة الرواء | (٥٥) ٢٥/١ نص ٩٨/١٣ |

١٧٢ ص/١٢٤	(٥٨)	١٩٣ ص/١٤	(٥٧)
١٤١ + ٢٩٥ - ٢٩٤ ص/١٢١	(٦٠)	٣٠٤ ص/١٢١	(٥٩)
١٩١ ص/١٠١	(٦٢)	١٧٣ - ١٧٢ ص/١٢٤	(٦١)
٢٠٣ ص/١٠١	(٦٤)	١٦٩ ص/١٠١	(٦٣)
١١٠ / مادة : خولان	(٦٦)	١٧٥ ص. هـ. / ١٢٤	(٦٥)
٢٩ نقش / ٢٦	(٦٨)	١٤ نقش / ٢٦	(٦٧)
٢٠٤ ص/٢٣	(٧٠)	٤٣ نقش / ٢٨ / ٢٦ نقش	(٦٩)
٥٣١ - ٥٣٠ ص/١٢٥	(٧٢)	٥٣٠ - ٥٢٩ ص/١٢٥	(٧١)
		٥٣١ - ٥٣٠ ص. هـ. / ١٢٥	(٧٣)

هوامش الفصل الرابع

- (١) ٢/٢٥ ص ٩٨٤
(٢) ١٢١/ص ٤٣-٤٤
(٣) ١٢١/ص ٤٣-٤٤
(٤) ٧٤/ص ٩٩
(٥) ١٢٤/ص ١٤٩+١١٠/مادة: صيد
(٦) ١٢٤/ص ١٥٨-١٥٩+١١٠/مادة: صيد
(٧) ١٢٤/ص ١٨٤
(٨) ٢/٩٩ ص ٤١٩
(٩) ٢٨/ص ١٥
(١٠) ١٢٤/ص ٣٢٨+٧٨/ص ٣٧
(١١) ١٢٤/ص ١٧٩
(١٢) ٢٦/نقش ٤٨
(١٣) ١٠١/ص ٢١٧-٢٢٠
(١٤) ١٢٤/ص ١٨٢
(١٥) ١٩٣/ص ١٢
(١٦) ٣/١٦/مادة: عقد
(١٧) ١٢٤/ص ١٤٧
(١٨) ٧٤/ص ٣١ و ص ٢٨٥
(١٩) ١٢٤/ص ١٧٣-١٧٤
(٢٠) ١٢٤/ص ٣٠٥
(٢١) ٧٤/ص ٣٤
(٢٢) ١٢٤/ص ٢٠
(٢٣) ١٢٤/ص ٢٠٣
(٢٤) ١٩٢/ص ٢٠
(٢٥) ١٩٢/ص ٢١-٢٢
(٢٦) ٣/ص ٤٢٤ و ص ٤٥٠-٤٥٩
(٢٧) ١٤١
(٢٨) ٣/ص ٤٦٦-٤٦٧
(٢٩) ١١٠/مادة: بنو ظبيان ومادة: الظبطين
(٣٠) ٢٣/ص ٦٢-٦٥
(٣١) ٣/١٦/مادة: جعد و جلعد وقحد
(٣٢) ١٠١/ص ٣٤٧ و ص ٣٦٥
(٣٣) ٢/٢٥/ص ٩٩٩
(٣٤) ٣/مسند ٣٢ وتعليقات
(٣٥) ٢٨/ص ١٣
(٣٦) ٣/مسند ٣٢ وتعليقات
(٣٧) ١٠١/ص ٣٠٢
(٣٨) ١٠١/ص ٣٣٤
(٣٩) ١٠١/ص ٣٤٧
(٤٠) ١١٠/مادة: شيام
(٤١) ٢/٢٥/ص ٩٣٥
(٤٢) ١٠١/ص ٣٣٩
(٤٣) ٢٨/ص ٢٦+١١٠/مادة: المهرة
(٤٤) ١٠١/ص ٣١٩
(٤٥) ٢٦/نقش ٢١
(٤٦) ٣/مسند ٢٤ وتعليقات
(٤٧) ٢٣/ص ٦٥
(٤٨) ٢٣/ص ٦١-٦٢
(٤٩) ٧٢/ص ٤٢
(٥٠) ٣/مسند ١٣ وتعليقات
(٥١) ٢٣/ص ١٠٥
(٥٢) ١٢٤/ص ٢٨٤
(٥٣) ٢/١٦/مادة: بحج
(٥٤) ١٠١/ص ٢٨١

١٨٧ ص/١٢٤ (٥٦)	١٨٧ ص/١٢٤+٦١-٦٠ ص/٢٣ (٥٥)
٩١٨ ص/٢/٢٥ (٥٨)	٢٧٩ ص/١٠١ (٥٧)
٢٥-٢٤ ص/٧٧ (٦٠)	١٨٢ ص/١٢٤ (٥٩)
١١٤-١١٢ ص/٧٤ (٦٢)	١١٢ ص/٧٤ (٦١)
٧١٠ ص/٢/٢٥ (٦٤)	٤٨ نقش/٢٦ (٦٣)
٣٣٩ ص/٣٣٠ ص/١٠١ (٦٦)	٢٨+١٦٩ ص/١٢٤ (٦٥)
	٢٧٦ ص/٤٧+١٧ ص
٢٨ ص/٢٨+٩٠ ص/١٢٤ (٦٨)	١٣ ص/٢٨ (٦٧)
٣٠٩ ص/١٠١ (٧٠)	٣٤٤-٣٤٦ ص/١٠١ (٦٩)
	٣٦٣
١٩٤-١٩٣ ص/٣ (٧٢)	٩٠ ص/١٢٤ (٧١)
٢٧٠ ص/١٥ (٧٤)	١٤٦ ص/٢٣ (٧٣)
٧٩ ص/٣ (٧٦)	١٤٢ (٧٥)
٣٤٤ ص/١٠١ (٧٨)	١٨٨-١٨٧ ص/١٢٤ (٧٧)
(٨٠)	١٨٨ ص/١٢٤ (٧٩)

هوامش الفصل الخامس

- | | |
|--|---|
| <p>(٢) ٩/١٢٠ ص</p> <p>(٤) ١٠٥-١٠٣ ص/١٢١</p> <p>(٦) ١١٠/مادة: مردع</p> <p>(٨) ٢٧٢-٢٧١ ص/١٠١</p> <p>(١٠) ٢٨ ص/١٨-١٩+١١٠/مادة: صنهاجة</p> <p>(١٢) ١٩٣</p> <p>(١٤) ٢٥٩-٢٥٨ ص/١٥</p> <p>(١٦) ٧٤ ص/١٩٨</p> <p>(١٨) ١٠١</p> <p>(٢٠) ٩٨ ص/٣٤</p> <p>(٢٢) كحالة: عمر رضاء/معجم قبائل العرب</p> <p>القديمة والحديثة ط ٥/١٩٨٥ ج ٣ ص ١٢٥٩.</p> <p>(٢٤) ٢٠٠ ص/١٠١</p> <p>(٢٦) ٢٠٦ ص/١٠١</p> <p>(٢٨) ١٩٠ ص/١٠١</p> <p>(٣٠) ١١٠/مادة: ذي الماء</p> <p>(٣٢) ٢٠٦ ص/١٠١</p> <p>(٣٤) ٢١٢ ص/١٠١</p> <p>(٣٦) ١٧٣ ص/١٢٤</p> <p>(٣٨) ٢٠٩ ص/١٠١</p> <p>(٤٠) ١٢ ص/١٩٢</p> <p>(٤٢) ١٦٨</p> <p>(٤٤) ٣٠٤ ص/١٢١</p> <p>(٤٦) ٣٧/مادة: مشو ومشي</p> | <p>(١) ٥٨ ص/١٠٠</p> <p>(٣) ١٠٥-١٠٣ ص/١٢١</p> <p>(٥) ١٠٥-١٠٣ ص/١٢١</p> <p>(٧) ١٠٨ ص/١٠١</p> <p>(٩) ٤١٩ ص/٣/٩٩</p> <p>(١١) ٧٦-٧٥ ص/٦٢</p> <p>(١٣) ٢/١٦/مادة: هجج</p> <p>(١٥) ٢٠ ص/١٩٢</p> <p>(١٧) ٧٤ ص/١٨٤</p> <p>(١٩) ١٧٥ ص/١٢٤</p> <p>(٢١) ٢٩ ص/٦٧</p> <p>(٢٣) ٢٠٥ ص/١٠١</p> <p>(٢٥) ١٨٢ ص/١٠١</p> <p>(٢٧) ١٩٥ ص/١٠١</p> <p>(٢٩) ٢٠٢ ص/١٠١</p> <p>(٣١) ٢٠٤ ص/١٠١</p> <p>(٣٣) ٢١٠ ص/١٠١</p> <p>(٣٥) ٣٦٤ ص/١٣</p> <p>(٣٧) ٢٠٩ ص/١٠١</p> <p>(٣٩) ٢٠٩ ص/١٠١</p> <p>(٤١) ٢/١٦/مادة: شتت ومادة: مشش</p> <p>(٤٣) ٢١٣ ص/١٠١</p> <p>(٤٥) ٢٠٢ ص/١٠١</p> |
|--|---|

هوامش الفصل السادس

- | | |
|---|--|
| <p>(٢) ٣٢/٩٨</p> <p>(٤) ٣٣-٣١/٩٨</p> <p>(٦) ٢٢/١٠٠</p> <p>(٨) ٢٢/١٠٠</p> <p>(١٠) ٨٨-٨٦/٨٩</p> <p>(١٢) ٧/٨٨</p> <p>(١٤) ٢٣٩/٧٤</p> <p>(١٦) ١٣٩/١١٦</p> <p>(١٨) ١٩١/١٥١</p> <p>(٢٠) ١٨٨-١٨٦/١٥١</p> <p>(٢٢) ١١٠/مادة : مغاليس</p> <p>(٢٤) ٤٨/٣٣</p> <p>(٢٦) ٣٠١/١٢١</p> <p>(٢٨) ١٨٨-١٨٦/١٠١</p> <p>(٣٠) ٤٠-٣٩/٧٤</p> <p>(٣٢) ٦٣/١٥</p> <p>(٣٤) ٢٦٠/هـ. ص</p> <p>(٣٦) ٢٦١-٢٦٠/١٢١</p> <p>(٣٨) ٢٦١/١٢١</p> <p>(٤٠) ٢١٣/١٧٧</p> <p>(٤٢) ٢١١-٢١٠/١٢٤</p> <p>(٤٤) ١٣٤-١٣٣/١٢٤</p> <p>(٤٦) ١٣٢/هـ. ص</p> <p>(٤٨) ٢٣/١٦٧</p> <p>(٥٠) ٢٦١-٢٦٠/١٢١</p> <p>(٥٢) ٣٢/هـ. ص</p> <p>(٥٤) ١٠٨/٩٠</p> | <p>(١) ٦٠/١٩٦</p> <p>(٣) ١٠٥-١٠٣/١٢١</p> <p>(٥) ٣٣/٩٨ + ٢٦١-٢٦٠/١٢١</p> <p>(٧) ٢٢/١٠٠</p> <p>(٩) ٢٢/١٠٠</p> <p>(١١) ٣٩/١٢٤</p> <p>(١٣) ١٥٥/</p> <p>(١٥) ٣٧/مادة : قسد</p> <p>(١٧) ١٧٣/١٢٤</p> <p>(١٩) ٣٠٤/١٢١</p> <p>(٢١) ٧٦-٧٥/١٠١</p> <p>(٢٣) ١٢١/٣٣</p> <p>(٢٥) ٨١/٥٠</p> <p>(٢٧) ١٢/١٩٢</p> <p>(٢٩) ٣٩/٧٤</p> <p>(٣١) ٣٨/هـ. ١٤/٧٤</p> <p>(٣٣) ٣٩/هـ. ١٥/٧٤</p> <p>(٣٥) ٢٦٠/هـ. ص</p> <p>(٣٧) ١٩٣/٤٢</p> <p>(٣٩) ٢٦٢/١٢١</p> <p>(٤١) ٢١٠/١٧٧</p> <p>(٤٣) ١٣٣/١٢٤</p> <p>(٤٥) ١٣٣/١٢٤</p> <p>(٤٧) ١٩٣/٤٢ + ٢٦١/١٢١</p> <p>(٤٩) ٧٩/١٥</p> <p>(٥١) ٢١/٥٩</p> <p>(٥٣) ١٠٨/٩٠</p> |
|---|--|

- | | | | |
|------|--------------------|------|--------------------|
| (٥٦) | ٢٣٢ ص/١٢٤ | (٥٥) | ١١٠-١٠٨ ص/٩٠ |
| (٥٨) | ١١٠/ مادة : الملحق | (٥٧) | ١١٠/ مادة : شرحه |
| (٦٠) | ١٥ ص/١٩٢+٦٣ ص/١٧ | (٥٩) | ١٤٧ ص/٩٨ |
| (٦٢) | ٢٣٣-٢٣٢ ص/١٢٤ | (٦١) | ١٤٨-١٤٧ ص/٩٨ |
| (٦٤) | ٢١ ص/٥٩ + ٣٩ ص/٧٤ | (٦٣) | ٣٩ ص/٧٤ |
| (٦٦) | ٣٤-٣٣ ص/٥٨ | (٦٥) | ٥٤-٦ ص/٥٨ |
| (٦٨) | ١٦ ج/٩ مادة : طهف | (٦٧) | ١٦ ج/١١ مادة : صمل |
| | | (٦٩) | ١٦ ج/١٣ مادة : هون |

هوامش الفصل السابع

- (١) علي {د/جواد} ، تاريخ العرب قبل الإسلام/ج ١ ص ٣٥٢ .
- (٢) ٥٩/ص ٦٧
- (٣) ١٨٩/ص ١٢
- (٤) ١٧٤
- (٥) ١١٨/ص ٢٤
- (٦) ١١٠/مادة : أيوب + ١٧٦
- (٧) ١١٠/مادة : ضالع
- (٨) ١٠١/ص ١٠٣/ص ١١٣-١١٤
- (٩) ١٣/ص ٣٦٨-٣٦٧
- (١٠) ١٠١/ص ١٠٠ + ١٢٤/ص ١٧٢
- (١١) ١٢٤/ص ١٤١
- (١٢) ١٠١/ص ٩٧/ص ١٠٥
- (١٣) ١٠١/ص ١١٢-١١٣
- (١٤) ١٠١/ص ١١٢-١١٣
- (١٥) ١٠١/ص ١١٤-١١٥
- (١٦) ١٢١/ص ١١٦-١١٧
- (١٧) ١٠١/ص ١١٣
- (١٨) ١٦/ج ١٢ مادة : جم
- (١٩) ١٦/ج ١٢ مادة : يم
- (٢٠) ١١٦/ص ١٢١
- (٢١) ١٦/ج ٨ مادة : قصع
- (٢٢) ١٦/مادة : هفك
- (٢٣) ٢٦/ص ٤٠
- (٢٤) ٢١/ص ٤٠-٤١/ص ٥٧
- (٢٥) ١٧٦/
- (٢٦) ٣/ص ٤٢٤/ص ٤٥٠-٤٦٧
- (٢٧) ١٢١/ص ٣٠٤-٣٠٥
- (٢٨) ١٢١/ص ٢٦٠-٢٦١
- (٢٩) ١٠٨/لي الاعلام مادة : بخت نصر
- (٣٠) ٧٤/ص ٦٧
- (٣١) ١٦/ج ٤ مادة : جعر
- (٣٢) ١٦/ج ١ مادة : رجب
- (٣٣) ١٠١/ص ١٠٤-١٠٨
- (٣٤) فريجه {د/اليس} ملاحم واساطير رأس شبرا
- (٣٥) ٩٦/ص ١٣٢
- (٣٦) ١١٦/ص ٢٠
- (٣٧) ١٦/ج ٦ مادة : حتش
- (٣٨) ٩٠/ص ١٠٩
- (٣٩) ٩٦/ص ١٢٩
- (٤٠) ١٦/ج ٨ مادة : تبغ

هوامش الفصل الثامن

- | | |
|-------------------------------|---------------------|
| (٢) ٧٩/١٠ | (١) ٧٩/١٠ |
| (٤) /١٨٨ | (٣) ٧٤/١٠ |
| (٦) ١٦٣-١٦١/١٥ | (٥) /١٨٨ |
| (٨) /١٨٨ | (٧) /١٨٨ |
| (١٠) ٧٦/١٠ | (٩) ٧٦-٧٥/١٠ |
| (١٢) ٥٠٤-٥٠٣/١٢٥ | (١١) ١٤٥/١٩ |
| (١٤) ٢٣٧-١٩٤/١١٧/١٢٤ | (١٣) ١٦٣-١٦١/١٥ |
| ٣٠٦/٢٣٩ | |
| (١٦) ٢١/٥٠ | (١٥) ١٥٨/١٥ |
| (١٨) ٨٠/٥٠ | (١٧) ١١٧/١٢٤ |
| (٢٠) ٧٩/١٠ | (١٩) ١٤٠/٦٢ |
| (٢٢) ٢٣٤+١٦/٤٢ ج ٤ مادة : سدر | (٢١) ٧٦/١٠ |
| (٢٤) ٢٣٦/٤٢ | (٢٣) ٧٨/١٠ |
| (٢٦) ٥٠٥-٥٠٤/١٢٥ | (٢٥) ٣٤/١٠٢ |
| (٢٨) ٢٣٥/٤٢ | (٢٧) ١٨٩/١٠١ |
| (٣٠) ٢٠٠/١٠١ | (٢٩) ١١٠/مادة : كلد |
| (٣٢) ٧٧/١٠ | (٣١) ١٩٠/١٠١ |
| (٣٤) ١٦ ج ١٢ مادة : زأم | (٣٣) ١٨٧/١٠١ |
| (٣٦) ٢٣٣/٤٢ | (٣٥) ١١٩-١١٨/٥١ |
| (٣٨) ٧٩/١٠ | (٣٧) ٢٣٤/٤٢ |
| (٤٠) ١٨٧/١٠١ | (٣٩) ٢٤١/٤٢ |
| (٤٢) ١٩١/١٠١ | (٤١) ١٨٩/١٠١ |
| (٤٤) ١٩٩/١٠١ | (٤٣) ١٨٩/١٠١ |
| (٤٦) ٢٠٠/١٠١ | (٤٥) ٢٠٠/١٠١ |
| (٤٨) ٢١٢/١٠١ | (٤٧) ١٨٧/١٠١ |

الفصل التاسع

- | | |
|--|------------------------|
| (٢) ٣٧-٣٦ ص/٨٨ | (١) ٣٧ ص/٨٨ |
| (٤) ٤٢-٤١ ص/١٨٤ | (٣) ٣٧ ص/٨٨ |
| (٦) ١٣٨ ص/١٧ | (٥) ١٣٧ ص/١٧ |
| (٨) سلامه {دليل جورج} السرايا الشفوي في الشرق الأدنى ص ١٠٠-١٠١ | (٧) ١٤٦-١٤٤ ص/١٧ |
| (١٠) ٢١٣ ص/١٠١ | (٩) ٣٦٨ ص/٦٠ |
| (١٢) ٤٢ ص/١٨٤ | (١١) ١٦ ج ٢ مادة : سمج |
| (١٤) ٤٢ ص/١٨٤ | (١٣) ٨١ ص/٧٠ |
| (١٦) ٢٣٦ ص/٦٥ | (١٥) ٢٣٦ ص/٦٥ |
| (١٨) ١٨٣ ص/١٠١ | (١٧) ٢٥٣-٢٥٢ ص/١٧ |
| (٢٠) ٨٣ ص/٥٩ | (١٩) ٨٢ ص/٥٩ |
| (٢٢) ١٤ ص/١٩٢ | (٢١) ١٣٦ / |
| (٢٤) ١٥ ص/١٩٢ | (٢٣) ١٤ ص/١٩٢ |
| (٢٦) ١٣٧-١٣٦ ص/١٧ | (٢٥) ٢٤١ ص/١١٨ |
| (٢٨) ١٢٠ ص/٥ | (٢٧) ٢٧٧-٢٧٦ ص/٢٠٢ |
| (٣٠) ١٥٧ ص/٦٥ | (٢٩) ١٦٩ ص/١٠١ |
| (٣٢) ٩٩ ص/٦٥ | (٣١) ١٥٧ ص/٦٥ |
| (٣٤) ٣٣٣ ص/٦٥ | (٣٣) ٣٣٢ ص/٦٥ |
| (٣٦) ٣٣٣ ص/٦٥ | (٣٥) ٣٣٣ ص/٦٥ |
| (٣٨) ٣٣٥ ص/٦٥ | (٣٧) ٣٣٥ ص/٦٥ |
| (٤٠) ٣٣٦ ص/٦٥ | (٣٩) ٣٣٥ ص/٦٥ |
| (٤٢) ٣١٢ ص/٣ | (٤١) ٣١٢ ص/٣ |
| (٤٤) ١٦ ج ٢ مادة : ديث | (٤٣) ٣١٦ ص/٣ |
| (٤٦) ١٦ ج ٤ مادة : زغر وهـ ص ٣٤٢ | (٤٥) ٣٣٦ ص/٦٥ |

الفصل العاشر

(١)	٣٨ ص/٣٢	(٢)	٣٨ ص/٣٢
(٣)	٤٥٦-٤٥٥ ص/٣	(٤)	٥٥٤ ص/٧
(٥)	١٤٣-١٤١ ص/٥٩	(٦)	١٣٦ ص/١٦٨
(٧)	١٤٢ ص/٥٩	(٨)	٢٤٥ ص/٦١
(٩)	٦٦ ص/١٢٣	(١٠)	١٨٥ ص/٧٩
(١١)	٥٧ ص/٦٦	(١٢)	١٦ ج/١٤ مادة : ضرا
(١٣)	٣٠٧ ص/١٧	(١٤)	١٤٣-١٤٢ ص/٥٩
(١٥)	٢٧٠ ص/٥٠	(١٦)	٧٨ ص/٦٦
(١٧)	٩٦-٩٥ ص/٦٥	(١٨)	٣٤ ص/١٨٤

الفصل الحادي عشر

(١)	١٤٤	(٢)	٢٠٦
(٣)	١١٤-١١٣ ص/١٥٦	(٤)	١١٣ ص/١٥٦
(٥)	١١٣ ص/١٥٦	(٦)	٩٥ ص/٥٢
(٧)	٥٨ + مادة: قرح/٢/١٦	(٨)	١١٤ ص/١٥٦
(٩)	٤٥ ص/١٨٤	(١٠)	٤٧ ص/١٨٤
(١١)	١٥٧ ص/٦٥	(١٢)	١٥٠-١٤٩ ص/٩٨
(١٣)	١١٠ ص/١٥٦	(١٤)	٢٣ نقش/٢٦
(١٥)	١١٠ مادة: حرة	(١٦)	٢٣٨-٢٣٧ ص/١٢٤
(١٧)	٨٩ ص/١٢٣	(١٨)	١١٠ مادة: صناع
(١٩)	٢٩٥-٢٩٤ ص/١٢١	(٢٠)	٢٩٥-٢٩٤ ص/١٢١
(٢١)	٢٠٥ ص/١٠١		

الفصل الثاني عشر

(١)	٢٥٧ ص/٦٥	(٢)	٢٧٠ ص/٦٥
(٣)	٤٣٥-٤٣١ ص/١٣	(٤)	٥٣ ص/٣٢
(٥)	٥٤ ص/٣٢	(٦)	٣٠٢ ص/٦٥
(٧)	٣١٣ ص/٦٥	(٨)	٣١٤ ص/٦٥
(٩)	٣١٥ ص/٦٥	(١٠)	١٥١ ص/٥٢
(١١)	٣١٩ ص/٣	(١٢)	٢٧٨ ص/٥٠
(١٣)	٨١-٨٠ ص/٥٩	(١٤)	٢٧٩-٢٧٨ ص/٥٠
(١٥)	٣/١٦ مادة : جيد	(١٦)	١٨٤-١٨٣ ص/١٢١

الفصل الثالث عشر

(١)	٥١ ص/٥٧	(٢)	٤٨ ص/٦١
(٣)	١٩ ص/٣٣	(٤)	٣/لقش ٢٤ ص/١٦٩
(٥)	٦٦ ص/٥١	(٦)	١٦٨-١٦٥ ص/٤٩+٦٦ ص/٥١
(٧)	١٥١ ص/٢٣	(٨)	١٥١ ص/٢٣
(٩)	١٤/١٦ مادة: حري	(١٠)	٧٤ ص/٥٩
(١١)	٧٤ ص/٥٩	(١٢)	١٧٤ ص/٣٩
(١٣)	٢٣١ ص/١٥	(١٤)	٧٥ ص/٥٩
(١٥)	٣٠٤ ص/١٢١	(١٦)	٨١ ص/٥٤
(١٧)	٨٠ ص/٥٠	(١٨)	٨١ ص/٥٤
(١٩)	١٣٣-١٣٢ ص/٣٤	(٢٠)	١٩١ ص/١٥
(٢١)	٢٣ ص/٣٣	(٢٢)	١٣٦ ص/١١٨
(٢٣)	٢٣٩ ص/١٥	(٢٤)	٢٤ ص/١٠١
(٢٥)	١٣٧ ص/٧٤	(٢٦)	٦٩ ص/٥٩
(٢٧)	٦ ص/١٥	(٢٨)	٤٦-٤٤ ص/١٢٩
(٢٩)	١٠/١٦ مادة: برقي	(٣٠)	١٠/٨ لي اللغة مادة: الإيتوس

١٠٧ ص/٨١ (٣٢)	١١٠ مادة: خيان (٣١)
١٣/١٦ مادة طبي (٣٤)	١١٠ مادة: عن (٣٣)
٧ ص/١٥ (٣٦)	٣٥٨-٣٥٧ ص/٥٦ (٣٥)
٩٠ ص/٩٠ (٣٨)	١١٠ مادة ذي السفال (٣٧)
٨/١٦ مادة : لصع (٤٠)	٤/١٦ مادة: خصص (٣٩)
١١/١٦ مادة: زمل (٤٢)	٢٦ المعفى في نقش ٧٥ (٤١)
٩٠-٩١ ص/٩٠ (٤٤)	١٠٤ ص/٥٦ (٤٣)
٦١ ص/٤٤ (٤٦)	١٣/١٦ مادة : هدن (٤٥)
٩ هـ . ص ٤٠٥ (٤٨)	٩٥ ص/٥٦ (٤٧)
٣٠٤ ص/١٢١ (٥٠)	٤٦٥ ص/٩ (٤٩)
١٦١ ص/٥٩ (٥٢)	٢٠٦ ص/٤٤ (٥١)
١٢/١٦ مادة: حتم (٥٤)	٢٤٨ ص/٥٣ (٥٣)
١٦٢-١٦١ ص/٥٩ (٥٦)	١٧١ ص/٣ (٥٥)
١٩ ص/٣٣ (٥٨)	١٦٨-١٦٥ ص/٤٩ (٥٧)
٥٣-٥٢ ص/٤٤ (٦٠)	١٩ ص/٣٣ (٥٩)
٩٨ ص/١١٨ (٦٢)	٦١ ص/٥٩ (٦١)
١٠٨ ص/٥٦ (٦٤)	١٠٨ ص/٥٦ (٦٣)
١١/١٦ مادة: جول (٦٦)	٢٣ ص/١٦٧ (٦٥)
١٥٠-١٤٩ ص/٩٨ (٦٨)	١٤ ص/٥٩ (٦٧)
٩٢ ص/٩٠ (٧٠)	١١٢ ص/٥٦ (٦٩)

الفصل الرابع عشر

- | | |
|---------------------------|--|
| (٢) ٢٢/ص ٦٢ | (١) ٢٢/ص ٢٢ |
| (٤) ٦٣/ص ٦٣ | (٣) ٤٠/ص ٧٢ |
| (٦) ٦٣/ص ٦٣ | (٥) ٦٣/ص ٦٣ |
| (٨) ٢٠٠/ص ١٢٤ | (٧) ٢٢٧/ص ١٠١ |
| (١٠) ٧٦/ص ٦٢ | (٩) ١١٠/مادة: العود |
| (١٢) ١٩١/ص ١٠١ | (١١) ١١٠/مادة: مفاليس |
| (١٤) ٦٤/ص ٢٣ | (١٣) ١٩٤/ص ١٠١ |
| (١٦) ٨٧/نقش ٢٦ | (١٥) ٦٢/ص ٢٣ |
| (١٨) ١٦٩/ص ١٠١ | (١٧) ٣٤/ص ٢٣ |
| (٢٠) ١٠٢/نقش ٢٦ | (١٩) ٤٠/ص ٢٣ |
| (٢٢) ٢٠/ص ٢٨ | (٢١) ٣٢٣/ص ٢٦ |
| (٢٤) ٢١/ص ٢٣ | (٢٣) ٤٠/ص ٢٣ |
| (٢٦) ٣٢٥-٣٢٤/ص ١٢١ | (٢٥) ٢٢/ص ٢٣ |
| (٢٨) ١٨٤/ص ١٢٩ | (٢٧) ٩٣٥/ص ٢/٢٥ |
| (٣٠) ٤٨/نقش ٢٦ | (٢٩) ١٨٦-١٨٥/ص ١٢٩ |
| (٣٢) ٦٨-٦١/ص ٢٣ | (٣١) ٦٨-٦١/ص ٢٣ |
| (٣٤) ٦٤/ص ٢٣ | (٣٣) ٣٠٥-٢٨١/ص ١٠١ |
| (٣٦) ٦٧/ص ٢٣ | (٣٥) ٦٤/ص ٢٣ |
| (٣٨) ١٣٦/ص ١٦٨ | (٣٧) ٦٨/ص ٢٣ |
| (٤٠) ١٨٣/ص ١٠١+٢٤-٢١/ص ٣٤ | (٣٩) ١٤٠ |
| (٤٢) ١٤٠ | (٤١) ٢٠٥/ص ١٠١ |
| (٤٤) ٣٠٥/ص ١٢١ | (٤٣) ١٧٣/ص ١٢٤ |
| (٤٦) ٢٠٤/ص ١٠١ | (٤٥) ٢٠٣/ص ١٠١ |
| (٤٨) ١٧٢/ص ١٠١ | (٤٧) ٢١٠/ص ١٠١ |
| (٥٠) ٢٣/نقش ٢٦ | (٤٩) ٤٩: قارن: مأدبتهم سطر ٤ مع ١٦ ج ١ مادة: |
| (٥٢) ٢٠٧/ص ١٠١ | دأب |
| | (٥١) ١١٠/مادة: سلم |

١٣٥ ص/١٦٨ (٥٤)	٣٧/مادة: لم (٥٣)
٣١٧ ص/٢٦ (٥٦)	٣١٧ ص/٢٦ (٥٥)
٩١ نقش/٢٦ (٥٨)	٣٥ ص/٢٣ (٥٧)
٢٠٦ ص/١٠١ (٦٠)	٣٥ ص/٢٣ (٥٩)
١١٧ ص/١٥٨ (٦٢)	٢٤٩ ص/١٤٢ (٦١)
٤٩-٤٨ ص/٧٢ (٦٤)	٨٢ ص/٢٣ (٦٣)
٢٤٩ ص/١٤٢ (٦٦)	٢٥١ ص/١٤٢ (٦٥)
٣٠٤ ص/١٢١ (٦٨)	٣٢٤ ص/١٢١ (٦٧)
١١-٨ ص/١٤٠ (٧٠)	٢٠٩ ص/١٠١ (٦٩)
١١-٨ ص/١٤٠ (٧٢)	١١-٨ ص/١٤٠ (٧١)
٢٣ ص/٢٦ (٧٤)	٩٩٩ ص/٢/٢٥ (٧٣)
٧/١٦/مادة: هيض (٧٦)	١١-٨ ص/١٤٠ (٧٥)
١٧٢ ص/١٢٤ (٧٨)	١٧٣ ص/١٢٤ (٧٧)
٣٤-٣٣ ص/٣٤ (٨٠)	١٧٣ ص/١٢٤ (٧٩)
١٣/١٦/مادة: شين (٨٢)	١١-٨ ص/١٤٠ (٨١)
١٧٢ ص/١٢٤ (٨٤)	١٤/١٦/مادة: شيا (٨٣)
٢٥٢ ص/١٤٢ (٨٦)	٢٥٢-٢٥١ ص/١٤٢ (٨٥)

الفصل الخامس عشر

- | | |
|---------------------------|--------------------------------------|
| (٢) ١٣٤ ص/٢٣ | (١) ٢٠٨-٢٠٧ ص/٣ |
| (٤) ٢١٢ ص/١٠١ | (٣) ١٦٣-١٦٠ ص/٣ |
| (٦) ١٩٨ ص/١٠١ | (٥) ٩ النظر في نهاية الدولة الطاهرية |
| (٨) ١٠٧ ص/٣٤-٧٧+١٠١ ص/١٠٧ | (٧) ١٧٣ ص/١٢٤ |
| (١٠) ٨٦ نقش/٢٦ | (٩) ١٢٤ ص/١٧٦+١١٠/مادة آل ديان |
| (١٢) ١٧٣ ص/١٢٤+١٧٣ ص. ١٧٣ | (١١) ٤٢ نقش/٢٦ |
| (١٤) ٦٩ ص/١٢٣ | (١٣) ١١٥ ص/١٠١ |
| (١٦) ١١٠/مادة: خله | (١٥) ١١٠/مادة: شكع |
| (١٨) ١٥٥ ص/٣ | (١٧) ٨٤-٨٣ ص/١٢١ |
| (٢٠) ١٢٢ ص/٢٣ | (١٩) ١٥٢ ص/٣ |
| (٢٢) ١٣٠-١٢٩ ص/٢٣ | (٢١) ١٢٨ ص/٢٣ |
| (٢٤) ٢٥-٢٣ ص/٥٢ | (٢٣) ١٣٤ ص/٢٣ |
| (٢٦) ١٣/١٦/مادة: عون | (٢٥) ٢٥-٢٣ ص/٥٢ |
| | (٢٧) ٢٥٤ ص/٣ |

الفصل السادس عشر

(٢)	١٩٢/ص ٢١-٢٢	(١)	١٢٦/ص ٢٤
(٤)	١٢٥/ص ١٠٢	(٣)	١٩٢/ص ٢١-٢٢
(٦)	١٢٥/ص ١٠٢	(٥)	١٢٥/ص ١٠٢
(٨)	٤٤/ص ٦٣	(٧)	٤٤/ص ٦٣
(١٠)	١٠١/ص ١٨٧	(٩)	١٠١/ص ١٩٢
(١٢)	١٤١/ص ٣٤	(١١)	٢٤/ص ٨٧
(١٤)	١٤١/ص ٣٤	(١٣)	٢٤/ص ٨٩+١٤١/ص ٣٤
(١٦)	١١٠/مادة: بني حشيش	(١٥)	١٤١/ص ٣٤+١٤١هـ ٦ ص ٣٤
(١٨)	١٤١/ص ٣٤+٣ مسند ١/م.ب	(١٧)	١٢١+٣٩/ص ٣١٣
(٢٠)	١٧٩/ص ١٤-١٥	(١٩)	١٤١/ص ٣٤
(٢٢)	١٠١/ص ١٩١	(٢١)	١٧٩/ص ١٤-١٥
(٢٤)	١٠١/ص ١٩٠	(٢٣)	١٤١/ص ٣٥
(٢٦)	١١٥/ص ٢٧-٢٨	(٢٥)	١٠١/ص ١٩١
(٢٨)	٢٦ موجز ٨/٦/نقش ١٦	(٢٧)	١١٥/ص ٢٧-٢٨
(٣٠)	١٠١/ص ١٩٤	(٢٩)	١٤١/ص ٤٦-٤٧
(٣٢)	١٠١/ص ٢٠٢	(٣١)	١٠١/ص ٢٠٨-٢٠٩
(٣٤)	٣٩/ص ٣٠٢	(٣٣)	١٠١/ص ٢٠١

الفصل السابع عشر

٣٣٧ ص/١٢١ (٢)	٣٢ ص/١١٥ (١)
٩ ص/١٢٠ (٤)	٣٠-٢٩ ص/٦٧ (٣)
٨٠ ص/٣٤ (٦)	٣٠٤-٢٩٨ ص/١٢١ (٥)
٢٠٢ ص/١١٥ (٨)	٣٠٥ ص/١٢١ (٧)
١١٠/مادة: ذي رعين (١٠)	٣٦٧ ص/٣٠٥-٣٠٤ ص/١٢١ (٩)
٣٢٢ ص/١٢١ (١٢)	٣٢٣ ص/١٢١ (١١)
١٩٨ ص/١٠١ (١٤)	١٨٩ ص/١٠١ (١٣)
٢٢١-٢١٩ ص/١٠١ (١٦)	٢٩٦ ص/١٢١ (١٥)
١٧٣ ص/١٢٤ (١٨)	٣٠٥-٣٠٤ ص/١٢١ (١٧)
١٣٩ ص/١٢٩ (٢٠)	١٥-١٣ ص/٧٧ (١٩)
١٨٧-١٨٦ ص/١٠١ (٢٢)	٣٠٤ ص/١٢١ (٢١)
٢٩٤ ص/١٢١ (٢٤)	٢٩٥-٢٩٤ ص/١٢١ (٢٣)
٢٠٥ ص/١٠١/٢٦ (٢٦)	٢٠٣ ص/١٧٥+١٠١ ص/١٢٤ (٢٥)
١٩٦ ص/١٠١ (٢٨)	٩٦ ص/١٠١ (٢٧)
٢٠٧ ص/١٠١ (٣٠)	٨٤ ص/١١٥ (٢٩)
٢٠٨ ص/١٠١ (٣٢)	٨٠ ص/١١٥ (٣١)
٣٢٥-٣٢٤ ص/١٢١ (٣٤)	٣٢٤ ص/١٢١ (٣٣)
١٩١ ص/١٠١ (٣٦)	١٧٢ ص/١٢٤ (٣٥)
٣٧/٤/مادة: منصور (٣٨)	٢٩ ص/١١٥ (٣٧)
٣٧/١/مادة: أجد (٤٠)	٢٠٩ ص/١٠١ (٣٩)
٢٠٩ ص/١٠١ (٤٢)	٢٠١-١٩٩ ص/١٠١ (٤١)
٢١٤ ص/١٠١ (٤٤)	٥٣ ص/٣٠٨+٣٤ ص/١٠١ (٤٣)
٢٧ ص/١١٥ (٤٦)	٣٠٩-٣٠٨ ص/١٢١ (٤٥)
٣٥ ص/١١٥ (٤٨)	٢٢١ ص/١٩٢ ص/١٠١ (٤٧)
٣٠٤ ص/١٢١ (٥٠)	١٩٠ ص/١٠١ (٤٩)
٢٠٣ ص/١٠١ (٥٢)	١٧٣ ص/١٢٤ (٥١)

٢٠٠ ص/١١٥	(٥٤)	٢٠٢ ص/١٠١	(٥٣)
١٨٧ ص/١٠١	(٥٦)	١٧٣ ص/١٢٤	(٥٥)
١٧٣-١٧٢ ص/١٢٤	(٥٨)	١٨٧-١٨٦ ص/١٠١	(٥٧)
٢٠٨-٢٠٧ ص/١٠١	(٦٠)	١١٠ مادة: صناع	(٥٩)
١٨٦ ص/١٢٩	(٦٢)	٢٥١ ص/١٤٢	(٦١)
	(٦٤)	٨٤-٨٣ ص/١٢١	(٦٣)

المصادر والمراجع

١

القرآن الكريم

٢

الكتاب المقدس / دار الكتاب المقدس في العالم العربي

٣

الارياي [مطهر علي] في تاريخ اليمن القديم "نقوش مسندية" مركز الدراسات والبحوث
اليمني (صنعاء) ط٢/١٩٩٠م .

٤

الاكوع [محمد بن علي الحوالي] صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي / مطبعة الكاتب
العربي (دمشق) ط/١٩٧٩م .

٥

الانداسي [صاعد] طبقات الامم / تحقيق حياة العيد بو علون / دار الطليعة (بيروت)
ط١/١٩٨٥م .

٦

الانصاري [د/ ناصر] موسوعة حكام مصر / دار الشروق (القاهرة) ط٣/١٩٨٩م

٧

ابن بطوطة [محمد بن عبدالله اللواتي] رحلة ابن بطوطة / تحقيق عبدالمنعم العريان / دار
احياء العلوم (بيروت) ط١/١٩٨٦م .

٨

ابن حزم [ابو محمد علي بن أحمد الاندلسي] جبهة انساب العرب / دار الكتب العلمي
(بيروت) ط١/١٩٩٨ .

٩

ابن الديبع [عبدالرحمن بن علي] قرّة العيون باخبار اليمن الميمون / تحقيق محمد بن علي
الأكوع المكتبة اليمنية الحوالية (صنعاء) ط/١٩٨٨م.

١٠

ابن كثير [أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي] تفسير ابن
كثير (٣م) طبعة دار الفكر بيروت .

١١

ابن كثير [أبو الفداء] مختصر تفسير ابن كثير (٣م) / تحقيق محمد علي الصابوني دار
القرآن الكريم (بيروت) ط٧/١٩٨١م .

١٢

ابن كثير [أبو الفداء] البداية والنهاية- في سبعة مجلدات مكتبة المعارف (بيروت)
ط٦/١٩٨٥م .

١٣

ابن كثير [أبو الفداء] قصص الانبياء/ مؤسسة ابو الطيب للثقافة (بيروت) ط٣/١٩٩٢م

١٤

ابن كثير [أبو الفداء] قصص الانبياء / تحقيق عبدالحكي الفرماوي / دار اليقين (النصورة)
دار القبلتين (الرياض) ط١/١٩٩٢م .

١٥

ابن الجاور [جمال الدين ابي الفتح يوسف] صفة بلاد اليمن/ تحقيق أوسكر لوفغرين /
منشورات المدينة (بيروت) ط١/١٩٩٨م .

١٦

ابن منظور [ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم] لسان العرب/ دار صادر (بيروت)
ط/١٩٩٥م.

١٧

ابن هشام [أبو محمد عبد الملك] كتاب التيجان في ملوك حير واخبار عبيد بن الشريفة /
مركز الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء)

١٨

ابن هشام [أبو محمد عبد الملك] السيرة النبوية/ مطبعة الباني (مصر) ط ١٩٥٥/٢

١٩

أبو زيد [د/نصر حامد] الاتجاه العقلي في التفسير / دار التنوير (بيروت) ط ١٩٨٨/٢ م

٢٠

أبو سديرة [د/سيد طه] القبائل اليمنية في مصر/ مكتبة الشعب (القاهرة) ط ١٩٩٢/٣ م

٢١

أبو طالب [حسام الدين محسن] تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني
الأول/ تحقيق عبدالله الحبشي مطابع الفضل (صنعاء) ط ١٩٩٥/١ م

٢٢

أبو مخزومة [أبو محمد عبدالله الطيب] تاريخ تنغر عدن/ منشورات المدينة (صنعاء)
ط ١٩٨٦/٢ .

٢٣

بافقيه [د/محمد عبدالقادر] تاريخ اليمن القديم/ المؤسسة العربية (بيروت) ط ١٩٨٧ م

٢٤

بافقيه [د/محمد عبدالقادر] في العربية السعيدة/ مركز الدراسات والبحوث اليمني
(صنعاء) ط ١٩٨٧ م .

٢٥

بافقيه [د/محمد عبدالقادر] المستشرقون وأثار اليمن/ مركز الدراسات والبحوث اليمني
(صنعاء) ط ١٩٨٨ م .

٢٦

بافقيه [د/محمد عبدالقادر] وآخرون ، مختارات من النقوش اليمنية القديمة / المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم / ١٩٨٥ م .

٢٧

بامطرف [د/محمد عبدالقادر] الجامع (أربعة أجزاء) دار الهمداني (عدن) ط٢/١٩٨٤ م

٢٨

بامطرف [د/محمد عبدالقادر] ملاحظات على ما ذكره الهمداني / دار الهمداني (عدن)

ط١/١٩٨٤ م

٢٩

باوزير [سعيد عوض] صفحات من تاريخ الحضرمي / مكتبة الثقافة (عدن) ط١/١٩٥٦ م

٣٠

بتلهام [برونو] التحليل النفسي للحكايات الشعبية / ترجمة طلال حرب / دار المروج

(بيروت) ١٩٨٥ .

٣١

بردوني [عبدالله] فنون الادب الشعبي في اليمن / دار العودة (بيروت) ط١/١٩٨٣ م

٣٢

بردوني [عبدالله] الثقافة الشعبية - تجارب وأقاويل يمنية / دار المأمون (جيزه مصر)

ط١/١٩٨٣ م

٣٣

بروملية + بودلني ، الأنثوس والتاريخ / ترجمة طارق معصراني / دار التقدم (موسكو)

ط١/١٩٨٨ م .

٣٤

البكري [صلاح] في شرق اليمن يافع / دار الكشف (بيروت) ط١/١٩٥٥ م .

٣٥

بناتي [د/محمد الصغير] النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب / دار الحداثة (بيروت)
ط ١٩٨٦/١١ م.

٣٦

بوتيتسيفا [تامارا] الآثار تؤدي إلى رمال الجزيرة العربية/ ترجمة محمد الشمعي / مطبعة
الكاتب العربي (دمشق) ط ١٩٨٩/١ م

٣٧

بيستون [أ-ف-ل] وآخرون، المعجم السبئي/ منشورات جامعة صنعاء ط/ ١٩٨٥

٣٨

بيوتروفسكي [م-ب] ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل/ ترجمة شاهر جمال
اغا/ وزارة الاعلام والثقافة (صنعاء) ط/ ١٩٨٤ م

٣٩

بيوتروفسكي [م-ب] اليمن قبل الإسلام/ ترجمة محمد الشمعي/ دار العودة (بيروت)
ط ١٩٨٧/١ م

٤٠

التنير [د/محمد راؤد] الفاظ عامية فصيحة/ دار الشروق (بيروت-القاهرة) ط ١٩٨٧/١ م

٤١

توفيق [محمد] آثار معين في جوف اليمن/ منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية
(القاهرة) ١٩٥١ م.

٤٢

الشملي [أبو اسحاق أحمد بن إبراهيم] قصص الانبياء (العرائس) المكتبة الشعبية (بيروت)
بدون تاريخ .

٤٣

جارودي [روحية] وعود الإسلام/ الدار العالمية (بيروت) ط/ ١٩٨٤ م

٤٤

١. الجبوري [د/يحيى] قصائد جاهلية نادرة/مؤسسة الرسالة (بيروت) ١٩٨٢م

٤٥

جينير [شارل] المسيحية نشأتها وتطورها/الإمام د/عبدالحليم محمود/دار المعارف
(القاهرة) ١٩٨٥

٤٦

حبشوش [حليم] + هاليفي [جوزيف] رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي/مركز
الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء) ط ١/١٩٩٢م .

٤٧

الحبشي [عبدالله محمد] الرحالة اليمنيون/مكتبة الارشاد (صنعاء) ط/١٩٨٩م .

٤٨

الحرضي [يحيى العامري] غربال الزمان في وفيات الاعيان/تحقيق محمد زعيبي العمري/دار
الخير (دمشق) .

٤٩

الحميري [نشوان بن سعيد] ملوك حمير واقبال اليمن/تحقيق علي المؤيد واسماعيل الجرافي
(القاهرة) ١٣٧٨

٥٠

الحميري [نشوان بن سعيد] رسالة الخور العين وشرحها/تحقيق كمال مصطفى/دار أزال
(بيروت) ط ٢/١٩٨٥م .

٥١

الحميري [نشوان بن سعيد] منتخبات في اخبار اليمن/تحقيق عظيم الدين أحمد/ منشورات
المدين (صنعاء) ط ٣/١٩٨٦م .

٥٢

حنش [صفي الدين أحمد] النور المشرق في فتح المشرق/تحقيق عبدالله الحبشي/منشورات
(بيروت) ط ١/١٩٨٦م .

٥٣

الحويني [د/أحمد محمد] الغزل في العصر الجاهلي/دار فحضة مصر (القاهرة) ط ٣

٥٤

خليف [د/ يوسف] الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي/مكتبة غريب (القاهرة)

٥٥

دلو [برهان الدين] جزيرة العرب قبل الإسلام/دار الفارابي (بيروت) ط ١/١٩٨٩ م.

٥٦

ديان [محسن بن محسن] يافع بين الاصاله والمعاصره/مطبعة الكاتب العربي (دمشق)

١٩٩٥

٥٧

ديب [سهيل] التوراة بين الوثنية والتوحيد/دار النفائس (بيروت) ط ٢/١٩٨٥ م.

٥٨

ديب [فرج الله صالح] اليمن هي الأصل/دار الكتاب الحديث (بيروت) ط ١/١٩٨٨ م.

٥٩

ديب [فرج الله صالح] حول أطروحات كمال الصليبي/دار الحدائث (بيروت)

ط ١/١٩٨٩ م

٦٠

الرازي [أبو أحمد بن حمدان] كتاب الزينة/تحقيق د/حسين بن فيض الله الهمداني/مركز

الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء) ١٩٩٤ م.

٦١

الربيعي [عيسى ابن ابراهيم] نظام الغريب في اللغة (معجم) مؤسسة الكتب الثقافية

ط ١/١٩٨٦ م

٦٢

رسول [الملك الأشرف عمر بن يوسف] طرفه الأصحاب في معرفة الانساب/تحقيق لث.و

سترسين/منشورات المدينة (بيروت) ط ٢/١٩٨٥ م.

٦٣

زيدان [جرجي] الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية/دار الحداثة (بيروت) ط ١/١٩٨٦م

٦٤

ساكرز [د/هاري] عظمة بابل موجز حضارة بلاد الرافدين القديمة ترجمة د/ عامر سليمان/مطابع سيما رومتاج (فرنسا) ط/١٩٦٩م .

٦٥

السواح [د/ فراس] مغامرة العقل الأولى/سومر للطباعة والنشر (لقوسيا) ط ٦/١٩٨٦م .

٦٦

الشامي [د/ يحيى عبدالأمير] النجوم في الشعر العربي القديم/منشورات دار الافاق الجديدة (بيروت) ط/١٩٨٢م .

٦٧

الشجاع [د/عبدالرحمن عبدالواحد] اليمن في صدر الإسلام/دار الفكر (دمشق) ط ١/١٩٨٩م .

٦٨

الشعبي [محمد بن محمد] مراجعات نقدية حول الثقافة والفكر في اليمن/الكاتب العربي (دمشق) ط ١٩٨٩م

٦٩

شلي [د/رؤف] المجتمع العربي قبل الإسلام/المكتبة العصرية (صيدا - بيروت) .

٧٠

شلق [د/علي] النابغة الذبياني/دار المدى (بيروت) ط ١/١٩٨٥م .

٧١

الشماحي [عبدالله عبدالوهاب] الإنسان والحضارة/دار المناء (القاهرة) ط ١/١٩٧٢م .

٧٢

شهاب [حسن صالح] عدن فرضة اليمن/مركز الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء) ط ١/١٩٩٥م

٧٣

الشوكاني [محمد بن علي] نيل الاوطار في أربعة مجلدات/مختصر خالد عبدالرحمن
العك / دار الحكمة (صنعاء) ط ١٩٨٨/١ م .

٧٤

الصليبي [د/كمال سليمان] التوارة جاءت من جزيرة العرب/ترجمة عفيف الزاز مؤسسة
الابحاث العربية (بيروت) ط ١٩٨٥/١ م

٧٥

ضو [جورج] تاريخ علم الآثار/ترجمة فريج شعبان/مشورات عويدات (بيروت-باريس)
ط ١٩٨٠/١ م

٧٦

عبدالباقي [محمد فؤاد] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/دار الحديث (القاهرة)
ط ١٩٨٨/٢ م

٧٧

عبدالله [د/يوسف محمد] أوراق في تاريخ اليمن وآثاره/وزارة الثقافة والاعلام (صنعاء)
ط ١٩٨٥/١ م .

٧٨

العبدلي [أحمد فضل] هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن/دار العودة(بيروت)
ط ١٩٨٠/١ م

٧٩

علي [د/جواد] تاريخ العرب في الإسلام/دار الحدالة (بيروت) ط ١٩٨٠/١ م .

٨٠

عمارة [د/محمد] التراث في ضوء العقل/دار الوحدة ط ١٩٨٠/١ م .

٨١

عمارة [د/محمد] الدولة الإسلامية بين العلمانية الدينية/دار الشروق(القاهرة بيروت)
ط ١٩٨٠/١ م .

٨٢

العمري [د/حسين عبدالله] مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني/دار المختار
(دمشق) ط ١٩٩٢/٣ م

٨٣

عنان [زيد بن علي] اللهجة اليمنية في النكت والأمثال صنعانية/ دار الكلمة (اصنعلة)
ط ١٩٨٠ م .

٨٤

العوذي [د/حمود] التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية/ دار العودة (بيروت) ط ١٩٨٦/٢ م .

٨٥

العوذي [د/حمود] المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي/المكتبة الوطنية
(عدن) ط ١٩٨٩/٢ م .

٨٦

العوذي [د/حمود] المجتمع اليمني/جامعة عدن (عدن) ط ١٩٨٦/١ م .

٨٧

العيسى (سليمان) وعبدالله [د/يوسف محمد] ترنيمة الشمس نقش القصيدة
الخميرية/مركز البحوث والبحوث اليمني (صنعاء) ط ١٩٨٩ م .

٨٨

غويتسلو (خوان) في الاستشراق الاسباني ترجمة كاظم جهاد/المؤسسة العربية للدراسات
والنشر (بيروت) ط ١٩٨٦ م .

٨٩

غويدي (اغناطيوس) محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام/ترجمة إبراهيم
السامرائي/دار الحدادة (بيروت) ط ١٩٨٦/١ م .

٩٠

فخري [د/أحمد] اليمن ماضيها وحاضرها/المكتبة اليمنية للنشر
والتوزيع (صنعاء) ط ١٩٨٨/١ م .

٩١

الفيومي [أحمد المقرئ] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (جزءان) / دار
الكتب العلمية (بيروت) ط/١٩٦٨ م.

٩٢

القاسمي (ظافر) الحياة الاجتماعية عند العرب/دار النفائس (بيروت) ط/١٩٨١ م.

٩٣

القبالي [أبو علي] مختارات من الامالي /اختيار وتحقيق د/عمر الدقاق/منشورات وزارة
الثقافة والارشاد القومي (دمشق) ط/١٩٨٠ م

٩٤

قراءة [محمود علي] الثقافة الروحية في النجيل برنابا/مكتبة مصر(القاهرة) ط/١٩٨٣ م

٩٥

قطب [محمد علي] نظرات في النجيل برنابا/دار القلم (بيروت) ط/١٩٨٦ م.

٩٦

قطرب [أبو علي محمد بن المستنير] كتاب الفرق/تحقيق د/صبيح التميمي ود/محمد
الرديني/دار الاشراف (بيروت) ط/١٩٨٨ م.

٩٧

القعيطي [السلطان غالب] تأملات عن تاريخ حضرموت/مكتبة كنوز
المعرفة(جده) ط/١٩٩٦ م

٩٨

القمي [د/سيد محمود] النبي إبراهيم والتاريخ المجهول/سيناء للنشر (القاهرة)
ط/١٩٩٥ م

٩٩

الكندي [سالم بن حميد] تاريخ حضرموت (جزءان)/تحقيق عبد الله الحبشي/مكتبة
الارشاد (صنعاء) ط/١٩٩١ م.

١٠٠

كينون [كاثلين.م] التوراة والمكتشفات الاثرية الحديثة/ترجمة سليم زيد وشوقي
شعت/دار الجليل (دمشق) ط١/١٩٨٨ م .

١٠١

لقمان [حمزة علي] تاريخ القبائل اليمنية/دار الكلمة (صنعاء) ط١/١٩٨٥ م .

١٠٢

لقمان [حمزة علي] قصص تاريخ اليمن/دار الكلمة (صنعاء) ط١/١٩٨٥ م .

١٠٣

ماكرو (أريك) اليمن والغرب [ترجمة د/حسين عبدالله العمري] بيروت ١٩٦٨ م

١٠٤

مجموعة باحثين، الفولكلور الأمريكي/ترجمة د/نظمي لوقا/دار العالم العربي (القاهرة)
١٩٨٠ م .

١٠٥

انعامي [محمود كامل] اليمن شماله وجنوبه/دار بيروت للطباعة
والنشر(بيروت) ط١/١٩٨٩ م

١٠٦

محمود (د/مصطفى) التوراة / دار العودة (بيروت) ١٩٨٩ م .

١٠٧

مخيرز [عبدالله أحمد] العقبة / وزارة الثقافة (عدن) .

١٠٨

معلوف [لويس] المنجد في اللغة والاعلام(في مجلدين)/المطبعة الكاثوليكية(بيروت)
ط٢٤/١٩٨٠ م

١٠٩

مقبل [سيف علي] وحدة اليمن تاريخيا / دار الحقائق (بيروت) ط١/١٩٨٦ م .

١١٠

المقحفي [إبراهيم بن أحمد] معجم البلدان والقبايل اليمنية/دار الكلمة (صنعاء)

ط ١٩٨٨/٣ م

١١١

المنذري [الحافظ زكي الدين عبد العظيم] مختصر صحيح مسلم/تحقيق محمد ناصر الدين

الألباني

١١٢

منقوش [ثريا] التوحيد في تطوره التاريخي/دار الطليعة (بيروت) ط ١٩٧٩/١ م .

١١٣

منقوش [ثريا] سيف بن ذي يزن بين الحقيقة والأسطورة/دار الحرية (بغداد)

ط/١٩٨٠ م .

١١٤

مؤنس [د/حسين] التاريخ والمؤرخون/دار المعارف (القاهرة) ط/١٩٨٤ م .

١١٥

الناخعي [عبد الله أحمد] يافع في أدوار التاريخ/شركة دار العلم (جدة) ط ١٩٩٥/١ م .

١١٦

النعيمي [د/حسام سعيد] الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني/وزارة الثقافة

والإعلام (بغداد) ١٩٨٠ م .

١١٧

هارون [عبد السلام] قديب سيرة ابن هشام/مكتبة الرياض الحديثة ط/١٣٨٣ هـ .

١١٨

هالنسن [توركيل] من كونهاجن إلى صنعاء/ترجمة محمد أحمد الرعدي/دار العودة

(بيروت) ط/١٩٨٣ م .

١١٩

الهلالي [د/هادي عطية] دلالة الألفاظ اليمانية في بعض المعاجم العربية/مركز الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء) ط/١٩٨٨ م.

١٢٠

الهمداني [أبو محمد الحسن] الأكليل (الجزء الأول)/تحقيق محمد علي الأكوع/منشورات المدينة ط٣/١٩٨٦ م.

١٢١

الهمداني [أبو محمد الحسن] الإكليل (الجزء الثاني)/تحقيق محمد علي الأكوع/منشورات المدينة ط٣/١٩٨٦ م.

١٢٢

الهمداني [أبو محمد الحسن] الإكليل (الجزء الثامن)/تحقيق محمد علي الأكوع/منشورات المدينة (بيروت) ط٣/١٩٨٦ م.

١٢٣

الهمداني [أبو محمد الحسن] الإكليل (الجزء الثامن)/تحقيق نبيه أمين فارس/دار العودة (بيروت) ط٣/١٩٨٦ م.

١٢٤

الهمداني [أبو محمد الحسن] صفة جزيرة العرب/تحقيق محمد علي الأكوع/مكتبة الارشيد (صنعاء) ط١/١٩٨٥ م.

١٢٥

الهمداني [أبو محمد الحسن] شرح الدامغة/تحقيق محمد علي الأكوع/مطبعة السنة الحمديّة (القاهرة) ط/١٩٧٨ م.

١٢٦

الهمداني [حسين بن فضل الله] الصليحون والحركة الفاطمية في اليمن /دار التنوير (بيروت) ط٣/١٩٨٦ م.

١٢٧

هوميروس ، الاوديسة / ترجمة عنبرة سلام الخالدي / دار العلم للملايين (بيروت) ط /

١٩٨٠ م.

١٢٨

الواسعي [عبد الوسع بن يحيى] تاريخ اليمن / مكتبة اليمن الكبرى (صنعاء)

ط ٢ / ١٩٩٠ - ١٩٩١ م

١٢٩

يافع ، مقالات ودراسات عن يافع وتاريخها / مجموعة كتاب / دار الفارابي (بيروت)

١٣٠

يعقوب [هارولدوف / لك س آى] ملوك شبة الجزيرة العربية / ترجمة احمد المضواحي /

مركز الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء) دار العودة (بيروت) ط / ١٩٨٣ م

١٣١

اليمني [عبد الوهاب البريهي] طبقات صلحاء اليمن / تحقيق عبد الله محمد الحبشي /

مركز الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء)

١٣٢

اليمني [نجم الدين عمارة] تاريخ اليمن / تحقيق محمد بن علي الاكوع / مكتبة اليمنية

(صنعاء) ط ٣ / ١٩٨٥ م.

١٣٣

اليهري [نصر سبعة] من ينابيع تاريخنا اليمني / مطبعة الكاتب العربي (دمشق) ط ١

/ ١٩٩٤ م.

الدراسات والمقالات

١٣٤

أركون [محمد] إعادة الاعتبار للفكر الديني (حوار)/الكرمل (فصلية ثقافية) نيقوسيا ١٩٨٩/٣٤ م

١٣٥

الإرياني [صباح] عرض كتاب الصغيري : الهمداني مصادرة وآفاقه العلمية/ دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٤/١٥ م.

١٣٦

الإرياني [مظهر] حول الغزو الروماني لليمن/ دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٩/١٥ م

١٣٧

الإرياني [يحيى علي] التراث العربي والمنهج والمستقبل/ دراسات يمنية (فصلية - صنعاء) ١٩٨٩/١٥ م

١٣٨

الينا [جلو بنسكايا] حول مسألة الفئات الدنيا في الهيكل الاجتماعي للمجتمع اليمني/ ترجمة محمد البحر/ دراسات يمنية (فصلية - صنعاء) ١٩٨٤/١٧ م.

١٣٩

باطايع [د/أحمد بن أحمد] تنقيبات معبد الإله سين ذوميفعن ريبون / دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٤/١٧ م.

١٤٠

بافقية [د/محمد عبدالقادر] + باطايع [أحمد] نقوش من الحد (دراسة) ريدان (حولية/ عدن) ١٩٨٨/٥ م

١٤١

بافقية [د/محمد عبدالقادر] اليزليون الجديون من القيالة إلى الملك/ دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٨/٣١ م.

١٤٢

بأفقية [د/محمد عبدالقادر] الرحبة وصنعاء في استراتيجية الدولة السبئية/دراسات يمنية
(فصلية صنعاء) ١٩٨٨/٣٣ م.

١٤٣

بأفقية [د/محمد عبدالقادر] مملكة مأذن شواهد وفرضيات (دراسة)/دراسات يمنية (فصلية
صنعاء) ١٩٨٨/٣٣ م.

١٤٤

بريتون [جان فرانسوا] تقرير أول عن معبد عثر (ذو رصف) مدينة السوداء/دراسات
يمينية (فصلية صنعاء) ١٩٨٩/٣٨ م.

١٤٥

البكر [د/منذر عبدالكريم] قبيلة جره ودورها السياسي في تاريخ اليمن قبل
الإسلام/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ٢٥ ١٩٨٦/٢٦ م.

١٤٦

الجباسر [الشيخ حمد] الرد على نظرية كمال الصليبي/دراسات يمنية (فصلية صنعاء)
١٩٨٥/١٩ م.

١٤٧

جنتية [بول] ملاحظات حول آثار جنوب الجزيرة العربية/دراسات يمنية (فصلية
صنعاء) ١٩٨٦/٢٧ م.

١٤٨

الجرو [د/اسمهان سعيد] المدافن اليمنية القديمة مصدر هام لدراسة تاريخ اليمن القديم /
دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٦/٣٨ م.

١٤٩

الجرو [د/اسمهان سعيد] الديانة عند قدماء اليمنيين (دراسة)/دراسات يمنية (فصلية
صنعاء) ١٩٩٢/٤٨ م.

١٥٠

جوفكوف [يفتني] بعض المسائل المنهجية في التاريخ/تعريب حاتم سليمان/دار الفارابي
(بيروت) ط/١٩٧٧ م.

١٥١

الحداد [د/محمد يحيى] الآثار اليمنية المشككة والحل/دراسات يمنية (فصلية صنعاء)
٢٥-٢٦/١٩٨٦ م.

١٥٢

حداد [د/نعيم] الاستشراق والصهيونية والتراث الفلسطيني/الكرمل (فصلية صنعاء)
نيقوسيا - ٣٤/١٩٨٩ م.

١٥٣

الحضرائي [بلقيس] الآثار اليمنية وحدة المنبع والجذور/دراسات يمنية (فصلية صنعاء)
٢٥ ٢٦/١٩٨٦ م.

١٥٤

الحضرائي [بلقيس] بلقيس الملكة في الشعر اليمني قديمه وحديثه/دراسات يمنية (فصلية صنعاء)
٣١/١٩٨٨ م.

١٥٥

ديب [فرج الله صالح] نماذج من الثقافة الشعبية/الثقافة (مجلة شهرية) (صنعاء) ١/١٩٩٣ .

١٥٦

راوح [د/عبد الوهاب] تأثير اليمنيين في الديانة السامية (دراسة فيلولوجية)/دراسات يمنية
(فصلية صنعاء) ٢٥ - ٢٦/١٩٨٦ م.

١٥٧

روبان [كرستيان] انتشار العرب البداه في اليمن/ترجمة د/علي محمد زيد/دراسات يمنية
(فصلية صنعاء) ٢٧/١٩٨٦ م.

١٥٨

ريكنس [جاك] حضارة اليمن قبل الإسلام/دراسات يمنية (فصلية

صنعاء) ١٩٨٦/٢٨ م

١٥٩

زايد [د/محمود] الرد على نظرية الصليبي/دراسات يمنية (فصلية صنعاء)

١٩٨٥/١٩ م

١٦٠

زيادة [طارق] إشكالية التراث والمعاصرة/الأزمة (مجلة ثقافية/كل شهرين) نيقوسيا

١٩٨٨/٩ع/٢م

١٦١

زيادة [د/غادة ماري] دراسة الآثار الحية منهج ضروري لفهم الماضي (دراسة)/

دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٦/٢٧ م

١٦٢

السامرائي [د/إبراهيم] دلالة الألفاظ اليمانية في المعاجم العربية/دراسات يمنية (فصلية

صنعاء) ١٩٨٩/٣٧ م

١٦٣

سعيد [عبدالغني علي] ملخص رسالة ماجستير عن مدينة السوا/الإكليل (فصلية

صنعاء) عدد ٣ (١٨) ١٩٨٩ م

شلحد [د/يوسف] الجزيرة العربية كما وصفها الرحالة ماركو بولو (دراسة)/دراسات

يمانية (فصلية صنعاء) ١٩٨٨/٣٤ م

١٦٥

الشيبة [د/عبدالله حسن] دور الهمداني في الجغرافية التاريخية لليمن القديم/دراسات يمنية

(فصلية صنعاء) ١٩٨٨/٣٣ م

١٦٦

الشبية [د/عبدالله حسن] حركة الكشف والآثار في جنوب الجزيرة العربية/دراسات
يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٩/٣٧ م .

١٦٧

الصائدي [د/أحمد قائد] المادة التاريخية في كتابات نبور عن اليمن/دراسات يمنية (فصلية
صنعاء) ١٩٨٩/٣٨ م .

١٦٨

الصلوي [د/إبراهيم] أعلام يمنية قديمة مركبة/دراسات يمنية (فصلية صنعاء)
١٩٨٩/٣٨ م .

١٦٩

طاهر [عبد الباري] اليمن والحجاز كما رآها أين المجاور/دراسات يمنية (فصلية
صنعاء) ١٩٨٨/٣١ م .

١٧٠

عبدالقادر [نجوى] نشوان الحميري/الإكليل (فصلية صنعاء) ١٩٩٥/٣١ م .

١٧١

عبدالقوي [د/علي محمد] الكيان السياسي والديني في اليمن القديم/دراسات يمنية
(فصلية صنعاء) ١٩٨٩/٣٨ م .

١٧٢

عبدالله [د/يوسف محمد] مدينة آلسوا في كتاب الطواف حول البحر الارتريري (دراسة)
دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٨/٣٤ م .

١٧٣

علي [د/جواد علي] القصيدة النشואية/دراسات يمنية (فصلية صنعاء)
١٩٨٤/١٤ م .

١٧٤

علي [هشام علي] الرحلة العربية / الإكليل (فصلية صنعاء) ١٩٩٥/٢٣ م .

١٧٥

عمر [محمد عبدالله] شخصيات ومدن يمنية/الثقافة الجديدة (مجلة شهرية/عدن)
١٩٨٧/٣ م.

١٧٦

غالب [د/عبد الله عثمان] عرض موجز لتاريخ الآثار اليمنية/دراسات يمنية (فصلية
صنعاء) ٢٥-٢٦/١٩٨٦ م.

١٧٧

غالب [د/عبد الله عثمان] نتائج المسح الأثري في منطقة حضور همدان / الإكليل (فصلية
صنعاء) ٢٥ - ٢٦/١٩٨٦ م.

١٧٨

الفرح [محمد حسين] تعقيبات نقدية (وتصويبية) على كتاب في العربية
السعيدة/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ٣١/١٩٨٨ م.

١٧٩

الفرح [محمد حسين] اليزيون بين المصادر الكلاسيكية والنقوش/الإكليل (فصلية
صنعاء) (٣) ١٨/١٩٨٩ م.

١٨٠

الفرح [محمد حسين] نافذة على تاريخ اليمن الحضاري (مقالات)/ الثورة (صحيفة
يومية) ٣٠ أكتوبر ١٩٩٣ م.

١٨١

قدوح [د/محمد عبدالرؤف] أبحاث في اللسانيات وعلم اللغة/الإكليل (فصلية صنعاء)
١٨/١٩٨٩ م.

١٨٢

قفشية [د/حمدي أحمد] النظام الصوتي في اللهجة صنعانية/دراسات يمنية (فصلية
صنعاء) ١٥/١٩٨٤ م.

١٨٣

قفشية [د/حدي أحمد] من أسرار اللهجة الصناعية/دراسات يمنية (فصلية صنعاء)

١٩٨٨/٣١ م.

١٨٤

قمي [د/سيد محمود] مدخل إلى فهم دور الميثولوجيا التوراتية/الكرمل (فصلية ثقافية/نيقوسيا) ١٩٨٨/٣٠ م.

١٨٥

لوندين [أزج] دولة مكربي سبا/ترجمة د/قائد طربوش/الإكليل دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٩٥/٢٣ م.

١٨٦

مجاني [نوبة] رسالة ماجستير عن أثر العرب اليمنية في تاريخ بلاد المغرب/الإكليل (فصلية صنعاء) ١٩٨٩/١٨ م.

١٨٧

المروني [أحمد حسين] حول المفردات المبدؤة بحرف الباء في اللهجة الصناعية/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٩٢/٤٦ م.

١٨٨

مظهر [سليمان] آخر أيام البادية (استطلاع) /العربي (مجلة شهرية/الكويت)

١٩٨٩/٣٩٦ م.

١٨٩

المقالح [د/عبدالعزیز] هل كانت الجزيرة العربية موطن التوراة الموضوع ؟ /دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٥/١٩ م.

١٩٠

المقالح [د/عبدالعزیز] تراث اليمن بين الإهمال والاستشراق /دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٧/٢٧ م.

١٩١

المقالم [د/عبدالعزیز] جواد علي وصفحات من تاريخ اليمن القديم / دراسات يمنية
(فصلية صنعاء) ١٩٨٧/٢٧ م.

١٩٢

منى [د/زياد] عودة التاريخ المخطوف : توراة إسرائيل في جزيرة العرب/الناقد (مجلة
شهرية) لندن نيقوسيا ١٩٩٣/٥٩ م.

١٩٣

منصور [عبدلوهاب] دلالة المعمار اليمني على عروبة قبائل بربرية/دراسات يمنية (فصلية
صنعاء) ١٩٨٩/٣٨ م.

١٩٤

نور الدين [د/عبدالحليم] نشأة وتطور الدراسات الأثرية في جامعة صنعاء / دراسات
يمانية (فصلية صنعاء) ١٩٨٦/٢٣ م.

١٩٥

نور الدين [د/عبدالحليم] مومياء شبام الغراس (محافظة صنعاء)/الإكليل (فصلية
صنعاء) ١٩٩٠/٢٣ م.

١٩٦

هاللو [وليام . و] علم الآشوريات والقانون التوراتي/ترجمة د/جواب الله علي جواب الله /
الثقافة العالية (دورية كل شهرين) الكويت ١٩٩٠/٢٣ م.

مراجع أجنبية

- 197 Al manac [The 1988], (Boston) 1988 .
- 198 Carr,E.H, What is history ? apelican Book (london),1964
- 199 Danto, A.C, Analytical Philosophy of history, Cambridge University press, 1965.
- 200 Dickens, Charles, Great Works, Chatham River press (Newyork), 1982.
- 201 Donclan, Michael (EDITOR), The Reason of states, George & Unwin.
- 202 Lawrence, T.E, Seven Pillars of Wisdom, (Oxford), 1940
- 203 News Week(International)- No -15, Sep. 23rd, 1991.
- 204 The Oxford Dictionary & Thesaurus, Oxford University Press, 1997.
- 205 Webster's Dictionary of English Usage, (Lebanon), 1989.
- 206 Yemen Times, 5th Mar., 1991, (Vol. 1L1).

الفهرس

٥	المقدمة.....	♦
٧	مدخل في الاختراق اليماني للتاريخ السامي	♦
	الفصل الأول:	♦
٧٩	الوقائع الإبراهيمية في أرض التيمن (اليمن).....	♦
	الفصل الثاني:	♦
١٠١	المؤتفكات بلاد لوط ما بين يرامس والشحر.....	♦
	الفصل الثالث	♦
١١٩	وقائع إصباح المعارك.....	♦
	الفصل الرابع:	♦
١٥٣	في الطريق إلى أرض الميعاد.....	♦
	الفصل الخامس:	♦
١٧٧	أرض الميعاد: (عماقة حمير وفي طليعتهم عناق يافع) يحبطون زحف القبائل الإسرائيلية على أرض الميعاد.....	♦
	الفصل السادس:	♦
١٩٣	أصول الدولة الكلدانية في سرو حمير يافع.....	♦
	الفصل السابع:	♦
٢٢١	النبي الضالعي (أيوب الصابر عليه السلام).....	♦
	الفصل الثامن:	♦
٢٣٩	أهل الكهف من صلحاء سرو حمير - يافع.....	♦
	الفصل التاسع:	♦
٢٦١	جذور الميثولوجيا الرافدية والسورية في مرتفعات سور حمير - يافع.....	♦
	الفصل العاشر:	♦
٢٩٧	البديدة وأبعادها الميثولوجية.....	♦
	الفصل الحادي عشر:	♦
٣١٣	آثار الإله عتثر الحية في سرو حمير - يافع.....	♦

♦	الفصل الثاني عشر:	
٣٢٣	في ميثولوجيا الموت.....	
♦	الفصل الثالث عشر:	
٣٣٥	صبيّة الزواج الحميرية.....	
♦	الفصل الرابع عشر:	
٣٨٧	يافع في عتيق المصادر.....	
♦	الفصل الخامس عشر:	
٤٢١	يافع في عصر تشعب الصراع السبئي الريداني.....	
♦	الفصل السادس عشر:	
٤٣٧	اليزنيون في سرو حمير يافع.....	
♦	الفصل السابع عشر:	
٤٥٣	سرو حمير يافع في كتابات لسان اليمن الهمداني (قراءة تصويبية).....	
♦	الهوامش والمراجع.....	٤٨٣
♦	المصادر والمراجع.....	٥٠٩
♦	الفهرس.....	٥٣٣

من منشورات دار علاء الدين

- | | |
|--------------------------------------|--------------------------------------|
| في البيئة وحمايتها | في الثقافة السياسية |
| ----- نسيم يازجي | ----- د. حسن حنفي |
| الكويت في عيون امرأة دمشقية | الإعلام والتوعية المرورية |
| ----- جهينة الحموي | ----- د. شاكر مخلف |
| المنمنمات الإيرانية | الأعمال الكاملة |
| ----- رجا علاء الدين | ----- ندرة اليازجي |
| تعلم كيف قمارس علم النفس | التربية السليمة للطفل |
| ----- سمير عبده | ----- مورييس لين |
| الضابطة العدلية | خصيصا للحمير |
| ----- تركي موال | ----- عزيز نيسن |
| العراق صفحات من التاريخ السياسي | الجوانب الجغرافية في حماية الطبيعة |
| ----- د. كاظم موسوي | ----- د. أمين طربوش |
| الصحافة السورية بين النظرية والتطبيق | سيد درويش حياته ولغمه |
| ----- د. عدنان أبو فخر | ----- أحمد بوبس |
| ذكراه في القلب | الأقصوصة السوفيتية المعاصرة |
| ----- أنا غارغارين | ----- د. ماجد علاء الدين |
| تعلم الطفل في الأسرة والمدرسة | الرواية التونسية حتى عام ١٩٨٥ |
| ----- اسماعيل الملحم | ----- ك.ك. لومونوف |
| صفحات من تاريخ فن الرقص | رفيق شكري اللحن الأصيل |
| ----- فائق شعبان | ----- أحمد بوبس |
| ما الأدب المقارن | كيف نعتني بالطفل وأدبه |
| ----- د. غسان السيد | ----- اسماعيل الملحم |
| الأمثال الشعبية الفلسطينية | الواقعية في الأدبين العربي والسوفيتي |
| ----- فوزي حمد قديح | ----- د. ماجد علاء الدين |
| بوتراند رسل | الحسين بن منصور الخلاج |
| ----- سمير عبده | ----- سمير السعيد |

* طقوس الجنس المقدس
 * إيلانا ودوموزي
 * الشركس في فجر التاريخ
 * برزج سميكوغ
 * المراحل التاريخية لتطور النظام الإداري في سورية
 * دنحو داوود
 * اليمين واليسار في الفكر الديني
 * د. حسن حنفي
 * الاسلام والحروب الدينية
 * د. محمد عمارة
 * نظرية الدولة في الفكر العربي المعاصر
 * د. محمد جمعة
 * مذكرات عن الانقلاب العسكري
 * ميخائيل غورباتشوف
 * الأساطير والحقائق عن عائلة ستالين
 * ت. د. ماجد علاء الدين
 * الأخوة كينيدي
 * ت. د. ماجد علاء الدين
 * مذكرات امرأة
 * روشن بدرخان
 * من الرماد إلى الرماد
 * عائشة أرناؤوط
 * ملحمة الزمن
 * ت. د. ماجد علاء الدين

* مغامرة العقل الأولى
 * فراس السواح
 * لغز عشتار
 * فراس السواح
 * الحدث التوراتي
 * فراس السواح
 * دين الإنسان
 * فراس السواح
 * آرام دمشق واسرائيل
 * فراس السواح
 * جلجامش
 * فراس السواح
 * بدايات الحضارة
 * عبد الحكيم الذنون
 * تشريعات بابلية
 * عبد الحكيم الذنون
 * تاريخ القانون في العراق
 * عبد الحكيم الذنون
 * الديانة الفرعونية
 * واليس بدج
 * سويداء سورية
 * مجموعة مؤلفين
 * شريعة حمورابي
 * ت. أسامة سراس

هذا الكتاب

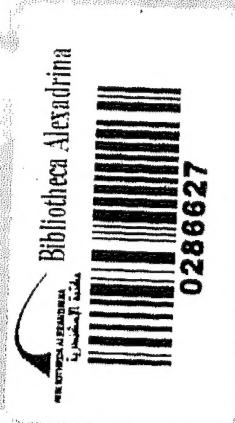
يرحل مع المؤلف فضل الجشام إلى عتيق الحقب من تاريخ الشرق الأدنى .
فنطل على المربع البكر للأقوام والشعوب التي عرفت بالساميين، وهجراتهم شمالاً
من بلاد بونت (اليمن) إلى بلاد الرافدين وسورية القديمة ، فنأتي على دورهم
في تشكيل الحضارة الحضارية لأقليم الشرق الأدنى.

عبر فصول هذا الكتاب نقتحم مع المؤلف مسالكاً وعرة ومحميات
طالما تجنبتها أقدام المؤرخين التقليديين فكتشف خبايا وأسرار نحو الوقائع
العجيبة لآل بيت ناحور (رهط ابراهيم عليه السلام) على أرض اليمن ، فتحقيق
هوية أنبياء نحو : أيوب الصابر، وشعيب الحضوري وأصحاب الكهف وجذور
الميثولوجيا الرافدية والسورية في اليمن .. الخ .

للبرهنة على صحة إطروحاته يحيط المؤلف بمصادر غنية تبدأ بنتائج الكشف
الأثرية في اليمن وبلاد الشام والرافدين، فالكتابات التاريخية اليونانية والرومانية
والمرويات الإخبارية العربية ، وتنتهي بالأثار الحية والمرويات الشفهية في
سروحين/ يافع (اليمن) .

الكتاب مفيد وهام للمؤرخين والمهتمين المختصين بعلم السلالات البشرية
وعلم الأساطير وتاريخ الأديان

الناشر



يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة

دمشق ص.ب ٣٠٥٩٨

هاتف : ٢٣١٧١٥٨ - ٥٦١٧٠٧١

فاكس: ٢٣١٧١٥٩ - ٥٦١٣٢٤١

To: www.al-mostafa.com